دعوة الحسينية

الى مواهب الله السنية

للعلامه آية الله الحاج الشيخ محمد باقر البهاری الهمدانی

رضوان الله تعالى عليه

المتوفى سنة ١٣٣٣ ه‍ ق

قام بطبعه

نجله : العبد العاصی محمدحسين عفی عنه


Princeton University Library
32101 059172724

Hamadānī

دعوة الحسينية

الى مواهب الله السنية

للعلامه آية الله الحاج الشيخ محمد باقر البهارى الهمدانى

رضوان الله تعالى عليه

المتوفى سنة ١٣٣٣ ه‍ ق

قام بطبعه

نجله : العبد العاصى محمدحسين عفى عنه

شوال المكرم ١٣٩٩

المطبعة العلمية - قم

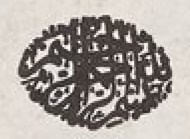


وقد ساهم على نفقة طبعه :

الحاج منصور ومشهدى محسن السهرابيان

والحاج على اصغر الشيرازى البهاريون

وفقهم الله تعالى



الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الاولين والاخرين محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على اعدائهم من الجن والانس اجمعين، ابدالابدين ، ودهرالداهرين .

فيقول العبدالفاقر الى عفوربه الغافر محمد المدعو بباقر بن الراجي عفو ربه الاكبر محمد المدعو بجعفر بن الواصل الى رحمة ربه الوافي محمد المدعو بكافي بن محمد يوسف بن طاوس بنت محمد حسين بن محمد باقر الامامي الهمداني البهاري عاملهم الله بلطفه

انى لمارأيت اخواننا اهل السنة ، قد غفلوا عن الحظ الوافر فى مأتم سيد الشهداء ، والدرجة العليا فى حب خامس اصحاب الكساء ، و رأيت أنهم ما اقتفوا فى ذلك دليلا ، بل تاهوا عن ابلج الحق ضلالا ، فزعموا ان عمل الامامية وغيرهم فى ذلك بدعة ، وانما هو من : جلى السنة ، فرأيت الامر بخلاف ما زعموا ، فاردت ان ادعو الى الرشاد ، فجمعت اخباراً من غير استيعاب ، واومأت الى اخرى بلا اطناب ، و اوضحت بعض ما اجمل منها ، سالكاً فى ذلك طريق الايجاز ، فارتفع الظلام بعون الملك العلام ، واسفرالحق عن وجهه فابلج ، واتضح به واضح المنهج فلايضل بعد مشاهدته الامن غوى ، و كتب الله عليه الردى وارداه الهوى . ووقع الكلام فى : مقدمة وعشرمقامات ، وجاء الكتاب ـ بحمدالله ـ كاسمه : دعوة حسينية الى مواهب الله السنية ، الا و من اجاب تلك الدعوة الباهرة ، نال من الله تعالى

الكرامة الظاهرة، الزاهرة ، ومن نبيه الشفاعة النافعة،ومن آله المودة الكاملة،ومن اهل بيته كمال الرضا والمعيةفي الاخرة الابقى، ويكون قد اجاب الى مائدةلايمكن وصفها ، ولايعرف كنهها ، كيف لاوهي مما اعدهالله لمن ارتضاه ، ورضيه فأرضاه فالخاسرمن التوى بعد سماع دعوة تلك الضيافة العظمى والغاية القصوى ، لمايهتم به اولو النهى ...

اما المقدمة : ففي كلام ابن حجر في صواعقه .

والمقام الاول : في جواز البكاء على الميت،وانه لم يمنع منه شرعاً، وبيان مدرك منع من منع، وابطالذلك، بل وجواز البكاء عندكل مصيبة ، وان ليس فيه جهة مقبحة . .

والثاني : فيمن بكى على قتيل العبرات قبل ان تقع واقعته.

والثالث : فيمن بكى عليه عند وقوع الحادثة .

والرابع : فيمن بكى عليه بعدها .

و الخامس : اثبات عدم الفرق بيننا و بينهم ، ولا بين حال وقوع الحادثة وبعدها .

والسادس : في دواعي البكاء مطلقاً ، وخصوص بكائنا عليه ، الكافية في حسن البكاء عليه وان لم يثبت امرخاص .

والسابع : في الامر الشرعي بالبكاء عليه .

والثامن: في الايماء الى عدم الفرق بينهوبين سائر الائمة، بل وسائر المظلومين في الاسلام .

والتاسع : في الندبة .

و العاشر : في الحزن عليه ، و التعرض لبعض كلام الشيخ في الصواعق ومناقشته على وجه الاختصار .

هذا مجمل ما اوردناه في هذا الكتاب ،بعون الله وقوته ...واليك المقدمة:

المقدمة

فى كلام الشيخ ابن حجر فى صواعقه المتعلق بهذا المقام المرتبط بهذا المرام

قال فى الصواعق ص١١٢ فى اواخر الباب الحادى عشر: «الرابع اعلم ان ما اصاب الحسين ـ رضى الله عنه ـ فى يوم عاشوراء ـ كما سيأتى بسط قصته ـ انما هو الشهادة الدالة على مزيد حظوته و رفعته و درجته عندالله ، و الحاقه بدرجات اهل بيته الطاهرين، فمن ذكر ذلك اليوم مصابه لم ينبغ ان يشتغل الا بالاسترجاع، امتثالا للامر ، واحرازا لمارتبه تعالى عليه بقوله :

« اولئك عليهم صلوات من ربهم و اولئك هم المهتدون البقرة ـ ١٥٧ »
ولايشتغل ذلك اليوم الابذلك ونحوه من عظائم الطاعات كالصوم ، واياه ثم اياه ان يشغله ببدع الرافضة و نحوهم من الندب و النياحة والحزن ، اذ ليس ذلك من اخلاق المؤمنين ، والالكان يوم وفاته ـ ص ـ اولى بذلك وأحرى، اوببدع الناصبة المتعصبين على اهل البيت ، او الجهال المقابلين الفاسد بالفاسد و البدعة بالبدعة و الشر بالشر ، من اظهار غاية الفرح والسرور، واتخاذه عيداً و اظهار الزينة فيه ، كالخضاب والاكتحال و لبس جديد الثياب ، و توسيع النفقات و طبخ الاطعمة والحبوب ، الخارجة عن العادات ، واعتقادهم ان ذلك من السنة والمعتاد ، والسنة ترك ذلك كله فانه لم يرد فى ذلك شىء يعتمد عليه ، ولااثر صحيح يرجع اليه . .

و قد سئل بعض ائمة الحديث و الفقه عن الكحل و الغسل و الحناء وطبخ

الحبوب و لبس الجديد واظهار السرور يوم عاشوراء ، فقال : لم يرد فيه حديث صحيح عنه ـص ـ ولا عن احد من اصحابه ، ولااستحبه احد من ائمة المسلمين ، لامن الاربعة ولامن غيرهم ، ولم يرد في الكتب المعتبر في ذلك صحيح ولاضعيف .

وما قيل من ان من اكتحل يومه لم يرمد ذلك العام، ومن اغتسل لم يمرض كذلك، ومن وسع على عياله فيه وسع الله عليه سائر سنته، وامثال ذلك مثل فضل الصلاة فيه، وانه كان فيه توبة آدم و استواء السفينة على الجودى وانجاء ابراهيم من النار، وافداء الذبيح بالكبش، ورد يوسف على يعقوب فكل ذلك موضوع الا حديث التوسعة على العيال. لكن في سنده من تكلم فيه، فصار هؤلاء لجهلهم يتخذونه موسماً واولئك لرفضهم يتخذونه مأتماو كلاهما مخطىء، مخالف للسنة .. كذاذكر ذلك جميعه بعض الحفاظ .

وقد صرح الحاكم بان الاكتحال يومه بدعة مع روايته خبران من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه ابداً ، لكنه قال : انه منكر، ومن ثم اورده ابن الجوزى في: الموضوعات من طريق الحاكم .. قال بعض الحفاظ و من غير ذلك الطريق ونقل المجد اللغوى عن الحاكم: ان ساير الاحاديث في فضله غير الصوم و فضل الصلاة فيه والانفاق والخضاب والادهان والاكتحال و طبخ الحبوب كله موضوع ومفترى .

وبذلك صرح ابن القيم ايضا، قال : حديث الاكتحال والادهان والتطيب يوم عاشوراء من وضع الكذابين والكلام فيمن خص عاشوراء ، بالكحل وما مر من ان التوسعة فيه لها اصل ، هو كذلك .

فقد اخرج حافظ الاسلام الزين العراقى في اماليه ، من طريق البيهقى ان النبى ـص ـ قال من وسع على عياله واهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته ثم قال عقيبه : هذا حديث في اسناده لين لكنه حسن على رأى غير ابن حبان، وله طريق آخر صححه الحافظ ابو الفضل محمد بن ناصر وفيه زيادات منكرة ، وظاهر

كلام البيهقى ان حديث التوسعة حسن على رأى غير ابن حبان ايضا فانه رواه من طرق جماعة من الصحابة مرفوعا ثم قال : وهذه الأسانيد وان كانت ضعيفة لكنها اذا انضم بعضها الى بعض احدثت قوة وانكار ابن تيمية ان التوسعة لم يرد فيها شيء عنه ـ ص ـ كما علمت وقول احمد انه حديث لايصح اى لذاته . فلاينافي كونه حسنا لغيره والحسن لغيره يحتج به كما بين في علم الحديث» انتهى بعبارته(١)

---

(١) الصواعق المحرقة ص ١١٢-١١٣ .

المقام الاول

فى جوازالبكاء على الميت وانه لم‌يمنع منه شرعا وبيان مدرك منع من منع وابطال ذلك بل وجوازالبكاء عندكل مصيبة وانه ليس فيه فى حد نفسه جهة مقبحة

فلنقدم مقدمة وهى :

ان مجرد خروج‌الدمع من العين عندالمصيبة وكونه مقتضى الجبلة البشرية امر ينبغى ان لا يكون محل كلام ، و ستعرف انه لم يسلم ايضاً من الالسن، فـى رسول الله ـص ـ .

و من البكاء ما يشتمل على صوت الباكى بدون كلام و لعله مصب ادلة الطرفين بزعمهم .

و منه ما يشتمل على كلام وينبغى تقسيمه الى : ما يكون حقاً ، وما يكون باطلا ، ومايكون رضى‌لله وما يكون سخطاً .

و على اى حال ينبغى ان لا يؤثر فى حكم البكاء لخروج ذلك الكلام عن ماهية البكاء كالاقتران بسماع الاجنبى ونحوه ، بل بناء على الجوازيجوزالبكاء فى ضمن تمام الافراد ، لاتحاد الماهية وان حرم الامر المقارن (١) وهولايؤثرحرمته

---

(١) اى انالبكاء اذاكان بمجرده جائزاً شرعاً فاننا يمكننا القول بجوازالبكاء حتى اذا كان مقروناً بالكلام الباطل المحرم لوحدة ماهية البكاء هنا وهناك وان حرم الكلام المقارن له .

ولو اثر ايضاً لم يوجب حرمة ماهية البكاء كما هو محل البحث.

و اذا عرفت ذلك فنقول : الذى يمكن ان يستدل به للمنع من البكاء على الميت طوائف من الاخبار :

(الاولى)عدة من الاخبار يظهر منها المنع عن عنوان البكاء على الميت مثل المروى فى صحيح مسلم (١) عن ام سلمة قالت : لما مات ابو سلمة قلت : قريب [غريب - ظ] وفى ارض غربة لابكينه بكاء يتحدث منه ، فكنت قدتهيأت للبكاء عليه اذ اقبلت امرأة من الصعيد تريد ان تسعدنى فاستقبلها رسول الله - ص - فقال : اتريدين ان تدخلى الشيطان بيتا اخرجه الله منه ، مرتين ، (٢) فكففت عن البكاء فلم ابك .

وما فى مشارق الانوار قال : وقد اخرج الطبرانى فى الكبير ، و ابونعيم ، وابن مندة من طريق جعفربن محمد عن ابيه عن الحرث عن ابن الخزرجى عن ابيه قال : سمعت رسول الله (ص) يقول وقد رأى ملك الموت عند رأس رجل من الانصار: يا ملك الموت ارفق بصاحبى فانه مؤمن فقال ملك الموت :طب نفسا وقر عينا ، و اعلم انى بكل مؤمن رفيق ، واعلم يا محمد انى لا قبض روح ابن آدم فاذا صرخ صارخ قمت فى الدار ومعى روحه فقلت : ما هذا الصراخ ؟ والله ما ظلمناه ولا سبقنا اجله ، ولا استعجلنا قدره ، ومالنا فى قبض روحه من ذنب ، فان ترضوا بماصنع الله تؤجروا وان تسخطوا تأثموا و ان لنا عندكم عودة بعد عودة فالحذر الحذر و ما اهل بيت شعر ولا مدر ، ولا بر ولافاجر ، ولاسهل ولاجبل ، الا انا اتفحصهم فى كل يوم وليلة حتى لانا اعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم ، والله لواردت ان اقبض روح بعوضة ماقدرت على ذلك حتى يكون الله يأذن بقبضها . . . (٣)

---

(١) صحيح مسلم ج٢ كتاب الجنائز باب البكاء على الميت .

(٢) هذا عدد قوله « ص » لاعدد اخراج الشيطان كمالايخفى - منه رحمه الله .

(٣) مشارق الانوار الفصل الثالث ص ١٩-٢٠ .

ومثل ما في غير موضع من البخاري وغيره من ان رسول الله « ص » مرعلى قبر وعنده امرأة تبكي فقال لها : اتقى الله واصبرى ، وفي ذيل جملة منها قوله «ص» انما الصبر عند الصدمة الاولى (١)

وما في البخاري ومسلم وغيرهما عن عايشة قالت : لما جاء النبي «ص» قتل ابن حارثة وجعفروابن رواحة جلس يعرف فيه الحزن ـ وانا انظر من شق الباب فاتاه رجل فقال : ان نساء جعفر وذكر بكائهن فامره ان ينها هن فذهب ثم اتاه الثانية لم يطعنه .

فقال : انههن . فاتاه الثالثة قال : والله غلبننا يا رسول الله . فزعمت انه قال : فاحث في افواههن التراب، فقالت : ارغم الله انفك لم تفعل ما آمرك رسول الله «ص» ولم تترك رسول الله «ص» من العناء (٢)

وفي بعض طرق مسلم : وما تركت رسول الله «ص» من العى

(الثانية) الاخبار الدالة على نهى عمر وابن عمر عنه وروايتهما ذلك عن رسول الله «ص» مثل ما في البخاري ومسلم عن ابى بردة عن ابيه «وهو ابو موسى الاشعرى » قال : لما اصيب عمر جعل صهيب يقول : وا أخاه . فقال عمر : اما علمت ان النبي «ص» قال : «ان الميت ليعذب ببكاء الحي ؟» (٣).

وما في مسلم : عن عبدالله قال : ان حفصة بكت على عمر ، فقال : مهلا يابنية . الم تعلمي ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ان الميت يعذب ببكاء اهله عليه (٤)

---

(١) البخاري ج٢ كتاب الجنائز باب زيارة القبور .

(٢) البخاري ج٢ كتاب الجنائز باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن .

(٣) البخاري ج٢ كتاب الجنائز.

(٢) صحيح مسلم ج٢ كتاب الجنائز .

وعن ابى موسى . قال : لما اصيب عمراقبل صهيب من منزله حتى دخل على عمرفقام بحياله يبكى فقال عمر: علام تبكى اعلى تبكى ؟ قال : اى والله لعليك ابكى يا اميرالمؤمنين ، قال والله لقد علمت ان رسول الله «ص» قال : (من يبكى عليه يعذب) ، الخبر وسيأتى انشاء الله . (١)

وعن انس ، قال ان عمرلما طعن عولت عليه حفصة فقال ياحفصة اماسمعت رسول الله «ص» يقول : (المعول عليه يعذب) ، وعول عليه صهيب فقال عمر : يا صهيب اما علمت ان المعول عليه يعذب (٢)

وعن سالم ، عن ابن عمران رسول‌الله « ص » قال (ان الميت يعذب ببكاء الحى) . (٣)

وما فى جامع الترمذى ، عن سالم عن ابيه قال قال عمر: قال رسول الله «ص» الميت يعذب ببكاء أهله عليه .

قال : وفى الباب عن ابن عمروعمران بن حصين قال ابوعيسى حديث‌عمر حديث حسن‌صحيح ، وقد كره قوم من‌اهل العلم : البكاء على الميت قالوا‌الميت يعذب ببكاء اهله عليه ، وذهبوا الى‌هذا‌الحديث

وقال‌ابن المبارك ان‌كان ينهاهم فى‌حياته‌ارجو ان‌لايكون عليه من ذلك‌شىء . (٤)

وما فى البخارى بعد حديث ابن عمرالاتى فى النياحة تابعه عبد الأعلى عن يزيد بن زريع عن سعيدعن قتادة عن آدم عن شعبة : (الميت يعذب ببكاء الحى عليه) (٥) وسيأتى بطرق اخرى فى ضمن روايات ، ولعل له طرقاخر ايضا الان فى ذلك عنها غنى وكفاية ـ كمالايخفى .

(١ و ٢ و ٣) صحيح مسلم ج٢ كتاب الجنائز.

(٤) سنن الترمذى ج٢ كتاب الجنائز باب ماجاء فى كراهية البكاء .

(٥) البخارى ج٢ كتاب الجنائز باب مايكره من‌النياحة على‌الميت .

(الثالثة) مايشتمل على بيان العذاب مثل مافي جامع الترمذي عن ابي موسى ان رسول‌الله (ص) قال : مامن ميت يموت فيقوم باكيه فيقول : واجبلاه واسيداه ' أو نحو ذلك الا وكل الله به ملكين يلهزانه اهكذا كنت . قال : حديث حسن غريب . (١)

اقول : يمكن تأييده بقوله في آل عمران «ويحبون ان يحمدوا بمالم يفعلوا فلاتحسبنهم بمفازة من العذاب » الاية (آل عمران - ١٨٩).

(الرابعة) اخبار المنع من النوح مثل مافي البخاري ومسلم عن ام عطية قالت اخذ علينا رسول‌الله صلى الله عليه وآله البيعة ان لاننوح فماوفت منا امرأة غير خمس نسوة - الخبر .(٢)

وما في صحيح مسلم عن ام عطية لمانزل قوله : « ولايعصينك في معروف » (الممتحنة - ١٢) كان منه النياحة فقلت : يا رسول‌الله الا آل فلان فانهم كانوا اسعدوني في الجاهلية فلابدلي من ان اسعدهم (٣) فقال «ص» : الا آل فلان (٤) .. وظني انه في البخاري ايضاً في كتاب التفسير فلاحظ ، واخبار في الصحيحين في منع ابن العاص ان تتبعه نائحة وبرائته من ذلك واشباه ذلك ممالاحاجة الى التعرض له كمالايخفى

وما في مسلم في كتاب الايمان عن ابي هريرة قال قال رسول‌الله «ص» : اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت (٥).

---

(١) سنن الترمذي بشرح ابن العربي ج٢ ص٢٢٥ .

(٢) البخاري ج٢ كتاب الجنائز باب ماينهى عن النوح والبكاء .

(٣) ظاهره ان الاستثناء ممن نيح عليه لاممن ناح كمالايخفى وهو لايلائم المنع عن فعل النياحة ، ولايختص الاذن ايضاً بام عطية الا ان يكون مرجع ضمير الجمع في قوله : فانهم غير مذكور ويكون آل فلان في كلامها مراداً به اقرباؤها فتأمل .

(٤) صحيح مسلم ج٢ كتاب الجنائز باب التشديد في النياحة .

(٥) صحيح مسلم ج٢ كتاب الايمان باب اطلاق اسم الكفر على الطعن والنياحة .

وفي كتاب الجنائز عن ابي مالك الاشعري ان النبي «ص» قال : اربع في امتي من امر الجاهلية لايتركونهن : الفخر في الاحساب والطعن في الانساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة وقال: النائحة اذا لم تتب قبل موتها قامت يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب . (١)

ومافي الجامع عن ابي هريرة قال رسول الله «ع» اربع في امتي من امر الجاهلية لم يدعهن الناس : النياحة والطعن في الاحساب ، والعدوى (اجرب بعير فاجرب مائة بعير من اجرب البعير الاول) ، والانواء ممطرنا (مطرنا ـ ظ) بنوء كذا وكذا) قال : حديث حسن(٢) .

(الخامسة) اخبار تدل على ان النياحة توجب العذاب لفاعلها مثل مافي مشارق الانوار ، للحمزاوي ، قال العارف الشعراني روى مسلم وابن ماجة مرفوعاً : تخرج النايحة من قبرها يوم القيمة شعثاء غبراء عليها جلباب من لعنة الله تعالى ودرع من نار ويدها على رأسها تقول: ياويلاه .

قال : وفي رواية اخرى : النوايح يجعلن يوم القيمة صفين ، صفاعن اليمين وصفاً عن الشمال ، فينبحن كما تنبح الكلاب في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ثم يؤمر بهن الى النار قال الشيخ عبد الباقي : وهي الرافعة صوتها بالبكاء (٣)

او توجب العذاب للميت مثل ما في البخاري عن المغيرة سمعت النبي «ص» يقول : من نيح عليه يعذب بما نيح عليه (٤)

ومافي الجامع عنه في حديث مابال النوح في الاسلام اما اني سمعت رسول الله «ص» يقول : (من نيح) ، فذكره ، فقال حديث حسن صحيح وفي الباب عن عمر

---

(١) صحيح مسلم ج٢ كتاب الجنايز باب التشديد في النياحة .

(٢) سنن الترمذي ج٢ كتاب الجنائز باب ماجاء في كراهية النوح .

(٣) مشارق الانوار للحمزاوي ص ٣٧ .

(٤) صحيح البخاري ج٢ كتاب الجنائز باب مايكره في النياحة على الميت .

و على وابى موسى و قيس بن عاصم و ابى هريرة و جنادة بن مالك وانس و ام عطية وسمرة وابى مالك الاشعرى ذكر ذلك فى باب (ماجاء فى كراهة النوح)(١)

وما فى البخارى عن ابن عمر عن ابيه عن النبى (ص) قال : (ان الميت يعذب فى قبره بمانيح عليه) رواه بطريقين عبدالاعلى فذكر ما مر آنفا ... (٢)

وما فى مسلم عن عمر عن النبى (ص) قال : (ان الميت يعذب فى القبر بمانيح عليه) ، رواه بطريقين (٣) .

وعن ابن عمر قال : لما طعن عمراغمى عليه فصيح عليه ، فلما افاق قال: اما علمتم ان رسول الله (ص) قال: (ان الميت ليعذب ببكاء الحى) . (٤)

وعن المغيرة بن شعبة بطرق قال : سمعت رسول الله «ص» يقول (من نيح عليه فانه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة) . (٥)

*

(اقول) : قد يتوهم ان هذه خمسة طيبة وردت فى مجرد البكاء فضلا عن كونه من الجزع وسخط ماقدره الله ونحو ذلك ، ومنافاته للصبر والرضى ،وشبههما من الصفات الحسنة ، فكيف يجوزان يبكى على من يموت اوعلى من مات جديداً من الاقرباء واولى النسب فضلا عمن بعد عهده ، وتقادم زمانه، فضلا عمن لايكون قريباً ايضاً فكيف اذا تقادم عهده ايضاً .. فكيف يجوز ان يبكى وينوح احد على قتيل العبرة الحسين ـ ع ـ وسائر الائمة من قديم الدهر الى ان يفرج الله كربهم وينتقم بقائمهم ـ عجل الله فرجه ـ من اعدائهم ويأخذ بثار الحسين المظلوم ، فهل يكون ذلك الا محظوراً فى محظور فيه المحاذير ؟؟

هذا ولكن المختار هو : جواز البكاء على الميت وفى المصيبة مطلقاً ،

---

(١) سنن الترمذى ج٢ كتاب الجنائز باب ماجاء فى كراهية النوح .

(٢) صحيح البخارى ج٢ كتاب الجنائز باب مايكره من النياحة على الميت .

(٣ و ٤ و ٥) صحيح مسلم ج٢ كتاب الجنائز باب الميت يعذب ببكاء اهله عليه .

وكذا النوح اذا لم يكن بباطل ، ولم يشتمل على محظور آخر ، وبيان ذلك موقوف على ابطال المنع المتوهم من تلك الوجوه ، ثم شرح الامر فى قتيل العبرة (الحسين عليه السلام) . . وحيث كان الغرض من هذا الكتاب هو توضيح الامر لاخواننا اهل السنة ، فاننا نقتصر على الجواب عن ذلك بما يوافق مذاقهم ، ومذهبهم ، وقواعدهم ، واصولهم ، وان نكف عما تنفر منه قلوبهم ، ولايحظى لديهم بقبول .

* * *

واليك فيمايلى الجواب عن ما تقدم من الاخبار:

(اما عن الطائفة الاولى) فاجماله : انها ظاهرة فى النياحة التى كانت متداولة فى الجاهلية ، والمتداولة بين العوام ، وغير اهل الديانة ، وستعرف ان الاخبار الناهية عن ذلك لاتفيد المنع عن النياحة مطلقاً ، ولكنه يختص ببعض اقسامها ، ولاظهور فيهافى البكاء بمعنى خروج الدمع من العين والمقرون بصوت الباكى ايضا ، والخاص لايدل على حكم العام كما ان مجرد المقارنة لايوجب المنع عن المتقارنين معاً ، اذ الامر المعهود مقارن للبكاء الذى هو محل الكلام لافرد له مضافا الى ان المنع عنه مع الخصوصيات لايوجب المنع عن طبيعة (البكاء) مطلقا ومضافا الى ان ادلة جواز البكاء - كما ستعرفها - وشواهد ظهورها فيما ذكرناه ، لاتكاد تخفى ، فان الذى تتحدث عنه هذه الاخبار هو الامر المعهود المتعارف فى ذلك الزمان الجاهلى دون نفس (البكاء) .

ويدل على كلامنا تسمية ذلك الامر المعهود بالصراخ ونحوه المنافى للرضا والتسليم الملازم للسخط احيانا ، والمنافى للامر بالتقوى والصبر فيها ، الظاهر فى كون فعل تلك النياحة المعهودة منافياً للتقوى ، ومخالفاً لمقتضى الصبر على المصيبة ، وملازما للجزع الذى هو ضد الصبر وكذا حثو التراب على الافواه الظاهر فى قيام الذنب بها . . كما انه هو القابل للاسعاد دونه .

فكل هذا يؤيد ان المنهي عنه في هذه الاخبار هو غير البكاء ، هذا مضافاً الى ان قول عايشة قد يكشف عن عدم التحريم و الى جانب ضعف الخبر الاخير بما ورد في حق جعفر «رضوان الله عليه» مما أوردناه في كتاب فضله .

ولو سلم ظهور الكل في (البكاء) فلايعارض دليل الجواز من وجوه لاتخفى.

ويستفاد ـ ايضاً ـ ماذكرناه من أن المنهي عنه ليس هو البكاء مجرداً عن أية ضميمة أخرى بل بكاء خاص ونياحة خاصة .

اقول ويستفاد ذلك ايضاً ـ من روايات وردت في مسند احمد بن حنبل تفيد المقام، كما ان لها فوائد في مباحث الكتاب .

ففي مسند الامام احمد : حدثنا عبدالله حدثني ابي (ثنا) يزيد انا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : لما مات عثمان بن مظعون.. (الى ان قال) : فلما ماتت زينب ابنة رسول الله «ص» قال رسول الله «ص»: (الحقي بسلفنا الصالح الخير عثمان بن مظعون)،فبكت النساء ، فجعل عمر يضربهن بسوطه ، فاخذ رسول الله «ص» بيده وقال : مهلا يا عمر ، ثم قال : (ابكين وايا كن ونعيق الشيطان) . ثم قال : (انه مهما كان من العين والقلب فمن الله عزوجل ومن الرحمة وماكان من اليد واللسان فمن الشيطان) . (١)

وايضاً : حدثنا عبدالله (ثني) ابي (ثني) عبدالصمد وحسن بن موسى قالا: ثنا حماد عن علي بن زيد قال ابي : حدثنا عفان ثنا ابن سلمة انا علي بن زيد عن يوسف ابن مهران عن ابن عباس قال: لمامات عثمان بن مظعون (فساق الحديث الى ان قال): حتى ماتت رقية ابنة رسول الله «ص» فقال «ص»: (الحقي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون) قال : وبكت النساء ، فجعل عمر يضربهن بسوطه ، فقال النبي «ص» لعمر: (دعهن يبكين ، واياكن ونعيق الشيطان) ، ثم قال رسول الله «ص» مهما يكون من القلب و العين فمن الله والرحمة ، ومهما كان من اليد واللسان فمن الشيطان ، وقعد رسول الله

---

(١) مسند الامام احمد ج١ مسند عبدالله بن العباس ص ٢٣٨ .

«ص» على شفير القبر وفاطمة الى جنبه تبكى فجعل النبى «ص» يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها(١)

وايضا : حدثنا عبدالله (ثنى) ابى(ثنا) سليمان بن داود (نا) اسماعيل اخبرنى محمدبن عمرو بن حلحلة عن محمدبن عمرو بن عطاء بن علقمة انه كان جالساً مع(عبدالله) ابن عمر بالسوق ومعه سلمة بن الازرق الى جنبه ، فمر بجنازة يتبعها بكاء فقال عبدالله بن عمر: لو ترك اهل هذا الميت البكاء لكان خيراً لميتهم . فقال سلمة بن الازرق : تقول ذلك يا اباعبدالرحمان قال: نعم اقوله ، قال: انى سمعت اباهريرة : ومات ميت من اهل مروان فاجتمع النساء يبكين عليه، فقال مروان: قم ياعبدالملك فانههن ان يبكين . فقال ابوهريرة : دعهن فانه مات ميت من آل النبى « ص » فاجتمع النساء يبكين عليه فقام عمر بن الخطاب ينهاهن ويطردهن ، فقال رسول الله «ص» (دعهن يابن الخطاب ، فان العين دامعة ، والفؤاد مصاب ، وان العهد حديث) . فقال عبدالله بن عمر : انت سمعت هذا من ابى هريرة ؟ قال : نعم ، قال : يأثره عن النبى « ص » ؟ قال : نعم ، قال : فالله ورسوله اعلم . (٢)

وايضاً : حدثنا عبدالله(ثنى)ابى(ثنا)عبدالرزاق (انا) ابن جريج اخبرنى هشام بن عروة عن وهب بن كيسان عن محمدبن عمرو أنه اخبره ان سلمة بن الازرق كان جالساً مع عبدالله بن عمر بالسوق فمر بجنازة يبكى عليها فعاب ذلك عبدالله بن عمر فانتهرهن فقال له سلمة: لا تقل ذلك ، فاشهد على ابى هريرة لسمعته يقول :وتوفيت امرأة من كنائن مروان وشهدها و امر مروان بالنساء التى يبكين فجعل يطردن ، فقال ابوهريرة : دعهن يا اباعبدالملك فانه مر على النبى «ص» بجنازة يبكى عليها وانا معه، ومعه عمر بن الخطاب فانتهر عمر اللاتى يبكين مع الجنازة ، فقال رسول الله «ص» (دعهن يابن الخطاب ، فان النفس مصابة وان العين دامعة ، وان العهد حديث) قال: انت سمعته

---

(١) مسند الامام احمد ج١ مسند عبدالله بن العباس ص ٢٣٤ .

(٢) مسند احمد بن حنبل ج٢ مسند ابى هريرة ص ٢٧٣ .

قال: نعم، قال: فالله ورسوله اعلم . (١)

وايضا حدثنا عبدالله (ثنى) ابى (ثنا) محمدبن بشر(ثنا) هشام‌بن عروة (ثنى) وهب‌بن كيسان عن محمدبن عمروبن عطاء عن عمروبن الازرق قال : توفى بعض كنائن‌مروان‌فشهدها الناس وشهدها ابوهريرة ومعهانساء يبكين فامرهن مروان‌فقال ابوهريرة : دعهن فانه مرعلى رسول‌الله جنازة‌أمعها بواك فنهرهن عمر ـ رض ـ فقال له‌رسول الله «ص» (دعهن فان‌النفس مصابة والعين دامعة ، والعهد حديث) (٢)

وايضا حدثنا عبدالله (ثنى) ابى (ثنا)عفان (ثنا) وهيب (ثنا)هشام بن‌عروة‌عن وهب‌بن كيسان عن محمدبن عمروبن عطاء عن‌سلمة بن‌الازرق ، انه‌كان مع عبدالله ابن‌عمرجالساً ذات يوم‌بالسوق فمربجنازة يبكى عليها فعاب ذلك ابن‌عمروانتهرهم (فساق مثل ما سبق سواء الا انه قال :) فامر بالنساء اللاتى يبكين فضر بن فقال ابوهريرة الى آخرالحديث. (٣)

وايضا حدثنا عبدالله (ثنى) ابى(ثنا) وكيع (ثنا) هشام‌بن عروة عن وهب بن كيسان عن محمدبن عمرو بن‌عطاء عن‌ابى هريرة قال: كان النبى «ص» فى جنازة فرأى‌عمر امرأة فصاح‌بها، فقال‌رسول‌الله «ص» : (دعها ياعمر فان‌العين دامعة‌والنفس مصابة ، والعهد حديث) . (٤)

وايضا(ثنا)عبدالله(ثنى) ابى(ثنا) عفان ثناابو الأحوص (ثنا) يحيى بن الحرث التيمى عن عمر وبن عامر عن‌انس قال (فساق الحديث الى‌ان قال) : (الا انى كنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدالى‌انها ترق القلوب وتدمع العين‌فزوروها ولاتقولوا هجرا) ـ الخبر . (٥)

---

(١) مسند احمد بن حنبل ج٢ مسند ابن عمر ص ١١٠ .

(٢) مسند احمد بن حنبل ج٢ ص ٣٣٣ مسند ابى هريرة .

(٣) مسند احمد بن حنبل ج٢ ص ٤٠٨ مسند ابى هريرة .

(٤) مسند احمد بن حنبل ج٢ ص ٤٤٤ مسند ابى هريرة .

(٥) مسند احمد بن حنبل ج٣ ص ٢٥٠ مسند انس بن مالك .

وايضاحدثنا عبدالله (ثنى) ابى (ثنا) يعقوب (ثنا) ابى عن ابن اسحق عن يحيى ابن الحارث الجابر عن عبدالوارث مولى انس بن مالك، وعمروبن عامر عن انس بن مالك قال: نهى رسول الله «ص» عن زيارة القبور (فساق الحديث الى ان قال :) ثم قال رسول الله «ص» بعد ذلك : (ألا انى قد كنت نهيتكم عن ثلاث ، ثم بدالى نهيتكم عن زيارة القبور ثم انها ترق القلوب ، وتدمع العين وتذكر الآخرة، فزوروها ولاتقولوا هجرا) الخبر . (١)

وايضا حدثنا عبدالله (ثنى) ابى (ثنا) حسين بن محمد (ثنا) شعبة عن ابراهيم الهجرى عن عبدالله بن ابى : او فى و كان من اصحاب الشجرة فماتت ابنة له و كان يتبع جنازتها على بغلة خلفها فجعل النساء يبكين ، فقال : لاترثين فان رسول الله «ص» نهى عن المراثى فتفيض احد اكن من عبرتها ماشاءت ـ الخبر (٢)

ورواه فى موضوع آخر ابسط بالمعنى . (٣)

وفى مسند جابر بن عتيك حدثنا عبدالله ثنى ابى ثنى ابونعيم ثنى اسرائيل عن عبدالله بن عيسى عن جبر بن عتيك عن عم قال دخلت مع رسول الله ص على ميت من الانصار واهله يبكون فقلت أتبكون وهذا رسول الله ص فقال رسول الله ص (دعهن يبكين مادام عنده فاذا وجبت فلا يبكين) قال جابر : فحدثت به عمر بن حميد القرشى فقال لى : فاذا وجبت قال : اذا ادخل قبره . (٤)

(اقول) : ومما يظهر من هذه الأخبار ان ابن عمر لم يكن سمع من رسول الله « ص » شيئاً فى البكاء ، والا فكيف يقول فى حديث ابى هريرة ما يقول . ؟ وكذا عمر بالنسبة الى مافعله من النهى فى الجملة ، بل هو ممن يروى جواز البكاء قبل الدفن صريحاً ، و نهى عن نهيه وردعه وامر بالبكاء ، ورخص فيه بمحضره ،

---

(١) مسند الامام احمد بن حنبل ج٣ ص٢٣٧ مسند انس بن مالك .

(٢) مسند الامام احمد ج٤ ص٣٥٦ مسند ابن ابى الاوفى .

(٣) مسند الامام احمد ج٤ ص٣٨٣ مسند ابن ابى الاوفى .

(٤) مسند الامام احمد ج٥ ص٤٤٢ مسند جابر بن عتيك .

وعلل بما لايجامع المنع بوجه من كونه من الرحمة ، ومن الله لامن الشيطان،فان كان نهى عن اصل البكاء بعد ذلك كله فقد خالف رسول الله «ص» فى قوله وغيره،ولو كان نظره الى امر آخر لقى المنع بلامستند من الله ورسوله فليختر القوم أهونهما .

هذا والبكاء فى زيارة القبور من البكاء على الميت بقرينة ذكر الهجر (١) فيكون صريحاً فى الرخصة بعد الدفن ايضا ، فلتكن الا خبار هذه بذكر منك فى المباحث الاتية ففيها فوائد جليلة لاتخفى ..

* * *

(واما عن الطائفة الثانية) فمن وجوه :

(الاول) : انه يظهر من سكوت ابن عمر ـ فيما يأتى انه لم يتلق الحديث من رسول الله «ص» ، بل قال ذلك ثقة بابيه حيث لم يقا بلهم بشىء عند ما تكلموا عليه ، وكذا من روايته عن ابيه غير مرة فتأمل ، ولا ينافى ذلك قول عايشة ما قالت فيهما كما . لايخفى فان عمر قد اخطأ فى فهم كلامه «ص» ولم يعه حق الوعى كما ظهر وانه (اى الخبر من الرواية بالمعنى كما يدل عليه اختلاف الفاظها مع الخطأ فى فهم المراد كما نصت عليه عايشة ، ووافقها غيرها . وقول عمر لصهيب :(والله لقد علمت الخ) يمكن ان يكون لوصول الخبر اليه بواسطته .

واما رواية ابى موسى فاحرى ان تكون اتباعاً لعمر ، فقد اتبعه فيما اوضح سقماً من ذلك كما فى المنع عن المتعة فى الحج بعد ما كان يجوزها لما شاهد من رسول الله «ص» ـ من غير ان يتلقى منه (من عمر) حجة توجب المنع ، مع ان الرواية لا تسلم مما ورد على رواية عمر ، واذا كانت هذه حالها فكيف يعتمد عليها فى مثل المقام. .

ويدل على ما ادعيناه فى الرواية ونسبناه الى عمر وابنه : ما فى البخارى عن عبدالله بن عبيد الله ابن ابى مليكة (كذا فى البخارى) قال: توفيت ابنة لعثمان بمكة وجئنا لنشهدها ، وحضرها ابن عمر وابن عباس وأنى لجالس بينهما، أوقال:

---

(١) لان الهجر عادة يكون عند فقد الانسان احداً من المنتمين اليه .

جلست الى احدهما ، فجاء الآخر فجلس الى جنبه ، فقال ابن‌عمر لعمروبن عثمان ألاتنهى عن البكاء فان رسول الله «ص» قال: (ان الميت ليعذب ببكاء اهله عليه) فقال ابن عباس : : قدكان عمر يقول بعض ذلك ، ثم حدث فقال : صدرت مع عمرمن مكة حتى اذاكنا بالبيداء ، فاذا هوبركب تحت ظل سمرة ، فقال : اذهب فانظرمن هؤلاء الركب ؟ قال : فنظرت اذا صهيب فأخبرته فقال: ادعه‌لي فرجعت الى‌صهيب، فقلت : ارتحل فالحق‌اميرالمؤمنين فلما اصيب عمردخل صهيب يبكي يقول: واخاه واصاحباه . . فقال عمر : يا صهيب اتبكي علي وقد قال رسول‌الله « ص » : (ان الميت يعذب ببعض بكاء اهله عليه) ، قال ابن عباس : فلما مات عمر ذكرت ذلك لعايشةفقالت : يرحم‌الله عمر، والله ما حدث رسول‌الله «ص» ان الله يعذب المؤمن ببكاء اهله عليه ، لكن رسول‌الله «ص» قال : (ان الله ليزيد الكافر عذابا ببكاء اهله عليه) وقالت : حسبكم القرآن (ولاتزر وازرة وزر اخرى) ، قال ابن عباس عند ذلك : واللههو اضحك وابكى ، قال ابن ابى مليكة : والله ماقال ابن‌عمرشيئاً . (١)

(اقول) هذه الرواية مذكورة في صحيح مسلم هكذا : عن عبدالله بن ابى مليكة ، قال: كنت الى جنب ابن‌عمرونحن ننتظرجنازة ام ابان ابنة عثمان وعنده عمروبن عثمان ، فجاء ابن عباس يقوده قائد فاراه اخبره بمكان ابن عمر ، فجاء وجلس الى‌جنبى فكنت بينهما فاذا صوت من الدار، فقال ابن عمر، (كانه يعرض على عمروان يقوم فينهاهم) : سمعت رسول الله «ص» يقول : (ان الميت ليعذب ببكاء اهله) قال : فارسلها عبد الله مرسلة ، فقال ابن عباس ، (ثم ذكر قصة صهيب الى ان قال :) فقال عمر: الم يعلم اولم تسمع ، قال ايوب : اوقال : اولم تعلم او لم‌تسمع ان رسول الله (ص) قال :(ان الميت ليعذب‌ببعض ببكاء اهله) قال : فاما عبد الله فارسلها مرسلة واما عمرفقال : ببعض فقمت فدخلت على عايشة فحدثتها بما قال : ابن عمرفقالت : لا و الله ما قال رسول الله صلى‌الله عليه وآله : ان الميت يعذب

(١) البخارى ج٢ كتاب الجنائز باب زيارة القبور .

بكاء احد ولكنه قال : (ان الكافر يزيده الله ببكاء اهله عذابا) . وان الله هو اضحك وابكى ولاتزر وازرة وزر اخرى . قال ابن ابى مليكة : حدثنى القاسم بن محمد قال لما بلغ عايشة قول عمر: وابن عمر قالت :انكم لتحدثونى عن غير كاذبين ولامكذبين ولكن السمع يخطىء(١) .

وعن ابن ابى مليكة فى الحديث فقال عبد الله بن عمر لعمرو بن عثمان ـ وهو مواجهه ـ : الاتنهى عن البكاء ؟ فان رسول الله «ص» قال : (ان الميت ليعذب ببكاء اهله عليه) ، فقال ابن عباس : قد كان عمر يقول : بعض ذلك (ثم ذكر قصة صهيب وقول عمر : اتبكى على وقد قال رسول الله « ص » ان الميت يعذب ببعض بكاء اهله عليه) فقال ابن عباس : فلما مات عمر ذكرت ذلك لعايشة فقالت : يرحم الله عمر لا والله ما حدث رسول الله «ص» ان الله يعذب المؤمن ببكاء اهله ولكن قال : (ان الله يزيد الكافر عذابا ببكاء اهله عليه) قال : وقالت حسبكم القرآن : (ولاتزر وازرة وزراخرى) قال : وقال ابن عباس ـ عند ذلك ـ : والله اضحك وابكى قال ابن ابى مليكة : فوالله ماقال ابن عمر من شىء .(٢)

وعن عروة قال : ذكر عند عايشة قول ابن عمر الميت يعذب ببكاء اهله عليه فقالت : يرحم الله ابا عبد الرحمن سمع شيئا فلم يحفظ . انما مرت على رسول الله « ص » جنازة يهودى وهم يبكون عليه فقال : انتم تبكون و انه ليعذب (٣) وبطريق آخر عنه ذكر عندها ان ابن عمر يرفع الى النبى «ص» (ان الميت يعذب فى قبره ببكاء اهله عليه) فقالت : وهل انما قال رسول الله «ص» (انه ليعذب بخطيئته اوبذنبه وان اهله ليبكون عليه الان) وذلك مثل قوله : ان رسول الله (ص) قام على القليب يوم بدر وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ماقال : انهم ليسمعون ماأقول وانما قال رسول الله «ص» انهم ليعلمون ان الذى كنت اقول لهم حق ثم قرأت «انك

---

(١) صحيح مسلم ج٢ كتاب الجنائز باب الميت يعذب ببكاء اهله عليه .

(٢ و٣) صحيح مسلم ج٢ كتاب الجنائز باب ان الميت يعذب ببكاء اهله عليه .

لاتسمع الموتى وما انت بمسمع من فى القبور» يقول : «حين تبوؤا مقاعدهم من النار » (١)

(اقول) وفى اوائل كتاب المغازى من البخارى عن هشام عن ابيه قال :ذكر عندعايشة ـ رض ـ ان ابن‌عمررفع‌الى‌النبى «ص» (ان‌الميت يعذب فى قبره ببكاء اهله عليه) فقالت : انماقال رسول الله «ص» (انه ليعذب بخطيئته وذنبه ، وان اهله ليبكون عليه الان) قالت : وذلك مثل قوله : ان رسول‌الله (ص) قام على القليب وفيه قتلى بدرمن المشركين فقال لهم ما قال : انهم‌ليسمعون ما اقول ، وانما قال : ليعلمون ان ما كنت اقول لهم حق ثم قرأت : « انك لاتسمع الموتى و ما انت بمسمع من فى‌القبور» يقول حين تبؤوا مقاعدهم من النار (٢)

و فى صحيح مسلم عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عايشة وقد ذكر لها قول ابن عمر ، : يغفرالله لابى عبدالرحمان اما انه لم يكذب ولكنه نسى اواخطأ انما مر رسول الله « ص » على يهودية يبكى عليها فقال : (انهم يبكون عليها وانها لتعذب فى قبرها) (٣) و رواه الترمذى فى جامعه عن عمرة مثله ثم قال : حديث حسن صحيح (٤) .

وفى البخارى عن عايشة انما مررسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر مثله (٥) .

وفى جامع الترمذى فى باب ما جاء فى الرخصة فى‌البكاء على الميت عن ابن عمرعن النبى (ص) قال : (ان الميت يعذب ببكاء اهله عليه) ، فقالت عايشة : يرحمه الله لم يكذب ولكنه وهم انما قال رسول الله « ص » لرجل مات يهودياً :

---

(١) صحيح مسلم ج٢ كتاب الجنائز باب ان‌الميت يعذب ببكاء اهله‌عليه .

(٢) البخارى ج٥ اوائل كتاب المغازى باب قتل ابى‌جهل .

(٣) مسلم ج٢ كتاب الجنائز باب الميت يعذب ببكاء اهله عليه .

(٤) سنن الترمذى ج٢ كتاب الجنائز باب ماجاء فى الرخصة فى‌البكاء على الميت

(٥) البخارى ج٢ كتاب الجنائز باب زيارة القبور باب قول النبى الميت يعذب .

(ان الميت ليعذب وان اهله ليبكون عليه) .

قال : و فى الباب عن ابن عباس وقرظة بن كعب ، وابى هريرة ، و ابن مسعود ، واسامة بن زيد ، قال ابو عيسى : حديث عايشة حسن صحيح وقد روى من غيروجه عن عايشة ، وقدذهب اهل العلم الى هذا ، وتأولواهذه الاية «ولاتزر وازرة وزراخرى» وهوقول الشافعى (١) .

و فى مسلم فى ذيل حديث ابى موسى السابق فى الاخبار المانعة فذكرت ذلك يعنى قول عمرلموسى بن طلحة فقال : كانت عائشة تقول : انما كان اولئك اليهود ..(٢)

(اذا عرفت ذلك) ظهرلك ما فى الرواية وما وقع من راويها.

ثم ان الظاهر ان الذى نقلته عائشة فى مدرك روايتهما واقعةواحدة لامتعددة ، كما ان الواضح ان مدرك نهيهما كلام واحد من رسول الله ـ ص ـ وان اختلف تعبير الرواة ..

و حينئذ فاختلاف قولها فى تأويل حديثهما ، الظاهر انه من الرواة ، ومن الوهم فى النقل بالمعنى نظير ما وقع لعمر و ابنه، وحيث ان بطلان عذاب الميت ببكاء الاهل لايختص بالمسلمين بل يشمل غيرهم حسب ما تعرفه انشاءالله وستعرف ايضاً ان قوله تعالى «فذوقوا فلن نزيدكم الاعذاباً» لايدل على مدعى من اراد تصحيح ما فى رواية البخارى السابقة آنفاً فالصحيح من قولها فى التأويل هو ما فى حديثى عروة عنها من احاديث مسلم، و رواية عمرة من احاديث المشايخ الثلاثة ، وما فى ذيل حديث ابن عمر من جامع الترمذى(٣) وان غيرها اوهام نشأت من خفاءمرادها

---

(١) جامع الترمذى ، كتاب الجنائز الباب السابق .

(٢) صحيح مسلم ج٢ كتاب الجنائز باب الميت يعذب ببكاء اهله عليه .

(٣) اى قولها (ان الميت ليعذب وان أهله ليبكون عليه) كما فى جامع الترمذى ونظيره فى رواية عمرة وعروة .

على النقلة فى احاديث ابن ابى مليكة من الصحيحين، لكن رسول الله ـص ـ قال : ان الله ليعذب الكافر عذاباً ، وان الكافر يزيده الله ببكاء اهله عذاباً و ان الله يزيد الكافرعذاباً . وقول موسى بن طلحة عنها انما كان اولئك اليهود.

بلَ الظاهر ان رواية عمرة ايضاً من النقل بالمعنى ومما دخل فيه شيء حيث ذكر اليهودية .

ويدل على انها ذكرت ذلك توهماً ذكر الكفر فى روايات ابن ابى مليكة ، و الحصر فى اليهود فى نقل موسى بن طلحة ، فمنشأ الوهم من الاولين اخبار رسول الله ـص ـ عن ميت يعذب واهله يبكون عليه ومن المتأخرين ذكرها اليهودية او ونفيها الاخبار عن عذاب المؤمن كما فى روايات ابن ابى مليكة، واهل الوهم الاول معلومون، واهل الوهم الثانى لانعرفهم بأعيانهم ..

ويدل على كون الثانى وهماً ـ مضافاً الى ما ستعرفه ، ومضافا الى استقلال العقل بعدم الفرق بين الكفر والاسلام فى ذلك . وان سلبوه فعزلوه عن الحكم كما عزلوا الحكم العدل .

اقول ويدل على وهمية القيد بالكافر او اليهودى اطلاق قوله تعالى:«ولاتزر وازرة و زر اخرى » الذى تمسكت به ام المؤمنين لابطال الوهم الاول ، و غير هذا الاطلاق الشامل للمسلم والكافر ـ كما لايخفى ـ ولامخصص له ولا مقيد .

اماقوله تعالى «فذوقوا فلن نزيدكم الاعذابا» فستعرف الكلام فيه انشاءالله ويدل عليه لزوم كون البكاء على الميت القريب بل مطلقاً ـ كما لايخفى ـ اذا كان كافراً ، من محاسن الافعال او احسنها بعد ما يعلم ان زيادة عذابه محبوب لله(١) وعنده من قوله: «فذوقوا فلن نزيدكم الاعذابا»و «وزدناهم عذابا» الى غير ذلك مما يشبهه نظير لعن الملعونين وطلب زيادة بعدهم فيحسن البكاء على الكافر ولايحسن على المسلم والمؤمن الى غير ذلك ، وهذا مما لايحتمله لبيب ، كيف لاوالبكاء على الميت الكافر من

---

(١) هذا فى صورة القول بان بكاء الاهل يزيد فى عذاب الميت الكافر فرضا .

الموادة المنهية فيمن حاد الله ورسوله فى نصوص آيات ومتواتر الروايات .

ثم ان فى تلك الروايات اموراً اخر لايهمنا التعرض لها لانه يخرج عن غرض الكتاب ولاحظ الواقعة الواحدة كيف انقلت والرواية الواحدة كيف اسطرت ومثل هذه ينبغى ان يعد بما يعد جوبه تلك الكتب

(الجواب الثانى) عن الطائفة الثانية : ان رواية عذاب الميت ببكاء الاهل مع قطع النظر عن نسبة الوهم الى رواتها ـ كما عرفت ـ قدوردت على وجهين:

مطلقة مثل ما سلف فى الاستدلال.

ومقيدة مثل ما مر فى ضمن روايات الخدشة فى تلك الرواية، والتى قيدت النهى بالكافر اواليهودى.

ومقتضى القواعد هو الحكم بالمقيد، وان لم يكن المطلق والمقيد متنافيين لتجانسهما، اذبعد ورود القسمين ، ووضوح لغوية القيد و نحو ذلك ، لايعلم ورود المطلق من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ و المقيد المزبور اقوى ـ حيث ذكره الاثبات فى مقام الجواب ، ولايتسامح فى مثله ، ودفع الاطلاق ، و سكوت ابن عمر وافحامه به وغيرذلك ممالايخفى.

فهى مما تزيد فى قوة الروايات المقيدة.. وتقلل من شأن المطلقات و تؤكد التقييد الذى قلناه .

ومن الواضح ان هذا المقيد مجمل لايفيد المنع عن شىء معين و لا بد من التماس بيان ذلك المجمل من دليل واضح فى المنع عن شىء خاص من البكاء ، ولابيان لذلك فى شىء من الادلة ، بالنسبة الى اصل عذاب الميت بالبكاء ـ كما ستعرفه ـ فى ابطال ذلك فى النياحة انشاء الله.

نعم بالنسبة الى المنع من البكاء قد يجعل دليل المنع من النياحة بياناً له . ولكن ستعرف اختصاص الممنوع منها ايضاً بما كانت بالباطل ونحن نقول به من اجله دون البكاء فيسقط ذلك المجمل من اصله ولا يؤثر شيئاً اصلا فلا يكون مانعاً من البكاء بوجه

(الجواب الثالث) عن الطائفة الثانية: ان هذه الروايات المفيدة لعدم جواز

البكاء معارضة بالأخبار الدالة على الجواز والمجوزة اقوى من المانعة من وجوه، فلا يقدم شيء على حكاية فعل رسول الله «ص» و غيره ونصه بالجواز و تعليله بالرحمة، وتوقف رحمة الله عليها، ونحو ذلك مما ستعرفه.

و كذا تعارض ما في البخاري في حديث موت عمر قال: وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل موته، الى ان قال: ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي (يعني عائشة) الى ان قال: فجائت ام المؤمنين حفصة والنساء تمشي [تسير] معها فلما رأيناها قمنا فولجت عليه، فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخلا لهم فسمعنا بكائها من الداخل(١).

(الجواب الرابع) عن الطائفة الثانية: ان عذاب الميت ببكاء الحي معلوم الانتفاء، فكيف يذكر في مورد العلة للمنع عن البكاء، وتوضيح ذلك على مذهب اهل العدل و غيرهم: ان الذي يصح العقاب عليه - كالتكليف به - هو ما يكون فعلا للمكلف مقدوراً له، ومن ذهب إلى الجبر وكون افعال العباد مخلوقة لله تعالى اعتبر فيه القيام بالعبد وصح التكليف والعقاب بالكسب الذي توهمه من المعنى غير المعقول - كما بين في محله.

وبالجملة فما تصح المؤاخذة عليه والثواب به - كالتكليف - هو ما يكون فعلا للعبد، أو قائماً به في وجه.. واما فعل الغير الذي لا يكون قائماً بشخص ولا كسباً له ايضاً، فلا يصح التكليف به ولا العقاب عليه ولا الثواب به كما هو الواضح، والمبرهن عليه في محله.

و اما قوله: «من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها» فليس من باب الثواب و العقاب على فعل الغير.. بل هو اما لكون استحقاق صاحب السنة او البدعة اجر الارشاد والدلالة، وهما فعل من سن، ومما قام به وصدر عنه - كما لا يخفى -.

---

(١) البخاري ج٥ باب فضائل اصحاب النبي (ص).

و اما لتفاوت حسن فعله اوقبحه بحصول التبعية له ، والاقتداء به فى العمل وعدمهما ولذا يختلف باختلاف التابعين له قلة او كثرة، لاللتكليف بفعل الغير اذناً او منعاً لعدم معقولية ذلك فى الواجب والحرام ـ كما لايخفى.

واما للسببية فقد تسبب لفعل التابعين بما فتح لهم الباب اذلولا فعله لم يفعلوه كما لايخفى كذلك .

و على اى حال فلصاحب تلك السنة فعل يستند اليه ـ مثل اجر التابعين له فيها ـ اولفعله خصوصية يستند اليها لانه يكون لهذلك الثواب اوالعقاب بدون عمل منه به يستحقه ، ولاخصوصية فى العمل. وبهذا يتبين ان حديث من سن سنة لايدل على ان العقاب او الثواب المعطى لمن سن من باب الثواب و العقاب على فعل الغيرو يدل على ذلك ايضاً قوله فى ذيل الحديث المذكور : (من غير ان ينقص من اجورهم شىء)اذ لولم يكن كما قلنا لاختص صاحب السنة بالثواب والعقاب دون الفاعل وهو كمانعلم خلاف صريح تلك الادلة .

ومن ذلك يظهر لك انه لاتنافى بين مدلول تلك الادلة وبين ما استقل به العقل من اختصاص الثواب والعقاب بالفاعل، وعدم جواز ثبوتهما لغيره .. وما دل عليه قوله تعالى : «ولاتزر وازرة وزر اخرى» واشباهه .

فهومما لم يرد عليه تخصيص من تلك الناحية ولامن جهة اخرى بل ولايمكن تخصيصه ايضاً، لموافقته حكم العقل المستقل، وعدم جريان التخصيص فيه واضح ومبرهن عليه فى مكانه .

واما اعطاء ثواب احد لاخرأو تحميله عذابه فليس منافياً لما قررناه ، وان كان يزعم ذلك بعض من لادراية له فيأول الاية ، اويقيدها بما يراه ـ فى بادىء النظر ـ .

و وجه عدم المنافاة ان الوارد فى الشرع فى التحميل و اعطاء ثواب احد لاخر انما هو فيمن يكون عليه حقوق الناس ولم يؤدها فى حياته ، فيحكم العدل الحكيم بان يوفيها من حسناته او يتحمل سيئاته (١) (ان لم تكن له حسنات) بمابراه

---

(١) اى يعطى لصاحب الحق من حسنات من عليه الحق اويتحمل من عليه الحق سيئات صاحب الحق ان لم يكن لمن عليه الحق اية حسنة .

قدرالحق، اوجعله كذلك، فمن يأخذ الثواب ياخذه عوضاً عن حقه الذى ضيع عليه نظير الغصب حيث يأخذ المغصوب منه بدله فى حكم الشرع ..

ومن البديهى ان من تؤخذ منه حسناته يفوت عنه الثواب بفعله و هو تضييع حق الغير، نظير من يبطل ثوابه بالعجب والارتداد وشبههما، فليس فى البين ماينافى ماقرّرناه .

واما من يرفع عنه العقاب فهوعوض ماضاع من حقه فيكون كمن تاب عن ذنبه، او كفر الخطيئة بما يمحوها عنه بوجه .

ولامنافاة فى ذلك ايضاً لكون ذلك اسقاطاً بمايكون قدرصدرمنه لابأمر اجنبى.

و اما من يعذب فانما يتحمل العذاب بماضيع من حق الناس ، وهوفعل له صادر عنه ، ولاغرو فى اختلاف طريق الخروج عن حق الغير باختلاف الاحوال ، فيكون تارة بالمال او الاستحلال ، واخرى باعطاء الثواب ممن عليه الحق لمن له الحق ، و رابعة بتحمل العذاب ، نظير الاختلاف فى العالم الدنيوى حيث يكون الخروج عن الحق المالى فيه بدفع العين، ومع عدم وجودها (عدم) قيامها باعطاء مثلها وان غلا ثمنه ، ثم بدفع القيمة ان لم يمكن دفع المثل ، او لم يكن مثلياً(بل كان قيمياً) على اختلاف وجوه التخلص والخروج المزبورباختلاف الاوقات والاسواق وغير ذلك مما لايخفى.

وبالجملة فهذا العذاب جزاء من اكل درهماً ولم يكن له ثواب يعطى صاحبه بقدره، و كان من اهل المعصية ايضاً ، ونحوذلك وقس على ذلك ، فلا يكون من العقاب بفعل الغير.

ولاغرو ـ ايضا ـ فى اختلاف بدل الدرهم باختلاف خصوصيات المالك ، والغاصب ، على وجوهها التى لاتحصى لماعرفت من امكان اختلاف عوض ، شيء واحد .

كما لاغروفى اختلاف افراد نوع واحد من المعصية كما يؤمى اليه قوله

«اريد ان تبوء باثمى واثمك»(١) لوجرى فى كل قاتل ومقتول لبداهة اختلاف قتل الناس ـ باختلاف اثامهم ـ فى الاثم و العقوبة و كون قتل اكثرهم اشد عقوبة وازيد اثما فى وجه ، و لوضوح اختلاف القتل باختلافهم فى مراتب الصلاح ، فقتل الأصلح اقبح من قتل غيره .. الى غير ذلك .. مما يوضح كيف ان نوع الخروج عن الحق يختلف كما تختلف افراد نوع واحد من المعصية.

و بالجملة فليس شيء من ذلك الذى مثلناه لك و اضرابه ، من قبيل العقاب بفعل الغير ، ومن توهم كونه كذلك كان توهمه ناشئاً من قصوره فى درك الحقائق وفهم الدقائق ..

ثم ان هذا الوجه(٢) هو مستند ام المؤمنين عايشة فى ابطال مارويا ه(اى عمر و ابنه) حين استندت الى الركن الركين فقالت: (حسبكم القرآن : ولاتزر وازرة وزر اخرى) .

وان كان هناك وجه آخر غير ما عرفت ـ وهذا ـ كما هو واضح ـ لافرق فيه بين المسلم والكافر .

فلوعذب الله احداً بفعل آخر ـ لكان له الحجة على الله ولزم من ذلك مفاسد لاتحصى. فالمسلم والكافر فى هذا الامر شرع سواء، فلا يصح مامر من التأويلات سوى مالا يخالف ما قررناه..

وليس لعدلى ولاجبرى القول بعذاب الميت بالبكاء عليه.

اما العدلى فواضح

واما الجبرى فلفوات قيام الفعل والكسب من الميت ـ كمالايخفى ـ

وكذا ليس للشرع ان يقول به .

لايقال: كيف ينفى ورود الشرع بعد الخبر المذكور من عمر؟

---

(١) المائدة ر٢٩

(٢) يعنى ان عذاب الميت بفعل الغير غير صحيح .

لاننا نقول : قد عرفت ما اوردناه على خبرعمر اجمالا.

كل هذا مضافاً الى منافاة ذلك الخبر لقوله تعالى: «لهاما كسبت و عليها ما اكتسبت» (١) وقوله تعالى:«ومن اساء فعليها» (٢) وقوله: «اتهلكنا بما فعل السفهاء منا» (٣) وقوله : « ان اسأتم فلها » (٤) وقوله تعالى «ليس للانسان الاماسعى» (٥) وغيرذلك مما يأبى القيد اوالتخصيص بقولك : الامن يبكى عليه باك .

ووضوح حجة الميت حينئذ الى غيرذلك ممالايخفى هنا .

ثم انالناس اختلفوا فيتأويل هذا الخبر (الذى نقل عنعمر وابنه)

فمنهممن خصهبالكفار ، اوخصوص اليهود ، كماعرفت منرواياتهم ـايضاًـ وحاله قداتضح مماحررناه ، والتخصيص باليهود افسد ـكما هو واضحـ.

واما قوله : «فذوقوا فلن نزيدكم الاعذاباً » (٦) فالمراد منالزيادة : العذاب فيوقت بعدآخر ، اوايراد عذاب اشد مماهم فيه فيوقت خاص .

وعلى اى حال فالمراد منه العذاب الموعود على العمل فى نصوص الايات مثل قوله تعالى : «جزاء بماكنتم تعملون» (٧) «هليجزونالاماكانوا يعملون » (٨) ونحوهما فليس زيادة العذاب اذن الا ايراد ماوعدوه ، وجزاء مافعلوه ، «ولايظلم ربك احداً » (٩) فلا تكون الاية «فذوقوا فلن نزيدكم...» دليلا على تلكالدعوى

---

(١) البقرة ر٢٨٦ .

(٢) فصلت ر٤١ .

(٣) الاعراف ر١٥٥ .

(٤) الاسراء ر٧

(٥) النجم ر٣٩ .

(٦) النبأ ر٣٠ .

(٧) السجدة ر١٧ .

(٨) الاعراف ر١٤٧ .

(٩) الكهف ر٤٩ .

مضافاالى عدم وضوح اختصاصها بالكفار بل ظهورها في غيرهم بقرينة لبثهم بالأحقاب (١) ان لم يعلم كون ذلك كناية عن التأبيد ـ كما قيل ـ . مضافاً الى ان الاية لو كانت ظاهرة فى الكفار لوجب تاويلها ، لمعارضتها الايات اخر لاتقوم بالتصرف فيها ، كما لايخفى .

ثم ما ابعد مابين ذلك و بين القول بأن الكفار غير مكلفين بالفروع والذى يستلزم عدم تعذيبهم على غير المخالفة فى الاصول مطلقا .

* * *

ومنهم من خصه بما اذا كان النوح والبكاء من سنته، قال : (باب قول النبى (ص) : يعذب الميت ببعض بكاء اهله عليه اذا كان النوح من سنته) لقوله تعالى : « قوا انفسكم واهليكم ناراً » وقوله (ص)(كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته .)

و اما اذا لم تكن من سنته فهو كما قالت عائشة : مستدلة بقوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر اخرى » (١) وهو كقوله « وان تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شيء » (٢) وما يرخص من البكاء فى غير نوح ، وقال ـص ـ (لاتقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم كفل من دمها ، لانه اول من سن القتل) فكذلك من كانت طريقته النوح على الميت ، لانه سن النياحة فى اهله . اختاره البخارى وتبعه جملة من شراحه (٣) .

(اقول) وظاهره انه جعل لكل من رواية عمر ، وحكم عائشة مورداً يغاير كل منهما الاخر ، وكانه حاكم بينهما ، والقسطلانى احتمل رجوع الضمير فى (سنته) فى قوله : «من سنته» الى الميت او الى الأهل ، وزعم وحدة مرجعهما بواسطة ان اعتيادهم

---

(١) قوله : (بقرينه لبثهم) لان الاية لو كانت تعنى الكفار لكان ذكر الاحقاب غير مناسب لان الكافر لايلبث فى النار احقابا بل يلبث فيها ابداً ، و لذلك لاتعنى هذه الاية الكفار ، نعم الأن نعلم انذكر الاحقاب كناية عن الخلود .

(١ و ٢) فاطر ر ٢٠ .

(٣) ارشاد السارى لشرح البخارى للقسطلانى ج٢ ص٢٨٣-٢٨٤ .

لايكون الا بتسامح صاحب البيت ، وهو كما ترى .

وظاهر البخاري - ايضاً - انه لم يستصوب رواية ابن عمرو المطلق المروى عن عمر ، ولم يستصحهما ، وانما استصح مانقله ابن عباس عنه .

كما ان ظاهره - مذهبا - الالتزام بالحرمة والعقاب على الباكي ايضاً ، كما يؤمي اليه الاستدلال بالاية - « ولاتزر » فهي والرواية دليل المنع والعقاب ، وكانه يريد بالرواية اثبات نسبة البكاء الى الميت بوجه ، وكونه سنة له ، حيث لم يحفظ اهله ولم ينههم ولم يردعهم عن تعوده ذلك وقوله ، ومايرخص من البكاء عطف على دليل الجواز ، ومن جعله عطفاً على اول ترجمة الباب فقد اخطأ والرواية الاخيرة للايماء الى ان من سن السنة يتحقق بمجرد ان يفعل الانسان فعلا فيتبع وان لم يقصد المتبوع له ان يتبعه الناس ولايقصد التابعون : التبعية له ، وبذلك يتم مادعاه من التفصيل بزعمه .

وكيف كان فانه يرد على هذا التوجيه امور :

(الاول) انه كيف لم يستصح ولم يستصوب المطلقات وقد رواها في اخبار وجعل الحق مارواه ابن عباس عن عمر ، هذا مع ان المناسب لكلامه ومرامه عنوان خبر النياحة (١) دون البكاء ، الا انه ليس فيما يرويه بعض في هذا الباب » وكانه حمل البكاء على النوح بقرينة قصة ابن عمر ، وابن عباس ، ونحوها .

(الثاني) ان ماذكره من التخصيص في رواية عمر بلادليل ، فان الميت في الحديث مطلق شامل : للصغير والكبير ، ومن له اهل كلف بان يقيهم من العذاب ويكونون من رعيته ، ومن لايكون كذلك . ومن يكون هو الاهل للباكي ، وكذا الاهل مطلق وشامل لكل من مات قريب منه فاحترق قلبه فبكى ، سواء كان صغيراً او كبيراً ، ذكراً ، اوانثى ، ومن كان يصل اليه في حياته ليأمره وينهاه ، ومن كان بعيداً عنه ، ومن يكون الميت آمراً له وناهياً ، ومن يكون هو الآمر والناهي للميت الى غير ذلك ممالايخفى ، بل ومن بكى على غير القريب - ايضا - لصدق اهل الميت على الذين اجتمعوا حوله يبكون عليه ونحو ذالك ، ويؤيده نهي ابن عمر

---

(١) فقد كان الاحرى بالبخاري ان يحعل العنوان هكذا : « منهم من خصه بما اذا النوح» دون ان يأتي بكلمة البكاء حيث ان ماساقه وقاله فيما بعد يتناسب مع النوح دون البكاء .

قبل ان يعرف الباكى ـ كما لايخفى ـ ، والمعلوم خروج الميت الصغير عن مورد الميت لما علم من ان الله تعالى لايعذبه ابداً ، ولايخرج منه الصغير الباكى اذ المذكور فيها عذاب الغير ببكائه ، وهو لوجاز لم يمنع عنه صغر الباكى خصوصاً فيمن راهق الحلم كما هو بين (١) .

وكذا البكاء اعم مما يكون من سنة الميت بأن علمهم اياه ، اولم ينههم عنه فى حياته حتى اعتادوه، اوبقوا على عادتهم ومما يكون خلاف سنته كالبكاء لمحض الجبلة البشرية مع انه كان ينهاهم ويردعهم فخالفوه لغلبة الطبيعة على ماتخلقوا به، ومايكون خارجاً عن القسمين . كبكاء من لم يلق الميت اصلا اولم يكن من اهله الذين امر الميت بحفظهم وغيرذلك، فاخرج كل هذه الموارد، وحملها على مايكون كالفرد النادر من غير دليل له على هذه التقييدات، وكانه ـ بعد اجمال الرواية فى البكاء باضافة البعض اليه ، وعدم امكان عذاب شخص بمالايناسب اليه بوجه ـ قيد الخبر بذلك التقييد وكان ذلك يستلزم التقييد فى الميت ، والاهل ايضاً ، فهو من التقييد بدليل عقلى ، اونص جلى دل على عدم جواز عذاب احد بفعل لاينسب اليه بوجه، وستعرف ما فى مثل هذا التقييد ايضا من الاشكال، وكيف ان ذلك انما يحسن بعد ثبوت اصل الرواية اخذاً بالمثل المعروف : ثبت الارض ثم انقش .

(الثالث) ان ماذكره (من القيد) مناف لفعل (عمر) الراوى للحديث ، حيث نهى صهيباً ولم يكن صهيب من اهله ولابكاؤه من سنته بوجه ، الا ان يدعى كونه من رعيته ، ولزوم الانتساب اليه بالسكوت عنه .

وكذا فعل ابن عمر حيث نهى، مستنداً الى الخبر بدون ان يعرف ان الباكى على ام ابان من اهلها الذين كلفت بان تقيهم ، او من غير اهلها ومن دون ان يعرف

---

(١) فان قلت : نمنع عدم فائدة صغر الباكى حيث لايكون بكاؤه من الحرام والقبيح ويخرج عن موضوع من سن الخ قلت ظاهر من سن كفاية الحسن والقبح بالنسبة اليه وان الاجر الموعود له اجر عمله ومثل اجور التابعين ولا يتوقف ذلك على استحقاقهم اجراً كما يبطل الاجر بردة ونحوها اوايجاد الفعل مع مانع عن استحقاق الاجر والثواب كالصائم الذى لايخرج فطرته وشبه ذلك فيكفى فى ثبوت ذلك له مجرد وجود تابع فى سنته استحق الاجر أم لا وان الصغير التابع فى طرف الثواب يستحق اجراً ويوجبه فكذا هنا حيث ان ذلك ليس اجر عمله كما لايخفى «منه»

انهذا البكاء الخاص منسنتها باحد الوجوه المحتملة ، او خلافسنتها ، الى غير ذلك من القيود ، الا ان يدعى ان ابن عمر كان يرى الخبر عاماً لامجملا ومراداً منه ذلك البعض الخاص ، لئلا يتجه النهى من غيرفحص واحراز لوجود القيود ويدل على ان ابن عمر كان يرى الخبرعاماً لامقيداً انابن عباس رده اولا بانه قالعمر : (بعض بكاء اهله) ثم بماتلقاه منعائشة وستعرف مافيه من الاشكال ـ ايضا ـ هذامضافا الىسكوته عنجواب ابنعباس حينما نقل الخاصة عنعمر .

و كذا ينافي (هذا التقييد) تخطئة عايشة للرواية ، و نسبتها الى الوهم والاشتباه . الاان يدعى انها لمتعرف انالمراد منالخبر ذلك البعضالخاص، والا لماخطئت بلقبلت وصدقت

وكذا ينافي قبول ابنعباس وغيره لقول عائشةوسكوت ابنعمر ، وانهافحم الا انيدعى ان القابلين لقول عايشة قلدوها تقليداً ، وسلكوا مسلكهاوتاهواعنالحق واناابن عمر لميتمكن منالرد عليها ، فلم يقل شيئا.

وكذا ينافي مانقلته عايشة من مدرك هذا الخبر المنقول علىلسان عمروابنه، ولايسع البخارى ان يقول هناشيئاً الاان يكذب عائشة ، ويدعى انها قالت ذلك عن ظنو تخمين بعدما رأت انالخبر لايوافق ماتعقله ، معان المورد من موارد زيادة الاحتياط فى النقل ، ولايصح نفى قول رسولالله ـ ص ـ ذلكالا بعدما تعلم على وجه القطع واليقين عدمه ـ كماهوظاهر كلامها حيث قالت : انه ـ ص ـ لميقل ذلك فانلم يحفظ عايشة عن هذا الخرص فهوكما هو، وانحفظها تكون رواية عمرباطلة مناصلها ولاتحمل علىمورد خاص وانكان الحكم موافقا لهامن دليل آخراذتسقط بهذا عن الدليلية من كل وجه، ويكون قولابن عباس حقاًونهى ابنعمر خطأمناصله وقول الموجه مخالفاً لعملهذين المخطئين (يعنىعايشة وابن عباس) فىالمقامايضاً فهىرواية وهمية يوجهها الموجه بماينافى عمل الراوى الموهم ، و غيره ممن تلقاها فىالصدر الاول ، وقرب زمان الصدور ، وكأنه اعرف بها من اولئك

المهاجرين واوائل المسلمين بعدمئات من السنين .

وبالجملة فالبخارى لم‌يرو قول : (ببعض بكاءاهله) الافى ضمن رواية ابن‌ابى مليكة السابقة، وتأويله المذكور (كما قرأت فى‌مطلع هذه الردود) مناف لفعل‌عمر وابنه، وابن عباس ، وعايشة ، وتكذيبها له، وبيان‌الخطأ فيها، وغير ذلك ، فهؤلاء كلهم فهموا من الرواية غيرما ذكره البخارى ، كمالا يخفى ، الاان يكذب عايشة و يدعى بعض ماسلف !! .

الرابع ان التوجيه المزبور موقوف على‌كون (البكاء على الميت) سيئة اما بوضوح تحريمه وهوبعد لم‌يثبت ، او بكون الناس اتخذوه مشروعاً بدعة ، وهو واضح العدم، حيث‌ان الباكى‌يبكى لاحتراق قلبه بمقتضى‌الجبلة، لابزعم الاستحباب ونحوه ، مضافاً الى‌ما ستعرفه من عنوان حسنة انشاءالله تعالى ، فلايكون البكاء -اذن من‌السيئة حتى يعذب به‌الميت على‌هذا الوجه ، الاأن يريدمنه : النوح بالباطل كما يؤيده قوله : «اذاكان النوح : الخ..وهوغير البكاء- كما عرفت- .

ثم‌لماذا ذكر ذلك الحديث وترك اخبار النياحة ، الاان يكون لبيان تأويله من‌ذلك الوجه - ايضاً - وهوينافى - قول عايشة وغيرها ايضاً وفهمهم وعدم وضوح كون مانهى‌عنه ابن‌عمر من النياحة .

ومع الغض عن‌ذلك كله فهوتصديق بانه لايدل على‌حرمة البكاء من‌حيث هو وهو المطلوب لنافى هذا المقام .

الخامس ان‌سياق رواياته المانعة عام، فانها سيقت لبيان حرمة البكاءاو النوح وان عذاب الميت ذكرعلة لذلك، وقدعرفت انهالاتصح علةلأنها سيقت لبيان‌حرمة التعويد على بعض ماتوهمه من الوجوه، فلايدخل مضمون ذلك‌الخبرفى‌سلك (من سن‌سنة سيئة) ونحوه ليتكلف له‌بذلك التوجيه، فهى‌من بيان اثرتلك السيئة، وقد عرفت عدم معقولية ثبوته‌لها على‌فرض الحرمة ايضاً، فماذكره من‌طرح ذلك‌الخبرلا بيان‌له ولاتقييد الاان يجعلها لبيان اثربعض افراد ذلك‌الحرام ، وهو ماكان عن تبعية الميت وهوايضا ينافى ماشرنا اليه كما لايخفى، مع‌ان الرواية وهمية على مادلت

عليها الصحاح وغيرها ، فلاحاجة الى تكلف فى توجيهها بعد ماعلم ابتناؤها على الوهم والاشتباه بل‌ولا ينفع، كما لايخفى ، الاان يكذب من‌ادعى ذلك وبين مدرك الاشتباه وتكذيبه ان يكون رسول‌الله ـ ص ـ قال ذلك (١) فلاحظ .

السادس ان البكاء بكونه مقتضى الجبلة لايكون من‌سنة الميت،ولوفرض كونه سنة للباكى .

واما زعم‌عدم الفرق بينهما بعدمدخلية تسامح صاحب البيت ففيه بعدماتعرفه من ان وجوده لايكون منسوباً اليه بالتسبيب بوجه (٢) ـ أنه‌لايبقى غير السنة له، أو يبقى الفرد النادر ـ كمالا يخفى ـ اذالغالب منه‌يكون سنة له بهـذا المعنى (اى و بالتسبيب) فكيف تكون سنة الميت والباكى مرجعهما واحداً وكيف يكون قول البخارى تفصيلا ؟ فتأمل .

واماتوضيح عدم كونه سنة الميت فهولانهم لورجعوا عما هومقتضى الجبلة وتخلقوا بماهو خلاف العادة ثم‌امرهم به‌وحملهم عليه‌كان قدسن سنة سيئة ، واماذا كانوا يجرون بمقتضى طبيعتهم فهوسنة لهم‌لا للميت ولوفرض تساهله فى‌امرهم ، و تساهله فى‌متابعة قوله تعالى «قوا انفسكم واهليكم ناراً»وذلك لان متابعة ذلك ليس الا بالارشاد الى قبح العمل وبيان الحكم لهم وهولايستلزم ترك العادة والجرى‌على الجبلة ليكون الفعل مستنداً اليه بالتسبيب ، من‌هذا الوجه ، و وجوب الزائد عن هذا المقدار ـ اول الكلام .

نعم لوكان فعله لمايجب عليه‌علة لعدم وقوع ذلك القبيح لكان وقوعه مستنداً اليه‌حيث يستند ذلك الى ماهو فعل‌له ، وهوترك مايجب عليه ، والامر ليس كذلك كمالا يخفى .

---

(١) يعنى عايشة .

(٢) يقال : سن سنة اذا احدثها اواشاعها ايضاً ، والبكاء اذاكان عن جبلة لايكون سنة الميت ولاالباكى .

واذالم يستند اليه بالتسبيب لم يصح عقابه لكونه فعل الغير .

فان قلت : انما يعاقب لانه ترك الواجب عليه .

قلت: هذا العقاب لايتوقف على تحقق بكاء الاهل ،لانه على هذا القول يكون العقاب على شيء آخر غير البكاء وهو (ترك الواجب عليه) ، ثم انه لم يعلم ان مكان العذاب هو القبر ايضاً .

ولو فرض تسليم كل ذلك ايضافلا يجديه فى توجيه الخبر- ايضا- لما عرفت من عدم وروده لمنع ان يسن لهم البكاء ، وانما وروده فى منع البكاء عليه ، سواء سن اولم يسن .

(السابع)انه لا يجديه التمسك بقوله تعالى «قوا انفسكم» وقوله -ص- (كلكم راع و كل مسؤل عن رعيته) اذلايزيد مفاد الاول على وجوب منعهم عن المعاصى المفروض صدورها عنهم فى زمانه ، وحال كونهم اهلا له، وبموته قدارتفع هذا المعنى فاستقلوا ، او صاروا أهل شخص آخر فكيف يؤاخذ بمعصيتهم حينئذ وقد خرجوا عن الاهلية له ولعل ذلك واضح .

و مفاد الثانى انهم يسئلون عن رعاياهم ظلموهم ام لا ؟ وهو نظير الاول اذ بموته خرجوا عن رعايته ، و اما الدخول فيها قبل تلك الحال فلايصحح العقاب ما لم يستند الفعل المتاخراليه بالتسبيب - كما عرفت - هذا مع ان مقتضى ذلك ليس مؤاخذة الرئيس بفعل الرعية ، والا لاوخذ الانبياء والاوصياء وغيرهم، وعدم المؤاخذة ايضاً واضح ، حيث ان فعل القبيح من الرعية يستند الى سوء الاختيار كما لا يخفى - لا الى فعل الرئيس الا فى فرض تركه التعليم والارشاد ، وكون ارتكاب الرعية للمعاصى لمحض الجهل ، بحيث لو كان علم الحكم لم يرتكب القبيح ، وهواولا فى غاية الندرة ، و ثانياً لايوجب كون القبيح المزبور من سنة الرئيس وان حرم فعله من وجه آخر كالاعانة على الاثم ونحوه . فان ذلك غير عنوان الدخول فى عنوان «من سن» الخ .. ولو كان غرضه من ذكر الاية والرواية

محض بيان وجوب الحفظ والوقاية على الميت، و ان صحة مؤاخذته مبتنيةعلى امر آخر مطوى الذكر وهو: كونه : سن لهم ذلك ، فنقول : وجوب الحفظ من القبائح مادام حياً مسلم ،كما ان تركه كذلك قبيح ويدل عليه قوله تعالى «ولنسئلن المرسلين»

ولكن المهم عليه اثبات التسبيب و انه سن لهم النوح حيث كان الغرض يتم بذلك ولو فرض عدم وجوب الحفظ والوقاية ، ولم يفعل، وصرف عنان الكلام الى بيان الوجوب فليس ذلك الا لزعمه ايجاب التكليف المزبور لصدق العنوان المجوز لعذابه ، وان وجوب ذلك يستلزم تحققه ، وقدعرفت فساده ، مع ان العدم ولو كان مضافاً لايكون علة لشيء، ولا يستند اليه بعد وجود علة وجودية له اقوى من ذلك العدم واسبق منه وهو : (العادة والجبلة)، حيث يبكى الباكى بوجودهما وسوء الاختيار لالعدم فعل الميت ما يجب عليه فى حقهم (١) فكيف لايكون البكاء من سنة الباكى ويكون من سنة الميت ولم يصدر منه الاعدم الحفظ مثلا ، فليس كون البكاء سنة للميت الا دعوى مجردة عن البينة ، بل مع قيام البينة بخلافها ثابت ـ كماعرفت ـ.

فدعوى السببية وانه سن لهم قد اتضح فسادها ، واما ان كون هذا المورد يشبه ذلك فلايصح عقاب الميت بفعلهم بعد عدم وجود المجوز له حسب ماعرفت.

ثم ان القسطلانى كانه لم يلحظ روايات مسلم فى قول عائشة (٢) ولا رواية عمرة فى البخارى ، فى قولها ، (٣) وزعم انها قالت :(ان الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء اهله عليه) واراد رفع منافاتها لقوله تعالى : «ولاتزر . . » الخ ، فقال :كانها

---

(١) ان البكاء هو للجبلة وليس عدم قيام الميت بواجب الوقاية هو السبب فى البكاء حتى يقال البكاء من سنة الميت

(٢) حيث قالت بانه ص ـ قال : « انهم يبكون عليها وانها لتعذب فى قبرها» كمافى صحيح مسلم عن عمرة وفى البخارى .

(٣) حيث قالت بانه (ص) قال : انه ليعذب بخطيئته اوبذنبه وان اهله ليبكون عليه الان » كمانقل مسلم

فهمت ان الله يزيده ذلك جزاء لكفره كقوله : « فلن نزيدكم » ، الا انه أجرى عادته باظهار تلك الزيادة عند البكاء ، فصار كأن البكاء سبب للزيادة ، فيوافق الاية وقوله : « فلن نزيدكم» بخلاف حديث تعذيب المؤمن فلا يرد مخالفة لها فما بالها تثبته وتبطل الحديث الاخر .

(اقول) : ويرد عليه امور :

الاول انه كان عليه اولاملاحظة تمام ماروته عن رسول الله -ص- والجمع بينها ومعرفة الحق منها بعد اختلافها كما لا يخفى ، ثم دفع منافاة ذلك بخصوصه للاية وقد عرفت ان الحق هو رواية عمرة وهى تنفى صدور هذا القول (١) منها ، ومنه -ص- فلا يحتاج الى توجيه .

الثانى:انه خالف فى ذلك البخارى حيث لم يثبت ماروته عايشة واستصوب مانقله عمر ، ففصل بماعرفت .

الثالث : انه لم يرو عمر حديث عذاب المؤمن ، وانما روى الحديث الذى سمعه بزعمه فى مورد وجود الايمان فيكون التخطئة فى سوق الحديث هنا ، لا فى اصله ، وهو خلاف عدة من الروايات ، وقد عرفتها ،والا فكيف تنسب اليه النسيان والخطأ ونحوهمافلم تبطل حديثاً واثبتت اخر ينافى ماقالت فكيف يقول القسطلانى رواية كذا ، ورواية كذا ؟

الرابع:ان الذى انكرته عائشة فى مورد واثبتته فى مورد آخر بناء على هذه الرواية ، هو السببية الحقيقية للبكاء ، والا فالمجاز على الوجه المزبور لا مانع منه فى المسلم ايضاً اذا كان ممن يعذب ، فكيف تنكره خصوصاً ، استناداً الى مجرد سماعها الحديث الاخر الذى ليس فيه الا السببية تجوزاً بزعمها ايضا ، كما ينسبه (القسطلانى)اليها ،وماذا يبطل احتمال المجاز المزبور فى رواية عمر لتكون منافية للقرآن فتبطلها به كما هو صريح الخبر ؟

---

(١) اى ان الكافر يعذب ببكاء اهله عليه

الخامس: ان (عمر) و(ابن عمر) ومن روى عن عائشة ما يوافق حديثهما فى الكافر فهموا منه السببية الحقيقية دون السببية المجازية (التى ادعاها القسطلانى) وفهموا انها نفت هذه السببية الحقيقية عن مورد واثبتتها فى مورد آخر ، فكيف يتوجه توجيه القسطلانى هذا ؟

السادس : ان القسطلانى مطالب بدليل ما ادعاه من انها (اى عائشة) فهمت من الرواية ذلك ، وليس ذلك الا التفاتها الى قوله تعالى : «ولاتزر . . .» الخ ، وهو كما يمكن ان يستدل به على ذلك يمكن ان يستدل به على انها لم ترو ذلك بل روت ما فى رواية عمرة بل الثانى اولى بعد ثبوت روايتها له (١) وموافقته للاصول والقواعد ، وعدم لزوم خلاف ظاهر ، بخلاف الاول .

ولااقل من الاحتمال فيسقط الاستدلال ولايصح التوجيه (الذى ادعاه القسطلانى) ولايلزم عليها المناقضة بعد الشك فى انها قالت ذلك اساساً ، وبعد احتمال وقوع الخلل ممن تاخر عنها من الرواة من اجل النقل بالمعنى ، وهو اقرب ، بعد ملاحظة جميع ما روى عنها فى المقام ، كما عرفت.

السابع : ان ما ذكره من العذاب ينافيه ما هو ظاهر غير واحد من الروايات المروية عن عائشة التى تفيد تحديد زمان العذاب بالقبر ، ونحو ذلك كما لايخفى.

الثامن : انه كيف تصير هذه الزيادة ؟ فى العذاب اذا لم يكن له باك ، فمتى يوردها الله عليه؟ فلنقتصر على ذلك.

وقد كان هذا الذى مر عليك هو بعض مايرد على التوجيه الذى يقول ان الميت انما يعذب اذا كان البكاء عليه من سنته وهو التوجيه الذى اختاره البخارى وتبعه فى ذلك اكثر شراحه مثل القسطلانى .

*

ومنهم من حمله على الكراهة (اى كراهة البكاء على الميت) وهو الذى نقله

---

(١) اى بعد ثبوت روايتها لما جاء فى رواية عمرة

الترمذی ـ کماسلف ـ عنقوم مناهل العلم .

وفیه : بالاضافة الی بعض مامرمن الایراد ، ان العلة المزبورة (وهی عذاب المیت ببکاء اهله علیه) والتی سلموا بتحققها و ترتبها علی فعل الباکی لاتناسب الکراهةبل یلازم الحرمة، لقبح ایقاع الغیرفی العذاب الاخروی وهوفی مرتبة سائر المحرمات .

وکذالایناسب جهدهم فیالمنع عنه ، کمالایخفی .

*

الجواب الخامس عن الاستدلال بالطائفة الثانیة منالاخبار المانعة ، ان هذه الاخبار مع قطع النظرعن عدم موافقة مافیها لاصول المذهب وغیرها مماعرفت ،فانه لااصل لها کما نصت علیذلك روایات الصحاح السابقة ، وانها ناشئة عن الوهم ، فی کلامرسولالله (ص) وقداتضح برهانذلك مما اسلفناه بما لامزیدعلیه ، فلاتکون دلیلا علیشیء ، فلابد ان تطرح بمایتوهم دلیلیته لاانتذکر فیعداد الادلةفالعجب ممنیعرف حالها ثمیستدل بها او یؤولها ، اویحملها علی ماحمل ،کما فعله القوم .

فانقلت : هذاانما نشأ عنامالمؤمنین عائشة ، فانها انکرت ان یکون رسول الله (ص) قال ذلك ، وکممنامر انکرت لما لارأت ولادرت ، اوغیرذلك ولمیقبل المسلمون مناهلالسنة والامامیةانکارها مثل انکارهاانیکونرسولالله (ص)اوصی الیعلی (ع) بانه (ص) وادعائها مات بینصدرها و نحرها .

ومنه انکارها عمرته فیرجب . کیف وقدثبتت الروایة منالاثبات ، منعمر وابنه اوغیرهما ، و شاعنقلهابعدانکارها ایضا ، فلمیرجع الناس عنالاخذبمارووه کماهوواضح ـ حتی رواه ابنعمر فیوفاة (امابان) المتأخر عنزمان تکذیبهابمدة اویکونالمورد منباب تعارض بینة النفی والاثبات ، فیقدم الاثبات . عندالاثبات ، ولایکون الیشاهدالنفی منهم التفات .

قلت : نعم نشأ الانکار منها ، الا انها صدقها ابن عباس ، وغیره ، وشواهد

صدق النفي ايضا واضحة ، مماعرفت من عدم امكان العذاب بفعل الغير ، وعدم وجود مصحح له ، ومخالفته لايات القرآن وغير ذلك ، وانها حصرت قوله فيما روت فلايقاس بذلك غيره ، ولايكون مثل ساير الموارد .

ونحن لانعتمد في نفيها على قولها فحسب ، بل نعتمد على ماذكرناه في الجواب الرابع و غيره ، وذكر قولها من باب الزام الطرف الآخر ، و سلوك اسهل الطرق و نحو ذلك ، فليس رسول الله (ص) يقول ما يخالف ما جاء به من عند الله الى غير ذلك.

وبينة النفي انما تقدم على بينة الاثبات اذا كانت واضحة ، و كان الاثبات غير معقول كماهنا ، حيث ان بينة النفي واضحة هنا ، والاثبات غير معقول .

* * *

واما عن الطائفة الثالثة فبانه ظهر حال العذاب بسبب بكاء الاهل ، ممامر، مع كونه اخص من المدعى (١) مضافا الى عدم وضوح العذاب في الاية : « والذين يحبون ان يحمدوا بمالم يفعلوا فلاتحسبنهم بمفازة من العذاب » الاية .

اقول : مضافا الى عدم وضوح العذاب في الاية في الحي ، ولايعلم حب الميت مايقولون اذا قالوا باطلا .

والغرابة التي ادعاها الترمذي في محلها بعد ما وضح من عدم نسبة ذلك الى الميت بوجه من الوجوه .

* * *

و اما الجواب عن الطائفة الرابعة : فباختصاصها بما كان بالباطل ولوبقرينة دليل جوازها اذالم تكن بباطل ، كما ستعرفه .

مضافا الى عدم وضوح الحرمة من بعضها مثل المشتمل على الرخصة في الجملة،

---

(١) لان ماجاء في الحديث هو : « من قال باكيه واجبلاه واسيداه لهزه الملكان » وهذا اخص من البكاء على الميت كما ترى .

وكونها من امر الجاهلية يرشدنا الى كونها من مقتضى الجبلية لالزعم الشرعية وان دوامها في الامة مع مامدحوا به في اخبار القوم يلائم ويناسب عدم الحرمة ايضاً .

واما تفسير النياحة برفع الصوت بالبكاء ففيه : ان الظاهر اعتبار كون ذلك بكلام مدح قال عليه السلام ـ: (انما تحتاج المرأة في المأتم الى النوح لتسيل عبرتها فلا ينبغي ان تقول هجراً » .

ولعل ذلك واضح.

اذن فسيلان العبرة المصحوب بالبكاء بصوت مرتفع عادة ليس هو الممنوع بل ماهو ممنوع هو الهجر .

ومنه يظهر الجواب عن الطائفة الخامسة واما «من نيح عليه يعذب » فيظهر حاله مما سلف في عذاب الميت ببكاء اهله ، لوضوح عدم الفرق بينهما في ذلك ، وان لم تعرض هذه على عائشة لتردها .

والحكم بكراهة النياحة يعلم حاله من كراهة البكاء فمن الواضح الحرمة اذا كان بباطل لا للعذاب الميت لما عرفت بل للباطل فيكون حكمها حكمه ـ كما لايخفى ـ فتأمل .

ويمكن دعوى ظهور اخبار «من نيح عليه» ايضا في خصوص ذلك (١) بقرينة قوله : (عذب بمانيح عليه) لظهور الموصول في الاسمي وان كان يؤيد حرفيته خلو الصلة عن العائد ، لان الظاهر كونه محذوفا للقرينة فلاحظ .

وهكذا لم تستطع هذه الطوائف الخمسة من الأخبار مانعة للبكاء على الميت ان تثبت حرمة على الاطلاق فمنها ماثبتت وهميتها من الاساس ، ومنها ماكان اخص من المدعى وهكذا .

---

(١) اى في خصوص ما كان مصحوباً بباطل

واما ادلة الجواز

فهى امور :

(الاول) : اخبار بعضها لاصراحة فيه فيما يكون بصوت، وان كان جملة منها يستكشف ذلك منها ، بقرائن اخر، اومن المادة.

وبعضها صريح فى ذلك' او فى النوح.

وكلها لايخلو عن دلالة على المرام فى المقام .

وكيف كان فهى طوائف :

الاولى: حديث جابر.

ففى باب «الدخول على الميت» الى آخر العنوان، من البخارى عن محمد ابن المنكدر قال سمعت جابر بن عبدالله قال : لما قتل ابى جعلت اكشف الثوب عن وجهه ابكى ، و نهونى عنه و النبى ـ ص ـ لاينهانى فجعلت عمتى تبكى فقال النبى ـص ـ :(تبكين اولا تبكين ما زالت الملائكة تظله باجنحتها حتى (رفعتموه) رواه بطريقين : (١)

و فى كتاب الجهاد مثله الا انه قال ـ : (لم تبكى اولا تبكى ما زالت .. الى آخر الحديث)

وفى رواية مسلم: صوت باكية اوصائحة الى انقال : (لم تبكى فما زالت.. الى آخر الخبر)

وفيه ايضاً بدل ماهنا فرفعه رسول‌الله ـص ـ اوأمر برفعه (٢)

---

(١) البخارى ج٢ كتاب الجنائز باب الدخول على الميت اذا ادرج فى كفنه

(٢) البخارى ج٢ كتاب فضل الجهاد والسير باب‌ظل الملائكة على الشهيد

وفى اخرى له :ورسول‌الله ـ ص ـ لاينهانى، الى ان قال: (تبكى اولاتبكى ما زالت . الى آخر الخبر .

وفى البخارى فى باب غير مترجم(اى‌لاعنوان له)عن ابن المنكدر عن‌جابر: جىء بابى يوم أحد و قد مثل به حتى وضع بين يدى رسول‌الله ـص ـ و قد سجى ثوباً فذهبت اريد ان اكشف عنه فنهانى قومى، ثم ذهبت اكشف عنه فنهانى قومى فأمر رسول الله ـ ص ـ فرفع فسمع صوت صايحة ، فقال: من هذه ؟ قالوا : ابنة عمرو أواخت عمرو، قال : (فلم‌تبكى اولا تبكى فما زالت الملائكة تظله باجنحتها حتى رفع)(١) .

الثانية: حديث رسول الله ـص ـ في جعفر، البخارى فى الباب السابق‌عن‌انس ابن مالك‌قال قال رسول‌الله ـص ـ اخذا الراية زيد فاصيب ثم اخذ جعفر فاصيب ثم اخذ عبدالله‌بن‌رواحة فاصيب وان عينى رسول الله ـ ص ـ لتذرفان ثم اخذها خالد ابن الوليد من‌غيرامرففتح‌له (٢)

وفى كتاب فضل الجهاد والسيرعن انس قال خطب النبى ـص ـ فقال : اخذ الراية زيد فاصيب ثم اخذها جعفر فاصيب ثم‌اخذهاعبدالله بن‌رواحة فاصيب‌ثم‌اخذ خالدبن الوليد من غيرامرة ففتح عليه ، وقال: وما يسرهم انهم عندنا . قال ايوب مايسرهم انهم عندنا وان عيناه لتذرفان رواه بطريقين (٣)

وفى اواخر الجزء الثانى عن انس قال: نعى النبى ـص ـ : جعفر و زيداً قبل ان يجىء خبرهم ، وعيناه تذرفان (٤) .

وفى مناقب خالد مايقرب من ذلك(٥) .

---

(١) البخارى ج٢ كتاب الجنائز باب مابعد مايكره من النياحة

(٢) البخارى ج٢ باب الرجل ينعى الى اهل‌الميت بنفسه من كتاب الجنائز

(٣) البخارى ج۴ كتاب فضل الجهاد والسير باب من تأمر فى الحرب بغير امرة

(۴) البخارى ج٥ كتاب المغازى باب غزوة مؤتة

(٥) البخارى ج٥ كتاب مناقب الاصحاب فناقب خالد

(اقول) : وجملة من اخباره اوردناه في كتاب فضل حمزة وجعفر فليراجع هناك .

الثالثة : حديثه ـ ص ـ في امر بنت له ـص ـ و فاطمة ـ ع ـ في البخاري في باب قوله : (يعذب الميت ببعض بكاء اهله) عن انس قال شهدنا بنتاً لرسول الله ـ ص ـ قال و رسول الله ـ ص ـ جالس على القبر قال فرايت عينيه تدمعان ـ الخبر (١) .

وفي باب من يدخل قبر المرأة عن انس مثل ذلك (٢) وظاهره انه من مكرراته والسند فيه اختلاف لايخفى ، وفي ذيله قال ـص ـ هل فيكم احدلم تعارف الليلة الى آخر الخبر ، فسر في الرواية الثانية عن فليح بالذنب ، وفسر في الموضع الاول في حواشي نسختي بالجماع ، واعتذر عن فعل عثمان بانه لم يدرانها تموت وكان عن شبق وهوظاهر في التعريض بهوانه من اجله منع من دخول قبرها ، و هذه القصة يطالب تفصيلها من مواضعها .

وفي آخر رشفة الصادي روى عن عمران بن حصين قال: كان لي من رسول الله ـص ـ منزلة وجاه ، فقال : ياعمران ان لك عندنا منزلة وجاهاً فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله ـ ص ـ ؟ فقلت : نعم بابي انت وامي يا رسول الله . فقام وقمت معه حتى وقف على باب فاطمة ، فقرع الباب ، وقال : السلام عليكم أدخل؟ فقالت أدخل يارسول الله .

قال : اناومن معي ؟ قالت: ومن معك ؟ قال عمران: قالت فاطمة والذي بعثك بالحق نبياً ما علي الا عباءة .

فقال : اصنعي بهاهكذا وهكذا، واشار بيده ، فقالت : هذا جسدي قدواريته فكيف برأسي؟ فالقى عليها ملاءة كانت عليه خلقة، وقال: شدي بها على رأسك ثم اذنت

---

(١) البخاري ج٢ كتاب الجنائز

(٢) البخاري كتاب الجنائز ج٢ باب من يدخل قبر المرأة

لهفدخل فقال: السلام عليك يا بنتاه . كيف اصبحت . قالت : والله اصبحت وجعة ، وزادني وجعاً على مابي اني لست اقدر على طعام آكله فقداضربي الجوع فبكى رسول الله -ص- وقال : لاتجزعي يابنتاه فوالله ماذقت طعاماً منذ ثلاث واني لاكرم على الله منك ، ولوسئلت ربي لاطعمني ، ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها فقال لها: (ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة) فقالت : واين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران؟ فقال: (آسية سيدة نساء عالمها، ومريم سيدة نساء عالمها ، وانت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لااذى فيها ولاصخب فيها ولاتعب فيها) ثم قال لها : (اقتفي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة) (١) .

السبط عن الطبقات قالت ام ايمن: انارايت رسول الله -ص- يمشي تحت سرير (يعني عبدالمطلب) وهو يبكي ! (٢)

وعن ابن سعد ثني الواقدي قال : قال علي رض : لما توفي ابوطالب اخبرت رسول الله -ص- فبكى بكاء شديداً ، ثم قال : اذهب فغسله ، وكفنه ، وواره غفر الله له ورحمه ، فقال له العباس : يارسول الله انك ترجوله ؟ فقال: اي والله اني لارجوله . وجعل رسول الله -ص- يستغفر له أياماً لايخرج من بيته ! (٣)

الرابعة : حديثه -ص- في ابن بنت له

في البخاري في باب قوله - ص- (يعذب الميت ببعض بكاء اهله عليه) عن اسامة بن زيد ارسلت ابنة النبي -ص- اليه ان ابناًلي قبض فأتنا ، فارسل يقرى السلام ويقول : (ان لله ماا خذ وله ما اعطى وكل عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب) فارسلت اليه تقسم عليه ليأتينها فقام -ص- ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وابي بن

---

(١) راجع رشفة الصادي من بحر فضائل عترة الهادي

(٢) تذكرة خواص الامة - فصل في ذكر والد علي بن ابي طالب

(٣) الطبقات الكبرى ج١ ص١٢٣ - ١٢٤ طبعة بيروت ١٣٨٠هـ

كعب وزيدبن ثابت ، ورجال فرفع الى رسول‌الله -ص- الصبى ونفسه تتقعقع قال: حسبته انه‌قال: كأنهاشن ، ففاضت عيناه -ص- فقال سعد : يارسول الله ماهذا؟ فقال: (هذه رحمة جعلهاالله فى قلوب عباده ، وانما يرحم‌الله من‌عباده الرحماء (١)

(اقول) : هذه الرواية قداوردها البخارى فى‌غير موضع من كتابه وفى‌بعضها اتبكى ؟ فقال (انما يرحم الله من عباده الرحماء) .

وفى رواية مسلم فرفع اليه‌الصبى ونفسه تقعقع كأنها فى‌شنة ، ففاضت عيناه -ص-فقال‌له سعد: ماهذا يارسول الله ؟ قال: (هذه‌رحمة جعلهاالله‌فى‌قلوب‌عباده وانما يرحم‌الله من عباده الرحماء) (٢)

(اقول): ويقرب من ذلك اويليه مارواه عن عائشة بعدقول الاعراب اتقبلون صبيانكم ؟ وقولهم : نعم وقول الأعراب : لكناوالله ماتقبل ، فقال -ص- :(أوأملك انكان الله نزع منكم الرحمة) . وفى رواية اخرى (من‌قلبك الرحمة) (٣)

وفى البخارى : او أملك لك‌ان نزع‌الله من قلبك الرحمة . (٤)

وفى مسلم عن ابى هريرة فى حديث اقرع‌بن حابس ابصر النبى -ص- يقبل الحسن - ع- فقال : ان‌لى عشرة من الولد ماقبلت واحداً منهم. فقال -ص- : (ان‌من لايرحم لايرحم) رواه بطريقين (٥)

وفى البخارى : فنظر اليه رسول‌الله -ص- ثم‌قال: (من‌لا يرحم لايرحم) (٦)

ورواه الترمذى‌فى كتاب : البروالصلة فقال : وهذا حديث‌حسن صحيح(٧)

---

(١) البخارى ج٢ كتاب الجنائز.

(٢) مسلم ج٢ كتاب الجنائز باب‌البكاء على‌الميت

(٣) مسلم‌ج٧ كتاب الفضائل باب رحمته (ص) الصبيان

(٤) البخارى ج٨ كتاب‌الادب باب رحمة الولد وتقبيله

(٥) مسلم ج٧ كتاب الفضائل باب‌رحمته (ص) الصبيان

(٦) البخارى ج٨ كتاب الادب باب رحمة الولد وتقبيله

(٧) صحيح الترمذى كتاب البر والصلة باب ماجاء فى‌رحمة الولد

وفى مسلم : عن جريربن عبدالله قال ـص ـ :من لا يرحم الناس لايرحمه الله عزوجل رواه بطريقين (١)

ورواه الترمذى هناك فقال : حديث حسن صحيح (٢)

وفى رواية فى مسلم انه ـص ـ من رحمه كان يذهب الى عوالى المدينةمكان ظئر ابراهيم (ابنه) واصحابه معه فيدخل البيت وانه ليدخن ، فيأخذ الصبى فيقبله ثم يرجع (٣)

الخامسة : حديثه فى ابنه ابراهيم

فى مسلم فى كتاب الفضائل عن انس قال : قال رسول‌الله «ص» ولدلى الليلة غلام فسميته باسم ابى ابراهيم ثم دفعه الى ام السيف امرأة قين يقال له :ابوسيف فانطلق يأتبه واتبعته فانتهينا الى ابى‌سيف ، وهو ينفخ بكيرة قد امتلاء البيت دخاناً فاسرعت المشى بين‌يدى رسول‌الله «ص» فقلت ياباسيف‌امسك‌جاء رسول‌الله «ص» فامسك‌فدعى النبى «ص» بالصبى فضمه اليه وقال : ماشاءالله ان يقول ، فقال انس : لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدى رسول‌الله ـص ـ فدمعت عينا رسول‌الله « ص » فقال : (تدمع العين و يحزن القلب ولا نقول الا ما يرضى ربنا و الله يا ابراهيم انا لمحزونون) (٤)

وفى البخارى فى‌باب قول النبى «ص» «انابك لمحزونون » : وقال ابن‌عمر عن النبى ـص ـ (تدمع العين ويحزن القلب) (٥)

(اقول): ولم يصح عنده وعلى شرطه فلم يذكره مسنداً.

وعن انس قال : دخلنا مع رسول الله ـص ـ على ابى سيف القين، وكان‌ظئراً

---

(١) المصدر السابق ... باب ماجاء فى‌رحمة الناس

(٢) مسلم ج٧ كتاب الفضائل باب رحمته (ص) الصيان

(٣) مسلم ج٧ كتاب الفضائل باب رحمته (ص) الصبيان

(٤)مسلم ج٧ كتاب الفضائل باب رحمته ـص ـ الصبيان

(٥) البخارى ج٢ كتاب‌الجنائز باب انا بك‌لمحزونون

لابراهيم، فاخذ رسول الله ـص ـ ابراهيم فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وابراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ـص ـ تذرفان ، فقال له عبدالرحمن بن عوف: وانت يا رسول الله ـص ـ؟ فقال: يابن عوف انها رحمة ثم اتبعها باخرى فقال ـص ـ (انَ العين تدمع و القلب يحزن ولا نقول الاما يرضى ربنا وانّا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون) رواه بطريقين(١)

وفى جامع الترمذى عن جابر بن عبدالله قال: اخذ النبى ـص ـ بيد عبدالرحمن بن عوف فانطلق به الى ابنه ابراهيم فوجده يجود بنفسه فاخذه النبى ـص ـ فوضعه فى حجره، فبكى فقال له عبدالرحمن: اتبكى اولم تكن نهيت عن البكاء ؟ قال: (لاولكن نهيت عن صوتين احمقين فاجرين : صوت عند مصيبة خمش وجوه ، و شق جيوب ورنة شيطان) .

قال : وفى الحديث كلام اكثر من ذلك ثم قال : هذا حديث حسن (٢)

(اقول) : لعلهما فى مسكن الفؤاد لشيخنا الشهيد الثانى ـ ره ـ ففى الحديث عن جابر قال : انما نهيت عن النوح عن صوتين احمقين فاجرين صوت عند نغمة لعب ولهو ومزامير شيطان وصوت عند مصيبة ، خمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان ، انما هذه رحمة ومن لايرحم لايرحم لولا انه امر حق ووعد صدق وسبيل نأتيه وان آخرنا سيلحق اولنا لحزنا عليك حزنا اشد من هذا وانا بك لمحزونون تبكى العين ويدمع (اويحزن ـ ظ) القلب ولانقول مايسخط الرب عزوجل .

العلامة فى كشف اليقين عن الحنبلى فى « نهاية المطلب وغاية السؤال » باسناده الى ابن عباس قال كنت مع النبى ـص ـ وعلى فخذه الايسر ابنه ابراهيم ، وعلى فخذه الايمن الحسين بن على(ع) وهو يقبل ذاك تارة ، وذلك اخرى ، اذهبط جبرئيل يوحى من رب العالمين، فلما سرى عنه قال (أتانى جبرئيل من ربى عزوجل

---

(١) البخارى ج٢ كتاب الجنائز باب انا بك لمحزونون

(٢) الترمذى ج٢ كتاب الجنائز باب ماجاء فى الرخصة فى البكاء على الميت

فقال : يـا محمد انالله تعالى يقرأ عليك السلام . ويقول لك : لست اجمعهما لك فأفد احدهما بصاحبه) ونظر النبى ـ ص ـ الى ابراهيم وبكى ، والى الحسين وبكى وقال: (ان ابراهيم امه أمة متى مات لم يحزن عليه غيرى ، وام الحسين فاطمة وابوه ابن عمى لحمى ودمى ، متى مات حزنت عليه ابنتى ، وحزن ابن عمى، وحزنت أنا على حزنهما ، ياجبرئيل يقبض ابراهيم فقدفديت الحسين به فقبض بعد ثلاثة «ايام» فكان النبى -ص- اذارأى الحسين مقبلاقبله وضمه الى صدره ورشف ثناياه وقال: (فديت من فديته بابنى ابراهيم) . (١)

السادسة: حديثه -ص- فى مرض سعدبن عبادة وموت عثمان بن مظعون وبكاؤه على أمه ورثاه سعدبن خولة .

فى البخارى فى باب (البكاء عند المريض) عن ابن عمر قال: اشتكى سعدبن عبادة شكوى له فاتاه النبى ـ ص ـ يعوده مع عبدالرحمان بن عوف وسعدبن ابى وقاص وابن مسعود فلمادخل عليه فوجده فى غاشية من اهله فقال: قدقضى ؟ قالوا : لا يا رسول الله -ص- فبكي النبى -ص- فلمارأى القوم بكاء النبى -ص- بكوافقال : الاتسمعون انالله لايعذب بدمع العين ولابحزن القلب ولكن يعذب بهذا ـ واشارالى لسانه ، اويرحم وان الميت يعذب ببكاء اهله عليه وكان عمر يضرب فيه بالعصا ويرمى بالحجارة ويحثى بالتراب . (٢)

ورواه مسلم مثله الى قوله اويرحم (٣)

(اقول) ومنه يعلم انالذيل (ان الميت يعذب الخ) لم يذكره فى الوقت وهو كلام ابن عمر وانما ضمه البخارى الى الرواية كماالحق ماكان يفعل عمر لأن ذلك كله من رواية ابن عمر فى قصة سعد فلاحظ .

---

(١) كشف اليقين ص٧

(٢) البخارى ج٢ كتاب الجنائز

(٣) مسلم ج٢ كتاب الجنائز .

وعن الترمذی فی باب (تقبیل المیت) عن عایشة ان النبی -ص- قبل عثمان بن مظعون وهو میت ، وهو یبکی ، اوقال : عیناه تهراقان الی ان قال : حدیث عایشة حدیث حسن صحیح . (١)

مسلم عن ابی هریرة قال زار النبی -ص- قبر امه فبکی وابکی من حوله. فقال (استأذنت ربی فی ان استغفر لها فلم یؤذن' واستأذنته فی ان ازور قبرها فاذن لی فزوروا القبور فانها تذکر الموت) . (٢)

وفی البخاری فی باب (رثاء النبی - سعد بن خولة) فی حدیث طویل لسعد بن ابی وقاص قال : (اللهم امض لاصحابی هجرتهم ولا تردهم علی اعقابهم لکن البائس سعد بن خولة یرثی له رسول الله -ص- أن مات بمکة) (٣)

وفی المسند فی اواخره ثنا عبدالله ثنی ابی ثنا عبدالرزاق ثنا معمر عن الزهری عن عبیدالله بن عبدالله قال : ارسل مروان عبدالله بن عتبة الی سبیعة بنت الحرث یسألها عما افتاها به رسول الله -ص- فاخبرته انها کانت تحت سعد بن خولة فتوفی عنها فی حجة الوداع الی آخر الحدیث المتقدم . (٤)

السابعة : حدیث بکاء فاطمة الزهراء الطاهرة عندما اخبرها رسول الله -ص- بوفاته وغیر ذلك :

البخاری: عن عایشة اقبلت فاطمة تمشی کان مشیتها مشی رسول الله -ص- فقال النبی -ص- مرحباً بابنتی فاجلسها عن یمینه اوعن شماله ، ثم اسر الیها حدیثا فبکت فقلت لها : لم تبکین؟ ثم أسر الیها حدیثا فضحکت ، فقلت مارأیت کالیوم فرحاً اقرب من حزن فسئلتها عما قال فقالت : ماکنت لافشی سر رسول الله -ص- فلما قبض النبی

---

(١) صحیح الترمذی ج٢ ابواب الجنائز

(٢) مسلم ج٢ باب استئذان النبی -ص- ربه عزوجل فی زیارة قبر امه

(٣) البخاری ج٢ کتاب الجنائز

(٤) مسند الامام احمد ج٦ مسند سبیعة الاسلمیة

-ص- فسألتها ، فقالت : اسرالى (ان جبرئيل كان يعارضنى القرآن كل سنة مرة ، وانه عارضنى العام مرتين ولا اراه الاحضر اجلى ، وانك اول اهل بيتى لحوقابى فبكيت ، فقال : امـا ترضين ان تكونى سيدة نساء اهل الجنة اونساء المؤمنين) فضحكت لذلك .

وبسند آخر مثله باختلاف يسير ومنه : ثم سارنى فاخبرنى انى اول اهل بيته اتبعه فضحكت . (١)

وفى اخرى انه -ص- دعاها فسارها فبكت ثم دعاها فسارها فضحكت وان وجه الاول اخباره -ص- بانه يقبض وان ثانى كونها اول من يلحقه ورواه فى باب وفاة النبى -ص- وغيره ايضا . (٢)

المسلم فى كتاب الفضائل عن عائشة قالت : كن ازواج النبى - ص - عنده لم تغادرمنهن واحدة فاقبلت فاطمة تمشى ماتخطىء مشيتها من مشية رسول الله -ص- شيئاً فلما رآها رحب بها فقال : مرحبا بابنتى ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله ، ثم سارها فبكت بكاءاً شديداً فلما رأى جزعها سارها الثانية فضحكت فقلت لها : خصك رسول الله - ص - من بين نساءه بالسرار ثم انت تبكين ؟ ، الى انذكرت وجه البكاء وذكرت معارضة القرآن مرتين وقوله - ص - : لا ارى الاجل الاقد اقترب فاتقى الله واصبرى فانه نعم السلف انالك فبكيت بكائى الذى رأيت فلمارأى جزعى سارنى الثانية فقال يافاطمة اما ترضين انتكونى سيدة نساء المؤمنين اونساء هذه الامة، فضحكت ضحكى الذى رأيت (٣)

وروى بطريق آخر ما يقرب من ذلك ورواه البخارى فى كتاب الاستيذان.(٤)

الترمذى فى الجامع فى الفضائل عن عائشة قالت : مارأيت احداً اشبه سمتا ودلاً وهدياً

---

(١) البخارى ج٥ كتاب فضائل الاصحاب... باب فضائل اهل البيت

(٢) البخارى ج٨ كتاب الاستئذان باب من ناجى بين يدى الناس .

(٣) مسلم ج٧ كتاب الفضائل باب فضائل فاطمة

(٤) البخارى ج٨ كتاب الاستيذان

برسول الله -ص- فى قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول‌الله -ص- قالت وكانت اذا دخلت على النبى - ص - قام اليها فقبلها واجلسها فى‌مجلسه ، وكان النبى -ص- اذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته و اجلسته فى مجلسها ، فلما مرض النبى - ص - دخلت فاطمة فاكبت عليه فقبلته ثم رفعت رأسها فبكت ثم اكبت عليه ثم رفعت راسها فضحكت فقلت انى كنت لاظن ان هذه من اعقل نسائنا فاذا هى من النساء فلما توفى النبى - ص - قلت لها : ارأيت حين اكببت على النبى -ص- فرفعت رأسك فبكيت ثم اكببت‌عليه فرفعت رأسك فضحكت ما حملك على ذلك ؟ قالت : انى اذا لبذره (فاشية السر ، كأنه تعريض عليها حيث اضمرت ما ذكرت فلاحظ) اخبرنى انه ميت فى وجهه هذا فبكيت ثم اخبرنى انى اسرع اهله لحوقاً به فذلك حين ضحكت .

قال ابوعيسى: هذاحديث حسن‌غريب من‌هذا الوجه وقدروى هذا الحديث من غير وجه عن عايشة .(١)

وعن ام سلمة : ان رسول الله -ص- دعا فاطمة يوم الفتح فنا جاها فبكت ثم حدثها فضحكت قالت : فلماتوفى رسول‌الله -ص- سئلتها عن‌بكاءها وضحكهاقالت اخبرنى انه يموت فبكيت ثم‌اخبرنى انى سيدة نساء العالمين الا مريم فضحكت . فقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . (٢)

النسائى فى الخصائص عن‌عايشة قالت مرض رسول‌الله -ص- فجاءت فاطمة فاكبت على رسول الله -ص- فسارها فبكت ، ثم اكبت فسارها فضحكت فلما توفى النبى - ص - سألتها فقالت : لما اكببت عليه اخبرنى انه ميت فى وجهه ذلك ، فبكيت ثم اكببت عليه فاخبرنى انى اول اهل‌بيتى له لحوقا وانى سيدة نساء اهل الجنة الامريم بنت عمران فرفعت راسى فضحكت (٣)

وعن ام سلمة ان رسول الله - ص - دعا فاطمة فنا جاها ، فبكت ثم‌حدثها

---

(١) و(٢) سنن الترمذى ابواب المناقب‌مناقب فاطمة

(٣) خصائص النسائى ص٤٨ ط‌النجف

فضحكت . قالت ام سلمة : فلما توفى رسول الله -ص- سئلتها عن بكاءها وضحكها فقالت اخبرني اني سيدة نساء اهل الجنة بعدمريم ابنة عمران فضحكت.(١)

وعن عائشة قالت : اقبلت فاطمة كأن مشيتها مشية رسول الله - ص - فقال : مرحباً بابنتي ثم اجلسها عن أيمنه اوعن شمأله ثم اسراليها حديثاً فبكت «فقلت لها : ايخصك رسول الله -ص- بحديثه وتبكين » ثم اسراليها حديثا فضحكت فقلت : مارأيت كاليوم فرحاً اقرب من حزن فسئلتها عما قال فقالت : ماكنت لافشى سر رسول الله -ص- حتى اذا قبض فقالت انه اسر الى فقال ان جبرئيل كان يعارضنى العام (كذا) مرتين وما اراني الا وقد حضرأجلي وانك اول اهل بيتي لحوقاً فلنعم السلف انالك ، قالت : فبكيت لذلك ثم قال : اما ترضين ان تكونين سيدة نساء هذه الأمة اونساء المؤمنين ؟ قالت : فضحكت . (٢)

وعن عائشة قالت : كنا عند رسول الله -ص- جميعاً مايغادر منا واحدةفجاءت فاطمة تمشي ولا والله لن تخطىء مشيتها مشية رسول الله - ص - حتى انتهت اليه فقال : مرحبا بابنتي فاقعدها عن يمينه اويساره ثم سارها بشيء فبكت بكاء شديداً ثم سارها بشيء فضحكت ، فلما قام رسول الله -ص- قلت لها أخصك رسول الله -ص- من بيننا بالسرار وانت تبكين فاخبريني ما قال لك ؟ قالت : ماكنت لافشى لرسول الله سره (٣) فلما توفى رسول الله -ص- قلت لها : اسئلك بالذى عليك من الحق ما اسرك به رسول الله -ص- ؟ فقالت : اما الان فنعم ، سارني المرة الاولى فقال : ان جبرئيل كـان يعارضنى القرآن بـه (كذا) مرتين ولا أرى الاجل

---

(١) خصائص النسائى ص٤٨

(٢) خصائص النسائى ص٤٩

(٣) كتمت السر اولا لئلا ينتشر خبر وفاته - ص - فى تلك الشكوى فيتخلصوا عن جيش اسامة ثم بعد موته -ص- ارتفع ذلك الباعث فاخبرت بماقال لها ، فلاحظ ، والقوم مطالبون بوجه الكتمان اولا ، ثم الاظهارثانيا ، واما وقوع ذلك السرافى غيرمرض الموت فيه مافيه كمالايخفى - من المؤلف نفسه - .

الاقداقترب فاتقى الله واصبرى . ثم قال لى : يافاطمة اماترضين انك تكونين سيدة نساء هذه الامة وسيدة نساء العالمين فضحكت . (١)

محمد بن يوسف الشافعي فى كتاب البيان فى اخبار صاحب الزمان عن الحافظ يوسف بن خليل بن عبدالله عن ناصر بن محمد عن اسماعيل بن الفضل عن محمد بن احمد عن شيخ أهل الحديث على بن عمر الدارقطنى عن احمد بن محمد بن سعيد عن ابراهيم بن محمد بن اسحاق عن سهل بن سليمان عن ابى هارون العبدى عن ابى سعيد الخدرى قال : مرض النبى ـ ص ـ مرضة نقه عنها «اى عوفى عنها» فاتته فاطمة تعوده ، فلمارأت مابرسول الله ـص ـ من الجهدوالضعف استعبرت وبكت حتى سال دمعها على خديها ،فقال لها رسول الله ـص ـ : (مايبكيك يا فاطمة) ؟ قالت : اخشى الضيعة يا رسول الله ـ ص ـ فقال : يا فاطمة (اما علمت ان الله اطلع الى الأرض اطلاعة فاختار منها اباك فبعثه نبياً ، ثم اطلع اطلاعة فاختار منهم بعلك فاوحى الى فانكحته اياك واتخذته وصياً ؛ اما علمت انك لكرامة الله اباك زوجك اعلمهم علماً واكثرهم حلماً واقد مهم سلماً) ؟ فضحكت واستبشرت فاراد رسول الله ان يزيدها مزيد الخير كله الذى قسمه الله تعالى لمحمد وآل محمد (ص) فقال لها : (يا فاطمة لعلى ثمانية اضراس (يعنى مناقب) : ايمان بالله ورسوله ، وحكمته وزوجته ، وسبطاه الحسن والحسين ، وامره بالمعروف ، ونهيه عن المنكر . يافاطمة انااهل بيت اعطينا سبع خصال لم يعطها احد من الاولين ولايدركها احد من الاخرين غيرنا اهل البيت : نبينا خير الأنبياء وهو ابوك . ووصينا خير الاوصياء و هو بعلك وشهيدنا خير الشهداء وهو حمزة عم ابيك ، ومنا من له جناحان يطير بهما فى الجنة وهو جعفر ، ومنا سبطا هذه الامة و هما ابناك ، و منا مهدى هذه الامة الذى يصلى عيسى خلفه) ؛ ثم ضرب على منكب الحسين وقال من هذا مهدى هذه الامة ثم قال هكذا

---

(١) خصائص النسائى ص ٥٠

اخرجه الدار قطني صاحب الجرح والتعديل. (١)

(اقول) : ورواه العلامة في كشف اليقين (٢) عن الدارقطني عن ابي هارون العبدي عن ابي سعيد الخدري و اللفظ مأخوذ منه لانه لم يحضرني البيان في هذا الوقت .

وفي البيان عن احمدبن محمد عن يحيى بن محمود عن الحسن بن احمد عن ابي نعيم الأصفهاني عن الحافظ سليمان بن احمد الطبراني ، وعن يوسف بن خليل عن محمد بن ابي زيد عن فاطمة الجوزدانية ، عن ابي بكر بن ريده عن الطبراني عن محمد بن زريق عن الهيثم بن حبيب عن سفيان بن عيينة عن الهلالي عن ابيه قال : دخلت على رسول الله (ص) في شكايته التي قبض فيها ، فاذا فاطمة عند رأسه ، قال : فبكت حتى ارتفع صوتها فرفع رسول الله (ص) طرفه اليها وقال حبيبتي فاطمة ماالذي يبكيك ؟ فقالت : اخشى الضيعة من بعدك . فقال : ياحبيبتي اماعلمت ان الله اطلع الى الارض اطلاعة فاختار منها اباك فبعثه برسالته ثم اطلع الثانية فاختار بعلك وأوحى الى ان انكحك اياه، يافاطمة نحن اهل بيت قداعطاناالله سبع خصال لم يعط احد قبلنا ولا يعطى احد بعدنا ، انا خاتم النبيين واكرم النبيين على الله ، واحب المخلوقين الى الله ، وانا ابوك ، ووصي خير الاوصياء ، واحبهم الى الله ، وهو بعلك ، ومنا من له جناحان اخضران يطير بهما في الجنة مع الملائكة حيث يشاء ، وهو ابن عمك و اخو بعلك ، ومنا سبطا هذه الامة ، وهما الحسن و الحسين ، سيدا شباب اهل الجنة ، ابناك ، والذي بعثني بالحق نبيا ان المهدى من ولدك يملاء الارض قسطاً كماملئت جوراً) فقال : هكذااخرجه صاحب حلية الأولياء في كتابه المترجم — بنعت المهدي، واخرجه الطبراني شيخ اهل الصنعة في معجمه الكبير ، وقال عقيبه على بن على مكي ولم يرو هذا الحديث عن سفيان الاهيثم بن

---

(١) البيان لشافعي الكنجي ص٨١ – ٨٢ طبعة النجف مع اختلاف يسير في التعبير

(٢) كشف اليقين ص٥٧

حبيب . (١)

(اقول): ورواه في ينابيع المودة عن ذخاير العقبى عن علي بن الهلال، مثله فقال : اخرجه الحافظ ابو العلاء الهمداني في الاحاديث الاربعين عن المهدى. (٢)

الخوارزمي عن شهردار الديلمي عن عبدوس الهمداني عن ابي طالب عن مردويه عن احمد بن محمد عن عمران بن عبد الرحيم عن ابي الصلت الهروي عن حسين بن الحسن الاشقر عن قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن ابي ايوب ان النبي -ص- مرض مرضة فأتته فاطمة تعوده فلما رأت مابرسول الله -ص- من الجهد والضعف استعبرت فبكت حتى سالت دموعها علي خديها ، فقال لها رسول الله -ص- (يا فاطمة انه لكرامة الله عزوجل اياك - زوجتك من اقدمهم سلماً ، واكثرهم علماً واعظمهم حلماً ، ان الله عزوجل اطلع الى اهل الارض اطلاعة فاختارني منهم فبعثني نبياً مرسلا ثم اطلع اطلاعة فاختار منهم بعلك فاوحى الى ان ازوجك اياه ، واتخذه وصياً واخاً) (٣) .

ورواه عنه العلامة في كشف اليقين ، وكذا في الباب الخامس عشر من ينابيع المودة . (٤)

ثم قال : وزاد ابن المغازلي : (يافاطمة انا اهل البيت اعطينا سبع خصال لم يعطها احد من الاولين ولايدركها احد من الاخرين ، منا افضل الانبياء وهو ابوك ووصينا خير الاوصياء وهو بعلك ، و شهيدنا خير الشهداء وهو حمزة عمك ، ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء وهو جعفر ابن عمك ومنا سبطان وسيدا شباب اهل الجنة ابناك ، والذى نفسي بيده ان مهدى هذه الامة الذي يصلي خلفه عيسى

---

(١) البيان للكنجي الشافعي ٥٥ - ٥٦ طبعة النجف مع اختلاف بسيط في التعبير في ذيل الحديث

(٢) ينابيع المودة الباب السادس والخمسون

(٣) المناقب ص٦٢ - ٦٣

(٤) راجع كشف اليقين ص٥٧ وينابيع المودة ص ٨٠ - ٨١

هومن ولدك) وزاد الحمويني : (يملاء الارض عدلاوقسطاً بعدماملئت جوراً وظلماً يافاطمة لاتحزني ولاتبكي فان الله عز وجل ارحم بك وارأف عليك مني ، و ذلك لمكانك وموقعك من قلبي ، قد زوجك زوجاً وهواعظمهم حسبا و اكرمهم نسباً ، وارحمهم بالرعية واعدلهم بالسوية وابصرهم بالقضية) (١)

الخوارزمي باسناده عن بريدة قال: قال رسول الله ـص ـ : قم بنا يابريدة نعود فاطمة ، فلما ان دخلنا عليها و ابصرت اباها دمعت عيناها فقال : ما يبكيك يا بنتي ؟ قالت : قلة الطعام وكثرة الهم وشدة السقم ، فقال لها : اما والله ماعندالله لك خير مما ترغبين اليه يافاطمة اماترضين ان زوجتك خير امتي «من سائر العرب والعجم» اقدمهم سلماً واكثرهم علما واعظمهم حلماً ، و الله ان ابنيك لسيدا شباب اهل الجنة وريحانتي هذه الامة . (٢)

رواه العلامةايضا وباسناده في حديث ابي جعفر المنصور العباسي ، عن آبائه عن ابن عباس قال : كنا ذات يوم جلوساً عند رسول الله « ص » : اذأقبلت فاطمة « بنته » فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت : يا أبة ان الحسن والحسين خرجا من عندي آنفا ، فلا ادري ابن هما فقد طار عقلي وقلق فؤادي وقل صبري وبكت وشهقت حتى علابكاؤها فلما رآها رحمها ورق لها فقال : (لاتبكين يافاطمةفوالذي نفسي بيده ان الذي خلقهما الطف بهما منك وارحم بصغرهمامنك) قال فقام النبي «ص» فرفع يديه الى السماء فقال :

(اللهم انهما ولداي قرة عيني و ثمرة فؤادي و انت ارحم بهما و اعلم بموضعهما يالطف لطفك الخفي انت عالم الغيب والشهادة اللهم ان كانا اخذا براً اوبحراً فاحفظهما وسلمهما اين كانا وحيث توجها) قال : فلما دعى رسول الله «ص» فلمااستتم الدعاء فاذا جبرئيل قدنزل من السماء ومعهعظماء الملائكةوهم يؤمنون على

---

(١) ينابيع المودةص٨١

(٢) المناقب ص٥٨

دعاء النبى «ص» فقال له : يا حبيبى يامحمد لاَ تحزن ولاتغتم وابشر فان ولديك فاضلان فى الدنيا ، فاضلان فى الاخرة ، وابوهما خيرمنهما و هما نائمان فى حظيرة بنى النجار وقد وكل الله بهما ملكاً يحفظهما .

فلما قال ذلك سرى عنه ، فقام رسول الله «ص» هو واصحابه وهوفرح مسرور حتى اتوا حظيرة بنى النجار فاذا الحسن والحسين نائمان و اذا الحسين معانق الحسن ، واذ ذاك الملك الموكل بهما قد وضع احد جناحيه بالارض فوطأه تحتهما يقيهما حر الارض والجناح الاخر قد جللهما به يقيهما حر الشمس . قال: فانكب النبى «ص» يقبلهما واحداً فواحداً ، ويمسحهما بيده حتى ايقظهما من نومهما ، فلما انتبها حمل النبى «ص» الحسن على عاتقه وحمل جبرئيل الحسين على ريشه من جناحه الايمن حتى خرج من الحظيرة ، وهويقول : (والله لاشرفنكما اليوم كما شرفكم الله عزوجل فى سماواته) فبينما هووجبرئيل يمشيان (وقد) اذتمثل دحية الكلبى وقد حملاهما اذ اقبل ابوبكر فقال : يارسول الله «ص» ناولنى احد الصبيين احفظ عنك اوعن صاحبك واناا حفظه حتى اؤديه اليك فقال رسول الله «ص» : جزاك الله خيرا فنعم الحاملان ونعم الراكبان هما وابوهما خير منهما فحملاهما و ابوبكر معهما ، حتى اتوا المسجد فقال: (ص) يابلال هلم فنادلى فيهم واجمعهم فقام على قدميه خطيباً ـ الخبر وفيه انه «ص» اخبرهم بانهما خير الناس جداً وجدة وابأواماً وخالاً وخالة وعماًوعمة ثم قال : (اللهم انك تعلم انهما فى الجنة و جداهما فى الجنة و ابواهما فى الجنة و عماهما فى الجنة ومن يحبهما فى الجنة ، و من يبغضهما فى النار) . هذا ملخص مافى الذيل (١) .

وفى حديثه الاخر : كنا قعوداً عند رسول الله «ص» اذ اقبلت فاطمة ، و قد حملت الحسن والحسين على كتفيها وهى تبكى بكاءاً شديدا ، قدشهقت فى بكائها فقال لها : مايبكيك يافاطمة لاابكى الله عينك ؟ فقالت : يا ابة مالى لا ابكى ونساء

---

(١) المناقب ص٢٠٢

قريش قدعيرنني فقلن : ان اباكزوجك من رجل معدم لامال له . فقال لها : (لاتبكي يافاطمة فوالله ماانازوجتك ، بل الله زوجك به من فوق سبع سماواته ، وأشهد على ذلك جبرئيل وميكائيل و اسرافيل ، ثم ان الله اطلع الى اهل الارض اطلاعة فاختار من الخلائق اباك فبعثه رسولا نبياً ، ثم اطلع الثانية فاختار من الخلائق علياً فزوجك اياه واتخذته وصياً فعلي مني و انا من علي فعلي اشجع الناس قلباً واعلمهم علماً ، واحلمهم حلماً و اقدمهم اسلاماً والحسن و الحسين سيدا شباب اهل الجنة من الأولين والآخرين، وسماهما الله في التوراة على لسان موسى : شبر وشبير لكرامتهما على الله . يافاطمه لاتبكي فاني اذا دعيت غدا الى رب العالمين فيكون علي معي واذا حييت فيحبى علي معي، لاتبكي فان علياً وشيعته غداً هم الفائزون بدخول الجنة) (١) .

ينابيع المودة عن ذخائر العقبى عن ابن عباس بينما نحن عند النبي -ص- اذ اقبلت فاطمة تبكي فقال لها : يا فاطمة فداك ابوك ما يبكيك ؟ قالت : ان الحسن والحسين خرجا ولاادري اين باتا؟ فقال: لاتبكين فان خالقهما الطف وارحم بهما مني ومنك ثم رفع يديه وقال : (اللهم احفظهما وسلمهما) .

فهبط جبرئيل وقال : يا رسول الله لاتحزن انت وابنتك انهما في حديقة بني النجار نائمين وقد وكل الله بهما ملكاً يحفظهما فقمنا معه فاذاهما معتنقان نائمان وقد جعل الملك احد جناحيه تحتهما والآخر فوقهما ، فاكب عليهما يقبلهما حتى انتبها فحملهما على عاتقه فقال : (نعم الجمل جملكما ونعم الراكبان انتما ، و ابوكما خير منكما).

حتى اتى المسجد فقام على قدميه وهما على عاتقه ، وقال : معاشر المسلمين الا ادلكم - فذكر الاخبار بخير الناس فيما مر والاخبار بانهم في الجنة الى ان

---

(١) المناقب ص٢٠٦

قال : ـ ثم قال : (و من ابغض الحسن والحسين واباهما فهو فيالنار ومن احبهم فهو فيالجنة معنا)

قال اخرجه الملافى سيرته ، واخرجه غيره ايضاً (١) .

(اقول) : الاخبار فيذلك كثيرة وفى ذلك اليسير غنى وكفاية انشاءالله.

ويقرب من ذلك مافيينابيع المودة عن ذخاير العقبى عن ابن عباس قال : توفى ابن لصفية فبكت عليه فقال ـص ـ : (لاتبكين ياعمة من توفى له ولد منكم فى الاسلام كان له بيت فى الجنة) فلما خرجت لقيها رجل فقال لها : ان قرابة محمد ـص ـ لن تغنى عنك من الله شيئا ، فبكت فقال لها النبى ـص ـ (ياعمة لاتبكين وقد قلت لك ماقلت) فاخبرته بما قال الرجل فغضب رسول الله ـص ـ وقال يابلال هجر بالصلاة ، فقام على المنبر ، وقال : (مابال اقوام يزعمون ان قرابتى لاتنفع ان كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الاسببى ونسبى واما رحمى فموصولة فى الدنيا والاخرة) الخبر .

قال : اخرجه الحافظ ابن البحترى، قلت : والرجل عندنا معروف(٢).

الثامنة : احاديث فى بكاء (على) امام البررة فمن ذلك بكاؤه حيث خلفه رسول الله ـص ـ فى غزوة تبوك:

نص احمد باسناده ان عليا خرج مع النبى ـص ـ حتى جاء ثنية الوداع حين توجه الى تبوك وهو يبكى ويقول : يا رسول الله خلفتنى مع الخوالف ما احب ان تخرج فى وجه الا وانا معك. فقال : الاترضى ان تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا النبوة(٣) وباسناده فى حديث المؤاخاة فبكى (على) فقال له رسول الله ـص ـ : مايبكيك؟ فقال : لم تواخ بينى وبين احد فقال: انما ادخرتك لنفسى، انت منى بمنزلة هارون من موسى ـ الخبر (٤)

---

(١) ينابيع المودة الباب السادس والخمسون

(٢) ينابيع المودة الباب السادس والخمسون ١٨٩ ــ ١٩٠

(٣)و(٤) مسند احمد بن حنبل ج١ مسند سعد بن ابى وقاص

و عن الترمذي باسناده عن ابن عمر آخى رسول الله -ص- بين اصحابه فجاء (على) تدمع عيناه فقال : يارسول الله آخيت بين اصحابك ولم تؤاخ بيني وبين احد؟ فقال له رسول الله -ص- (انت اخي في الدنيا والآخرة) قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح(١).

وبكاؤه في حديث المؤاخاة عن ابن المغازلي باسناده عن انس قال: آخى النبي -ص- بين المهاجرين والانصار وعلى واقف يعرف مكانه ولم يؤاخ بينه وبين احد. فانصرف باكي العينين فافتقده النبي -ص- فقال: مافعل ابو الحسن؟ قالوا: انصرف باكي العين يارسول الله فقال يابلال علي فاتني به فذهب بلال الى علي وقد دخل منزله باكي العين فقالت له فاطمة مايبكيك لاابكى الله عينيك قال يافاطمة آخى النبي، (ص) وانا واقف يراني ويعرف مكاني ولم يؤاخ بيني وبين احد قالت لايحزنك الله لعله انما ادخرك لنفسه فقال بلال اجب رسول الله فاتي علي النبي (ص) فقال مايبكيك يا اباالحسن فقال آخيت بين المهاجرين والانصار وانا واقف تراني وتعلم مكاني ولم تؤاخ بيني وبين احد فقال (ص) انما ادخرتك لنفسي الايسرك ان تكون اخا نبيك قال بلى يارسول الله اني لي بذلك فاخذ بيده فارقاه المنبر فقال (اللهم هذا مني وانا منه الاانه مني بمنزلة هارون من موسى (الامن كنت مولاه فهذا علي مولاه) فانصرف علي قرير العين فاتبعه عمر بن الخطاب فقال (بخ بخ يااباالحسن اصبحت مولاي ومولى كل مسلم) (٢)

ومنه بكاؤه حيث اخبره بما يلقى من بعده : الخوارزمي بسند طويل عن ابي سعيد قال: ذكر رسول الله -ص لعلي ما يلقى من بعده ، فبكى وقال : (اسئلك بحق قرابتي منك و بحق صحبتي الا دعوت الله ان يقبضني الله اليه) قال - ص - (ياعلي اتسئلني ان ادعو الله تعالى لاجل مؤجل)؟ قال: فقال يارسول الله على ماأقاتل القوم؟ قال:(على الاحداث في الدين...(٣)

---

(١) صحيح الترمذي ج٥ ابواب المناقب مناقب علي بن ابي طالب .

(٢) مناقب ابن المغازلي .

(٣) المناقب في بيان قتال اهل الجمل ص١٠٩

ومنه بكاؤه في قصة غزوة تبوك :

الخوارزمي باسناده عن ابن عباس في حديث طويل وخرج رسول الله -ص- في غزوة تبوك وخرج بالناس معه ، فقال له علي: اخرج معك؟ فقال النبي (ص) : لا ، فبكى علي ، فقال له: (اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي انه لا ينبغي ان اذهب الا وانت خليفتي الخبر.(١)

ومنه بكاؤه على فاطمة.

قال المسعودي: ولما قبضت جزع عليها [بعلها] جزعاً شديداً واشتد بكاؤه وظهر انينه وحنينه وقال في ذلك:

لكل اجتماع من خليلين فرقة — وكل الذي دون الممات قليل
وان افتقادي فاطماً بعد احمد — دليل على ان لا يدوم خليل (٢)

(اقول) : والاخبار من طرقهم في ذلك غير عزيزة ولكنا نقتصر على ذلك

التاسعة : بكاء رسول الله -ص- لما يلقى علي -ع- بعده.

فمن ذلك مارواه الخوارزمي بسند طويل فيه جماعة من الحفاظ عن ابي عثمان النهدي عن علي -ع- قال: كنت امشي مع رسول الله -ص- في بعض طرق المدينة ، فاتينا على حديقة فقلت: يا رسول الله ما احسن هذه الحديقة؟ فقال -ص- : (ما احسنها ولك في الجنة احسن منها) الى ان قال: حتى اتينا على سبع حدائق اقول يا رسول الله ما احسنها فيقول لك في الجنة احسن منها فلما خلا له الطريق اعتنقني واجهش باكياً فقلت يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: (ضغائن في صدور اقوام لا يبدونها الا بعدي) فقلت: في سلامة من ديني؟ قال : (في سلامة من دينك).(٣)

(اقول) : ورواه العلامة -ره- في كشف اليقين عن كتاب المناقب لابن مردويه

---

(١) الخوارزمي -ص٨٣

(٢) مروج الذهب ج٢ص٢٩٨.

(٣) المناقب باب محبة الرسول علياً ص٢٦ .

الحافظ وفيه : ثم ضرب بيده على رأسه و لحيته وبكى حتى علابكاؤه ، و قال على : ما يبكيك يا رسول‌الله ؟ قال : (ضغائن فى صدور قوم لا يبدونها لك حتى يفقدوننى)وسلم له خصمه ذلك ولم‌يتكلم عليه وقد اوردنا مايوافقه ايضاً فى كتابنا : (سلاح الحازم) .

ومن ذلك مارواه باسناده عن ابى ليلى قال دفع النبى-ص- الراية يوم خيبر الى على‌بن ابى طالب ففتح الله على يديه‌واوقفه يوم غديرخم فاعلم الناس‌انه مولى كل مؤمن و مؤمنة . وقال -ص- (انت منى وانا منك)، وقال‌له: (تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل) وقال له:(انت منى بمنزلةهارون من موسى) وقال‌له: (انا سلم لمن‌سالمت وحرب لمن حاربت) وقال‌له: (انت‌العروة الوثقى‌التى‌لاانفصام‌لها) وقال‌له(انت المبين لهم مايشتبه‌عليهم من‌بعدى) وقال‌له:(انت امام‌كل مؤمن ومؤمنة و ولى كل مؤمن ومؤمنة بعدى) وقال له : (انت الذى انزل الله فيه : « واذان من الله ورسوله الى الناس‌يوم الحج‌الاكبر») (٢)وقال‌له: (انت‌الاخذبسنتى‌والذاب عن بيتى) .

وقال‌له:(انااول من ينشق عنه الأرض وانت‌معى) وقال‌له : (انا عند الحوض وانت‌معى)وقال‌له:(انااول‌من‌يدخل‌الجنةوانت‌معى‌تدخلهاوالحسن والحسين‌وفاطمة) وقال‌له:(ان‌الله اوحى الى ان اقوم بفضلك فقمت به فى الناس وبلغتهم ما امرنى الله بتبليغه) وقال‌له: (اتق الضغائن التى لك فى صدورمن لايظهرها الابعدموتى، اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) .

ثم بكى-ص- فقيل مم بكاؤك يا رسول‌الله -ص- قال: اخبرنى جبرئيل -ع- (انهم‌يظلمونه ويمنحونه‌حقه ويقاتلونه ويقتلون‌ولده‌ويظلمونهم بعده،واخبرنى جبرئيل عن الله عزو جل ان ذلك الظلم يزول اذا قام قائمهم ، و علت كلمتهم ، و اجتمعت الأمة على محبتهم و كان الشانىء لهم قليلا و الكاره لهم ذليلا و كثر

---

(١) التوبه -٣

المادح لهم، وذلك حين تغير البلادوضعف العبادواليأس من الفرج فعندذلك يظهر القائم فيهم) قال النبي-ص-(اسمه كاسمي هو من ولد ابني يظهر الله بهم الحق، ويخمد الباطل باسيافهم، ويتبعهم الناس راغب اليهم وخائف لهم) قال : و سكن البكاء من رسول‌الله -ص- فقال: (معاشر المؤمنين ابشروا بالفرج فان‌وعدالله لا يخلف وقضاءه لايرد وهو الحكيم الخبير وان فتح‌الله قريب، اللهم انهم‌اهلي فاذهب عنهم‌الرجس وطهرهم تطهيراً،اللهم اكلأهم وارعهم وانصرهم واعزهم و لاتذلهم و اخلفني فيهم انك على ما تشاء قدير) . (١)

و في الباب السابع من ينابيع المودة عن المناقب عن علي بن الحسن‌عن الرضا عن النسب الطاهر عن علي -ع- ان رسول‌الله -ص- خطبنا فقال: ايها الناس انه قد اقبل اليكم شهرالله بالبركة و الرحمة والمغفرة- وذكر فضل شهر رمضان‌ثم بكى فقلت: يا رسول‌الله ما يبكيك قال:(يا علي ابكي لما يستحل‌منك في‌هذاالشهر كأني بك وانت تريد ان تصلي وقد انبعث اليك اشقى الاولين والاخرين ، شقيق عاقر ناقة صالح يضربك بضربة على رأسك‌فيخضب بها لحيتك فقلت: يا رسول‌الله وذلك في‌سلامة من‌ديني؟ قال: في سلامةمن دينك، قلت : هذا من مواطن البشرى والشكر .

ثم قال :(يا علي من قتلك فقد قتلني ومن ابغضك فقد ابغضني‌ومن سبك‌فقد سبني لانك مني كنفسي و روحك من روحي ، وطينتك من طينتي وان الله خلقني وخلقك‌من نوره ، واصطفاني‌واصطفاك‌فاختارني‌للنبوة ، واختارك‌للامامة ، فمن‌انكر امامتك فقد انكر نبوتي يا علي انت وصيي و وارثي وابوولدي و زوج ابنتي ، امرك امري، و نهيك نهيي ، اقسم بالله الذي بعثني بالنبوة وجعلني خير البرية انك لحجة الله على خلقه وامينه على سره، وخليفته على‌عباده. (٢)

---

(١) كشف اليقين ص ٩٢-٩٣

(٢) ينابيع المودة الباب السابع ص٥٣ .

العاشرة احاديث تتعلق برسول الله -ص- فمن ذلك بكاء ابى بكر عند ما قال -ص-:(ان عبداً خيره الله تعالى... الخ» وقد رواه فى غير موضع من البخارى وغيره ومنه حديث ابى بكر عند مادخل عليه وهو مسجى ففى غير موضع من البخارى عن عائشة: فكشف عن وجهه ثم اكب عليه يقبله.

ثم بكى فقال بابى انت وامى يا نبى الله، والله لا يجمع الله عليك موتتين اما الموتة الاولى التى كتبت عليك فقدمتها(١).

و منه ما فى فضل ابى بكر قال : فنشج الناس يبكون (يعنى لموت رسول الله -ص-).(٢)

ومنه مافى الجزء الثالث من الاجزاء الاربعة فى آخر باب وفات النبى -ص- عن انس قال : لما ثقل النبى -ص- جعل يتغشاه فقالت فاطمة: واكرب اباه

فقال -ص- لها: «ليس على ابيك كرب بعد اليوم» فلما مات قالت :«يا ابتاه اجاب رباً دعاه من جنة الفردوس مأواه يا ابتاه الى جبرئيل ننعاه » فلما دفن قالت فاطمة يا انس (أطابت انفسكم ان تحثوا على رسول الله -ص- التراب)؟.(٣)

ينابيع المودة فى رسالة مودة القربى ثم رجعت فاطمة الى بيتها و اجتمعت اليها النساء فقالت فاطمة - صلوات الله عليها - (انقطع عنا خبر السماء) ثم قالت مرثية:

اغبر آفاق البلاد و كورت — شمس النهار واظلم العصران
والارض من بعد النبى حزينة — اثنى عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد و غربها — و ليبكه مصر و كل يمان
نفسى فداك ذاك لديك مايلا — ماوسدوك وسادة الورشان(٤)

---

(١) البخارى : كتاب النبى الى كسرى باب مرض النبى ووفاته ج٦
(٢) البخارى ج٥ باب فضائل اصحاب النبى باب مناقب المهاجرين وفضلهم
(٣) البخارى كتاب النبى الى كسرى ج٦ باب مرض النبى ووفاته .
(٤) ينابيع المودة كتاب مودة القربى ص٢٦٥ .

وعن كتاب الخوارزمي فيما ظنناه عن علي بن احمد العاصمي، باسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه عن علي - ع - ان فاطمة لما توفى رسول الله - ص - كانت تقول: (وا أبتاه من ربه ما ادناه وا أبتاه جنان الخلد مأواه وا ابتاه يكرمه ربه اذا أتاه، يا ابتاه الرب والرسل يسلم عليه حين تلقاه فلما ماتت فاطمة قال علي يرثيها: لكل اجتماع الى آخر الابيات التي مر ذكرها.

وذكر الحاكم ان فاطمة لما ماتت انشأ علي - ع -

نفسي على زفراتها محبوسة   ياليتها خرجت مع الزفرات
لاخير بعدك في الحياة وانما   ابكي مخافة ان تطول حياتي

الى ان قال: وذكر وهب بن منبة عن ابن عباس فساق حديثه .. الى ان قال: لما توفيت شقت اسماء جيبها، وخرجت فتلقاها الحسن والحسين فقالا، اين امنا؟ فسكتت فدخلا البيت فاذا هي ممتدة، فحركها الحسين فاذا هي ميتة فقال(ياأخاه آجرك الله في الوالدة) و خرجا يناديان: (يامحمداه، يا احمداه اليوم جددلنا موتك اذ ماتت امنا) ثم اخبرا علياً - ع - و هو في المسجد فغشي عليه حتى رش عليه الماء، ثم افاق فحملها حتى ادخلها بيت فاطمة، و عند رأسها اسماء تبكي و تقول: وايتامى محمد كنا نتعزى بفاطمة فكشف عن وجهها .. الخبر ذكرناه للمناسبة. (١)

مسلم في فضائل ام ايمن عن انس قال قال ابوبكر بعد وفاة رسول الله - ص - لعمر: انطلق بنا الى ام ايمن نزورها كما كان رسول الله - ص - يزورها، فلما انتهيا اليها بكت فقالا لها: ما يبكيك ما عندالله خير لرسول الله - ص -؟ فقالت: ما ابكي ان لا اكون اعلم ان ما عندالله خير لرسول الله - ص - ولكن ابكي ان الوحي انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها. (٢)

---

(١) مستدرك الحاكم ج٣ كتاب معرفة الصحابة.

(٢) مسلم ج٧ كتاب الفضائل فضائل ام أيمن

(اقول) : وفي سيرة ابن هشام نقل اربع قصائد في رثاء رسول الله (ص) وفي روض الفائق في مجلس وفاته (ص)، اقاصيص في كيفية البكاء عليه من عمر وغيره، وان كان جملة منها مختلقة فان عمر في اول الامر - على ما في البخاري - كان ينكر موته صلى الله عليه و آله و يهدد مدعيه، ثم لما تنبه بتنبيه ابي بكر، و فشاء موته اشتغلوا بأمر السقيفة فمتى عرض له ذلك الذي رواه؟ ويقرب من حاله حال ابي بكر ...

الاترى كيف يذكرون ماارادوا ولايلاحظون مافي صحاحهم ايضاً؟ ولكن الامر كان افظع من ذلك وان خلت عن تفصيله جلّ رواياتهم.

الحادية عشرة: البكاء على من حقه على الأمة كحق الوالد على ولده

الخوارزمي بسند طويل عن حريث بن عمرو قال: حضر عند معاوية (الحسن بن علي) وعبدالله بن جعفر، وعقيل بن ابي طالب وعمرو بن العاص وسعد ومروان ومن حضر من الناس وفيهم ابو الطفيل الكناني والشاميون يشيرون اليه ويقولون: هذا صاحب علي اذ قال معاوية: يااخا كنانة من احب الناس اليك؟ فبكى ابو الطفيل ثم قال احب الناس الي والله امام الائمة والامة وقائدها واشجعها قلباً واشرفها أباً، وجداً، واطولها باعاً، و ارحبها ذراعاً، واكرمها طباعاً، واشمخها ارتفاعاً.

فقال معاوية: يا ابا الطفيل ما اردنا هذا كله، قال: ولاانا قلت العشر من افعاله ثم انشأ يقول:

صهر النبي فذاك الله اكرمه	اذا اصطفاه وذاك الصهر مدخر
فقام بالامر بالتقوى ابو حسن	بخ بخ هنالك فضل ماله خطر
لا يسلم القرن منه ان ألم به	ولايهاب و ان اعداؤه كثروا
من رام صولته وافى منيته	لايدفع الثكل من اقرانه الحذر

وقال وفيه ابياتاً - الخبر. (١)

اقول: و قال معاوية لبعض اصحاب امير المؤمنين عليه السلام: كيف

---

(١) المناقب في باب في فضائل له شتى ص٢٣٩.

وجدك على ابى الحسن ؟ فقال: كوجد يعقوب على يوسف ، و اتوب الى الله من التقصير .

هذا ولاصحابه ـ عليه السلام ـ عندمعاوية قصص وحكايات جاء بعضها في (مروج الذهب) وجملة منها في شرح ابن ابى الحديد فليلاحظ .

الخوارزمى فى قصة صفين: واقبل على ـ ع ـ على الاشتر و قال: (يا مالك معى راية لم اخرجها الا يومى هذا وهى اول راية اخرجها النبى ـ ص ـ وقد قال لى عند وفاته يا ابا الحسن انك لتحارب الناكثين و القاسطين و المارقين ، واى تعب ونصب يصيبك من اهل الشام فاصبر على ما اصابك ان الله مع الصابرين).

ثم اخرج الراية وقد عفت وبليت فبكى الناس لمارأوها بكاء عالياً وقبلها من وجد اليها سبيلا ـ الخبر.(١)

وبسند طويل عن صعصعة بن صوحان لما عقد على ـ ع ـ الالوية اخرج لواء رسول الله ـ ص ـ فعقده ودعا قيس بن سعد بن عبادة فدفعت اليه و اجتمعت الانصار واهل بدر فلما نظروا الى لواء رسول الله ـ ص ـ بكوا وانشأ قيس يقول :

هذا اللواء الذى كنا نحف به دون النبى وجبريل لنا مدد
ماضر من كانت الانصار عيبته ان لايكون لهم من غيرهم عضد(٢)

وعن البيهقى فى الدلايل : قال لما قبض رسول الله ـ ص ـ احدق به اصحابه فبكوا حوله واجتمعوا اذدخل رجل اشهب اللحية ، جسيم، صبيح ، فتخطى رقابهم فبكى ثم التفت الى اصحاب رسول الله ـ ص ـ فقال : (ان فى الله عزاء من كل مصيبة ، وعوضاً من كل فائت وخلفا من كل هالك ، والى الله فانيبوا واليه فارغبوا ونظره اليكم فى البلاء فانظروا، فان المصاف من لم يجبر) فانصرف ، فقال بعضهم

---

(١) المناقب الفصل الثالث فى قتال اهل الشام ص١٧١ .

(٢) المناقب الفصل الثالث فى قتال اهل الشام ص١٢٦ .

لبعض تعرفون الرجل ؟ فقال على عليه السلام (هذا اخو رسول الله ـ ص ـ هذا الخضر) . (١)

وفى المناقب للخوارزمى بسنده فى خبرشهادة على ـ عليه‌السلام ـ و هو خبر طويل : بينماهم عنده وابن‌ملجم مكتوف بين يديه اذنادت ام كلثوم بنت على ـ ع ـ فقالت : اى عد والله انه لابأس على أبى والله‌يخزيك‌فقال :على‌ما من‌تبكين لقداشتريت سيفى بالف و سممته بالف ، و لو كانت هذه الضربة لجميع اهل الارض ما بقى احد !. (٢)

وفى‌الباب الثالث والخمسين من ينابيع المودة عن المناقب عن حبيب بن عمرو قال : دخلت على امير المؤمنين فى‌عيادته بعد جرحه فقال :(ياحبيب اناوالله مفارقكم الساعة) فبكت ابنته ام كلثوم .

فقال لها : (يا بنتاه لا تبكين فو الله لوترين مايرئ ابوك ما بكيت ـ ارى الملائكة وهم ملائكة الرحمة وارى النبيين و المرسلين و قوفاً عندى و هذا اخى محمد رسول‌الله صلى الله عليه و آله وهذه فاطمة وخديجة وهؤلاء حمزة ، و جعفر وعبيدة عندى و محمد (ص) يقول : اناامامك خيرلك مماانت فيه (ثم‌قال‌الله‌الله‌الله) فتوفى ـ الخبر.(٣)

و قد روى فى غير موضع قصة الاوز و قوله عليه ألسلام « دعوهن فانهن نوايح » .

اقول : و تفصيل مقتله تجده فى كتاب ابى الحسن البكرى‌فليراجع ليعرف البكاء عليه و من بكى .

الخوارزمى بسند طويل عن الزهرى قال : قال عبدالملك بن مروان : اى واحد انت ان حدثتنى‌ماكانت علامة يوم قتل على (ع) قال : يا امير المؤمنين ما

---

(١) مسلم ج٧ فضائل ام‌ايمن .

(٢) المناقب فى باب مقتله ص٢٧٨

(٣) ينابيع المودة ص١٦٣-١٦٤.

رفعت حصاة من بيت المقدس الا كان تحتها دم عبيط فقال : انى واياك غريبان فى هذا الحديث. (١)

و فى ينابيع المودة عن ذخائر العقبى عن ابن شهاب قدمت الشام فاتيت عبدالملك بن مروان فقال : يابن شهاب اتعلم ما كان فى بيت المقدس صباح قتل على ؟ قلت نعم لم يرفع حجر فى بيت المقدس الا وجد تحته دم عبيط ، فقال : لم يبق احد يعلم هذا غيرى وغيرك فلايسمع منك احد.. فماحدثت احداً حتى توفى اخرجه ابن الضحاك.(٢)

و عن جواهر العقدين عن البيهقى عن الزهرى هذه القصة بوجه ابسط(٣) .

وعن الزهرى ان اسماء الانصارية اخبرته : ماوقع حجر بايليا حين قتل على بن ابيطالب الاوجد تحته دم عبيط رواه البيهقى.(٤)

ومن غرائب ذلك بكاء معاوية عليه ففى حديث ضرار فى رواية الشيخ فى الصواعق وغيره بعد وصف ضرار له : فبكى معاوية وقال: رحم الله ابا الحسن كان والله كذلك .(٥)

وقال السبط فيمارواه باسناده عن الكلبى عن ابى صالح من هذه القصة فذرفت دموع معاوية على خديه ولحيته فلم يملك ردها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكـاء .

ثم قال معاوية : رحم الله ابا الحسن فلقد كان والله كذلك ، وكيف حزنك عليه ياضرار فقال : (حزن من ذبح ولدها فى حجرها فلا ترقأ عبرتها و لا يسكن حزنها) قال السبط قال الواقدى : ولما بلغ خبره الصحابة بكوا عليه وقال ابو مسعود

---

(١) المناقب ص٢٨٠ فى مقتله ــ ع ــ .

(٢) ينابيع المودة الباب السادس والخمسون ص٢٢٠.

(٣) ينابيع المودة الباب السادس والخمسون ص ٢٣٠ .

(٤) ينابيع المودة الباب السادس والخمسون ص٢٣٠ .

(٥) الصواعق المحرقة الباب التاسع الفصل الرابع ص١٣٠ .

الانصارى : كنانعده خير البشر. (١)

وفى الباب الواحد والخمسين من ينابيع المودة عن ذخيرة الملوك للسيد على الهمدانى ان علياً كان معتكفاً فى مسجد الكوفة جاء اعرابى وقت افطاره فاخرج على من جراب سويق شعير فاعطاه منه شيئاً فلم يأكل الاعرابى فعقده فى طرف عمامته فجاء الى دار الحسنين فاكل معهما فقال لهما : رأيت شيخاً غريباً فى المسجد لا يجد غير هذا السويق فترحمت عليه فاحمل هذا الطعام اليه ليأكله فبكيا وقالا : انه ابونا امير المؤمنين على يجاهد نفسه بهذه الرياضة . (٢)

(اقول) : ويلحق بذلك مارواه ابن حجر فى الصواعق قال : اخرج البزاز و غيره ان الحسن لما استخلف فبينما هو يصلى اذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر و هو ساجد .

ثم خطب الناس فقال : (يا اهل العراق اتقوا الله فينا فانا امراؤكم وضيفانكم و نحن اهل البيت الذين قال الله فيهم : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيراً) (٣) فما زال يقولها حتى ما بقى احد فى المسجد الاوهو يبكى .

قال ولما مات عليه السلام بكى مروان فى جنازته فقال له الحسين :(اتبكيه وقد كنت تجرعه ماتجرعه ؟) قال : انى كنت افعل ذلك الى احلم من هذا ـ واشار الى الجبل ـ ورواه فى تاريخ الخلفاء عن تاريخ ابن عساكر عن جويرية عن ابن اسماء . (٤)

الثانية عشرة : اخبار فى بكاء الصحابة بعضهم على بعض بمحضر من رسول الله (ص) ومسمع منه ومرأى ورثائهم ، و هى تعرف من مراجعة سيرة ابن

---

(١) تذكرة الخواص باب زهده وخوفه ص٦٨ .

(٢) ينابيع المودة ص١٤٧ .

(٣) الاحزاب ـ ٣٣ .

(٤) الصواعق المحرقة الباب العاشر الفصل الثالث ص١٣٧و١٣٨ .

هشام وشرح ابن ابى الحديد ونحوهما خصوصاً فى غزوة احد ، ومؤتة و نحوهما مما كثر القتل فيهم كاصحاب بئرمعونة ونحو ذلك ، ومايتعلق من ذلك بحمزة وجعفر قد اوردناه فى كتابنا (مطلع الشمسين فى فضل حمزة وجعفرذى الجناحين) ولاحاجة الى ايراد ذلك هنا .

الثالثة عشرة : اخبار بكاء الانبياء عند المصيبات فمن ذلك بكاء آدم على ولده وانه رثاه ونظم مضمونه بابيات نقلها الطبرسى -ره- فى مجمع البيان (١) والثعلبى فى العرائس وغيرهما بل هى مشهورة وفيما نقله فى العرائس عن ابن عباس :

ومالى لأجود بسكب دمع وهابيل تضمنه الضريح (٢)

وعن سالم بن ابى الجعد انه مكث مائة سنة لايضحك ثم اتى فقيل له : حياك الله واضحكك ولاابكاك . (٣)

ومن ذلك بكاء ابراهيم واسماعيل : فى العرائس ثم انه اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهو يبكى والابن يبكى حتى استنبع الدمع تحت خده. (٤)

ومن ذلك البكاء على يوسف : فى خبر يرويه فى العرايس عن جماعة فعند ذلك بكت الملائكة رحمة ليوسف .

وفيه ايضاً القاؤه نفسه على قبر امه راحيل وأنه بكى لما لقا اخوته ، و كذا اذا قرأ كتاب ابيه لم يتمالك نفسه من البكاء ، وحال يعقوب فى امره واضح يكفى فيه الايات (٥) .

وعن الثورى لما التقيا عانق كل واحد منهما الاخر وبكيا فقال يوسف : ياابت بكيت على حتى ذهب بصرك - الخبر(٦) .

---

(١) مجمع البيان ج

(٢-٣) العرائس فى قصة هابيل وقابيل ص٦٤ ط بمبىء عام ١٢٩٥هـ .

(٤) العرائس فى قصة ذبح اسماعيل ص١٣٠ .

(٥) العرائس قصة يوسف ص١٥٥ .

(٦) راجع المصدر السابق .

و قد بكى زكريا و زوجته لما رأيا من يحيى الى غير ذلك مما يعرف من اقاصيصهم والاخبار الواردة فى امرهم ممالايخفى على من تتبع واستقصى وتدبر .

الرابعة عشرة : الاخبار التى يظهر منها حسن البكاء على الميت المؤمن:

فقد روى فى العرائس بكاء السماء على آدم عليه السلام ستة ايام والقصة فى يحيى . (١)

وفى ينابيع المودة (خالطوا الناس مخالطة امير المؤمنين - ع -) (خالطوا الناس مخالطة ان متم بكوا عليكم وان عشتم حنوا اليكم) .

وفى مشارق الانوار :اخرج الترمذى وابويعلى وابونعيم وابن ابى الدنيا قال: (مامن انسان الاوله بابان فى السماء باب يصعد فيه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات العبد المؤمن بكيا عليه) .

واخرج ابن جرير عن ابن عباس انه سئل عن قوله تعالى : « فمابكت عليهم السماء والارض (٢)» هل تبكى السماء على احد .

قال : نعم انه ليس احد من الخلائق الاله باب فى السماء منه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله فاذا مات المؤمن اغلق بابه من السماء الذى يصعد فيه عمله و ينزل منه رزقه ، فقد بكى عليه ، فاذا فقده مصلاه من الارض التى كان يصلى فيها ويذكر الله فيها بكى عليه الخبر .

وفيه ان قوم فرعون لم يكن لهم ذلك .

واخرج عن محمد بن كعب قال : ان الارض لتبكى من رجل و تبكى على رجل تبكى على من كان يعمل على ظهرها بطاعة الله وتبكى من رجل يعمل على ظهرها بمعصية الله .

قال الشيخ عبد الباقى على خليل : (فائدة) قال ـ ص ـ (لا غربة على

---

(١) المصدر السابق ص١٩١ .

(٢) الدخان ـ٢٩

المؤمن ما مات مؤمن بـارض غربة غابت عنه فيها بواكيه الا بكت عليه فيها السماء والارض) .

قال : و فى البنانى ذكر هذه الاحاديث فى النوادر عن ابن حبيب كما فى الحطاب . (١)

و فى البخارى فى باب مايكره من النياحة على الميت و قال عمر : دعهن يبكين على ابى سليمان مالم يكن نقع او لقلقة والنقع التراب على الرأس واللقلقة الصوت . (٢)

و هذا لم يصح عنده على شرطه على قاعدته فى ايراد الحديث و ببالى انى رأيته فى غرائب حديث عمر من شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد بلفظه اومعناه فلا حظ .

قال ابن هشام قال ابن اسحاق ثم انصرف رسول الله (ص) راجعاً الى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش كما ذكر لى فلما لقيت الناس نعى اليها اخوهـا عبدالله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له ثم نعى لها خالها حمزة ابن عبدالمطلب فاسترجعت و استغفرت له ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت و ولولت ، فقال رسول الله (ص) : (ان زوج المرأة منها لبمكان) لما رأى من تثبتها عليهما وصياحها عليه (٣) على زوجها .

الخوارزمى قال ابن اسحاق : وسمع فى ذلك اليوم (٤) و هاجت ريح و

---

(١) المشارق ص٣٦-٣٧ .

(٢) البخارى ج٢ كتاب الجنائز.

(٣) سيرة ابن هشام ج٣ غزوة أحد ص١٠٤ .

(٤) يعنى يوم احد كما يدل عليه سياق كلامه ، والامر بالبكاء كما لايخفى . هذا وابن هشام لم يرو ذلك عن ابن اسحاق فى وقعة احد نعم قال : قال ابن هشام : وحدثنى بعض اهل العلم ان ابن ابى نجيح قال : نادى مناد يوم احد : لاسيف الاذوالفقار ولافتى الاعلى وقدروى ماورواه ابن اسحاق الطوسى من الامامية ايضاً ، وقد ذكر ابن هشام ايضا فى ذكر سيف رسول الله -ص يوم احد وكان يقال له : ذوالفقار - من المؤلف -

سمع مناد يقول :

لاسيف الا ذو الفقار ولا فتى الا على

فاذا ندبتم هالكاً فابكوا الوفى اخاالوفى

اقول : يعنى حمزة اخا ابى طالب ' وأصل نداء «لاسيف» الى آخر العبارة قيل بوقوعه فى بدر .

وقال الخوارزمى فى «اسماء على» : اسمه الذى اشتهر به على وجاء فيه يوم بدر حين احسن البلاء النداء :

لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا على

وروى محمدبن يوسف الشافعى الكنجى فى «كفاية الطالب» عدة روايات فى ان رضوان خازن الجنان نادى هذا النداء يوم بدر وينبغى ملاحظة تلك الروايات ورواه فى «أحد» العلامة ايضاً عن الخوارزمى ، (٣) وجماعة من الجمهور ورواه الدار قطنى ايضا على مافى الصواعق ، و عن كشف الغمـة رواية زيدبن وهب و عكرمة وغيرهما وقال : قدنقلها الرواةوتداولها الاخباريون ، ولم ينفرد بهاالشيعة(٤)

ومن ذلك يظهرلك ضعف انكار الروز بهانى لوقوعه فى بدر باشد الاستنكار وكذا مانقله السبط (٥) عن ابن الجوزى من تضعيفه لوقوعه فـى «أحد» بواسطة عيسى بن مهران لتشيعه' وكذا تسليم بعض الفحول بان وقوعه فى بدر ليس من طرق العامة فانه لم يطلع على ماذكرناه . . (٦)

واما وقوعه فى «خيبر» حسب مارواه السبط (٧) فلانمنع عنه ايضا بعدامكان

---

(١) المناقب ص ١٠٧ .

(٢) المناقب ص ٦ .

(٣) كشف اليقين ص ٢٨ غزوه احد

(٤) كشف الغمه غزوة احد ص ٥٦

(٥و٦و٧) تذكرة الخواص ص ١

التعدد بل تحقق هذا التعدد حيث رأيت كيف انه وقع فی بدر مرة و فـی احد مرة أخرى .

و ممن اجاب هذا النداء اطوع الخلق لله و اتقاهم : رسول الله (ص) ففـی ينابيع المودة : عن ابن مسعود ان النبی ـص ـ صلی علی حمزة وبكی ، وهو يقول «ياحمزه ياعمی يااسدالله واسد رسوله يافاعل الخيرات ، ياكاشف الكربات» وطال بكاؤه ، فدعی برجل رجل حتی صلی علی سبعين رجلا وحمزة موضوع بين يديه اخرجه ابن شاذان . (١)

وقال ابن ابی الحديد وروی : ان صفية لماجاءت حالت الأنصار بينها وبين رسول الله ـص ـ فقال ـص ـ : «دعوها» فجلست عنده، فجعلت اذابكت بكی رسول الله ـص ـ واذا نشجت ينشج، وجعلت فاطمة تبكی ، فلمابكت بكی رسول الله ص ثم قال ـص ـ : «لن اصاب بمثل حمزة ابداً» ثم قال لصفية وفاطمة : «ابشرا ، أتانی جبرئيل فاخبرنی ان حمزة مكتوب فی اهل السماوات السبع حمزة بن عبدالمطلب اسدالله واسدرسوله».(٢)

وذكر ابن هشام ان صفية قالت فی شعرها :

فوالله ما انساك ماهبت الصبا — بكاء وحزناً محضری و مسيری
علی اسدالله الذی كان مدرهاً — يذود عن الا سلام كل كفور
فياليت سلوی عند ذاك واعظمی — لذی اضبع تعتادنی ونسور
اقول و قد أعلی النعی عشيرتی — جزی الله خيراً من اخ ونصير (٣)

وقال ابن ابی الحديد فی ذكر دفن حمزة : فبكی المسلمون يومئذ وقالوا : يارسول الله : عم رسول الله يقتل ولايوجد له ثوب ؟! ـ الخبر . (٤)

---

(١) ينابيع المودة ص٢٢٥ الباب السادس والخمسون

(٢) شرح نهج البلاغه ج١٥ ص١٧

(٣) سيرة ابن هشام ج٣ غزوة احد ص١٧٦

(٤) شرح ابن ابی الحديد ج١٥ ص٣٨ .

وقال ابو الليث فى كتابه بستان العارفين : (١) وروى عن النبى -ص- انه مر بنى عبدالاشهل وقت انصرافه وهم يندبون قتلاهم بعد يوم أحد فقال : «كل له باك لكن حمزة لابواكى له» فلماسمعن بذلك جئن الى باب النبى وهن يبكين على حمزة ورسول الله -ص- يبكى فى البيت حتى سمع نشيجه . يعنى بكاءه بالرفق(٢).

وقال ابن هشام قال ابن اسحاق : ومررسول الله - بدارمن دور الانصار من بنى عبد الاشهل وظفر فسمع البكاء و النوايح على قتلاهم فذرفت عينا رسول الله (ص) فبكى .

ثم قال : «لكن حمزة لابواكى له» فلما رجع سعدبن معاذ و اسيدبن خضير الى دار بنى عبد الاشهل أمرا نسائهم انيتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله - ص- .

قال ابن اسحاق : حدثنى حكيم بن حكيم بن عبادبن حنيف عن بعض رجال بنى عبد الاشهل قال: لماسمع رسول الله -ص- بكائهن على حمزة خرج اليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه ،فقال : «ارجعن يرحمكن الله فقدآسيتن بانفسكن

قال : ابن هشام ونهى يومئذ عن النوح .

قال ابن هشام] كذا فى النسخة] وحدثنى ابو عبيدة ان رسول الله (ص) لما سمع بكائهن قال : « رحم الانصار فان المواساة منهم ما علمت قديمة ومروهن فلينصرفن». (٣)

اقول اماماذكره من انه نهى عن النوح يومئذ ففيه امور:

الاول : ان الاخبار الناهية عنه ليس فيها تاريخ ذلك اوظاهرة فى غير واقعة اليوم كمالا يخفى و كأنه حمل الامربالرجوع و نحوه على المنع ، و فيه ما لا يخفى من الاشكال .

---

(١) بستان العارفين بهامش تنبيه الغافلين ص١١٠

(٢) فى تفسير ابى الليث هذا مالايخفى فان النشيج هو الصوت مع توجع و بكاء

(٣) سيرة بن هشام ج٢ غزوة أحد ص١٠٥

الثاني: ان المنهى عنه- على ما عرفت - ما كان بباطل وهو كان قبل اليوم ، واما غيره مما لم يكن بباطل فلم يمنع منه اصلا- حسب ما مر عليك - و يشير الى هذا المعنى هذه الروايات ايضاً، اذكيف يكون منهياً وقبيحاً ويعد مواساة ويترحم على فاعلها ، أو يحزن رسول الله - ص - و يبكى لان حمزة لابواكى له ويجب وجود البواكى له .. وكيف يمتد ذلك الى مديدالايام حيث يبدؤن بحمزة فى النوح على موتاهم الى اليوم' الى غيرذلك كالمراثى التى حكاها.

الثالث: النوح على جعفر، ابن ابى الحديد عن الواقدى عن مالك بن ابى الرجال عن عبدالله بن ابى بكربن حزم عن ام جعفر بنت محمدبن جعفرعن جدتها اسماء فى حديث :ثم ذرفت عينا رسول الله-ص-فبكى فقلت: يارسول الله -ص - لعله بلغك عن جعفرشيء قال:«نعم انه قتل اليوم» فقمت اصيح واجتمع الى النساء فجعل رسول الله -ص- يقول: يااسماء لاتقولى هجراً ولا تضربى صدرا ، ثم خرج فدخل على ابنته فاطمةوهى تقول : واويلاه فقال - ص - :«على مثل جعفر فلتبك الباكية» الخبر(١) .

وفى ينابيع المودة : «على مثل جعفر فلتبك الباكية» لابن عساكر.

ابن ابى الحديد عن الاستيعاب فى ترجمة زيد ان رسول الله - ص - لما اتاه قتل جعفر وزيد بمؤتة بكى وقال : «اخواى ومونساى ومحدثاى» (٢)

ثم ان من ملاحظة مجموع ما سقناه من الاخبارالى هنا يظهر لك جوازالبكاء بانواعه عند كل مصيبة لكل احد بصوت وغيره بل وقبل المصيبة اذا عرف وقوعها وبعدها اذا تذكرها من غير منع من ذلك شرعاً، لاتحريماً ولاكراهة ، وسيتضح ذلك فيما بعد ايضاً .

كما ظهرلك - مما سقناه الى هنا- اختصاص المنع من النوح بماكان بباطل ،

---

(١) شرح نهج البلاغه ج١٥ ص٧١

(٢) شرح نهج البلاغة ج١٥ص٧٣

وحكمه تابع لذلك الباطل.

ومنه ظهر حال مافي المشارق للحمزاوى قال [قال الظاهر انه يرويه عن عبد الباقى] ويجوز البكاء عند موته بلا رفع صوت ، و بلا قول قبيح، والأفضل تركه ان استطاع ومحل عدم الحرمة مالم يكن بنوح ، ويكره مع اجتماع النساء بلارفع صوت والاحرم لقوله ـص ـ: «لعن الله الصالقة» يعنى الرافعة صوتها، الى ان قال: قال العلامة الامير نقلا عن البنانى : المحرم الرفع العالى لا مطلق الصوت انتهى وقد علمت ان محل عدم الحرمة فى عدم الصوت مالم يصاحبه قول قبيح .

وفى الحديث: «ليس منا من حلق وخرق وزلق وصلق» اى حلق الشعر لاجل اظهار الحزن والخرق هو خرق الثوب اى شقه ولايعد ذلك ردة كما يعتقده بعض العوام و لذلك قال عبد الباقى : وهو ظن فاسد . والزلق ضرب الخدود والصلق الصياح فى البكاء وقبيح القول، والمراد ليس على سنتنا وطريقتنا لما فيه من اظهار الجزع وعدم الرضا والتسليم لفعل العزيز الحكيم(١)

مع ان ما ذكره اخيراً يلائم الكراهة دون التحريم كما لا يخفى فتأمل ' وهذا بعض ما ينبغى سياقه فى هذا الوجه الاول من وجوه الاستدلال لجواز البكاء.. وفيه غنى وكفاية.

---

(١) المشارق ص ٣٧

الثانى من وجوه الاستدلال

لجواز البكاء

ان البكاء من حيث هوبكاء و صباب الدمع من العين ، و ان اقترن بصوت الباكى:- باى نوع كان-لم يثبت نهى عنه- كما عرفت فى الكلام على دليل المنع بل ولاقبح فيه ايضاً، بوجه، وانما نشأ زعم المنع مما توهموه من أنه يكشف عن أمر القبيح (١) والمذموم ولكن هذا لايوجب المنع عن البكاء مطلقاً (من حيث هو بكاء) وذلك لوجوه:

(الاول) ان البكاء (من حيث هو) اعم مورداً من وجود ذلك الامر الموهوم، حسب ما نطقت به الجملة من تلك الأخبار السابقة ، كقوله « هذه رحمة » و شبه ذلك (٢) وبعد هذه الاعمية لايصح المنع عنه الا فى مورد علم استناده فيه الى امر قبيح مذموم يعاقب عليه او يعاتب ، بل ولا فى هذا المورد ايضاً اذا لم يقم دليل على المنع عن عنوان البكاء ، اونوع خاص منه ، اذ الكاشف عن قبيح المستور و الدليل عليه لايكون قبيحاً مثله بل المنع يختص بالمكشوف عنه فقط كما هو واضح ...

(الثانى) ان بكاء الباكى فعل للباكى يكشف عما فى ضميره من الصفات

---

(١) يعنى انه يكشف عن الانزعاج النفسانى من المصيبة الواقعة

(٢)من الروايات التى تفيد بان البكاء غالباً مايتسبب عن رقة القلب والرحمة .

واحوال النفس ، وانما يكون له حكم ذلك المكشوف اذا كان متحداً معه ، وكان ذلك الكاشف مصداقاً له (اى لما فى الضمير).

اما اذا لم يكن كذلك فالموجود والمحقق هو: القبح والذم الفاعليان دون الفعليين، وهذا القدر لايكفى فى المنع من ذلك الفعل، فان الفعل المزبور اذا لم يعد جزعاً اوسخطاً لفعل الخالق الحكيم مثلا، لم يكن ممنوعاً فى حدنفسه.

وأما الأمر المبغوض الذى ينكشف به فهو موجود فى النفس بكى اولم يبك

وبالجملة فان اتحد البكاء اوقسم منه مع امرمبغوض حرمة او كراهة، اتجه المنع فيه، بذلك الوجه لذلك، والافلا فكيف يصح المنع منه(١) مطلقاً بعدان عرفت أعميته ، وبعد أن علمت عدم اتحاده مصداقاً مع شىء من الامور المبغوضة كما لايخفى على أحد.

وبعبارة اخرى: ان كل واحد من احوال النفس و ملكاتها لها آثار و لوازم تبدو فى الجوارح، وهى مع قطع النظر(اى قبل ان تبدو على الجوارح) لا تكون مورد التكليف ولا موضع الاحكام الشرعية، بل ولا مؤاخذة عليها انقبحت ، لولا ظهورها على الجوارح ، كما لاثواب لها لو حسنت الا باعتبار ظهورها و آثارها فى الجوارح(٢).

فحينئذ (٣) تكون فعلا للمكلف ومتعلقة للاحكام الشرعية، فالظاهر من هذه الاحوال النفسية فى الجوارح يكون محققاً لها ومصداقاً، ويثبت لها حكمها فى حين لن يكون هناك حكم، اذا انتفت مثل هذه المصداقية. كما هو واضح - بالنسبة الى الامور التى زعموا قبح البكاء من اجلها، ولااقل من ذلك فى جلها - كمالا يخفى -

---

(١) اى من البكاء.

(٢) الافى الكبر والحسد على مذهب بعض اصحابنا وهو ايضاً راجع الى التكليف بازالتهما كمالايخفى

(٣) اى عند ظهور هذه الاحوال النفسية على الجوارح

ونحن ايضاً لاندعى نفى البأس فيما يكون مصداقاً لقبيح وانما الغرض ابطال الكلية التى ادعاها الخصم، او ابطال الاطلاق و بيان عنوان موردالمنع بوجه ومورد الجواز، وفى الوجهين مما شاة مع الخصم كما لايخفى.

(الثالث) وهو موقوف على مقدمة وهى : ان الصفات الحسنة مطلقا لااشكال فى كونها سبباً لمزيد من الفيوضات الربانية ، حيث يكون صاحبها محبوباً عندالله تعالى، فيفعل الله تعالى به مايفعل بمن يحبه' ويكون اقرب اليه ، من تكثير نعم يحرم عنها من لا يكون بمنزلته عندالله تبارك وتعالى .

وكذا الصفات المذمومة القبيحة فى حد نفسها توجب البعد و الحرمان من افضال الله على العباد ، ومجرد ذلك القرب او البعد ليس من الثواب على الاولى والعقاب على الاخرى فى شىء وان كان الثانى من اشد العذاب عند اولى الالباب، والاول من احسن الثواب لما يترتب عليه فى المرجع والمآل و هو انفع من الثواب على سائر الحسنات حيث لا يتعداها و لا اجرها ' بخلاف هذا (١) فيمتد بامتداد الدهور و الاعوام ، وكذا فى خواص الصفات المذمومة ـ بل ذلك من (خواص) نفس تلك الصفات، و(آثار) الحب والبغض اللذين يلازمانها ، كمالايخفى

هذا بالنسبة الى ما قبل ظهورهما او آثارهما(٢) فى الجوارح ، واما بلحاظ ظهورهما فمن تلك الصفات مايكون له فى حد نفسه ثواب اوعقاب ، ويكون ذلك وجه حسنه او قبحه نظير الايمان و الكفر و اشباههما مما يستحق به العبد بمجرده ثواباً و عقاباً ، و يكون ذلك وجه الحسن و القبح فيه ، او مع الوجه الآخر كما هو بين .

و منها ما لايكون بمجرده موجباً للعقاب او الثواب بل يكون وجه حسنه (اداؤه) الى المحاسن اوالقبائح وهذا نظير الجود والبخل والرجاء والقنوط والطمع

---

(١) اى بخلاف القرب والبعد اللذين يمتدان بامتداد الدهور والايام

(٢) اى الصفات الحسنة والصفات المذمومة .

واليأس والعلم والجهل وغير ذلك مما لايحصى هنا، فهذه امور لولا مايترتب عليها من المحاسن و القبائح لم يترتب عليها ثواب و عقاب ، و ان كان صاحبها بمجرد وجودها يستحق التوفيق او الخذلان ونحوهما، وانهما مع ترتب ما يترتب عليهما من الحسن اوالقبح المقارن لها اوالمتحد معها لايوجب اجراً زيادة على ما يكون اجر نفس العمل بحيث لوكان العمل من غير صاحب هذا الوصف لكان اجره مثل ذلك بلاتفاوت .

نعم قد يوجب وجود الوصف صفاء في العمل او زيادة الخلوص فيه يزيد الثواب بواسطته او يوجب الاتصاف، بضده كون العمل اشق و نحو ذلك فيزيد الاجر : وهذا ليس من اجر ذلك الوصف ، بل من تفاوت اجر العمل بخصوصية فيه في صاحبه توجب تلك الزيادة

ويدلك على ذلك كون زكاة البخيل وصدقة الفقيرافضل الى غيرذلك.

وبالجملة فمن الخصال الحميدة اوالقبيحة ما يكون ذلك الثواب اوالعقاب ثابتاًله بملاحظته في حد نفسه .

ومنها مايكون بلحاظ مايترتب عليه من الحسن اوالقبح ،وفي الثاني لايوجب فوات الوصف الحسن الافوات تلك المحاسن التي تترتب عليه كائنة ما كانت وكذا وجود الوصف المذموم لايوجب الاالوقوع في مفاسد مايترتب عليه، فيتعرف حالهما وحكمهما من ملاحظة مايترتب عليهما وجوداً وعدماً ولايكفي مجرد كونه من الخصال الحميدة، في الحكم بوجوبه، ولاكونه من المذمومة في الحكم بالحرمة بل يستكشف حكمهما ممايترتب عليهماوجوداً وعدما ولعل ذلك اوضح من ان يخفى

واذا عرفت هذه المقدمة فنقول : معظم ماله دخل في اجرالمصاب هوالصبر وضده الجزع ، والرضا بقضاء الله، وضده سخط ماقدره الله والحب وضده البغض، والظاهر ان كلا من هذه الاوصاف الحسنة من القسم الثاني (١) ، فالصابر يفعل

---

(١) اى من قبيل الصفات التي لايترتب عليها الثواب الاباعتبار ماتؤول اليه من العمل .

مايحسن شرعاً ، ويترك مالايحبهالله ، وبه يحوز اجر المصيبة ، ويحفظه عن الاحباط الى غيرذلك ، وليس له (اى لاى احدمن هذه الاوصاف) فى حد نفسه أجر ، واما قوله : «انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب » (١) الى غير ذلك فاشارة الى ايجاب الصبرزيادة حسن العمل الموجب لزيادة فضله واجره ، واما مثل قوله: «صابروا ورابطوا»(٢) «واصبر وماصبرك الابالله» (٣)واشباههما فليس متعلق التكليف فيه هذا المعنى الوصفى ، بل الصبر الذى يكون فعلا للمكلف، ولذا يمكن الاطاعة ممن هو غير ساكن النفس ايضا (٤)

وهذا القسم ليس من محل الكلام هنا فى شىء اذ الصبر الفعلى بنفسه يوجد اوينعدم لأن الامر الاخر (اى عدم البكاء) يكون كاشفاً عن انتفائه وان فرض وجوده (اى البكاء) مقارناً لانعدام ذلك الصبر مع انه لايكون لذلك الشخص ايضاً الا ترك ذلك فيحرم اجره

واما ماورد مما ظاهره الثواب مثل قوله فى الصبر على المصيبة : «كتب الله له ثلاثمائة درجة مابين الدرجة الى الدرجة كمابين السماء الى الارض» فهو ايضاً من تأثيره فى مزيد حسن الفعل ـ كما عرفت ـ اومن الصبر الفعلى .

ويؤيده قوله : « ومن صبر على مصيبة حتى يردها بحسن العزاء كتب الله له . . الى آخر الحديث » (٥) فمن ترك الصبر فات عنه مايترتب على وجود ذلك الوصف من الحسنات ، واجر الصبر الفعلى من الحسنات ، وهو لايقتضى حرمة تركه ، بل تتوقف حرمته على وجوب ذلك الذى يترتب على وجود ذلك

---

(١) الزمر/١٠

(٢) آل عمران / ٢٠٠

(٣) النحل /١٢٧

(٤) اى لو كان و صف الصبر هو مطلوب المولى جل شانه هنا لما امكن امتثال من قبل غير ساكن النفس فيبدو ان مطلوب المولى هو ما يؤول اليه الصبر من فعل مايحسن شرعا وترك مالا يحبه الله .

(٥) كتاب اصول الكافى ج٢ ص٧٥

الوصف (١) اووجوب الصبر الفعلى مثل الصبر عندلقاء العدو فى الجهاد وشبه ذلك مما لايخفى .

واما الجزع فكون مذموميته انما هو بملاحظة مايفوت من صاحبه من الأجر اويصدر منه من القبيح فاظهر واكثر وضوحاً ، ويتضح ذلك من ملاحظة ماورد فى بيانه من الاخبار .

فعن الصادق ـ عليه السلام ـ : « وتفسير الجزع اضطراب القلب ، وتحزن الشخص ، وتغير السكون وتغير الحال ، وكل نازلة خلت اوائلها من الاخبات والانابة والتضرع الى الله ، صاحبها جزوع ، غير صابر »

وعن جابر عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال : « أشد الجزع الصراخ بالويل، والعويل ولطم الوجه والصدر وجز الشعر ، ومن اقام النواحة فقد ترك الصبرومن صبر واسترجع وحمدالله جل ذكره فقد رضى بما صنع ، ووقع اجره على الله، ومن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم ، واحبط الله أجره » وعن الصادق ـع ـ عن النبى ـص ـ « ضرب المسلم بيده على فخذه عند المصيبة احباط لاجره » الى غير ذلك مما يرشد الى ان الجزوع انما تفوته ثمرات الصبر واجر المصيبة ، ومعلوم ان حيازة ذلك ليست بواجبة .

واما قوله : « ملعون من فعل كذا » او « ليس منا . . » فلايدل على تحريم العمل لورودهما فى غير الحرام ايضا كما لايخفى على المتتبع الماهر ، فما يعد جزعاً ، وترك صبر لايكون حراماً ولامكروهاً اصطلاحاً ، وان كان مرجوحاً ومذموماً شرعاً حيث فوت الفضل ، او اوجب ترك الممدوح او المستحب ، مجرد ذلك لايوجب الكراهة الشرعية حيث تكون المرجوحية ، وكذا النهى غيريين لانفسيين ليكون مكروهاً . .

---

(١) يعنى اذاقلنا بان زيادة حسن الفعل واجبة كان الصبر الذى تتوقف عليه تلك الزيادة واجباً ايضاً

نعم في مثل خمش الوجوه ، وجز الشعر ، وشق الثوب لاتبعد الحرمة لحرمة هذه الامور شرعاً ، ولكنه مع ذلك لايوجب حرمة مطلق الجزع بما هو جزع ، واضطراب النفس ، وانما هو امر مذموم أدى ـ هنا ـ الى الوقوع فى الحرام ـ كما لايخفى ـ وهكذا الامر بالنسبة الى الرضا بقضاء الله وسخط ما قدره ، حيث ليسا من الواجب والحرام الشرعيين وان كانا يؤديان الى حسن اوقبيح ، ويكون الحسن و القبح فيهما لذلك (اى لادائهما الى الفعل الحسن او الفعل القبيح) اذ الكلام فى اتصاف نفس العنوان بالوجوب اوالحرمة ، وهولم يثبت بعد كمالايخفى وان كان الرضا بقضاءه تعالى من لوازم الايمان بالله والعبودية لله فلاحظ ذلك جيداً . .

ان المهم ـ هنا ـ هو نفى حرمة الجزع ، ونحوه ممايكشف عنه بكاء المصاب من الصفات المذمومة ، اويتحد معه ايضا ، اونفى كونه من المكروهات الشرعية ، ومثل هذا النفى لايتوقف على انكارمذمومية الجزع ، وخلوه عن المفاسد اوادعاء أنّه لاتترتب عليه مفسدة ، بل قد سبق ان اقررنا بترتب المفسدة على الجزع ، الا ان مجرد كون تلك الصفة ذات مفسدة بوجه لايستتبع الحكمين (اى الحرمة اوالكراهة) نظير ما عرفت فى البخل و الجهل وشبههما (حيث قلنا ان مذموميتهما لايستلزم كونهما حرامين اومكروهين)

على ان اباحة الجزع بعنوانه (اى بما هوجزع) لاينافى ترتب المفاسد عليه، نظير حب الدنيا حيث لايدخل فى عنوان الحرام و المكروه ، ومع ذلك فالمفاسد التى تترتب عليه وتنشأ منه لاتحصى وهى اكثر من مفاسد شرب الخمر والزنا ، كما لايخفى .

كيف لا وشرب الخمر والزنا من شعب حب الدنيا . ؟

وكيف كان فالجزع ، وشبهه وان كثرت المفاسد التى تنشأ منه من قبيل احباط أجر المصيبة ، وفوات اجرفعل الصابرين ، والوقوع فى معاصى كمافى بعض انحائه وانواعه ، الا انه لايدخل فى عنوان الحرام ، ولافى عنوان المكروه .

وكذا الفعل الذى يكون مظهرأله (مثل البكاء) اومتحداً معه لايكون كذلك ـ لاحراما ولامكروها، الاان يثبت من دليل خارجى حرمة ذلك الفعل ، اوتثبت كراهته فيكون ساعتئذ من المفاسد التى جر اليها الجزع المذموم من اجل ذلك وشبهه فكل فعل ثبتت حرمته او كراهته، فله حكمه اذااتى به الجازع واماغيرذلك فباق على اباحته وعدم المنع عنه، ولايكفى فى المنع مذمومية الجزع ، وقبحه ، كمالم يؤثر ذلك حرمة نفس الجزع ولاكراهته لكون مذموميته ولايجابه فوات منافع كثيرة، والوقوع فى مفاسد أخر كالبخل والجهل وحب الدنيا وغيرذلك، ان كان صاحب تلك الصفات مبغوضا عندالله ، وليس له حظ من الرحمات الخاصة ، و محروما من اسباغ النعم عليه، وكفى بذلك خزياً .. الاان الكلام انماهو فى ارتكاب الجاهل و البخيل و محب الدنيا حراماً او مكروها وان كان فعله الظاهر منه موافقاً لفعل صاحب العلم و الجود والمعرض عن حب الدنيا ، وان كان الفرض نادراً فى الغاية ..

فتلخص من ذلك ان كشف البكاء عن الجزع اواتحاده معه لايوجب المنع من البكاء ، تحريماً ولاتنزيهاً ، كما ظهر ايضا انااثبات شىء من الحرمة او الكراهة موقوف على ثبوت ذلك للبكاء من دليل شرعى ، وليس ما يوجب ذلك ـ حسب ماعرفت ـ من حديث : «من صلق» حيث ان الصلق غيرصوت الباكى ، وما يستلزمه البكاء كما لايخفى ، فحرمته ايضا لايوجب المنع من البكاء فضلاً عن الكراهة بل ولاسماع الاجنبى للصوت هوايضاًلايوجب لحرمة البكاء لخروج ذلك عن البكاء ، والمتجه ـ فى صورة اقتران البكاء الجائز بأمر فاسد ـ المنع و النهى عن خصوص ذلك الامر الفاسد وذمه دون تعميم المنع والنهى على البكاء ايضاً، ولعل ذلك واضح انشاء الله . .

(الرابع) انه لو سلم كشف البكاء عن الوصف المذموم فى مورد فهو يكشف عن اوصاف حميدة فى مورد آخر فكيف يتجه ويصح اطلاق المنع بل يكشف عن

تلكم الاوصاف الحميدة فى ذلك المورد ايضا فكيف يمنع بواسطة ماانكشف به من الامر المذموم .

وبيان ذلك الاجمال على وجه الاختصار أن يقال : انبكاء المصاب على ميته يكشف عن وجود الرحمة فى قلبه، وانما يرحم الله من عباده الرحماء ، وكذا يكشف عن رأفة بعبدالله المؤمن « وبالمؤمنين رؤوف رحيم»

ولاينافى ذلك ان ارأف منه قد قبضه اليه كما ترى ان الوالد يؤدب ولده او يعطيه بيد الحجام ، فيجزع فيبكى اخوته رأفة به ، ولاذم على ذلك بل يمدح بالرأفة ـ كما لايخفى ـ وكذا يكشف البكاء أيضا عن المودة بينهما ، والحب لاهل الايمان ، وكذا عن التعطف به، وكذا عن الالفة ..

وهذه كلها من الخصال الحميدة لاتكون حقيقة البكاء من المصاب بدونها فهو يكشف عنها كشف المعلول عن علته فكيف لايلاحظ كل ذلك فيرخص فى البكاء بل تقصر الملاحظة على مامر من الأمر المذموم فيمنع مع ان الكشف عن سخط ماقدره الله انما هو بالاستلزام القابل للتخلف ، بل وكثيره كذلك كما لايخفى .

ولذا لو سئلوا (اى المصابين) عن قدره تعالى لاجابوا : انه لايفعل الا الحسن الجميل وشبه ذلك من الكلمات الدالة على الرضا بقدر الله. وقس على ذلك غير السخط مماذكروه حتى الجزع ، وكيف لايتخلف عن البكاء (١) وقد بكى على الميت قبل موته وبعده وحاله افضل من خلق الله ومن قال فيه تعالى : «وانك لعلى خلق عظيم» اعنى رسول الله ـ ص ـ المبرء من كل عيب وقبيح ، وكذا المتأدبون بمكارم اخلاقه كما مر عليك تفصيله من الأخبار وكما ستعرف وتقرأ منها من طرق القوم .

فملاحظة ما ذكرناه فى حكم البكاء اولى ثم اولى، كيف لاوتلك الصفات

---

(١) يعنى بها الرحمة والرقة والعطف واللطف التى هى من دوافع البكاء او مما يكشف عنه البكاء .

والخصال الحميدة من مباديه ومن الامور الموجبة لوجوده ، ومما لايتخلف عنه وهى امور يرضاها الله لعباده المؤمنين فى عباده المسلمين، كيف لا و مدح اولى تلك الصفات من اهل الايمان اكثرمن ان تحصر ، وبالنسبة الى الاقرباء ايضاً ليس بعزيز ، و ان كان يكفى فيه فضس تلك الصفات ، و بيان هذا الوجه ـ كما هو حقه ـ لايسعه هذا المجال فلنقتصرعلى ماقلناه وان كان اجمالافى الاجمال.

الثالث من وجوه الاستدلال
لجواز البكاء

ان الحزن الوارد قهراً على القلب بسبب فراق القريب، ونحوه كداءعرض على القلب ولولم يعالج لازداد واورث امراضاً فى القلب والبدن ولمنع الشخص عن مكارم لاتحصى، مما لايليق بتفصيله هذا المقام ..

ودواؤه صباب الدمع وهذا الحزن ليس من الصفات المذمومة كيف وقد حزن رسول الله -ص- لموت ابراهيم الذى لم يتم رضاعه؟

وقد تواترت فى تلك القصة رواياتهم حسب ما عرفت نبذة منها.

واما من لايحزن أصلا فهو لقسوة القلب وهو من الصفات المذمومة قطعا .

واما وجود الحزن فلايلازم كشفه(١)، كمالاينافيه حسن الستر لمصالح اخرى فلا يعارض ما يحكى عن اهل الصبر الذين علم استقامتهم وبراءة ساحتهم عن مثل تلك المذام، ويحتمل كون اخفاء او خفاء الحزن عند اهل الصبر انما هو للالتفات الى امر آخر، و الغفلة عما يوجب الحزن كما لا يخفى بل الروايات الواردة من رسول الله -ص- تدل على ان :حزن القلب ودمع العين متلازمان وانه لولا الامور الموجبة للتسلى ككون الموت سبيل الباقى ، ونحو ذلك- لفعل -ص- اكثر مما فعل ، وحق له -ص- ذلك .

---

(١) يعنى انه قد يوجد الحزن عند الانسان و لايكون ظاهراً اذ ليس هناك ملازمة دائمية بين الحزن و كشفه وظهوره .

فان قلت : ان الحزن الوارد على القلب له دواء آخر، كملاحظة مايوجب الصبر والتسلي، و شغل النفس عن الالتفات الى المصيبة و عظمها وماشبه ذلك .

قلت:أولا قد عرفت من الاخبار السابقةان رسول‌الله ـص ـ وغيره استعملوا ذلك الدواء النافع (اى البكاء) ايضاً ، بل بدأوا به وهم أعرف بطرق علاج ذلك الوارد، فهو انفع من غيره.

وثانياً ان بعض الناس قد يصعب عليهم غير البكاء ـ كما لايخفى ـ ومثل هذا الدواء الموجب للخلاص والتخلص من الامراض الكثيرة والمانعة من خيرات وافرة كيف يمنع منه.؟؟

ولايتوهم انهذا الوجه اخص من سابقيه حتى يقال اذن فالبكاء انما يجوز اذا تعين كونه علاجاً مفيداً لداء الحزن الذى هجم على القلب.

اقول ولا يتوهم مثل هذا لان الجواز ظاهر منه حيث تذكر المصيبة كائنة ما كانت، ولا يتوقف الجواز على شدة ذلك الوارد ايضاً فى الغاية، بحيث يخاف منه طرو امراض ، بضرورة ظهور الجواز لمجرد انكسار القلب ممامر من الاخبار

هذا بعض الكلام فى دليل الجواز يحسن الاقتصار عليه.

ومن هذا الكلام خصوصاً الاخبار ـ يظهر عدم الفرق بين البكاء على الميت ، وسائر المصيبات، كما لايخفى.

وايضاً يظهر عدم الفرق جوازاً ، ومنعا ما بين حال وقوع تلك المصيبات وما قبلها اذا كانت معلومة الحصول و الوقوع. و كذا ما بعدها اذا تذكرها كما يفصح عنه التدبر فيما اسلفنا من الاخبار..

كما يظهر منه ايضاً انه لو فعل المتذكر لها فعل الصابر كان له اجر الصابر و ان ورد فى اخبارهم : « الصبر عند الصدمة الاولى » اذلعله ناظر الى حيازة اجر المصيبة دون الصبر و ترك الجزع و نحو ذلك مضافا الى اخبار اخر صريحة فى استحقاق الاجر للصبر عند التذكر ولو بعد مدة ، فتبصر فى ذلك جيداً .

المقام الثاني
في من بكى على قتيل العبرات
قبل ان تقع واقعته

في ينابيع المودة في الباب السادس والخمسين فيما يرويه عن ذخائر العقبى وعن اسماء بنت عميس في حديث ميلاده ، ان النبي -ص- قد اخذ الحسين في حجره ويبكي قلت : فداك امي وابي مما تبكي؟ قال : (يا اسماء ابني هذا تقتله الفئة الباغية من امتي لا انالهم الله شفاعتي ، يا اسماء لا تخبري فاطمة) رواه الامام علي الرضا (١).

قلت: و كان يؤذيه بكاء الحسين (ع) فعن ذخائر العقبى عن ابن ابي زياد قال: ان النبي - ص - خرج من بيت عائشة ، فمر على باب فاطمة فسمع بكاء الحسين فقال : (يا ابنتي الم تعلمي اني اوذى ببكاء الحسين - ع - اخرجه ابن منيع (٢) وفي الباب الستين عن المشكاة عن ام الفضل زوجة العباس في حديث رؤياها : فدخلت يوما على النبي - ص - فوضعت الحسين في حجره ثم حانت مني التفاتة فاذا عينا رسول الله -ص- تهريقان الدموع فقلت : يارسول الله بابي وامي مالك ؟ قال : (اتاني جبرئيل فاخبرني ان امتي ستقتل ابني هذا) فقلت : هذا ؟ قال : (نعم) واتاني تربة حمراء . رواه البيهقي(٣) قلت : ويدخل ايضا ما في بكاءه لاهل بيته ففي الخامس والاربعين من الينابيع عن سنن ابن ماجة القزويني عن ابن مسعود قال : بينما نحن عند رسول الله -ص- اذ أقبل فتية من بني هاشم فلما رآهم اغرورقت عيناه وتغير لونه . فقلت : مانزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه .

فقال - ص - : (انا اهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وان اهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً حتى يأتي قوم من قبل المشرق - الخبر) (٤)

---

(١) ينابيع المودة ص٢٢٠ (٢) ينابيع المودة ص٢٢٥
(٣) ينابيع المودة ص٣١٨ (٤) ينابيع المودة ص١٣٥

وفى الثالث والسبعين فيما يرويه عن جواهر العقدين ولابن ماجة من طريق علقمة عن ابن مسعود فذكر مثله (١) وفيما يرويه عن ذخاير العقبى قبل ذلك فى الجزء الاول فى ذكر كرامات على عليه السلام عن الاصبغ بن نباتة قال : اتينا مع على-ع- بكربلاء فنزل فيه وبكى وقال : (هاهنا مناخ ركابهم وهاهنا موضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم، فئة من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكى عليهم السماء والارض) اخرجه الملا فى سيرته . (٢)

وفى الباب الستين : فيما يرويه عن الصواعق اخرج ابن سعد عن الشعبى قال : مرعلى بكربلاء عند مسيره الى صفين فبكى حتى بل الارض من دموعه فقال: (دخلت على رسول الله -ص- وهويبكى فقلت يارسول الله بابى وامى ما يبكيك ؟ قال : كان عندى جبرئيل آنفاً واخبرنى ان ولدى الحسين يقتل بشاطىء الفرات بموضع يقال لها : كربلا ثم قبض جبرائيل قبضة من ترابه وشممنى ايـاه فلم املك عينى ان فاضتا) ايضاً رواه احمد نحوه (٣) وفى كفاية الطالب الكنجى عن الحافظ يوسف بن خليل بن عبدالله الدمشقى عن محمد بن ابى زيد الكرانى عن فـاطمة الجوز رانية عن محمد بن عبدالله زيده عن الحافظ سليمان بن احمد الطبرى عن عبدالله بن احمد بن حنبل عن عبادة بن زياد الاسدى عن عمروبن ثابت عن الاعمش عن ابى وائل شقيق بن سلمة عن ام سلمة قالت كان الحسن و الحسين يلعبان بين يدى النبى (ص) فى بيتى فنزل جبرئيل فقال يامحمد ان امتك تقتل ابنك هذا من بعدك واومأ بيده الى الحسين وناوله كفا من التراب فبكى رسول الله وضمه الى صدره وشم رسول الله التراب وقال ريح كرب وبلاء ثم قال رسول الله وديعة عندك هذه التربة يا ام سلمة اذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمى ان ابنى قد قتل قال فجعلها ام سلمة فى قارورة ثم جعلت تنظر اليها كل يوم وتقول ان يوماً تحولين دماً ليوم عظيم ثم قـال رواه الطبرى فى معجمه واخرجه محدث الشام عنه وعن غيره فى كتابـه بطرق شتى بالفاظ مختلفة .

---

(١) الينابيع ص٢٣٣ (٢-٣) ينابيع المودة ص٣١٩ - ٣٢٠

ايضا رواه احمد نحوه . (١)

قال السبط روى حسن بن كثير

لماوصل على الى كربلاء وقف وبكى وقال يابن اغيلمة يقتلون هنا هذا مناخ ركابهم هذا موضع رحالهم هنامصرع الرجل . ثم ازداد بكاؤه .

وممن بكى فى ذلك الاوان الحسين بن على ـ عليه السلام ـ

ففى الحادى والستين من الينابيع فى مقتل ابى مخنف الذى رواه بتمامه : ثم اتى الحسين الى قبر جده وبكى وقال: (ياجدى انى اخرج من جوارك كرهاً لانى لم ابايع يزيد شارب الخمور ومرتكب الفجور) فبينا هو فى بكاءه اذاخذته النعسة فرأى جده واذاهو قدضمه الى صدره وقبل مابين عينيه وقال: (ياولدى ياحبيبى انى اراك عن قليل مرملا بدمائك مذبوحاً من قفاك بارض يقال لها كربلاء وانت عطشان واعدائك يرجون شفاعتى لاانالهم الله ذلك ياولدى ياحبيبى ان اباك وامك وجدتك واخاك وعمك وعم ابيك واخوالك وخالاتك وعمتك هم مشتاقون اليك وان لك فى الجنة درجة لن تنالها الا بالشهادة وانك واباك واخاك وعمك وعم ابيك شهداء تحشرون زمرة واحدة حتى تدخلون الجنة بالبهاء والبهجة) فانتبه من نومه فقصها على اهل بيته فغموا غماً شديداً ثم تهيأ للخروج .

الى ان قال : ثم ان محمد بن الحنفية(٢) لما سمع ان اخاه يريد العراق بكى بكاء شديداً ثم قال : ان اهل الكوفة قدعرفت غدرهم بابيك واخيك فان قبلت قولى فاقم بمكة .

فقال : (يا اخى انى اخشى ان تغتالنى جنود بنى امية فى مكة فاكون الذى يستباح دمه فى حرم الله) قال :فسر الى اليمن فانك امنع الناس بها فقال : (يا اخى

---

(١) ينابيع المودة ص ٣١٩ ـ ٣٢٠

(٢) قال السبط: ولما بلغ ابن الحنفية مسيره وكان يتوضأ وبين يديه طست فبكى حتى ملاه من دموعه ولم يبق بمكة الامن حزن لمسيره راجع ص١٣٧ من تذكرة الخواص

لو كنت فى بطن صخرة لاستخر جونى فيقتلوننى) .

ثم قال ـ ع ـ : (سانظر فيما تقول) . فلما كان وقت السحر عزم على المسير فاخذ محمد بزمام ناقته فقال : ماعجلك فقال: انجدى اتانى بعد مافارقتك وانانائم فضمنى الى صدره ، وقبل ما بين عينى وقال : ياحسين ياقرة عينى اخرج الى العراق فان الله قدشاء انيراك قتيلا مخضباً بدمائك فبكى محمد بكاء شديداً فقال: ياأخى فمامعنى حملك لهؤلاء النسوة؟

فقال : (قال جدى : ان الله قدشاء انيراهن سبايا مهتكات يساقون فى اسر الذل وهن ايضا لايفارقننى مادمت حياً) فبكى محمد بكاء شديداً ثم قال : اودعتك الله ياحسين فى دعة الله يا اخى

بكاء امسلمة عليه :

ونقل انامسلمة قالت: يابنى لاتحزنى بخروجك الى العراق فانى سمعت جدك يقول يقتل ولدى الحسين بالعراق بارض يقال لها كربلاء فقال : (ياأماه والله اعلم ذلك وانى مقتول لامحالة واعرف اليوم الذى اقتل فيه واعرف من يقتلنى واعرف البقعة التى ادفن فيها واعرف من يقتل من اهل بيتى وشيعتى وان اردت ياأماه اريتك حفرتى ومضجعى) ـ ثم اشار بيده الشريفة الى جهة كربلاء فانخفضت الارض حتى اراها مضجعه ومدفنه ومشهده ، فبكت بكاء شديداً . . (١)

بكاء ابن عباس وغيره عليه :

وفى الصواعق المحرقة بعد ذكر ارسال اهل الكوفة اليه ليأتيهم : فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذ لانهم لاخيه فابى ، فنهاه ان يذهب باهله فابى ، فبكى ابن عباس وقال : واحبيباه «واحسيناه ـ خل» ، وقال له ابن عمر نحو ذلك فابى ، فبكى ابن عمر وقبل مابين عينيه وقال : استودعك من قتيل . ونهاه ابن الزبير ايضا الى آخر الخبر الى ان قال : ولمابلغ مسيره اخاه محمد بن الحنفية كان بين يديه طست يتوضأ فيه فبكى حتى ملاءه من دموعه ولـم يبق بمكة الامن حزن

(١) ينابيع من صفحه ٣٣٤ الى ص ٣٣٧

لمسيره . (١)

تاريخ الخلفاء للسيوطى : فاشار عليه ابن‌الزبير بالخروج وكان ابـن عباس يقول : لاتفعل ، وقال له‌ابن عمر: لاتخرج فان رسول‌الله ـص‌ـ خيره‌الله بين الدنيا و الآخرة فاختار الآخرة وانك بضعة منه ولا تنالها ، ـيعنى الدنياـ واعتنقه وبكى وودعه فكان يقول : غلبنا الحسين بالخروج ولعمرى لقدرأى فى ابيه واخيه عبرة، الى ان قال: وقال له‌ابن عباس : والله انى لاظنك ستقتل بين نساءك وبناتك كما قتل عثمان ـ فلم يقبل منه ، فبكى ابن عباس وقال : اقررت عين ابن‌الزبير ثم ذكر مخاطبته لابن‌الزبير بابياته، وقد رواه المسعودى وغيره ايضا . (٢)

ومنهم زينب بنت‌على فى مقتل ابى مخنف برواية ينابيع المودة عندوصوله الى كربلاء ووقوف راحلته فقال الامام: مايقال لهذه الارض قالوا: تسمى كربلا (٣) فقال : هذه والله ارض كرب وبلاء هاهنا تقتل الرجال ، وترمل النساء و هاهنا محل قبورنا ومحشرنا وبهذا اخبرنى جدى .

ثم نزل عن جواده وهو يقول: يادهر اف لك من خليل ـ الابيات ولم يزل يكررها حتى سمعته اخته‌زينب فخرجت من‌الخيمة وقالت : يا أخى وقرة عينى هذا كلام من ايقن بالموت واثكلاه اليوم مات جدى محمد المصطفى و ابى على المرتضى وامى فاطمة الزهراء واخى الحسن. وخرت مغشيا عليها ،ثم قال لها: يا اختاه ان اهل السماء والارض يموتون و كل شيء هالك الاوجهه ثم قال : يااختاه بحقى عليك اذاانا قتلت

---

(١) الصواعق المحرقة الباب الحادى عشر الفصل الثالث ص١٩٢

(٢) تاريخ الخلفاء ص٢٠٦ـ ٢٠٧

(٣) قال السبط: فبكى وقال اخبرتنى ام سلمة قالت كان جبرئيل عند رسول‌الله ـص‌ـ وانت معى فبكيت فقال رسول‌الله ـص‌ـ دعى ابنى فتركتك و اخذك ووضعك فى حجره فقال له جبرئيل: اتحبه؟ فقال نعم، فقال: ان امتك ستقتله فان شئت اريك تربة ارضه التى يقتل بها فقال نعم... فبسط جناحه على ارض كربلاء واراه اياها الخ ...تذكرة الخواص ص ١٤٢

فلاتشقى على جيباً ولاتخمشي وجها. ثم حملهاوادخلها الخيمةثم امر اصحابه ان يقربوا البيوت بعضها من بعض. (١)

اقول والاخبار فى هذا المجال لاتنحصر فى هذه النبذة ولكن نحن نقتصر عليها بغية الاختصار.

---

(١) ينابيع المودة الباب الحادى والستون ص١٦٣

المقام الثالث

فيمن بكى عند الداهية الدهماء

والواقعة العظمى

بكاء الرسول ـص ـ عليه .

فى الصواعق وينابيع المودة عنه واخرج الترمذى ان ام سلمة رأت النبى ـص ـ وبرأسه ولحيته التراب فسألته فقال : قتل الحسين آنفاً. (١)

الترمذى فى باب فضائل الحسن والحسين (عليهما السلام) عن سلمى قالت دخلت على امسلمة وهى تبكى فقلت : مايبكيك ؟ قالت رأيت رسول الله ـص ـ تعنى فى المنام، وعلى رأسه ولحيته التراب. فقلت: مالك يارسول الله؟ قال : شهدت قتل الحسين آنفاً .

قال هذا حديث غريب. (٢)

وفى كتاب العمدة لابن بطريق الحلى عن الجمع بين الصحاح عن ام سلمى امرأة من الانصار قالت: دخلت على ام سلمة وهى تبكى فقلت لها: مايبكيك؟ قالت : رأيت الآن رسول الله ـص ـ فى المنام وهو يبكى فقلت: مالك يارسول الله؟ فقال: قتل الحسين آنفاً . (٣)

---

(١) الصواعق الباب ١١ الفصل ٣ ص١٩٤ وينابيع المودة الباب الستون ص ٣٢٠

(٢) الترمذى ج٥ ابواب المناقب

(٣) العمدة باب فى مناقب الحسنين ص٢٠٨

بكاء ام‌سلمة وغيرها عليه :

وقال الاسفرايينى عن ابن‌عباس قال: بينما اناراقد فى‌منزلى اذسمعت صراخا عالياً من‌بيت ام‌سلمة فخرجت اتوجه بقائدى الى‌منزلها وقداقبل اهل المدينة اليها رجالا ونساء فقالت: يابنات عبدالمطلب اسعدينني وابكين معى‌فقدقتل والله سيدكن وسيد شباب اهل الجنة فقلت‌لها : من هذا فقالت: الحسين. فقلت : ومن اين علمت قالت‌رأيت‌رسول‌الله(ص) فى‌المنام مذعورا فسألته عن‌ذلك‌فقال قتل‌الحسين‌واهل‌بيته والساعة فرغت من دفنهم قالت ام‌سلمة فدخلت‌البيت وانالااكاداعقل ونظرت‌فاذاتربة الحسين التى اتى بها جبرئيل من كربلاء وقال : (اذاصارت‌دماًفاعلم انه‌قتل‌الحسين) وجدتهادماًعبيطاً ثم‌انها اخذت ذلك الدم‌ولطخت‌به‌وجهها وصارت تبكى‌وتنوح(١)

وفى كفاية الطالب عن شافعى العصر عبدالله‌بن ابى الوفاء عن الحافظ عبد-العزيزبن الأخضر عن‌ابى الفتح الكروخى عن‌صدر الشام اسماعيل بن‌حامد عن‌عمر بن‌محمد بن‌معمرعن‌عبدالملك الكروخى‌عن‌محمودبن‌القسم (القاسم) الازدى وغيره عن‌ابى محمد الجراحى عن محمد المحبوبى عن‌الامام الحافظ محمدبن عيسى‌عن ابى‌سعد الأشج عن ابى خالد الأحمر عن‌زر عن‌سلمى قالت: دخلت على‌ام سلمة و هى‌تبكى فقلت: مايبكيك ؟ قالت: رأيت رسول‌الله -ص- فى‌المنام وعلى‌رأسه ولحيته التراب فقلت: مالك يارسول الله‌قال : شهدت قتل الحسين آنفا ..

ثم‌قال : هذالفظ الترمذى فى‌جامعه . ورواه احمدبن حنبل فى مسنده وذكره الحاكم فى مستدركه (٢)

وعن الحافظ يوسف عن ابن ابى‌زيد عن محمود عن‌ابن فاذشاه عن‌الحافظ سليمان عن محمدبن عثمان بن ابى‌شيبة عن‌جندل بن‌والق عن عبدالله بن‌الطفيل عن ابى‌يزيد الفقيمى عن ابن ابى‌جناب الكلبى‌حدثنى الجصاصون قالوا : كنااذا خرجنا

---

(١) نورالعين فى‌مشهدالحسين لابى اسحاق الاسفراينى‌ص٧٠

(٢) كفاية الطالب ص٢٣٣ باب الحسين‌وشهادته

باالليل الى الجبانة عندمقتل الحسين سمعنا الجن ينوحون عليه ويقولون :

مسح الرسول جبينه　　　فله بريق فى الخد ود
ابواه من عليا قريش　　　وجده خير الـجد ود

وبه‌حدثنا القسم (القاسم) بن‌عبدالله الخطابى عن‌سويد بن‌سعد عن عمرو بن ثابت عن‌حبيب بن‌ابى ثابت قال قالت ام‌سلمة ماسمعت نوح‌الجن منذقبض رسول الله ـص ـ الاالليلة، ماارى ابنى‌الاقد قتل، تعنى الحسين ، فقالت لجاريتها: اخرجى فسلى (فأسئلى) فاخبرت انه‌قد قتل فاذاجنية تنوح :

الا ياعين فاحتفلى بجهد　　　ومن يبكى‌على الشهداء بعدى
على رهط تقودهم المنا يا　　　الى متجبر فى ملك عبـد

اخرجه الطبرانى فى‌معجمه الكبير فى‌ترجمة الحسين (١)

بكاء الجن عليه :

وعن‌القاضى محمدبن الشيرازى عن‌الحافظ ابى‌القسم(القاسم) عن‌ابى‌السعود عن عبدالمحسن بن محمد عن‌عبدالله‌بن‌محمد عن‌احمدبن‌الحسن عن‌احمدبن‌عبدالله بن‌ابى العصام عن ابراهيم بن‌يحيى عن ابن‌لقمان عن الحسين ابن‌ادريس عن‌هاشم بن هاشم عن امه عن ام سلمة قالت : سمعت الجن تنوح على الحسين يوم قتل وهن يقلن :

ايها القاتلون ظلماً حسيناً　　　ابشروا بالعذاب و التنكيل
كل‌اهل‌السماءيدعوعليكم　　　من نبى و مرسل و قبيل
قدلعنتم على‌لسان‌ابن داود　　　وموسى وصاحب الانجيل

ثم‌قال : ذكره محدث الشام فى كتابه ... (٢)

وفى ينابيع المودة والصواعق عن‌ام‌سلمة لما كانت‌ليلة قتله‌سمعت قائلايقول:

---

(١) كفاية الطالب ص٤٢٢ ـ٤٢٣ باب الحسين وشهادته

(٢) كفاية الطالب ص٤٢٣ـ باب الحسين‌وشهادته

ايها القاتلون جهلا حسيناً ابشروا بالعذاب والتذليل

قد لعنتم على لسان داود وموسى وعيسى حامل الانجيل

فبكيت وفتحت القارورة فاذا صارت دماً .

قالت ام سلمة : ماسمعت نوحة الجن منذ قبض رسول الله -ص- الا الليلة التى قتل قبلها الحسين .. فذكر مثله .. وسمعت صوت جن آخر يقول :

مسح النبى جبينه فله بريق فى الخدود

ابواه من عليا قريش و جده خير الجدود

وناحت اخرى :

ابكى حسيناً هبلا كان حسين جبالا

وناحت جن أخرى :

الا يا عين فاحتفلى بجهد ومن يبكى على الشهداء بعدى

على رهط تقودهم المنايا الى متجبر فى ملك وغد (١)

واخرج الملا عن ام سلمة : سمعت نوح الجن على الحسين، واخرج ابن سعد انها بكت حتى غشى عليها . (٢)

تاريخ الخلفاء بعد رواية الترمذى و غيرها

واخرج ابو نعيم فى الدلائل عن ام سلمة قالت : سمعت الجن تبكى على الحسين وتنوح عليه .

واخرج ثعلب فى اماليه عن ابى خباب الكلبى قال اتيت كربلاء فقلت لرجل من اشراف العرب : اخبرنى بمابلغنى انكم تسمعون نوح الجن، فقال : ماتلقى أحداً الا اخبرك انه سمع ذلك. قلت: فاخبرنى بماسمعت انت. قال: سمعتهم يقولون شعراً

مسح الرسول جبينه . . . الى آخر الابيات (٣)

---

(١) ينابيع المودة ص٣١٩-٣٢٠

(٢) ينابيع المودة ص٣٢٠

(٣)تاريخ الخلفاء ص٨٠

عن جواهر العقدين وذكر ابن سعد عن ام سلمة انها لما سمعت قتل الحسين ـ ع ـ قالت: ملاء الله بيوت القاتلين وقبورهم ناراً ثم بكت حتى غشى عليها (١)

قال ابو محنف : فلما وصلوا الى بلد تكريت ، نشرت الاعلام و خرج الناس بالفرح والسرور. (٢)

بكاء السماء والارض :

قلت: ومما بكى عليه السماء والارض ، فعن صحيح مسلم فى قوله تعالى: «فما بكت عليهم السماء والارض» (٣) قال عن السدى ، لما قتل الحسين بن على بكت وبكاؤها حمرتها . (٤)

وعن تفسير الثعلبى قال السدى : لما قتل الحسين بكت عليه السماء ، وبكاؤها حمرتها .

عن ابى بكر عن ابى العباس الدعولى عن ابى بكر بن خيثمة عن خالد بن جراس عن حماد بن يزيد عن هشام عن محمد بن سيرين قال : اخبرونا ان الحمرة التى مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين . وبه قال عن ابن ابى خيثمة اخبرنا ابو سلمة حدثنا حماد بن سلمة اخبرنا سليم القاضى قال : مطرنا دما ايام قتل الحسين (٥)

وفى كفاية الطالب عن محمد بن هبة الله المفتى عن ابى القسم (القاسم) الحافظ عن ابى عبد الله الخلال عن سعيد بن احمد العيار عن محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشيبانى عن عمر بن الحسن القاضى عن احمد بن الحسن عن ابيه عن حصين بن مخارق عن داود بن ابى هند عن ابن سيرين قال : لم تبك السماء على احد بعد يحيى

---

(١) ينابيع المودة الباب الستون ص٣٣١

(٢) ينابيع المودة الباب الحادى والستون ص٣٥١

(٣) سورة الدخان الاية - ٢٩

(٤) صحيح مسلم ج٥

(٥) ينابيع المودة الباب الستون ص٣٢٠ - ٣٢٣

بن زكريا الاعلى الحسين بن علي. وقال: هذا لفظ ابن عساكر في ترجمة الحسين (ع)(١)

وفي الصواعق وروى الملا ان عليا مربكربلا فقال: (هذامناخ ركابهم وهاهنا موضع رحالهم ، وهاهنا مهراق دمائهم فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والارض) .

قال وذكرابونعيم في الدلائل عن نضرة الازدية قالت لماقتل الحسين امطرت السماء دماًفاصبحنا فاذا رحائنا (كذا) وجرارنا (حبابنا ـ ظ) مملوءة دماً. وفي احاديث غيرها ان السماء اسودت حتى رأيت النجوم نهاراً، ولم يرفع حجر الاوجد تحته دم عبيط .

وفي الينابيع عن جمع الفوائد الزهري ـ : مارفع بالشام حجر الاوجد تحته دم ولم ترفع حصاة ببيت المقدس الاوجد تحته دم عبيط .

ابوقبيل : لماقتل الحسين انكسفت الشمس حتى بدت الكواكب . . الى ان قال: هذه الاحاديث اخرجها الطبراني في الكبير .

وعن الصواعق واخبرنا ان السماء احمرت ، وانكسفت الشمس حتى بدت الكواكب نصف النهار، ولم يرفع حجر الارأى تحته دم عبيط .

واخرج عثمان بن ابي شيبة ان السماء بكت سبعة ايام ، فصارت حمراء ، ورأى (وترى) على الحيطان كأنها معصفرة من شدة حمرة السماء .

وروى ابن الجوزي عن ابن سيرين : ان الدنيا اظلمت ثلاثة ايام وظهرت الحمرة في السماء .

وقال ابوسعيد الخدري : مارفع حجر في الدنيا الاوجد تحته دم عبيط ، ولقد امطرت السماء دماًوبقي أثره في الثياب حتى تقطعت .

اخرج الثعلبي وابونعيم انه امطرت السماء دما، و زاد ابونعيم : فاصبحنا رحائنا (حبابنا) وجوارنا مملوءة دماً .

---

(١) كفاية الطالب باب الحسين وشهادته ص ٤٣٧

وفى رواية ان السماء امطرت الدم على البيوت والجدران بخراسان والشام والعراق، ولما جيء برأس الحسين الى دار ابن‌زياد صارلون حيطانها دماً.

اخرج الثعلبى ان السماء بكت وبكاؤها حمرتها وقال غيره : احمرت آفاق السماء ستة اشهر بعد قتل الحسين . ثم لازالت الحمرة ترى بعد ذلك

وذكر ابن سعد الحمرة لم تر فى السماء قبل قتله .

وعن‌البيهقى عن‌الزهرى مامرفى‌البكاء على على عليه‌السلام قال : قال البيهقى والذى صح عنه ان ذلك حين قتل الحسين ولعله وجد عند قتلهما جميعاً(١) .

ونقل عن جواهر العقدين ذلك ايضاً (٢).

و فى الباب الستين من ينابيع المودة ـ اخرج الثعلبى عن السدى قال : لماقتل الحسين بن‌على بكت عليه السماء وبكائها حمرتها . وحكى ابن سيرين ان الحمرة لم‌تر قبل قتله.

وعن سليم القاضى : مطرتنا السماء دماً ايام قتله.

وعن ابراهيم النخعى قال: خرج على فجلس فى المسجد واجتمع اصحابه فجاء الحسين فوضع يده على رأسه فقال: يابنى ان‌الله ذم‌اقواماً فى كتابه، فتلا الاية فى‌الدخان، وقال: يابنى لتقلتن من بعدى ثم‌تبكيك السماء والارض. فقال: فمابكت الاعلى يحيى بن زكريا والحسين ابنى.

وعن كثيربن شهاب الحارثى قال: بينا نحن جلوس عند على فى الرحبة اذ طلع الحسين عليه السلام قال : ان الله ذكر قوماً بقوله: فما بكت الى آخر الاية ـ والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ليقتلن وليبكين عليه السماء والارض .

وعن الصادق ـ ع ـ لم يبكيا احداً منذ قتل يحيى حتى قتل الحسين ـ ع ـ فبكتا عليه .

---

(١)و(٢) ينابيع المودة الباب الستون ص٣٢٠ـ ٣٢٣

وعن الصادق ـ ع ـ قاتلهما كانا ولدزنا، وقد احمرت السماء حين قتل الحسين ويحيى وحمرتها بكائها.

وعن ابن عباس قال: ان يوم قتل الحسين قطرت السماء دماً وان هذه الحمرة التي ترى في السماء ظهرت يوم قتله ولم تر قبله وان ايام قتله لم يرفع حجر في الدنيا الاوجد تحته دم (١) .

وفي تاريخ الخلفاء ولما قتل الحسين مكثت الدنيا سبعة ايام والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة و الكواكب يضرب بعضها بعضا وكان قتله يوم عاشوراء ، وكسفت الشمس ذلك اليوم واحمرت آفاق السماء ستة اشهر بعد قتله ثم لا زالت الحمرة ترى فيها بعد .

وفي الباب الثاني والستين اخرج الثعلبي عن السدي قال : لما قتل الحسين بن علي بكت عليه السماء و بكاؤها حمرتها ، وحكى ابن سيرين ان الحمرة لم تر قبل قتله .

وعن سليم القاضي : مطرنا السماء دما ايام قتله.

وعن ابراهيم النخعي خرج علي فجلس في المسجد واجتمع اصحابه فجاء الحسين فوضع يده على رأسه فقال يابني ان الله ذم اقواما في كتابه، فتلا الاية في الدخان وقال يابني لتقتلن من بعدي ثم يبكيك السماء والارض. فقال : فمابكت الا يحيى بن زكريا والحسين ابني .

وعن كثير بن شهاب الحارثي قال :بينا نحن عند علي في الرحبة اذ طلع الحسين قال: ان الله ذكر قوماً بقوله: فما بكت الخ.. والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليقتلن وليبكين عليه السماء والارض .

و عن الصادق عليه السلام لم يبكيا احداً قبل يحيى حتى قتل الحسين فبكتا عليه.

---

(١) ينابيع المودة ص٣٥٦-٣٥٧

وعن الصادق عليه السلام قاتلاهما كانا ولد زنا ، وقد احمرت السماء حين قتل الحسين ويحيى وحمرتها بكاؤها.

وعن ابن عباس قال : ان يوم قتل الحسين قطرت السماء دما وان هذه الحمرة التي ترى في السماء ظهرت يوم قتله ولم تر قبله وان أيام قتله لم يرفع في الدنيا حجر الا وجد تحته دم.

تاريخ الخلفاء، ولما قتل الحسين مكثت الدنيا سبعة ايام والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة والكواكب يضرب بعضها بعضا، وكان قتله يوم عاشورا وكسفت الشمس ذلك اليوم، واحمرت آفاق السماء ستة اشهر بعد قتله، ثم لازالت الحمرة ترى فيها بعد ذلك و لم تكن ترى قبله و قيل انه لم يقلب حجر في بيت المقدس يومئذ الاوجد تحته دم عبيط .

الأسفرايني عن الصادق ـ ع ـ: ان الشمس بكت على يحيى وعلى الحسين اربعين صباحا ، قيل له : ما بكاؤها ؟ قال : كانت تطلع حمراء ولم تزل حمراء الى ان تغيب .

قال الفاسي [كذا] عن ابيه ارسل عبدالملك بن مروان الى رأس جالوت وقال له : هل كان في قتل الحسين من علامة ؟ قال : نعم ما كشف يومئذ من حجر الاوجد تحته دم عبيط .

وعن الأسعد بن قيس : لما قتل الحسين ارتفعت حمرة من المشرق، وحمرة من المغرب وكانت تلتقيان في كبد السماء.

وعن انس : لما قتل الحسين ـ ع ـ كسفت الشمس بين الكواكب نصف النهار .

الكنجي عن يوسف الحافظ عن عبدالله بن كاره عن محمد بن عبدالباقي عن ابي محمد الجوهري عن عمر بن حبويه عن احمد بن معروف عن الحرث بن ابي اسامة عن محمد بن سعد عن محمد بن عمر عن عمر بن محمد عن ابيه قال : ارسل عبد الملك فذكر مثل ما مر آنفا ، فقال : رواه كاتب الواقدي في كتابه واخرجه

مؤرخ الشام فی کتابه عنه واخرجه الطبرانی بطرق شتی .

وقال : اخبرنا بما عنده یوسف الحافظ عن ابن ابی زید عن محمود عن ابن فاذشاه عن ابی القسم عن علی بن عبدالعزیز عن ابراهیم بن عبدالله عن هشیم عن ابی معشر عن محمد بن عبدالله عن الزهری قال: قال عبدالملك ای واحدانت ان اخبرتنی ای علامة کانت یوم قتل الحسین بن علی قال : قلت : لم ترفع حصاة بیت المقدس الاوجد تحتها دم عبیط. فقال : انی وایاك فی هذا الحدیث لقرینان فقال: اخرجه فی معجمه الکبیر فی ترجمة الحسین .

وبه قال الطبرانی: عن قیس بن ابی قیس عن قتیبة بن سعید عن ابن لهیعة عن ابی قبیل قال: لما قتل الحسین بن علی انکسفت الشمس کسفة حتی بدت الکواکب نصف النهار حتی ظننا انها هی .

اقول : وکیف لاتبکی السماء والارض علی قتیل العبرات و قد حضر وقعته رسول الله ـص ـ کمامر فی حدیث ام سلمة ، والتقط دمائه ودماء اصحابه کما عن البیهقی فی الدلائل علی ما فی تاریخ الخلفاء والصواعق و غیرهما عن ابن عباس قال رأیت رسول الله ـص ـ نصف النهار اشعث اغبر بیده قارورة فیها دم فقلت بابی وامی یارسول الله ما هذا ؟ قال : (هذا دم الحسین و اصحابه لم ازل التقطه منذ الیوم) فاحصی ذلك الیوم فوجدوه قتل ذلك الیوم وکان ـ ص ـ یبکی لتذکر مایصیبه کما مر فکیف اذا رآه، ویتأذی من بکائه بکاء الطفل عند امّه فکیف ببکائه وهو اسیر الاعداء، اوتحت سیوفهم وکان یبکی علی بکاء امه فیبکی الناس لبکائه ولایملك اولایصبر اذا رآه وأخاه یمشیان ویعثران وعلیهما قمیصهما الی ان ینزل عن المنبر ویقطع الخطبة ویرفعهما الیه ویضعهما بین یدیه کما فی حدیث بریدة وغیره افلا یبکی کما یبکی السماء والارض .

فلنذکر نبذة من بکاء اسیر الکربات ، واما باقی وقائعه والمصائب النازلة بفنائه ففی کتابنا الکبیر ونقول،وهو کثیر نکتفی منه بالیسیر.

منه ما قال السبط : فالتفت الحسين واذا بطفل له يتلظى عطشاً فاخذه بيده وقال : يا قوم ان لم ترحمونى فارحموا هذا الطفل ، فرماه رجل منهم فذبحه ، فجعل الحسين يبكى ويقول : (اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا) فنودى من السماء : (يا حسين دعه فان له مرضعاً فى الجنة) ورماه حصين بن تميم بسهم فوقع فى شفته فجعل الدم يسيل من شفتيه وهو يبكى ويقول (اللهم انى اشكو اليك ما يفعل بى وباخوتى وولدى واهلى).

ومنه ما قال ابو مخنف فى رواية ينابيع المودة : فجعل الحسين ينظر يميناً وشمالا فلم يراحداً يبارز اعدائه فبكى بكاء شديداً وجعل ينادى : وامحمداه واعلياه واحمزتاه واجعفراه واعباساه ياقوم امامعين يعيننا؟ امامن خائف من عذاب الله فيذب عنا ؟ ثم جعل يقول:

انا ابن على الطهر من آل هاشم — كفانى بهذا مفخراً حين افخر
و فاطم امى ثم جدى محمد — وعمى هو الطيار فى الخلد جعفر
بنا بين الله الهدى عن ضلالة — و فينا للولاية للعوالم مفخر
وشيعتنا فى الناس اكرم شيعة — و باغضنا يوم القيامة يخسر
فطوبى لعبد زارنا بعد موتنا — بجنة عدن صفوها لا يكدر
اذا ما اتى يوم القيامة ضامئا — الى الحوض يسقيه بكفيه حيدر

و قال فى ذكر شهادة ولده على الاكبر : فحمل عليهم الامام ففرقهم عنه ووضعه فى حجره ، وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول : (لعن الله قوماً قتلوك يا ولدى ما اجرأهم على الله وعلى انتهاك حرم رسول الله صلى الله عليه وآله) وهملت عيناه بالدموع، وصرخن النساء فسكتهن الامام وقال: (اسكتن فان البكاء امامكن).

ثم ذكر شهادة ولده الرضيع وبكاءه عنده الى ان قال : ثم نادى (ياام كلثوم وياسكينة ويا رقية ويا عاتكة ويا زينب يااهل بيتى عليكن منى السلام) فلما سمعن رفعن اصواتهن بالبكاء ، فضم سكينة الى صدره ، وقبل مابين عينيها، وكان يحبها حبا شديداً ، ثم جعل يسكتها ويقول :

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي	منك البكاء اذ الحمام دهاني
لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة	ما دام مني الروح في جثماني
فاذا قتلت فانت اولى بالذى	تأتينه يا خيرة النسوان

الى ان ذكر شهادته عليه السلام قال : كلماقطع منه عضواً يقول : (ياجداه يا ابا القاسماه ويا ابتاه يا علياه ياأماه يافاطمتاه ء اقتل مظلوماًواذبح عطشاناًواموت غريبا) فلما احتزهوعلاه على القنات ، كبروكبر العسكر ثلاثتكبيرات ،وتزلزلت الارض واظلمت الدنيا وامطرت السماء دماًعبيطاًومناديناى : (قتلوالله الحسين بن على بن ابى طالب (ع) قتل واللهالامام ابن الامامقتلالاسد الباسل و كهفالارامل).

اقول : وممن بكاه ـ اليوم ـ اهله وجواده ، قال ابن عباس : حدثني من شهد الواقعة ان فرسه جعل يصهل صهيلا عالياً ، وجعل يمرعلى القتلى حتى وقف على جسده الشريف فاراد ابن سعد اخذه فلما احس بالطلب جعل يلطم برجله ، ويكدم بفمه حتى قتل منهم خلقاً كثيراً ، وطرح فرساناً عن خيولهم فقال : ويلكم دعوه . فجعل يقبل الجسد الشريف ويمرغ ناصيته بالدم المعطر ويصهل صهيلاً عالياً وتوجه الى الخيمة قالت ام كلثوم يا سكينة سمعت صهيل فرس ابيك اظن اتانا بالماء فاخرجي اليه ، فخرجت فرأته خالياً فهتكت خمارها وصاحت :واقتيلاه وامحمداه واعلياه واابتاه واحسيناه وافاطمتاه واحمزتاه واجعفراه واعقيلاهواعباساه وانشدت :

مات الامام ومات الجود والكرم*واغبرت الارض والافاق والحرم_الابيات

فسمعت زينب فقالت : (وا اخاه واحسيناه و اغربتاه نفسى لك الفداء روحى لك الوقاء) وبكت وقالت : (فذكر ابياتا) فبكت الحريم وقلن: وامحمداه واعلياه وا حمزتاه وا جعفراه وا حسناه واحسيناه اليوم والله مات محمد المصطفى وعلى المرتضى والحسن المجتبى وفاطمة الزهراء .

اقول: والاخبارالمرتبطة بهذا المقام اكثرمن ذلك الاانا نقتصرعلى الاخذ من بعض ما حضرنا من كتبهم و كان فيه غنى و كفاية .

المقام الرابع

فى الباكين عليه بعد الواقعة

فى الصواعق : ولما حمل الرأس الشريف الى ابن زياد و جعله فى طست وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويقول به فى انفة : ما رأيت مثل هذا حسناً ، ان كان لحسن الثغر و كان عنده انس فبكى وقال: كان اشبههم برسول الله (ص) رواه الترمذى وغيره.

اقول : ولكن فى نسختى من جامع الترمذى لم يذكر بكاه انس فتبصر ، قال : وروى ابن ابى الدنيا : انه كان عنده زيد بن ارقم فقال له : ارفع قضيبك فوالله لطالما رأيت رسول الله (ص) يقبل ما بين هاتين الشفتين ، ثم جعل زيد يبكى فقال ابن زياد : ابكى الله عينيك لولا انك شيخ قد خرفت لضربت عنقك، فنهض وهو يقول : ايها الناس انتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة واقرتم ابن مرجانة ، والله ليقتلن خياركم ويستعبدن شراركم فبعداً لمن رضى بالذلة والعار . ثم قال: يابن زياد لاحدثنك بما هو اغيظ عليك من هذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله اقعد حسناً على فخذه اليمنى وحسيناً على اليسرى ثم وضع يده على يافوخهما ثم قال : (اللهم انى استودعك اياهما وصالح المؤمنين) فكيف كان وديعة رسول الله ـ ص ـ عندك يابن زياد ؟

اقول : ورواهما فى ينابيع المودة عن الصواعق .

وفى مقتل ابى مخنف الذى رواه ثم ان ابن زياد جلس بقصر الامارة واحضر

الرأس الشريف بين يديه وجعل ينظر اليه ويبتسم وكان بيده قضيب فجعل يضرب ثناياه فقال له زيد بن ارقم: ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين فوالله الذي لا اله الاهو رأيت ثنايا رسول الله ترشف ثناياه ثم بكى زيد فقال له ابن زياد ابكى ابكى الله عينيك والله لولا انك شيخ كبير قد ذهب عقلك لضربت عنقك فقام زيد وانصرف وقد روينا في الطالع النضيد بعض ما يناسب المقام فلاحظ

وفي الصواعق: لما كانت الحرس على الرأس كلما نزلوا منزلا وضعوه على رمح وحرسوه فرآه راهب في دير فسئل عنه فعرفوه به، فقال: بئس القوم انتم هل لكم في عشرة الاف دينار ويبيت الرأس عندي هذه الليلة؟ قالوا: نعم فاخذه و غسله وطيبه ووضعه على فخذه وقعد يبكي الى الصبح ثم اسلم لانه رأى نوراً ساطعاً من الرأس الى عنان السماء ثم خرج من الدير ومافيه وصار يخدم اهل البيت وكان مع اولئك دنانير اخذوها من عسكر الحسين ففتحوها ليقتسموها فرأوها خزفاً وعلى احد جانبيها: «لاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون» وعلى الآخر: «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» الى ان قال: وسيق حرم الحسين الى الكوفة كالاسارى فبكى اهل الكوفة فجعل زين العابدين يقول: (ان هؤلاء يبكون من اجلنا فمن الذي قتلنا)؟

ورواه عنه في ينابيع المودة الا ان فيه: بئس القوم انتم ولو كان للمسيح ولد لاسكناه على احداقنا بئس القوم انتم هل لكم، الى ان قال: وكان الحراس فتحوا اكياس الدنانير التي اخذوها من الراهب، وهما في غير ذلك سواء.

اقول: وفي رشفة الصادي للسيد ابي بكر بن شهاب الدين الشافعي الحضرمي: حكى عبدالملك بن هشام فذكر ما يأتي وقال: سبط ابن الجوزي وذكر عبدالملك بن هشام في كتاب السيرة الذي اخبرنا به القاضي ابو البركات عبدالقوي بن ابي المعالي بن عبدالجبار السعدي في جمادى الاولى سنة تسع وستمائة قال: انبا ابو محمد عبد الرحمان بن عمر بن سعيد النخاس انبا ابو محمد عبدالله بن جعفر بن رنجويه البغدادي انبا ابو سعيد عبدالرحيم بن عبدالله البرقي انبا ابو محمد عبدالملك بن هشام النحوي البصري قال: لما انفذ ابن زياد رأس الحسين الى يزيد بن معاوية مع الاسارى موثقين في الحبال.

منهم نساء وصبيان وصبيات من بنات رسول الله ـ ص ـ على اقتاب الجمال مكشفات الوجوه والرؤوس وكانوا كلما نزلوا منزلا اخرجوا الرأس من صندوق أعد لهفوضعوه على رمح وحرسه الحرس على عادته طول الليل الى وقت الرحيل ثم يعيده الى الصندوق ويرحلوا، فنزلوا فى بعض المنازل وفيه دير وفيه راهب فأخرجوا الرأس على عادتهم فوضعوه على الرمح وحرسه الحرس على عادته واسندوا الرمح الى الدير فلما كان نصف الليل رأى الراهب نوراً ساطعاً من مكان الرأس الى عنان السماء ، فاشرف على القوم وقال : من انتم ؟ قالوا: نحن اصحاب ابن زياد فقال: وهذا رأس من؟ قالوا رأس الحسين بن على بن فاطمة بنت رسول الله ـ ص ـ قال: نبيكم ؟ قالوا : نعم قال : فبئس القوم انتم لو كان للمسيح ولداسكناه احداقنا

ثم قال : هل لكم فى شيء ؟ قالوا وماهو ؟ قال: عندى عشرة آلاف تأخذونها وتعطونى الرأس يكون عندى تمام الليلة واذا رحلتم خذوها قالوا : وما يضرنا فناولوه الرأس وناولهم الدنانير فاخذه الراهب فغسله وطيبه وتركه على فخذه وقعد يبكى الليل كله عليه ، فلما اسفر الصبح قال : يا رأس لا املك الا نفسى ، وانا اشهد ان لا اله الا الله وان جدك محمد رسول الله ، واشهد الله انى مولاك وعبدك ثم خرج من الدير ومافيه وصار يخدم اهل البيت

قال ابن هشام فى السيرة ثم اخذوا الرأس وساروا ، قال بعضهم لبعض : تعالوا نقسم الدنانير لايراها يزيد فياخذها منا ، فاخرجوا الاكياس و فتحوها واذ الدنانير قد تحولت خزفا وعلى احد جانبيها مكتوب: «ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون» وعلى الجانب الاخر وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون» فرموها فى برداء هذا كلام السبط .

ونقل فى الرشفة قصة الدير الى آخر ماذكره السبط.

وفى مقتل ابى مخنف برواية ينابيع المودة: انهم كتبوا الى والى بعلبك ان

يتلقانا الناس فخرجوا على نحوسة اميال فرحاً وسروراً ، فدعت ام كلثوم عليهم فقالت:(اباداالله كثرتكم وسلط عليكم من لايرحمكم) فعند ذلك بكى على بن الحسين وهو يقول :

هو الزمان فلا تفنى عجـائبه | عن الكرام و ما تهدى مصائبه
فليت شعرى الى كم ذا تجاذبنا | صروفه و الى كم ذا نجاذبه
يسرى بنافوق اقتاب بلا وطأ | وسايق العيس يحمى عنه غاربه
كأننا من اسارى الروم بينهم | كأنما كلما قاله الرحمان كاذبه
كفرتم بـرسول الله ويلكـم | فكنتم مثل من ضلت مذاهبه

قال ابو مخنف: ونصبوا الرمح الذى عليه الرأس الشريف المبارك الى جانب صومعة الراهب فسمعوا صوت هاتف ينشد و يقول :

والله ماجئتكم حتى بصرت به | بالطف منعفر الخدين منحوراً
و حوله فتية تدمى نحورهم | مثل المصابيح يغشون الدجى نوراً
كان الحسين سراجاً يستضاء به | والله يعلم انى لم اقل زوراً
مات الحسين غريب الدار منفرداً | ظامى الحشاشة صادى القلب مقهوراً

فقالت ام كلثوم: من انت يرحمك الله ؟ قال: انا ملك الجن ، اتيت انا وقومى لنصرة الحسين فوجدناه مقتولا، فلما سمع الجيش ذلك من الجن تيقنوا بكونهم من اهل النار، فلما جن الليل نظر الراهب الى الرأس رأى نوراً قد سطع منه الى عنان السماء ورأى الملائكة ينزلون ويقولون:(يا ابا عبدالله عليك السلام) فبكى وقال لهم: ما الذى معكم؟ قالوا: رأس الحسين بن على ـ ع ـ قال : فمن أمه؟ قالوا :فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى ، قال: صدقت الاحبار .

قالوا: ما الذى قالت الأحبار؟ قال يقولون: اذا قتل نبى اووصى نبى اوولد نبى اوولد وصى تمطر السماء دماً فرأينا ان السماء تمطر دماً. قال: واعجباه من امة قتلت ابن بنت نبيها .

ثم قال : انا اعطيكم عشرة آلاف درهم ان تعطونی الرأس الشريف فيكون عندى .فقالوا: احضرها ،فاحضرها لهم فاخذ الرأس المبارك المكرم ، و جعله فی حجره وهويقبله ويبكى ويقول: ياليت اكون اول قتيل بين يديك فاكون غداًمعك فى الجنةواشهدلى عند جدك رسول الله ـص ـ انى اشهد ان لااله الاالله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله وحسن اسلامه ثم انهم جلسوا يقتسمون المال واذا هو انقلب خزفاً وفى جانب كل واحد منقوش : «لاتحسبن الله غافلا عمايفعل الظالمون» وفى الجانب الاخر: «وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون».

وقال السبط فى وقعة مجلس يزيد: فناداه علي : (يا يزيد ماظنك برسول الله ـ ص ـ لورآنا موثقين فى الحبال عرايا على اقتاب الجمال ؟) فلم يبق فى القوم الا من بكى.

قال قال الزهرى: لما بلغ الحسن البصرى قتل الحسين بكى حتى اختلج صدغاه. واورد كثيراً مما ذكرناه فلنقتصر على ما اسلفناه وفيه كفاية .

اقول: ومن البكاء عليه مافى المقتل برواية ينابيع المودة: وقال الامام والنساء للقائد: بحق معبودك ان تدلنا على طريق كربلاء ، ففعل ذلك حتى وصلوا كربلاء يوم عشرين من صفرفوجدوا هناك جابربن عبدالله وجماعة من بنى هاشم ، فاخذوا فى اقامة المأتم الى ثلاثة ايام (۱)

ثم توجهوا الى المدينة قال بشير: لما وصلنا قريباً من المدينة امرنى الامام ان اخبر اهل المدينة فدخلت وقلت: ايها المسلمون ان على بن الحسين قدقدم اليكم مع عماته واخواته(۲) فمابقيت مخدرة الابرزن من خدورهن مخمشة وجوههن لاطمات خدودهن،

---

(۱) قال الاسفراينى فى نور العين فى مشهد الحسين «واقاموا البكاء والحزن حتى ضجت الارض» منه ره.

(۲) قال الاسفراينى : خرجوا صايحين رجالا و نساء وهم يتصايحون ويبكون الى ان قابلوهم وسلموا عليهم وهم على بكاء ونحيب ثم ذكر قصة محمد بن الحنفية ـ منه ره ـ

يدعون بالويل والثبور قال: فلم ارباكيا وباكية اكثر من ذلك اليوم، فخرج الأمام من الخيمة وبيده منديل يمسح به دموعه ، فجلس على كرسى وحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس : ان الله وله الحمد و له الشكر قد ابتلانا بمصائب جليلة ومصيبتنا ثلمة عظيمة فى الاسلام ورزية فى الانام قتل ابى الحسين وعترته وانصاره وسبيت نساؤه وذريته وطيف برأسه فى البلدان على فوق السنان فهذه الرزية تعلو كل رزية فلقد بكت السبع الشداد لقتله، والسبع الطباق لفقده وبكت البحار بامواجها و الارضون بأرجائها ، و الاشجار باغصانها و الطيور باوكارها ، والحيتان فى لجج البحار، والوحوش فى البرارى والقفار ، والملائكة المقربون بين السماوات والارضين .

ايها الناس اى قلب لاينصدع لقتله ولايحزن لاجله. ايها الناس اصبحنا مشردين مطرودين مذودين شاسعين عن الاوطان من غير جرم اجرمناه ولا مكروه ارتكبناه ولاثلمة فى الاسلام ثلمناه و لافاحشة فعلناها فوالله لو ان النبى - ص - اوصى اليهم فى قتالنا لما فعلوا بنامازادوا فى قتالنا فانا لله وانا اليه راجعون . ثم قام يمشى الى المدينة ليدخلها فلما دخل زارجده ثم دخل منزله .

و قال الأسفراييني : ثم انه خرج ومعه خادم معه كرسى فوضعه فجلس عليه وهو يبكى ويمسح دموعه بمنديل الى ان قال : اقبل اهل المدينة وتصايحوا بالبكاء والنحيب حتى ضجت الارض فاومأ اليهم ان اسكتوا فسكتوا ، فقال:

« الحمد لله رب العالمين بارىء الخلائق اجمعين الذى بعد فارتفع عن السماوات العلى وقرب فشهد النجوى نحمده على عظايم الامور و فجايع الدهور

ايها الناس ان الله ابتلانا بمصايب جليلة ومصيبة فى الاسلام عظيمة .

ايها الناس قتل ابوعبدالله وسبيت نساؤه فاى رجال يسرون بقتله ؟ ام أى عين تحبس دمعها فلقد بكت السبع الشداد لقتله و بكت البحار بامواجها و السماوات

باركانها و الأرض بارجائها و الأشجار باغصانهاو الحيتان في البحار و الملائكة المقربون.والله لوان النبي -ص-حثهم على قتلنا كماحث في الوصائة بنا لمازادوا على ما فعلوا شيئاً فانا لله و انا اليه راجعون ، فعند الله نحتسب فيما اصابنا انه عزيز ذو انتقام » .

قال ابو مخنف : واما ام كلثوم فحين توجهت الى المدينة جعلت تبكي وتقول شعراً :

مدينة جدنا لاتقبلينا ... فبالحسرات والاحزان جينا
خرجنا منك بالاهلين جمعاً ... رجعنا لا رجال ولا بنينا
الا فاخبر رسول الله عنا ... بأنا قد فجعنا في اخينا
وان رجالنا بالطف صرعى ... بلارأس وقد ذبحوا بنينا
و رهطك يارسول الله اضحوا ... عرايا بالطفوف مسلبينا
وقد ذبحوا الحسين ولم يراعوا ... جنابك يا رسول الله فينا
فلو نظرت عيونك للاسارى ... على اقتاب الجمال محملينا
رسول الله بعد الصون صارت ... عيون الناس ناظرة الينا
وكنت تحوطنا حتى تولت ... عيونك ثارت الأعدا علينا
افاطم لو نظرت الى السبايا ... بناتك في البلاد مشتتينا
افاطم لو نظرت الى الحيارى ... و لو ابصرت زين العابدينا
افاطم لو رأيتينا سهارى ... و من سهر الليالي قد عمينا
افاطم ما لقيت من عداك ... و لا قيراط مما قد لقينا
فلو دامت حياتك لم تزالي ... الى يوم القيامة تندبينا
و عرج بالبقيع وقف و ناد ... أابن حبيب رب العالمينا
و قل يا عم يا حسن الزكي ... عيال اخيك اضحوا خائفينا

ايا عماه ان اخاك اضحى	بعيداً عنك بالرمضا رهينا
بلا رأس تنوح عليه جوراً	طيور والوحوش الموحشينا
ولو عاينت يا مولاى ساقوا	حريماً لا يجدن لهم معينا
على متن النياق بلا وطاء	و شاهدت العيال مكشفينا
وكنا فى الخروج جمع شمل	رجعنا خاسرين مسلبينا
و كنا فى امان الله جهراً	رجعنا بالقطيعة خائفينا
و مولانا الحسين لنا أنيس	رجعنا و الحسين به رهينا
فنحن الضايعات بلا كفيل	ونحن النايحات على اخينا
ونحن السايرات على المطايا	نسار على جمال المبغضينا
ونحن الصابرات على البلايا	ونحن الصادقون الناصحونا
و نحن الطاهرات بلا خفاء	ونحن المخلصون المصطفونا
و نحن بنات يس و طه	ونحن الباكيات على ابينا
الا يا جد قد قتلوا حسينا	ولم يرعوا جناب الله فينا
الا يا جدنا بلغت عدانا	مناها و اشتفى الأعداء فينا
لقد هتكوا النساء و حملونا	على الأقتاب قهراً اجمعينا
وزينب اخرجوها من خباها	و فاطم و اله تبدى الأنينا
سكينة تشتكى من حر و جد	تنادى الغوث رب العالمينا
و زين العابدين بقيد ذل	و راموا قتله اهل الخيونا
فبعدهم على الدنيا تراب	فكأس الموت فيها قد سقينا
وهذه قصتى مع شرح حالى	الا يا سامعون ابكوا علينا

و فى كتاب المستدرك : لابن البطريق الحلى عن حلية الاولياء لابى نعيم الاصبهانى عن جعفر بن محمد قال سئل على بن الحسين عن كثرة بكائه فقال : لا تلوموني فان يعقوب فقد سبطاً من ولده فبكى حتى ابيضت عيناه و لم يعلم انه

مات وقد نظرت الى اربعة عشر من اهل بيتى قتلوا فى غداة واحدة فترون حزنهم يذهب عن قلبى .

وقال الاسفرايينى : ويروى عنه انه كان دائماً كثير البكاء لتلك البلوى عظيم البث والشكوى ،

ويروى عن الصادق ـ ع ـ: ان زين العابدين بكى على ابيه وهو صائم نهاره قائم ليله . فاذا كان وقت الافطار جيء له بطعام وشراب فيقول: (قتل ابى جائعاً قتل ابى عطشاناً) ولم يزالوا يرددون عليه طعامه و شرابه حتى يمزجهما بدمعه ثم يتعاطى منهما قليلا ولم يزل كذلك حتى لقى الله عزوجل .

ويروى عن مولى له: انه برز يوما الى الصحراء فتبعته فوجدته سجد على حجارة خشنة فوقفت وراءه فسمعته يبكى وينوح ويقول : لا اله الا الله الى آخر مقاله فاحصيت عليه ألفاً ثم رفع رأسه فرأيت وجهه ولحيته قد بلت بدموعه . فقلت : ياسيدى ما آن لحزنك ان ينقضى وبكائك ان يقل ، فقال : (ويلك ان يعقوب كان نبياً ابن نبى وكان له اثنا عشر ابناً فغيب الله واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن وتحدب ظهره من الغم وذهب بصره من البكاء ، وابنه فى دار الدنيا وانا رأيت ابى وسبعة عشرة من اهل بيتى مقتولين فكيف ينقضى حزنى) ؟ ثم بكى بكاء شديداً

وفى الباب الستين من ينابيع المودة عن جواهر العقدين : وقال الواقدى لما وصلت السبايا بالرأس الشريف للحسين المدينة لم يبق بها أحد و خرجوا يضجون بالبكاء وخرجت زينب بنت عقيل كاشفة وجهها ناشرة شعرها تصيح : واحسيناه وا اخوتاه واهلاه وامحمداه واعلياه واحسناه ثم قالت :

ماذا تقولون ان قال النبى لكم ... ماذا فعلتم و انتم آخر الامم
باهل بيتى و اولادى اما لكم ... عهد اما توفون بالذمم
ذريتى و بنو عمى بمضيعة ... منهم اسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم ... ان تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

قالت فاطمة بنت عقيل مرثية :

عيني ابكي بعبرة و عويل   و اندبي ان ندبت آل الرسول
تسعة كلهم لصلب عقيل   قد اصيبوا و خمسة لعقيل

اوردهما ابن عبدالبر في الاستيعاب ،الى ان قال:وقال الزهري: لمابلغ الحسن البصري خبرقتل الحسين ـ ع ـ بكى حتى اختلج صدغاه ثم قال: اذل الله أمة قتلت ابن نبيها والله ليردن رأس الحسين الى جسده ثم لينتقمن له جده وابوه من ابن مرجانة

وقال الحافظ جمال الدين الزرندى فى معراج الوصول ان الامام الشافعي انشد :

ومما نفى نومي وشيب لمتي   تصاريف ايام لهن خطوب
تأوب همي و الفؤاد كئيب   وارق عيني و الرقاد غريب
تزلزلت الدنيا لآل محمد   وكادت لهم هم الجبال تذوب
فمن يبلغن عني الحسين رسالة   و ان كرهتها انفس و قلوب
قتيل بلا جرم كأن قميصه   صبيغ بماء الارجوان خضيب
نصلي على المختار من آل هاشم   و نغرى بنيه ان ذا لعجيب
لئن كان ذنبي حب آل محمد   فذلك ذنب لست عنه اتوب
هم شفعائي يوم حشري وموقفي   وحبهم للشافعي من اوجه ذنوب

ونقل ابن سبط الجوزى : ان ابن الهبارية الشاعر اجتاز بكربلاء فجعل يبكى على الحسين واهله ، وانشد :

احسين المبعوث جدك بالهدى   قسما يكون الحق عنه يسائل
لو كنت شاهد كربلا لبذلت في   تنفيس كربك جهد بذل الباذل

ثم نام مكانه فرأى النبي ـ ص ـ فقال: (جزاك الله خيراً، فان الله قد كتبك ممن جاهد بين يدى ابني الحسين) .

وفى الثاني والستين من ينابيع المودة عن جواهر العقدين : وقال الحافظ

جمال الدين الزرندى فى معراج الوصول فى معرفة آل الرسول نقل ابو القسم الفضل بن محمد المستملى ان القاضى ابابكر سهل بن محمد حدثه قال قال ابو القاسم الطيب بلغنى ان الشافعى انشد هذه الأبيات ، فذكر مامر، وقال قال ابن عبد البر وقف سليمان بن قتة على مصارع الحسين واهل بيته وجعل يبكى ويقول :

مررت على ابيات آل محمد فلم ار امثالها يوم حلت
وان قتيل الطف من آل هاشم اذل رقاباً من قريش فذلت
ألم تران الأرض اضحت مريضة لفقد حسين و البلاد اقشعرت
وقد ابصرت تبكى السماء لفقده وانجمها ناحت عليه وصلت
وكانوا لناغيثا فعادوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

ومن جملة ماقيل فيه مارواه غير واحد من القوم من انه ظهرت يد فكتبت على الجدار بالدم بقلم من حديد :

اترجو امة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب

فارادوا اخذها فغابت فرجعوا فعادت تكتب :

فلا والله ليس لهم شفيع وهم يوم القيامة فى العذاب

ثم ارادوا اخذها فغابت فرجعوا فعادت تكتب :

لقد قتلوا الحسين بحكم جور و خالف حكمهم حكم الكتاب

وروى بعضهم انه وجد ذلك مكتوباً قبل مبعث النبى -ص- فى كنيسة النصارى لايعلم تاريخه . وقال بعضهم فى حجر قبل مبعثه بثلاثمائة سنة

وعن سليمان بن يسار : وجد حجر مكتوب عليه :

لابد ان ترد القيامة فاطم و قميصها بدم الحسين ملطخ
ويل لمن شفعاؤه خصمائه و الصور فى يوم القيامة ينفخ

الكنجى باسناد طويل عن هشام بن محمد قال : لما اجرى الماء على قبر الحسين نضب بعد اربعين يوماً وامتحى اثر القبر فجاء اعرابى من بنى اسد فجعل

يأخذ قبضة قبضة من التراب و يشمه حتى وقع على قبر الحسين فبكى وقال: بأبى وامى ما كان اطيبك حياً واطيب تربتك ميتاً ثم بكى و انشأ يقول :

اردوا ليخفوا قبره عن عدوه — فطيب تراب القبر دل على القبر.

وعن الحافظ يوسف : عن ابن ابى زيد عن محمود عن ابن فاذشاه عن الامام ابى القسم عن على بن عبد العزيز عن الزبير عن عمه المصعب بن عبدالله قال : خرجت زينب الصغرى ابنة عقيل على الناس بالبقيع تبكى قتلاها بالطف وهى تقول:

ماذا تقولون ان قال النبى لكم — ماذا فعلتم وانتم آخر الامم
باهل بيتى وانصارى وشيعتهم — منهم اسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان ذاك جزائى اذ نصحت لكم — ان تخلفونى بشر فى ذوى رحمى

فقال ابو الاسود الدئلى نقول : « ربنا ظلمنا انفسنا » الاية ، ثم قال ابو الاسود:

اقول و زادنى جزعاً و غيظاً — ازال الله ملك بنى زياد
وابعدهم كما غدروا وخانوا — كما بعدت ثمود وقوم عاد
و لا رجعت ركابهم اليهم — اذا وقفت الى يوم التناد

هكذا اخرجه الطبرانى فى ترجمة الحسين.

و باسناده : حدثنا الزبير بن بكار بمرثية للحسين ذكر ابن عساكر تمامها من جملتها :

وان قتيل الطف من آل هاشم — اذل رقاباً من قريش فذلت

و آخرها :

الم تران الارض اضحت مريضة — لفقد حسين و البلاد اقشعرت

عن محمد بن الفضيل الفزارى انشدت فى مرثية الحسين لبعض الشعراء :

لقد هد جسمى رزء آل محمد — وتلك الرزايا والخطوب عظام
وابكت جفونى بالفرات مصارع — لال النبى المصطفى و عظام

عظام باكنـاف الفرات زكيـة | لـهن علينا حـرمة و ذمـام
فكم حرة مسبية فـا طمية | وكم من كريم قدعلاه حسام
لآل رسول الله صلت عليهـم | ملائكة بيض الوجوه كرام
افاطم اشجانى بنوك ذووالعلا | فشبت و انى صادق لغلام
و اصبحت لاالتذ طيب معيشة | كأن على الطيبـات حرام
ولا البارد العذب الفرات اسيغه | ولا ظل يهنبنى الغداة طعام
يقولون لى صبراً جميلا و سلوة | ومالى الى الصبر الجميل مرام
فكيف اصطبارى بعد آل محمد | وفى القلب منهم لوعة وضرام (سقام)

قال: وانشدنى بعض رفقائى من مرثية :

رأس ابن بنت محمد و وصيه | للمسلمين على قناة يرفع
و المسلمون بمنظر وبمسمع | لا جازع منهم ولا متفجـع
كفلت بمصرعك العيون عماية | و اصم رزئك كل اذن تسمع
ايقظت اجفاناً وكنت انمتها | وانمت عيناً لم تكن بك تهجع
وما روضة الا تمنت لو أنها | لك حفرة ولخط قبرك مضجع

اقول : ويلحق ذلك الباب البكاء عليه فى اعظم المجالس و اجمع المحافل اذا جمع الله الخلائق فى صعيد واحد حفاة عراة يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد

قال ابو اسحاق الاسفراينى فى اواخر كتابه « نور العين فى مشهد الحسين » : و روى عن جعفر الصادق ـ رضى الله عنه ـ : انه اذا كان يوم القيامة ينصب الله سرادقاً من نور بين يدى رسول الله ـ ص ـ و الخلائق حاضرون . ثم ينادى مناديا معشر الناس : غضوا ابصاركم فان فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى تريد ان تجوز السرادق فيغضون ابصارهم فاذا هى مقبلة فاذا وضعت رجلها فى السرادق نوديت يافاطمة فتلتفت فترى ولدها الحسين واقفاً بجانبها من غير رأس

فتصرخ صرخة لايبقى لها ملك مقرب ولانبى مرسل الاجثى على ركبتيه وخرمغشياً عليه (عليها ـ ظ) . ثم انها تفيق من غشيتها فتجد الحسين يمسح وجهها بيديه ورأسه قدعاد اليه فعندذلك تدعو على قاتله ومن اعانه فيؤمربهم الى جهنم ولاشفيع لهم.

ويروى عن الصادق ـ ع ـ : انه قال اذا كان يوم القيامة ينصب لفاطمة كرسى من نورفتجلس عليه فبينما هى جالسة واذا بالحسين مقبل عليها ورأسه بيده ، فاذا رأته صرخت صرخة عظيمة لايبقى فى الجمع ملك مقرب ولانبى مرسل الابكى لبكائها فيمثله الله عزوجل فى احسن صورة ، و يجمع له من حضر قتله والمتجهزعليه وما اشار فى قتله فيقتلهم الحسين عن آخرهم ثم ينشرون فيقتلهم الحسن، وهكذاينشرون ويقتلون حتى لايبقى من ذريتنا الا ويقتلهم فعند ذلك يكشف الهم والحزن .

ويروى عن آل الرسول انه قال : اذا كان يوم القيامة تقبل فاطمة على ناقة من نياق الجنة وبيدها قميص الحسين ملطخ بدمه فتصرخ وتزج نفسها عن الناقة وتخر ساجدةلله عزوجل و تقول : الهى وسيدى ومولاى احكم بينى وبين من قتل ولدى الحسين ؟ فيأتيها النداء من قبل الله عزوجل : ياحبيبتى وابنة حبيبى ارفعى رأسك فوعزتى وجلالى لانتقمن اليوم ممن ظلمك وظلم ولدك ثم يأمر بجميع من حضرقتل الحسين ومن شارك فى قتله الى النار .

وعن النبى ـ ص ـ انه قال : اذا كان يوم القيامة جائت فاطمة فى جماعة من نسائها فيقال لها : ادخلى الجنة فتقول : لاادخل حتى اعلم ما صنع بولدى الحسين فيقال : انظرى عن يمينك ، فتلتفت فاذا الحسين قائماً وليس عليه رأس فتصرخ صرخة فتصرخ النساء لصراخها والملائكة ايضا

ثم تنادى : (واولداه ، واثمرة فؤاداه) فعند ذلك يغضب الله ويأمر ناراً قد اوقدت عليها الف حتى استوت «اسودت ـ ظ»ولاتدخلها ريح ولا يخرج منهاابداً ان التقطى من حضر قتل الحسين ، فتلتقطهم فاذا صاروا فى جوفها صهلت بهم

وصهلوابها ، و شهقت بهم وشهقوابها ، وزفرت بهم وزفروابها ثم ينطقون بالسنة ذلقة ناطقة : ياربنا لم اوجبت لنا النار قبل عبدة الاوثان ؟ فيأتيهم الجواب عن الله : انمن علم ليس كمن لايعلم .

واورد روايةاخرى في كيفية ورودها المحشر وتظلمها ممن ظلمها وقتل ولدها بعد ما تزج نفسها من ناقتها عند العرش وشفاعتها في ذريتها وشيعة ذريتها باذن من الله عزوجل وانها تشفع فيهم ،قال : فتقودهم فاطمة حتى تدخلهم الجنة وهي آخذة بقميص الحسين و هو ملطخ بالدم و قد تعلقت بقوائم العرش وهي تقول : يارب احكم بيني وبين قاتل ولدي الحسين فيؤخذ بها ويقال لها : « ويل لمن شفعاؤه خصمائه».

اقول : ورواية تظلمها ممن قتل ولدها وانه يحكم لها رواها غير واحد من القوم وهي في مواضع من ينابيع المودة الا ان لاتصريح فيها بالبكاء وهذه اوفى وفي كتاب الاسفرايينى في البكاء عليه يوم شهادته ، وما بعده اشياء كثيرة حتى بكاء اهل الشام عند خطبة السجاد وبكاء رسول ملك الروم وشهادته وغير ذلك تركناها خوف الاطالة ونحوه وقد شاعت نسخة الكتاب لاحظها من اراد وان اشتمل على اكاذيب واضحة لمن رآه ايضاً .

المقام الخامس

فی عدم الفرق بیننا وبین من بکی وکذا

بین زمان وقوع الواقعة وما بعده

اعلم ان بکاء من بکی انما کان من اجل تأثره مما وقع ، ومن اجل عدم ملائمة ما وقع لطبعه ، ومجرد ذلك یوجب ان یکون البکاء المذکور من باب البکاء علی المصیبة ولهاولایکون اقل من انقطاع شسع النعل وانطفاء السراج، اذالمصیبة هی کل ما احزن القلب کائناً ما کان علی مایستفاد من اخبارهم ایضاً ، والافالحوادث التی تمیل الیها النفوس وتبتهج لوقوعها لاتستتبع بکاء ، وذلك فی کمال الوضوح من افعال العقلاء نعم الا فی بکاء الشوق وهو خارج عن مورد تلك الاخبار مطلقاً، وعن مورد توهم القوم ایضاً ، فمورد تلکم الاخبار ما هو الا البکاء علی المکاره ، وحیث عرفت عدم اتجاه منع تلك الموانع ظهرلك الجواز ، مضافاً الی الجواز المستفاد من «دلیل الجواز» والذی عرفت بعض مایناسب المقام منه .

کماظهر ان علة البکاء هو التأثر من الواقعة ، وهی کما وجدت لهؤلاء وجدت لغیرهم ایضا بلافرق بینهم لافی وجود سبب البکاء ، ولافی ارتفاع المانع ، ولا فی جریان دلیل الجواز کما هوواضح من سیر ماحررناه ، وماینکشف بالبکاء ـ ممامنعوا من اجله ـ لافرق فی انکشافه مابین حال وقوع الواقعة وماقبله ومابعده ولافی اشخاص الباکی فلو کشف عن امر قبیح ففی الکل والافلا کذلك ایضاً ، فاللازم علی المانع منع هؤلاء ایضاً او ترخیص غیرهم ایضاً .

ومن لايعرف الدليل اذاكان عقلياً فليقنع بماحوته تلك الروايات من البكاء على الميت والمصيبة فيسائر الاحوال، ومن الاقارب وغيرهم، ممالايسعهم المنع فيهمن فعل رسول‌الله -ص-وغيره، وهذه وانكانت قضايا شخصية الاانها بمجموعها متواترة المعنى بالنسبة الى الجواز، والكشف عن ان بناء الشرع و اهله الاكابر لم‌يكن على‌المنع منه من‌حيث البكاء.

انكان ممنوعاً، تحريمياً اوتنزيهياً، وفعله رسول‌الله -ص-وسلى فاطمة بما مربعضه من‌غير ان يومىء بعضه الى‌قبح الفعل بوجه، ولاعلى ولاغيره، وسيتضح ذلك‌فيما بعدايضاً.

وبالجملة فلومنعوا لمنعوا هؤلاء ولايسعهم ذلك الاان‌يأتوا بشرع جديد، كما لايخفى.

المقام السادس

فى دواعى البكاء مطلقاً وخصوص بكائنا على ابى عبدالله . الكافية فى حسن البكاء عليه وان لم يثبت امر خاص

اعلم ان البكاء ينشأ عن العلم والالتفات الى امر يوجب احتراق القلب ـ كما لايخفى ـ وهو :

اما ان يلاحظ الباكى حال الميت وما ألم به من امر صعب فيرق له و يحزن من اجله ويبكى وهذا من بكاء الرحمة محضاً يجعلها الله فى قلوب عباده، وانما يرحم من عباده الرحماء. ومثل هذا البكاء يحصل على القريب وغير القريب

واما ان يلاحظ فوات حظوظ الحياة الدنيا عن الميت وهذا ايضا من الرأفة و الرحمة ، وقل ان يتفق البكاء لمحض ذلك بل لايكون كما لايخفى

واما ان يلاحظ فوات ماكان له من الميت ـ لو كان طال حياته ـ من الانتفاع به بوجوه المنافع، اوسد ابواب المكاره، اودفع المضار بوجه من الوجوه فالباكى هو المصاب ، ويبكى على مصيبة نفسه و منه بعض ما صدر من الصديقة الطاهرة حيث قالت «اخشى الضيعة بعدك» وقالت: «انقطع عنا خبر السماء» ونحو ذلك فانسد به ابواب خيرات كثيرة ، وذهبت مفاخر عظيمة الى غير ذلك وكان أماناً من العذاب فذهب «و ماكان الله ليعذبهم وانت فيهم» وبذلك ونحوه صارت المصيبة به مصيبة على عامة اهل الاسلام بل كافة البشر حيث كانوا ينتفعون به ـ ص ـ من وجوه لاتحصى : «وما ارسلناك

الارحمة للعالمين » فانقطعت تلك الرحمة و ما طالت مدتها . وان لم يعرف الناس وجوه بركته خصوصاً الكفار، بل أفسدوا على أنفسهم فصيروا نعمته نقمة عليهم حيث كان يدعوهم الى تجارة تنجيهم من عذاب أليم فلا يجيبونه فيقتلون بسيفه الشاهر كيف لاوقد أعطوا نعمة الوجود ببركته ، وكذا أعطوا غيرها من النعم من منافع وجوده و هو بين ظهرانيهم ، فلما ذهب -ص- أتاهم ما كانوا يوعدون. وان لم يعرفوه أو لم ينتبهوا لفقد ما فاتهم ، ونزل فيهم ما نزل فكان يرى مواقع الفتن خلال بيوتهم كمواقع القطر و رجع من رجع من اصحابه القهقرى . فيذاد عن الحوض فيقول: يارب أصحابي وبني فيقال : ماتدري ما أحدثوا بعدك لم يزالوا مرتدين بعدك اورجعوا على اعقابهم القهقرى اليس لو طال بقاؤه لم يقع كل ذلك ممن وقع منه، ولم ير الانصار الاثرة التي اخبر بها وامرهم بالصبر فلم يصبروا كما شهد به انس على ما في روايات الصحيحين الى غير ذلك مما وقع بعده لفقده ، وقد اوردنا نبذة من ذلك في كتاب : «التنبيه» وهي اكثر من ان تحصى ،ومن تلك النبذة يعرف سنخ بعض منافع كونه بين ظهرانيهم ... والى مثل ذلك وسنخه اشار -ص- حيث عظم مصيبتهم به فيما رواه الترمذي في باب من قدم ولداً عن ابن عباس يحدث انه سمع رسول الله -ص- يقول: (من كان له فرطان من امتي ادخله الله بهما الجنة) فقالت عائشة :

فمن كان له فرط من امتك ؟ قال: (ومن كان له فرط ياموفقة) قالت : فمن لم يكن له فرط من امتك قال : (فانا فرط امتي لن يصابوا بمثلي) قال ابوعيسى حديث حسن غريب لانعرفه الامن حديث عبدربه بن بارق وقد روى عنه غير واحد من الائمة وعلى عليه السلام ، فيما رواه الخوارزمي في حديث يوم الشورى والبيعة لعثمان هو طويل جداً (فقبضه الله اليه فانا لله وانا اليه راجعون ما اجل رزيته واعظم مصيبته فالمؤمنون فيه طراً مصيبتهم واحدة الخبر .

ورسول الله -ص- فيما رواه في المستطرف عن عطاء بن رباح قال قال رسول الله -ص- : (من اصابته مصيبة فليذكر مصيبته بي فانها من اعظم المصائب)

هذا ولو كان المعيار فى كون المصيبة مصيبة ما أومأنا اليه فأعظمية المصيبة به كالشمس فى رابعة النهار لمن عرف كونه -ص- انفع الناس للعباد، وادرك كثرة بركات وجوده وكونه فى الشاهدين، - وليس هنا مجال التفصيل فى ذلك - بل يعرفه المتدبر فى مزاياه وفوائده، وماوقع فى الامة بعده ونحو ذلك.

ومن ذلك مارواه القوم ايضاً فى اهل بيته المنبىء عن مشاركتهم له فى جملة من الاوصاف والخواص والمزايا والمنافع وكونهم بمنزلته فى الجملة، ككونهم أماناً لاهل الارض، فقد رواه الشيخ فى صواعقه وصدقه، ومشاركتهم له فى الخلق، وكونهم ممن أمر الناس باتباعهم لانهم لايخرجونهم من باب هدى الى باب ضلالة ووجوب التمسك بهم لانهم احد الثقلين اللذين تركهما رسول الله -ص- فى الامة فيسئل عنها، وكونهم كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق وهوى، وكونهم باب حطة الى غير ذلك مما يطول بشرحه الكتاب فضلا عن ايراد أخباره فضلا عن استيعابها، واستيعاب طرقها، وخصوص نظير قوله: (حسين منى وانا من حسين) وقوله -ص-: (ياولدى انت كبدى) وقوله: (قرة عينى وثمرة فؤادى) مضافا الى الاخبار التى تفضلهم على غيرهم من الناس اجمعين.

وبالجملة فيظهر من ذلك ان المصيبة باهل بيته ايضاً فى حد نفسها من اعظم المصايب. وتالى المصيبة به -ص- حيث كان وجودهم اكثر شىء نفعاً وفقدهم اكثره ضرراً ومفسدة، وهذا ايضاً واضح لمن عرف كثرة فوائدهم وانهم فى المنافع للناس تالى جدهم العظيم لايحول بينهم وبينه احد. وكتاب ينابيع المودة قد حوى على جملة وافية من تلك الأخبار فى الابواب المختلفة راجعها من اراد فيحق لنا البكاء لاجلهم بعدما جاز البكاء للمصيبة - كما عرفت - حيث فقدناهم فقد الأرض وابلها، و مصيبتنا بهم من اعظم المصايب بعد المصيبة بجدهم. وهى مصيبة دائمة تدوم ببقاء الدنيا، كما تمتد المصيبة برسول الله -ص- حسب ما افصح عنه تلك الأخبار، و واضح تمام الوضوح لاولى الابصار. فلنقتصر على ذلك الاجمال فى توضيح هذا المقال فى هذا المجال.

ومن التدبر فى ذلك يظهر لك انه أصيب بالحسين عليه السلام تمام العالم حتى من قتله وان الذى لايرى نفسه ممن اصيب بالحسين اولايقوم بلوازم المصيبة بماهو الا كالسكران الذى لايدرى ماورد عليه. وانمايعرف ذلك بعدان يفيق وقدشرحنا ذلك بعض الشرح فى كتابنا الكبير « الدرة الغروية والتحفة الحسينية » فى ابواب البكاء فليراجع .

واما ان يلاحظ (الباكى) مظلومية من ذهب عنه وورود الظلم عليه محضاً ان كان مظلوماً فالبكاء للظلم، اومع الجهة السابقة فهو للمصيبة والظلم ، والأول وجه بكاء رسول الله -ص- على علي والحسين -ع- فيماسلف من الاخبار . و الثانى عمدة وجه بكاء الشيعة عليهما وعلى غيرهما اوالعمدة خصوص الاول أيضاولذا يتفاوت حالهم و يكثر بكاؤهم على من كثر عليه الظلم من اهل البيت، كما لايخفى . واذاكان البكاء لأجل المظلومية فهويستتبع أموراً ويكشف عنها ، منها: حب المظلوم ،وبغض الظالم وفعله وهونوع من انكار الظلم واظهار للتبرىء من الظالم وتقبيح فعله وذلك من شعب الحب فى الله والبغض فى الله ، وهمامن اركان الدين وعمدة لوازم ايمان المؤمنين بل من عكس وصف بالنفاق . وكان من اهل الشقاق ولم يذق حلاوة الايمان ..

ومن آثار حب المظلوم ان يحشر معه فان (المرء مع من احب ومن احب هذين واباهما وامهما كان معى فى الجنة) كما فى النبوى وقدكثر اخبارهم فى ذلك بل هو الداعى الى الأمر بحب اولياء الله ، ووجه ترتب اتباع النبى -ص- على حب الله فى قوله: «ان كنتم تحبون الله» كمالايخفى . ويستلزم حب الله كمايرشداليه قوله «يحببكم الله» الى غيرذلك ، وهومن اعلى المراتب واجلها .

ومن ثمرات بغض الظالم انكار المنكر الذى فعله بالقلب، ولايكون دين بادنى من ذلك ففى المأثور (من رأى منكرا فلم يغيره بيدولا لسان ولا قلب فليس من الله فى شىء اومن الايمان اومن الاسلام) وتبرء منه فلايجمع الله بينهما ، كمانه تقرب من المظلوم ، وقرب من ربه الذى قبح ظلمه وأبغضه ، واذاكان فى مظلوم اهل البيت ففيه

اداء اجر الرسالة والحشر معه ـص ـ ونحوذلك .

ومنها: انه غيظ ادخلوه على اعدائهم ولوبعد آلاف من السنين ، وكذا من تابعهم ومالأهم ، وشايعهم ، وسرور ادخلوه على اولياءالله من الانبياء و الملائكة و غيرهم ، واقتفاء لآثارهم ، وتأس بهم في مساء اعدائهم ، وفيه ايضا اعلاء لكلمةالله العليا ، واظهار دعوته ، وابطال هفوات الشيطان، ودحض كلمته ، ومااراد ان يترتب على ذلك الفساد من الضلال وغيره ، وكذا التأسي برسول الله ـ ص ـ حيث بكى (ولكم في رسول الله اسوة حسنة) واظهار الخلاف لمن خالفه، وحيث ان الظلم اضحك الشيطان وأتباعه ، فالبكاء ادخال غم وغيظ عليهم . كما وحيث ان الظلم احزن اولياءالله فالبكاء ادخال سرور عليهم، واسعاد للمظلوم في مظلوميته في التأثر من الظلم الواقع عليه ومشاركة له في ذلك بالمقدور فيشاركه في اجره من غير ان ينقص من اجره شيء ومواساة لاهل المظلوم كما دل عليه الخبر في حمزة ، وبر وصلة لهم بل واداء لحقوقهم حيث انه من نصر المظلوم الى غير ذلك مما لايحصى هنا .

فهذا البكاء من اسنى المكارم واجل المعالي وتلك الدواعي التي ذكرناها و اشباهها تكفي لحسنه واستحبابه وان لم يرد أمر خاص به .

وبالتدبر في ما سبق قريباً يظهر لك حسن انواع الجزع على المظلوم ـ الا ما ثبت تحريمه ـ لاشتماله (اى لاشتمال هذا الجزع) على تلك الدواعي والامور واشباهها من وجوه الحسن . اذا كان عن اضطراب القلب .

لايقال : كيف ذلك وهو (اى الجزع) من الصفات المذمومة ؟

لانا نقول : المذموم هو الجزع عند المصيبة وقد عرفت حاله ايضا دون الجزع عند الظلم . ولذا رخص في العقوبة بالمثل ، والانتصار بعد الظلم وقال: «لايحب الله الجهر بالسوء من القول الامن ظلم» وقال: يغضب لي اوليائي كما يغضب النمر لولده واوجب بغض الظالم ونحو ذلك ، وكله من شعب الجزع من الظلم ـ كمالا يخفى.

ثم ان في المقام وجوهاً آخر للبكاء لايهمنا التعرض لها . لاننا نعتقد ان ماذكرناه كاف في هذا المقام .

المقام السابع

فى الامر الشرعى بالبكاء على قتيل العبرات

والدليل على ذلك من وجوه :

انه من اوصاف محبى على المبشرين :

الأول اخبار النبى -ص- بكون ذلك من اوصاف الشيعة التى يمدحون بها

ففى ينابيع المودة فى الباب الرابع والاربعين اخرج الحموينى عن على بن المهدى الرقى عن على الرضا - ع - عن ابيه عن آبائه عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله -ص- : (ياعلى طوبى لمن احبك وصدقك والويل لمن ابغضك و كذبك ، محبوك معروفون بين اهل السماوات وهم اهل الدين و الورع و السمت الحسن والتواضع ، خاشعة ابصارهم وجلة قلوبهم وقد عرفوا حق ولايتك، والسنتهم ناطقة بفضلك وأعينهم ساكبة دموعها تحنناً عليك وعلى الائمة من ولدك عاملون بما امرهم الله فى كتابه وبما امرتهم انا وبما تأمرهم انت وبما يأمرهم اولو الامر من الائمة من ولدك بالقرآن وسنتى وهم متواصلون متحابون وان الملائكة لتصلى عليهم وتؤمن على دعائهم وتستغفر للمذنب منهم) .

اقول : وهذه العلة موجودة فى البكاء للاصابة بهم وفى البكاء من اجل مظلوميتهم - كما لا يخفى - ويعرف قدر مثل هذا البكاء مما ذكره الرسول -ص- فى عرض هذا البكاء من صفات : الخشوع و التواضع ونحوهما . وأى وصف وفعل يكون احسن واشد مطلوبية فى الشرع من ذلك ؟

انه مما وعد عليه الجنة .

الثاني وعد الجنة على ادنى مراتب البكاء عليه ، وعلى اقل مايتحقق به .

عن مسند احمد بن حنبل عبدالله بن احمد بن حنبل (عبدالله بن حنبل ـ خ) قال حدثنا احمد بن اسرائيل قال: رأيت في كتاب احمد بن حنبل بخطيده قال حدثنا اسود بن عامر بن عبدالرحمان يعني شيخنا ابابكر قال حدثنا الربيع بن المنذر عن ابيه قال : كان الحسين بن على يقول: (من دمعت عيناه فينا دمعة او قطرت فينا قطرة بوأه الله عزوجل فى الجنة) .

ينابيع المودة فى الباب السادس والخمسين عن ذخاير العقبى وعن الربيع بن المنذر عن ابيه قال : كان الحسين بن على رض يقول (من دمعت عيناه فينا دمعة بقطرة اعطاه الله تعالى الجنة) اخرجه احمد فى المناقب

وفى الثامن والخمسين من الينابيع عن جواهر العقدين وعن الحسين بن على ـ رض ـ قال : (من دمعت عيناه فينا دمعة وقطرت عيناه فينا قطرة بوأه الله تعالى الجنة) اخرجه احمد فى المناقب

وفى رشفة الصادى من بحر فضل بنى النبى الهادى : وعن الحسين بن على ـ رضى الله عنه ـ قال : (من دمعت عيناه فينا دمعة او قطرت عيناه قطرة آتاه ، و فى رواية : بوأه الله الجنة) اخرجه احمد فى المناقب واورده فى الباب الرابع من الرشفة

وفى الباب الثانى والستين من الينابيع من تفسير على بن ابراهيم عن الباقر (ع) قال (كان ابى يقول ايما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين ومن معه حتى يسيل على خديه لاذى مسنا من عدونا بوأه الله مبوء صدق وايما مؤمن مسه اذى فينا فدمعت عيناه حتى يسيل دمعه على خديه بوأه الله في الجنة غرفاً وايما مؤمن دمعت عيناه دمعاً حتى يسيل على خديه من مضاضة ما اوذى فينا صرف الله عن وجهه الأذى و آمنه يوم القيامة من سخطه ومن النار) اوردناه لاعتماد صاحب الكتاب وان كان على بن ابراهيم امامياً

انه يوجب غفران الذنوب :

الثالث سببية اقل مراتبه لمغفرة ذنوب الباكى ، ففى ينابيع المودة فى

الباب السابق من الكتاب المذكورعن جعفر الصادق عليه السلام قال :(من ذكرنا عنده اوذكرنا فخرج من عينيه دمع مثل جناح بعوضةغفرالله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر) .

الاسفرايينى فى آخر كتاب نور العين عن الصادق (ع) : (ان شهر المحرم كانت الجاهلية يحرمون فيه القتال فاستحلت فيه دماؤنا وانتهب مالنا و تهتكت فيه حريمنا ولم يبق فيه حرمة لنا ، ان يوم عاشوراء احرق قلوبنا وارسل دموعنا وارض كربلاء اورثتنا الكرب والبلاء فعلى مثل الحسين فليبك الباكون فان البكاء عليه يمحو الذنوب ايها المؤمنون) ودلالة هذا الخبر من وجوه.. كما لا يخفى.

انه يوجب شفاعة فاطمة (ع)

الرابع سببيته لشفاعة فاطمة اوالدخول فى شفاعتها : ففى ينابيع المودة فى رسالة موده القربى . وعنه ايضاً ـ يعنى عليا ـ رفعه : (اذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش : يا اهل القيامة اغمضوا ابصاركم لتجوز فاطمة بنت محمد المصطفى مع قميص مخضوب بدم الحسين فتحتوى على ساق العرش فتقول : انت الجبار العدل اقض بينى وبين من قتل ولدى فيقضى الله لبنتى ورب الكعبة ثم تقول : اللهم اشفعنى فيمن بكى على مصيبته فيشفعها الله فيهم) ذكره فى المودة الحادية عشرة

اما وجه اختلاف تلك الروايات فى ايجاب البكاء للجنة ، ولمغفرة الذنوب وللشفاعة ، فالجواب عنه واضح لان الطائفة الاولى (احاديث الجنة) من بيان المقتضى (١) ولا ينافيه منع الموانع من الوصول الى غايته كما فى سائر الافعال الحسنة كما لا يخفى ، ومن تلك الموانع وجود المعاصى غير الموعود غفرانه من اللمم ولا مانع ايضا من تأثير ذلك المقتضى لدخول الجنة فى محو الذنوب ومغفرتها فى الجملة كما فى الصلاة وغيرها .

---

(١) اى البيان ان البكاء على الحسين يقتضى دخول الجنة فى حال عدم الموانع

كما انه قديقارن ذلك وجود مانع قوى يضعف البكاء عن دفعه ، فيوجب حسن الفعل شفاعة الشفعاء فى العفوعن تلك الذنوب فيوجب دخول الجنة ايضا بعد الشفاعة وبمعونتها فلا يتحد مورد الكل ليكون ذلك الاختلاف موجباً لوهن فيها ومانعاً عن التمسك بها لاستحباب البكاء ،ولعل ذلك ممالايخفى . اويقال ان الاولين (اى اخبار الجنة واخبار المغفرة) لااختلاف بينهما لان محو الذنوب ومغفرتها من مبادىء دخول الجنة ، و رفع موانعه، والرواية الاخيرة خاصة ببعض الافراد من الباكين وهو من لايخلص الى الجنة بنفس عمله وبدون الشفاعة .

او ان الطائفة الثانية ايضاً فيمن كان له ذنوب فلا تعارض غيرها الوارد فى اقتضاء البكاء لدخول الجنة الظاهر فى كون مورده من لم يكن له مانع من دخولها من كفر اوغيره ـ كما لا يخفى ـ، فليس ذلك يوجب وهنا فيها يمنع عن التمسك بها للاستحباب مضافا الى اتفاقها فى ذلك وعدم وجود معارض لها فيه ، و وجود ادلة قطعية تؤيدها كما ستعرفها انشاءالله .

ثم ان شفاعة الصديقة الطاهرة مما لايسع القوم انكارها مرة لما رووه فى الشفعاء يوم القيامة من العلماء وغيرهم وهى (عليها السلام) ليست لديهم دون اولئك بل افضل منهم ، واخرى لما رووه فى فضائلها وشفاعتها وتظلمها وفوائد محبتها والتقرب اليها بوجه الى غير ذلك مما لايسع المقام لايراد الاخبار التى رووها وهى معلومة للمطلع على الاخبار الواردة فى مزاياها من طرقهم فتصبر فى ذلك جيداً .

*

تذنيب فى فضل ذكره ـعـ

فى المودة الثانية من مودة القربى عن عايشه بنت عبيدالله بن عاص التميمى بمدينة رسول‌الله ـص ـ وكانت مجاورة بها قالت : حدثنى ابى عن وائل عن نافع عن ام سلمة ـرضـ انها قالت : سمعت رسول‌الله ـصـ يقول: (ما من قوم اجتمعوا يذكرون فضائل محمد وآل محمد الاهبطت ملائكة من السماء حتى لحقت[ظ تحف]

بهم تحدثهم فاذا تفرقوا عرجت الملائكة وقالت الملائكة الاخرى لهم انا نشم منكم رائحة ما شممنا رائحة اطيب منها (بياض قدر سطر) فيقولون : اهبطوا بنا اليهم فيقولون : انهم قد تفرقوا، فيقولون: اهبطوا بنا الى المكان الذى كانوا فيه .

اقول : وحيث كانت مظلوميتهم بما وردعليهم من اعدائهم من فضائلهم فذكرها وذكر الظلم الوارد عليهم له تلك الخاصية والفوائد فيوجب محادثة الملائكة وتطيب اولئك الاطياب بطيب لم يرمثله فيما بينهم وبايديهم من انواع الطيب ، وتمنى غيرهم للدخول فى زمرتهم و التطيب بما تطيبوا به ، و تشرف مكان الذكر بما يكون معه مورداً ومصدرا للملائكة وسببا لتطيبهم بالنزول فيه بعد ما تفرق اهل ذلك الذكر من بنى آدم، كيف لا وهو ذكرهم [عليهم السلام] وهو عبادة كما يدل عليه قوله ـ ص ـ فى اخبارهم: (ذكر على عبادة) بعد وضوح ان لاخصوصية له من بين اولاده بمايوجب اختصاصه بعبادية ذكره.

ثم ان ذكرهم من آثارحبهم ولوازمه واحياء امرهم وغير ذلك خلافاً لمن حرم ذكر ما ورد عليهم من الظلم لا وهام واهية قد اجبنا عنها فى تذييل كتابنا : «الطلع النضيد فى ابطال المنع من لعن يزيد» وفى كتابنا :«سلاح الحازم فى دفع الظالم» فى جواب ابن حجر فى كتابه: «تنزيه القلب واللسان»

*

الخامس ـ الأمر بالبكاء عليه(١) خاصة.

ففى رواية الأسفراينى السابقة وان كان (٢) من التابعين بزعمهم لانهم امروا بان يتعلموا منهم ولايعلموهم فانهم اعلم منهم، وغير ذلك من العلل الواردة فى الأمر باتباع الثقل الأصغر اى اهل البيت مما لايحصى هنا،وان التابعى اذاقال شيئاًلامجال فيه للاجتهاد كان بحكم المرفوع الى رسول الله ـ ص ـ كما اقروا به فى الصحابى

---

(١) يعنى على الحسين (ع) .

(٢) اى وان كان الامام الصادق من التابعين ـ حسب زعمهم .

وقوله في جعفر :(فعلى مثل جعفر فلتبك الباكية) وهومثله وافضل منه بمراتب لاتحصى وقول السجاد في خطبته السابقة: (أم أي عين تحبس دمعها) ونحو ذلك .

وقول ام كلثوم في شعرها الوارد في الملاء من اهل المدينة ،و غير ذلك مما يستفاد منه مطلوبية البكاء عليه شرعاً و هو كثير وقدمرت جملة منه من طرقهم

السادس حسن حبه(ع) المعتبر في ايمان العباد بالايات والروايات الكثيرة المتواترة خصوصاً المشتملة على الفوائد الجليلة التي لاتحصى ، فان الامر النفساني ذلك له مظاهر وظهورات في الجوارح ومن هذه الظهورات الكاشفة عن الحب القلبي البكاء لمصيبته وعلى الظلم اللاحق به (عليه السلام) وكون المزبور من ذلك السبب واضح عرفاً وعقلا ففي المثل.

وما حب الديار شغفن قلبي اقبل ذا الجدار وذا الجدارا

ولكن حب من سكن الديارا

ولذا جعل البكاء عليهم تحننا من اوصاف محبيهم كما في رواية الرقي السابقة . . فكيف لايكون البكاء عليه ماموراً به ، فهو مطلوب في مرتبة محبوبية حبه ـ عليه السلام ـ ولعل ذلك مما لايخفى على المنصف .

السابع / الامر بحبه وموالاته والاخبار في ذلك كثيرة مضافاً الى الايات في القربى المفسرة بهم في اخبار القوم ايضا . وقد اوردنا نبذة منها في مطلع كتابنا « سلاح الحازم » ، وجملة من الاخبار في حبه في كتابنا «الطلع النضيد» ونحو : (من احبني فليحب هذين) ومادل على ان العبد لايكون مؤمناً حتى يكونوا (اي اهل البيت عليهم السلام) احب اليه من نفسه ونحو ذلك وجه الاستدلال بذلك ان المأمور به في تلك الاخبار هو ان يعامل الشخص مع هؤلاء الذين امر بحبهم معاملة مع من يحبه دون اصل تحصيل الحب والامر القائم بالنفس ، والا رجع الامر الى الامر بتحصيل العلم بهم ومعرفتهم ومعرفة مراتبهم ، فان اصل الحب ينشأ عن ذلك ، ولواراد ذلك لبين لهم مايعرفونهم به أو امرهم بالرجوع الى من يعرفهم ونحو ذلك ومعرفة فضائلهم ومناقبهم ، فالامر بالحب والحث عليه وان كان

ناشئاً فى الواقع عن وجود الفضائل ، الا أن النظر فيه ، والغرض الداعى اليه والمطلوب به هو ان يفعلوابهم ما يفعلون بمن يحبونه ، وكان يحصل غرضه -ص- بذلك عرفوهم حق معرفتهم ام لا ، اذ كان فيه نجاتهم و بعدهم عن الهلاك بعداوتهم وتركمايجب عليهم كما لايخفى مضافاً الىان مطلوبيةالمعنى النفسىايضا للوصول الى حصول تلك الافعال - كما لايخفى - حيث كانت هى الغرض المهم دون نفس العلم وان لم يترتب عليه أثر .

وبعبارة اخرى ان الناس امروا ان يفعلوا بهم ولهم ومعهم ما يفعله الناس واهل العرف واهل الدنيا مع من يحبونه ، وبهم ولهم ونحو ذلك ولم يستثن من فعل المحب شىء لم يؤمر به ، بل افعال الجوارح الصادرة من الناس لمن يحبونه مأمور بهافى حق هؤلاء ، ومن الواضح انمن ذلكالبكاء عندالمصيبة بهم ، وعلى مظلوميتهم . ومن يترك تلكالافعال عامة كيف يدعى حبهم وبماذا يحبهم وبماذا يمتازون عنده عن غيرهم حتىيدعى حبهم دون غيرهم ، ولعل شمول الامربالحب ، الظاهر فى طلب افعال الجوارح الناشئة عنالامر النفسى للبكاء بقسميه ، فى كمال الوضوح .

ويؤيد النظر فىذلك الىافعال الجوارح هذه صنع رسولالله -ص- صاحب الوقار والسكينةلها فىالحمل والتقبيل ونحوهما مما لايفعله الادانى من الناس فضلا عن الاشراف والكبراء ولذا كان يتعجب منه ذلك فيسئل فيجيب بمزيد الحب ونحو ذلك ولااقل من الظهور بعد ذلك فىطلب افعال الحبيب لمنيحبه وبالنسبة اليهمع الغض عنالوجه الصارف تلك الاوامر الىطلب الافعال فقط كما عرفت فيثبت بها شرعية كل مايفعله اهل الحب واستحبابه. ومن الواضح انالبكاء فىالموردين منافعال اهلالحب التىتصدر عنهم وكأنها ليست باختيارية لهمبعد وجود الحب وهم مقهورون فيها حينئذ والا فليسوا مناهل الحب أفيحبه فيفقده ولايبكى عليه ويظلم فلايبكى وهويحب بقاءه و سلامته عنالمكاره ونحو ذلك مضافاً الىصدور ذلكالفعل واشباهه ممن كان يحب الحسين عليهالسلام على الوجه المطلوب شرعاًلاجل الحب ولميكن يتعدى ماحدهالله تعالى

لهفى مرتبة الحب . ولافعال المحب المطلوبة شرعاً لاجل الحب ونحو ذلك وهو رسول الله ـ ص ـ الى غير ذلك مما لايكاد يخفى .

و بالجملة فالمطلوب فى تلك الاوامر ما عرفت لا معنى آخر له يعد فى الشرع حباً يغاير ما هو المتداول بين اهل الحب من اهل العرف كما هوواضح.

ثم ان من الواضح ان الحب له مراتب آخرها العشق وليس هنا مجال بيانها ولايختص اللازم المطلوب من حبهم بمرتبة خاصة من تلك المراتب حتى يكون بعضها غير مطلوب كما لا يخفى فكذا آثاره فكيف يمنع عن البكاء، ولم يتجه المنع عن البكاء لغيرهم ـ كما عرفت ـ فضلا عنهم الا ان يمنع حسن حبهم بذلك ، اوفى تلك المرتبة وهو خرص قال تعالى :«ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسناً» والحسنة حبهم كما فى الرواية، وهذا واضح لمن تدبر فلاحظه متبصراً افيكون من حبه عدم المبالاة بهلاك النفوس وتلف الاموال والاعراض .

ويجوزذلك كما فى حب المستشهدين بين يديه، ومن فعل ذلك لحب رسول الله ـص ـ وغيره، ولا يجوز سكب الدموع من العيون و اظهار الحزن له، او يقال : احب الله من احب حسيناً و يكون فعلهم ذلك من افعال المحبين ممنوعاً منه شرعاً وهو من أدانى آثار المحبة لأعاليها كما لايخفى .

ثم ان من منن الله جل جلاله انه لم يوجب على العباد اعلى مراتب الحب، واكتفى فى الايمان بادناها ، ولم يؤاخذ بما يزيد عليه وان اوجب فوت فواضل لاتحصى ، كما انه يوجب علو المراتب و رفع الدرجات بعدحسن ماهية الحب و افعال المحبين من حيثية الحب و الفعل الذى يدعو اليه الحب كما لا يخفى ، والحب ينشأ من العلم والمعرفة كما هوواضح، فمن ضعف حبه قلت معرفته وليس له بحث على من كثر علمه وقويت معرفته بعد اشتراكهما فى الحب فان الحب فى موارد مطلوبيته يحسن تمام مراتبه، و كذا فيما يكون مبغوضاً، كمالايخفى .

الثامن قوله تعالى: «ولكم فى رسول الله اسوة حسنة» وقد ثبت انه بكى على

الحسين - ع - فی حیاته وما بعدها فی حدیث ام سلمة وغیره ، و قول الترمذی فی حدیثها : (غریب) غریب بعد ما صح عنه -صلی الله علیه وآله - فی مسلم وغیره (من رآنی فی المنام فقد رآنی).

لا یقال : ان البکاء المزبور من العادیات [ای من العادات] فلا یثبت استحبابه بدلیل التأسی .

لانا نقول : اولا کونه من العادیات فی تلك الاوقات ممنوع، کیف وقد عابوا علیه بکاءه علی اولاده وتقبیلهم ونحو ذلك ، ویحکی عن الاشراف انهم لم یکونوا یظهرون هذا النوع من المحبة، ولا یبکون عند المصائب ، ویتجلدون لها فضلا عن البکاء عند تذکر مصیبة لم تقع بعد او اظهار المحبة بفعل یعد من فعل الانذال بل الاراذل خصوصاً من عظیم العظماء کالنزول الیه من المنبر و رفعه اذا رآه یعثر فی الناس ، و قطع الخطبة و نحو ذلك و حملهما علی العاتق فی المجامع فی حال المرض و القیام بفضلهما و هو حاملهما قائماً علی قدمیه ، و کثرة تقبیلهما و تقبیل زبیبته ونحو ذلك فلا یکون ذلك من العادیات التی لا تثبت استحبابها بدلیل التأسی.

وثانیاً ان الامر العادی اذا علم وجه صدوره عنه -صلی الله علیه وآله- و کونه متعلق الحکم الشرعی بالنسبة الیه لم تکن عادیته مانعة عن جریان دلیل التأسی کما لم یمنع عن اصل تعلق الحکم الشرعی.

واما استحباب ذلك فی حقه-ص- ایضاً فانه من شعب الحب فی الله، افیکون الحسین ممن طهره الله بآیة التطهیر ویفعل به غیر ذلك ، فلا یجب حبه اولا یستحب هذا الاثر من آثار حبه او یختص ذلك التکلیف بغیره - صلی الله علیه واله - وهو اتقاهم واکرمهم علی الله ، او یکون من اظهار العادی للعادة والتعارف ما فعل ، وقوله - صلی الله علیه وآله - : (اللهم انی احبهما واحب من یحبهما) الی غیر ذلك مما لا یحصی هنا ، کیف یکون ذلك وقد اکثر من قوله : غیر متحابٍ لقرابتی ، ونحو ذلك فلا یکون الا عن امر شرعی ، کیف لا وهو -ص-: »

(لاينطق عن الهوى ان هو الاوحي يوحى علمه شديد القوى ذومرة فاستوى) وكذا هو من شعب مودة ذوى القربى ، فان حسن مودتهم لقربهم من الله وزلفاهم عندالله وكرامتهم على الله بسبب افعالهم واوصافهم ولخصوص منزلة قربهم منه ـ صلى الله عليه واله ـ بالنسب واجتماعهم معه فى وجه مشاركتهم له فى بعض الاوصاف الى غيرذلك دون مطلق القرب منه ـ ص ـ لتخلفه فى ابى لهب كما لايخفى ، وهو كمايقتضي حسن محبتهم واستحبابها لغيره ـ ص ـ يقتضيه بالنسبة اليه كما هوواضح

هذا مضافا الى انه ـ صلى الله عليه واله ـ اجل من ان يشتغل طول تلك المدة ، ويفعل تلك الافعال من اجل الحياة الدنيا وقد ذمها بماذم ، ومضافا الى تعليله ـ ص ـ فعله بما يقتضى الاستحباب الشرعى كما فى البكاء الذى قبحوه منه وغير ذلك ، وفى عرض ذلك الدليل ادلة اتباع اهل بيته مقتدى الانام وهى كثيرة جداً . وقدبكوا على الحسين ـ عليه السلام ـ كما مر من على بن الحسين ـ عليه السلام ـ وقول الصادق ـ ع ـ فى رواية الاسفراييني الظاهر فى كونه بياناً لحال من امر الناس باتباعهم من اهل البيت : (ان يوم عاشوراء احرق قلوبنا وارسل دموعنا وان ارض كربلاء اورثتنا الكرب والبلاء) واحتمال كون ذلك من العاديات يدفعه نظير ما فى رسول الله ـ ص ـ وان لاتعارف فى ان يكون الشخص كذلك على من بينهما وسائط كمالايخفى فللباكى على الحسين اسوة برسول الله ـ ص ـ والائمة من ذريته واهل بيته ثبت ذلك من طريق القوم ، بل واسوة بالملائكة وغيرهم كما مر فى خطبة السجاد وليس بكاء هؤلاء الا فعل المستحب المندوب حيث لاعادة ولاتعارف فى بكاء هؤلاء كما لايخفى .

ولعمرى ان فى ملاحظة بكاء من بكى عليه غنى لمن القى السمع وهو شهيد ولايحتاج الى غيره من دليل ، كما لايخفى .

كيف وهو ليس بنادر اوعزيز كما عرفت .

التاسع انه لما قتل ـ عليه السلام ـ سر اعداؤه ومبغضوه واتخذوا ذلك

اليوم عيداً انى غير ذلك وهو فعل مبغوض ناش عن بغضه الحرام المهلك وعداوته المساوقة لعداوة الله ورسوله وحربهما كما نص عليه اخبار القوم فهى امور مبغوضة تصدر عن هؤلاء ، وهو يلازم محبوبية ما يصدر من لوازم الحب من محبه من البكاء وغيره بعد كون حبه محبوباً فى طرف الضد من مبغوضية بغضه وعدم انحصار متعلق الحكم الشرعى فى بغضه فقط فلا يقال ان ذلك يدل على حسن ترك بغضه وآثار ذلك البغض المحرم.

واما لوازم الحب فلا لما عرفت من ثبوت لزوم حبه وعدم كفاية عدم البغض والعداوة ، فمبغوضية بغضه ولوازمه يدل على محبوبية حبه ولوازمه ايضاً الا ان الله تفضل على عباده فلم يوجب الادنى مراتب حبه فلا يؤاخذ الناس الاعلى ترك ذلك والا كان مقتضى ذلك وجوب مراتب الحب ولوازمه كما لايخفى.

ولعل ذلك ايضا لكفاية ادنى مراتب بغضه فى الهلاك ومازاد على ذلك زيادة فى الشر منهم بعد مبغوضية نفس ماهية بغضه فكون زيادة الحب ايضاً من الزيادة فى الخير ، فيستحب بعد حسن نفس ماهيته كما عرفت

فلا تنفك مبغوضية فعل الاعداء عن محبوبية فعل المحبين وهو فى معنى الامر به كما لايخفى.

العاشر : ان الشيخ ابن حجر قد اكثر فى كتابه « تنزيه القلب واللسان» من قول ان الخبر الضعيف فى المناقب حجة وذكر فى غير موضع ايضاً ان الضعيف فى فضائل الاعمال حجة (١) فيقال عليه : انه قد كثرت الاخبار فى الحث على البكاء على الحسين -عليه السلام- فان كان لايراها صحاحاً لكون رواتها امامية فليقل بحجيتها لكونها فى فضائل الحسين - عليه السلام

وكذا فى فضل البكاء فليقل بحجيتها لكونها فى فضايل الاعمال ، اوليذهب فى

---

(١) ويقرب من ذلك ما كرره ايضا كما ذكره غيره من ان الخبر الضعيف اذا ضم بعضه الى بعض احدث قوة وصح الاحتجاج به ونحو ذلك - من المؤلف -.

ذلك مذهب النووى حيث يعمل بالضعاف من باب الاحتياط دون حجية الخبر ، الاان يعتذرعنه بانه لم يطلع على تلك الاخبار فى فضائل الحسين اصلا ، وان ماذكرت يتجه بعد الاطلاع كمالايخفى ، وكذا اخبار فضل البكاء

مضافا الى ان الاحتياط موقوف على نفى احتمال الحرمة بل والكراهة ايضاً حيث لم يجزم النووى برجحان العمل مع احتمال الكراهة ايضا مطلقا بل قال بملاحظتها وتقديم الاشد والاهم وماهى فى صورة تساويها ومذهب جل القوم فى البكاء الحرمة او الكراهة كما عرفت ولما عرفت ، ولكن يتجه على هذا الاعتذار انه كيف يتجه الحكم بما حكم بدون الفحص عن مدرك فعل الشيعة والروافض ،وان ماذكروه (١) فى البكاء فى غير اشباه المقام والافكيف يفعل ببكاء ابى بكر وعمرفى حديث ام ايمن (٢) .

وشبه ذلك ممامر ، واين كان حديث (ان الميت يعذب ببكاء اهله عليه) فى موارد الاخبار التى سقناها لجواز البكاء واين كان غيره ممايمنع عنه لاجله من الاوهام، مضافا الى ماعرفت من فساد الاحتمال (احتمال الحرمة اوالكراهة) ووجوه ورواية الجواز بلامنع عن الشافعى وغيره مضافا الى ماعرفت من ادلة الاستحباب فى خصوص المقام .

واما ماذهب اليه النووى مع احتمال الكراهة ففيه: ان الترك(ترك البكاء) تفويت للثواب المحتمل فقط اذليس فى ارتكاب المكروه غائلة تقابل ذلك مع امكان دفعه بارتكاب الفعل المحتمل كراهته للرخصة فيه فى الفعل لوكان مكروهاً فى الواقع والعمل بالمستحب لوكان كذلك ، فيتخلص من غائلة المكروه مطلقاً ويحوز فضيلة المستحب لوصادفه فلما ذا يتأمل فى ترجح احتمال الاستحباب الا ان يجعل ترك

---

(١) اى ماذكره القوم القائلون بحرمة البكاء او كراهته.

(٢) المنقول فى صحيح مسلم وصحيح البخارى ـ راجع الدليل الاول من ادلة جواز البكاء فى هذا الكتاب .

المكروه مستحباً فيدور الامر بين مستحبين فيرجح الاهم والاولى .

ومن الواضح انه ليس كل مكروه يستحب في الشرع تركه وان كان مرجوح الفعل كما لايخفى.

هذا ولاوجه لترك الرواية لكون راويها امامياً ، على مذاق الشيخ فقد قال في التنزيه بعد الاشكال في كون مروان بن الحكم من اكابر التابعين وفقهائهم وهو ممن روى عن معاوية بما جاء عنه في ايذائه الشديد لأهل البيت وسبه لعلي ــ عليه السلام ــ على منبر المدينة في كل جمعة وقوله للحسن والحسين : انتم اهل ببت ملعونون ونحو ذلك مما يذكر عنه فقد قال في مقام الجواب : « انه لم يصح عنه شيء من ذلك كما ستعلمه مماسأذكره ان كل ما فيه نحو ذلك في سنده علة ، ولهذا روى له البخاري وغيره ولم يخرجه المحدثون ، ولوصح عنه شيء من ذلك لنقله الحفاظ ، وتكلموا عليه ، وبتسليم انه قال ذلك فغايته انه مبتدع ، والمبتدع غير الداعية تقبل روايته ، قدروى البخاري في صحيحه عن جماعة مبتدعين ولم يؤثر ذلك فيه » انتهى كلام الشيخ ابن حجر .

واذا كان مذهبه قبول رواية المبتدع ومن سب علياً واولاده فلما ذا انزل الشيعة عن المبتدعين وسباب علي واولاده دع الروافض لايقبل الشيخ روايتهم بغضاً لهم فما بال الامامية والشيعة مع ان اللازم قبول روايتهم ايضا الا فيما يقطع ببطلانه لانهم ايضا اهل بدعة عنده ولايزيدون على اهل البدع كما لايخفى فكيف يقول مايقول ورواياتهم اكثر من ان تحصى وهي حجة عليه عندالله بناء على مذهبه هذا.

هذا وفيها روايات صحاح يمكن بعون الله تعالى تصحيحها على مذاق الشيخ ايضا الا ان الكتاب موضوع لغير ذلك فنضرب عنه الذكر صفحا لان الظاهر في عذر الشيخ انه لم يطلع على شيء من تلك الروايات ولاسمع ان في امر البكاء على الحسين ــ عليه السلام ــ رواية ليلاحظ صحتها وسقمها ، وضعفها وقوتها الى غير ذلك ، وكل ذلك مما دخله من الاعتقاد في امر البكاء او غيره

كيف لاوهو يتكلم كأنه لم يعثر على روايات اصحابه فضلا عن روايات غيرهم ولااقل من رواية احمد وكان كتابه كانه نصب عينيه ، ولاغروفي ذلك بعد مالم يلتفت الى مارواه من روايةام سلمة وغيرها كأن البكاء فيهالم يكن شيئامذكوراً .

ولعمري انه ظهر من دليلنا العاشر جواب متين و هو انه لم تقع عينه على رواية فى البكاء ، وان كان هو رواها و ذكرها فضلا عن أن يأخذ بها أومنعها على حسب قواعده .

واما كلامه هذا فقد اجبناعنه فى كتابنا « سلاح الحازم » راجعه من اراد ، فتلك عشرة كاملة نقتصر عليها فى الاستدلال هنالأن الدليل عليهم ينحصر فيها ، والله ولى التوفيق .

تذييل

بقى فى المقام امران لابأس بالتنبيه على حالهما وان مرامجملا : (احدهما) تكثير البكاء والاقدام به فى كل وقت واستحباب ذلك يستفاد من رواية الرقى حيث اطلق ولم يخص بوقت ومن رواية الاسفراييني حيث قال : (أن يوم عاشوراء احرق قلوبنا وارسل دموعنا وارض كربلاء اورثتنا الكرب والبلاء) والاطلاق فى رواية احمد ، واقتضاء الحب لذلك الى غير ذلك كاقتضاء حسن الماهية وكثرة الثواب ، وفضل ذكرهم وذكر فضائلهم التى منها ذكر مظلوميتهم بماورد عليهم فى كل وقت وهويستتبع بكاء ونحوذلك مما يعرف من التدبر كما اسلفنا كمالا يخفى (الثانى) اتخاذ الموسم للماتم و يدل عليه دليل مضادة اعدائه فيها فعلوا ويفعلون وقوله : (ان يوم عاشوراء) الخ وفعل رسول الله ـ ص ـ فيما رواه فى ينابيع المودة فى مودة القربى فى آخر المودة الثانية عشرة ذربية خادمة رسول الله ـ ص ـ اذا كان يوم عاشوراء دعى النبى ـ ص ـ مراضع الحسين ويقول : تسقون شيئاً مراً .

هذا اشارة الى ماوقع فى اولاده يوم عاشوراء ، وان الحزن فى وقت الحزن

من مقتضى المحبة وافعال المحب وانه لو اهمل في مورد كان من التقصير في لوازم الحب مضافاً الى انه يكفي فيه حسن نفس البكاء عليه ، فالاكثار منه بأى وجه كان من زيادة الخير فهو خير ولا نحتاج الى الاطالة في الاستدلال كما لا يخفى مضافاً الى انهم ايضاً يأخذون يوماً وقع فيه شر غير مبارك ونحساً وما وقع فيه خير مباركاً وميموناً كما يدل عليه اخبارهم في فضل عاشوراء وغيره .

المقام العاشر

فى الايماء الى عدم الفرق بين الحسين(ع) وسائر الائمة (ع) وكذا سائر المظلومين فى الاسلام

اعلم ان بعض الادلة السابقة لاستحباب البكاء على قتيل العبرات ، وان كان خاصاً بالبكاء عليه الا ان بعضها الاخر أعم كمالا يخفى مثل رواية الرقى ، ورواية احمد وروايتى تفسير على بن ابراهيم و اقتضاء حسن حبهم لذلك ، وكذا دليل الامر بحبهم .

فان ادلة هذين لا تختص بالحسين عليه السلام ، بل تشمل كل الائمة الاثنى عشر ممن ثبت حسن حبهم ، والامر به فى اخبار القوم حسب مايعرف من ملاحظة ما اوردناه في كتابنا : «ابهى الدرر تكملة عقد الدرر فى اخبار الامام المنتظر» .

وغير ذلك مما رواه القوم فيهم كحديث (فى كل خلف من امتى عدول من اهل بيتى ينفون عن هذا الدين تحريف الجاهلين) الخ الذى رواه الشيخ فى صواعقه واخبار التمسك بالثقلين التى اقر الشيخ بدلالتها على وجود مرجع للعباد كالقرآن الى يوم القيامة .

وقال فى موضع آخر : ان قطب الاقطاب ابداً من اهل البيت ، او ما يفيد هذا المعنى ، وليس مصداق ذلك الا هؤلاء الاثنى عشر و الا الذين أمر الناس باتباعهم لانهم لايخرجونهم من باب هدى الى باب ضلالة الى غير ذلك و كذا دليل التأسى حيث بكى(ص) لما يلقى اهل بيته من بعده وظاهر جملة من اخبارها ان ذلك ما يلقونه الى قيام المهدى عجل الله فرجه .

وكذا قضية التضاد مع اعداء هؤلاء والتسامح فى السنن باحد الوجهين كما لايخفى وسوق تلك الأدلة فى باقى الائمة بعد ما اشرنا اليه ممالاصعوبة ولاغموض فيه . مضافاً الى ما هوالمعلوم بما هو كالعيان من ان المناط فى استحقاق كل هذه الدرجات الرفيعة انما هو قرب هؤلاء من الله ومنافعهم لعباده ونحو ذلك مما هو مشترك بين الكل وان ذكر الخصوص ليس لاختصاص بل لامر آخر كقرب الابتلاء(١) ونحوذلك ممالايخفى على المتأمل .

واماسائرالمظلومين فان ظلموا فيهم، فيدخلون فى روايات احمد وغيره كما لايخفى ، ويكون البكاء عليهم من البكاء على هؤلاء الائمة واهل البيت ، وذوى القربى والا فيسوغ البكاء لهم (اى للمظلومين)مايسوغ البكاء على الائمة من اجل مظلوميتهم حيث لافرق فى اصل الظلم وان اختلفا فى مراتب القبح ، ويكون للبكاء على المظلوم العناوين السابقة ، وهى كافية فى حسنه واستحبابه

مضافا الى العلة المنصوصة فى بعض احاديث بكاء رسول الله صلى الله عليه و آله اوتنقيح المناط كما لايخفى ، ولنكتف بذلك فى هذا المقام ففيه كفاية لمن تبصر انشاء الله تعالى .

---

(١) يقصد المؤلف انذكر النبى للحسين فى بعض هذه الاحاديث ليس من باب حصر هذه الفضائل والامور فى الحسين ، بل لكونه قريباً من الابتلاء .

المقام التاسع

في الندبة

في مجمع البحرين : ندب الميت اى بكى عليه ، وعدد محاسنه ، يندبه ندبا والندب أن تذكر النائحة الميت باحسن اوصافه وافعاله ، فلو كان معنى الندبة هذا فهو من محاسن الافعال بالنسبة الى الائمة الهداة حيث انه ذكرلهم وقدعرفت شيئامن فضله وقدره ومن غيرطريق ان : (ذكرعلى عبادة) ولافرق بين ذكره وذكر الطاهرين من اولاده كما لايخفى.

مضافاً الى ان رؤيا مالك تصديق رسول الله (ص) قول الشافعي ان (ذكرهم من السنة) التى رواها اسعد فى اول اربعينه ورواها غيره ايضا تشهد له بفضل كامل كما لايخفى .

مضافا الى ماعرفت من ان فاطمة ندبت اباها بعد وفاته ـ ص ـ وندب زين العابدين(ع) أباه في خطبته التى القاها بالشام وان لم نذكرها ولفاطمة ندبة اخرى اشار اليها المسعودى لم نذكرها وقد اورد فيها قولها :

قد كان بعدك انباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

ونسب اليها القليوبي فى حاشيته على شرح جلال الدين قولها :

ما ضر من قد شم تربة احمد ... ان لايشم مدى الزمان غواليا

صبت على مصائب لو انها ... صبت على الايام عدن لياليا

فبعد ما مر لا نحتاج الى دليل لجواز الندبة فى غير هؤلاء الائمة الطاهرين اذا لم تشتمل على كذب اونحوه ، فباى وجه يمنع عنها خصوصا ما عرفت من جواز النياحة وهما (اى الندبة والنياحة) متقاربان اومتصادقان كما لايخفى .

المقام العاشر

فی الحزن علیه والتعرض لکلام الشیخ

ابن حجر علی سبیل الاجمال والاختصار

فی مجمع البحرین : الحزن اشدالهم ، وایاًما کان فقد قال نبی الله یعقوب علی ما حکاه الله تعالی فی محکم کتابه : « انی لیحزننی ان تذهبوا به» و قال : «انما اشکوبثی وحزنی الی الله» وقدکثر اخبار القوم‌فی‌الصحاح فی‌حال‌رسول‌الله (ص) عند وقعة جعفر ، وقصة نسائه من حدیث عایشة ، وقد مر بعضها ، حتی ان بعضهم ترجم بمن جلس یعرف فیه الحزن و کثر کلام اهل التفسیر فی قصة حمزة من قولهم :

فلما رأواماابرسول الله ـص‌ـ من الحزن قالوا : لئن‌اظفرنا الله بقریش الی آخر القصة وأنه قال: (ماوقفت موقفا قط اغیظ واشد علی‌من هذا الموقف) ، وقال ـص‌ـ وانا بك لمحزونون یا ابراهیم الی‌غیرذلك مماسلف‌جملة منها .

ومنها حزن‌فاطمة، وتسلیة رسول‌الله ـص‌ـ لها وغیرذلك ممالایعد ولایحصی کما یعرفه المتدبرفی اخبارالقوم وغیرها .

ومن الواضح ایضاً ان الحزن موجود فی مورد البکاء ایضاً وقد مرت نبذة من اخبارذلك ایضا واذا جاز الحزن لفراق المحبوب و نفس غیبته ، وان یذهبوا به مکرما ولمجرد الانقطاع عنه فی الظاهر مع رجاء الوصول کما یکشف عنه قوله « یا بنی اذهبوا فتحسسوا من یوسف واخیه ولا تیأسوا من روح الله » الایة وجاز

وحسن شكواه الى الله ، وهونوع من اظهار الحزن فكيف لايجوزلفقد المحبوب وشهادته ظلما وغير ذلك بل صريح المروى عن السجاد فى الاعتذار عن طول حزنه وبكائه ان امرابى عبدالله الحسين عليه السلام اولى بالحزن والبكاء من قصة يوسف ويعقوب بمراتب وهومعلوم بالوجدان ايضا .

وبالجملة فمن لاحظ موارد حزن من حزن من الاعلام على ما اصابهم او كرهوه بحسب الجبلة البشرية عرف ان امر ابى عبد الله الحسين عليه السلام اولى بمراتب لاتحصى وكيف يحبه ولا يحزن عليه . ولعمرى ان من سبر اخبار القوم فى حقوق المسلمين ، وما ينبغى ان يكون بعضهم عليه بالنسبة الى بعض من التراحم والتعاطف والتوادد وغيرها عرف حسن هذه الامور بالنسبة الى اخوانه المسلمين فضلاعن ائمة المؤمنين واركان الدين ، وقربى سيدالمرسلين واحد الثقلين اللذين بهما نجاة الامة و باب الرحمة وسفينة النجاة للامة وباب حطة الى غير ذلك مما ورد فى اوصافهم من طرقهم أفتكسر السفينة و لايحزن من ركبها وكأن المتكلم فى ذلك غفل عن هذا ولاحظ قوله: «كيلا تأسوا» الى آخر الاية.

ولم يعرف مورده وهومما اجاب به على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ يزيد حيث قال : «وما اصابتكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير» فقال ليس هذه فينا ، والتى فينا قوله : « وما اصاب من مصيبة فى الارض و لا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على مافاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم والله لايحب كل مختال فخور » فالغرض منه قولك : ليتنى فعلت كذا فلم يفتنى مافات اوفعلت كذا فقلت ذلك ونحوذلك . (١)

---

(١) اقول : صريح الاخبار عن على بن الحسين ـ ع ـ ان مورد الايتين ليس بمتحد ولان الاختلاف فى المصيبتين ايضا ، ومحصل مايظهر من تلك الاخبار ان المذكورة فى الاية الاولى مايكون عقوبة للمعاصى ويعفو عن كثير فلايعاقب عليها فى الدنيا فيكون لمن كان عاصيا ، واما الثانية فاهلها غيرهم ـ قدرالله تعالى وأورد تلك المصائب عليهم لرفع الدرجات و*

وبالجملة فهو الحزن والفرح بما اشير اليه فى الاية المنافقين لاقرار بالقدر دون الحزن بمالايلائم الجبلة والانكسار والتصدم منه خصوصا اذا كان ناشئاً من رحمة جعلها الله تعالى فى قلوب عباده كما فى محل البحث ، او الفرح والسرور بما يلائم الطبع مما اوتى خصوصا اذاكان من الفرح بالنعمة ونحوها، وكم بين هذين المقامين من فرق واضح كما لايخفى .

وبالجملة فالحزن على فقد المحبوب وفى المصيبة به وللظلم الوارد عليهمن لوازم حبه فلا يعقل ان يكون مذموماً او ممنوعاً اذا كان الحب مرخصا فيه فضلا عما يكون مطلوبا من الحب فى مورد فضلا عما تعلق به الامر الشرعى المنصرف الى طلب ايجاد لوازمه من افعال الجوارح ، وتعلق الغرض بتلك الافعال خاصة ، او كونها عمدة الداعى الى ذلك والطلب حسب ما يعرف من التدبر فيما اسلفناه حيث كان غرض رسول الله ـ ص ـ ان يحبوهم فلايعارضوهم ولا يقصروا عنهم فيتمكنوا مما هوشأنهم .

ويريدوا ان يفعلوا بأمرربهم سواء كان معاملة هؤلاء معهم هذه المعاملة على سبيل النفاق اومن حقيقة الحب وان كان انتفاعهم بالحب موقوفا على حقيقة حبهم وعدم نفاقهم فى اظهار الحب.

وببيان اوضح ان الملحوظ فى تلك الاوامر اما حال من امروا بحبهم ، اوحال

---

* احرازالاجر فيها فلاياسون بمافاتهم ولايفرحون بما آتاهم لعلمهم بان ماقدرالله لهم ان كان مكروها يوجرون بها ولاينفك عن الجزاء فى الاخرة ولاأسى على مكروه يستعقب عظيم الاجر ولايأتيهم بعدماعرفوا ذلك اختيال وفخر فيما نالهم لدنه من انعم اكرمهم بها لاطاعته ويكون المراد مافاتهم او اوتوا مع كونهم فى طاعة الله لاكل شيء كما لايخفى فلايحزنون بجراحة وردت عليهم فى الجهاد مثلا ولايفرحون بما نالوا من الغنيمة وشبه ذلك .

وعلى اى حال فلايمنع عن الحزن فى كل مصيبة ويدل عليه ماحكى عنه من الحزن ولعل ذلك لايخفى (منه ـ ره ـ) .

المأمورين بالحب ، او الغرض انتفاعهما معا ، وعود المنافع اليهما جميعاً ، ومن الواضح ان عمدة النظر فيها الى سلامة اهل بيته ووجود الناصر لهم ونحو ذلك اذ بذلك يتم امرهم ويظهر شأنهم ويصلون الى مرادهم سواء كانت معاملة الناس معهم نفاقية او غيره ، كما حصل مراده بمن تبعه من الناس وماعاملوا معه -ص- وفيهم منافقون ايضا كمانص به اخبار القوم ايضا

نعم الظاهر فيما يشتمل على فوائد حبهم تعلق الغرض بانتفاع الناس وبيان ما ينفعهم وهو ايضا لايمنع عن كون المطلوب ما ذكرناه من افعال الجوارح خصوصا بعد ما اقمنا من القرينة على المراد - كما عرفت - فيكون المطلوب تلك الأفعال الناشئة عن الحب الحقيقي دون الصوري ويستفادمنه ايضا حسن نفس المعنى القائم بالنفس ومحبوبيته عند الشارع فيحرص عليه العباد ، ولايلزم منه كونه هو المطلوب فى تلك الاوامر مع ان ذلك ايضا كاف فى المقام فلايمنع عن لوازمه والامور التى لاينفك عنها فيلزم حسن تلك اللوازم ايضاً بعد حسن ملزوماتها وان كان تبعيا لانه ايضا يبطل المنع عنها اصالة ايضا كما لايخفى .

فحان وقت التعرض لبعض كلام الشيخ على وجه الاختصار فنقول : قوله « فمن ذكر ذلك اليوم مصابه لم ينبغ » الى آخر قوله يتجه عليه امور :

الاول / ان الشيخ حرم ذكر ذلك للواعظ وغيره ، وقد اوردنا كلامه فى تذييل كتابنا « الطلع النضيد » وبينا ان لازمه حرمة مطالعة كتابه (١) ونحو ذلك من الرواية وغيرها ، فكيف يقول ذلك ؟ الا ان يقال انه لم يرخص هنا فى الذكر وانما ذكر حكم من ذكره ولو كان حراماً ، الا انه ينافيه عمله وسابق كلامه كما لايخفى .

الثانى / انه لم يذكر حكم الذاكر فى غير يوم عاشورا ولعله اتكل فيه الى

---

(١) اى حرمة مطالعة كتاب ابن حجر نفسه وماذكره حول مصيبة الحسين لانه حرم غير الاسترجاع ... .

الا ولوية (١) ، اوزعم ان الذكر فى غيره لايستتبع شيئاً ، وكل منها كماترى .

الثالث / انه مطالب بدليل ماحسنه لهمن الاشتغال بالاسترجاع وترك ماذكره (من الندب والنياحة) ولادليل له فى مطلق الذاكر له فانه ان كان ماجرى عليهفى ذلك اليوم مصيبة له ايضا فيستحب الاسترجاع وغيره مما منعه حسب ما عرفت تفصيل القول فيه ' وانلم يكن ذلك مصيبةله فاى امربالاسترجاع واى امتثال واى اجراذ الله تعال يقول: «والذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا: انالله وانااليهراجعون» وهذا الذاكر لم تصبه مصيبة ليؤمر بالا سترجاع

ويمتثل ويحوز اجراً ، نعم له اجرتكريرشيء من الكتاب (٢) فلايبكيايضاً ولايحزن ولايندب كمالايخفى، فماوجه المنع ممالايفعله ، وان كان اصابةالمصيبة فما وجه المنععما منعاذ الاية لاتدلعلىانحصاروظيفةالمصاب فىمجردالاسترجاع دون غيره ، وانما هى وعد ثواب على عمل خاص فلا يظهر منها المنع من البكاء ونحوه ' ويدل على عدم افادتها المنع عن البكاء ايضاً ماقيل من نزولها فى على ـ عليه السلام ـ عند شهادة عمه حمزة فماذا فعل المصاب به وهو رسول الله ـ ص ـ وقد عرفت ما نقلوه فى ذلك فانه ـ ص ـ ليس يترك العمل بالاية وقت نزولها ـ كما لايخفى ـ وان علياً بكى على رسول الله ـ ص ـ وغيره كما عرفت الى غير ذلك ، واما دليل منعه مامنع فستعرف الاشارة الى مافيهانشاء الله تعالى .

قوله : ولايشتغل ذلك اليوم الابذلك ونحوه من عظايم الطاعات كالصوم .

فيه : اولا ان ذكر ذلك قديكون على وجه يزول التألم بالحادث سريعاً بسببالاشتغال باموره وحصول الغفلة عماذكر اونحوذلك .

---

(١) فيكون معناه : اذا كان ذكر المصاب حراماً فى يوم عاشورا ففى غيره حرام بطريق اولى .

(٢) وهو الاسترجاع .

و بالجملة فلايدوم من وقت الذكر الى آخر اليوم فاى دليل على استحباب الاسترجاع اذالمكلف بالاسترجاع هم الذين اصابتهم مصيبة لامطلقاً ، بل مع الالتفات الى ذلك والتألم منه فاذ غير الملتفت الى ما اصابه والذى لايتألم مما اصابه ولايحزن ولايجد كظ ماوقع لايعد فى العرف مصاباً ، وهو لايعد شرعاً من اهل الصبر، ولذا قال الرسول الاعظم ـ صلى الله عليه وآله ـ : (الصبر عند الصدمة الاولى) فالمصابية والدخول فى عناوينه من استحباب تعزيته ، اواهداء الطعام اليه وتسليته وغير ذلك ومن جملته استحباب الاسترجاع انما هو مع احساس مضاضته اللاذعة ، لابمطلق خروج شيء من يده ولذا قال ـ ص ـ لما استرجع عندما استرجع فقيل له يارسول الله : افهو مصيبة فقال : كل ما احزن الرجل فهو مصيبة ، فغير الواجد لالم المصيبة مثل من تقادم عهد مصيبته فنساها بالمرة فصار كمن لم يقع مكروه له لايدخل فى عنوان الاية كما لايخفى الان ينزل كلامه على من تبقى مرارة المصيبة فى صدره .

ومن ذلك يظهر وجه ما ذكرناه من عدم الاستحباب لمن لم يتأثروان كان مصابا فى الواقع بعظيم من المصيبة بمقتضى ما ادعيناه سابقاً من ان كل احد مصاب بالحسين ومصيبته عظيمة كماهو واضح .

وثانيا/ انه لابد ان يكون مراد الشيخ ابن حجر ممانهى عنه هو خصوص الامور المنافية لوظائف المصاب الشرعية لامطلق الافعال كما لايخفى ، حيث لاوجه للمنع عنه على مذاقه ، ولازم ذلك ان يكون مأمورا بخصوص وظائف المصاب الشرعية وان يحثه على ذلك فقط ، واما غيرها فلاربط له بالمقام وان كان من اعظم الطاعات وحينئذ فيتجه عليه عدم دخول الصوم فى ذلك حيث لم يندب لخصوص المصاب، وان استحب صوم عاشوراء فرضاً فكيف يرتب الحث عليه بذلك الذكر (اذ قال فمن ذكر مصيبته فليصم) مع انه قدلايتم هذا الكلام ولـن يكون وجيهاً اذاكان تذكر المصيبة بعدتناول المفطر ، او أواخر النهار كمالايخفى للمتأمل ، فمن الواضح ان الصوم -على فرض استحبابه- مستحب آخر بصرف النظر عن مصيبة يوم عاشوراء

وليس ذكر تلك المصيبة ملحوظاً في شريعتهم، الآن يكون مأخوذا من سنة آل زياد ، فلايتوقف الامر به على ماذكر (من تذكر مصيبة الحسين) الاعلى السنة القبيحة ، وبناء على السنة القبيحة يكون مثل هذا الصوم من العمل بضد وظائف المصاب . الشرعية حيث ان آل زياد سنوها للفرح بقتله لا الحزن به لا بدافع الحزن عليه ـ عليه السلام ـ كمالايخفى .

و لعل بالنظر الى بيان عمل اليوم ذكره استطراداً اوأنه يقول بالامساك بعد تناول المفطر ايضاً كما فى عدة من رواياتهم وهو ايضاً كما ترى .

وثالثاً : ان الصوم الذى ذكره ان اراد استحبابه بخصوصه فى خصوص يوم عاشوراء كما هو مذهب اسلافه واتباعه ومن بعده ففيه انه مخالف لادلتهم ايضاً ،

اولا: لتعارض الروايات واختلافها مرة بما فى بعضها ان رسول الله ـ ص ـ قال (نصومه العام المقبل فتوفى قبله و فى آخر انه صامه و امر به، وفى بعضها انه كان يصومه ويأمر به ألى ان نزل شهر رمضان فقال (من شاء صامه ومن شاء فلا).

وفى بعضها : ان كان صومه فترك بنزول شهر رمضان .

وفى بعضها :انه لما نزل لم يأمر به ولانهى عنه.

وفى بعضها: تصريح عائشة بنسخ صومه و نحو ذلك ، مثل مايظهر من فعل ابن مسعود ومن حذى حذوه ان ذهب رجحانه وصار الافطار ارجح .

وفى بعضها : انه رأى صلى الله عليه وآله اهل خيبر يصومونه فأمر به .

وفى بعضها: انه رأى يهود المدينة يصومونه فأمر به فتلقى حسن صومه منهم.

وفى بعضها : تحديد ذلك بالتاسع من المحرم وهو جملة منها .

وببالى ان ابا الليث السمرقندى فى (تنبيه الغافلين) احتمل كونه الحاديعشر من المحترم كما احتمل العاشر ايضاً الى غير ذلك من الاختلاف فى تلك الروايات ذلك الاختلاف الشاهد على وضعها والدال على اختلافها كما هو بين لمن يلاحظها ويلاحظ ما اوردناه فى «سلاح الحازم» فى شيوع وضع الاحاديث فى تلك الاوقات من طرقهم، ولاحظ باقى القرائن ايضاً فكيف يعتمد عليها؟!

هذا أولا.

و ثانياً : ان مقتضى الجمع بين تلكم الروايات المتناقضة هو كون هذا اليوم كسائر الايام وخروجه عما يستحب صومه بخصوصه، مضافاً الى كثرة اخبار (فمن شاء صام ومن شاء ترك) فتكون الخصوصية المدعاة بلا دليل الا ان يكذبوا هذه الطائفة الكثيرة من رواياتهم .

وثالثاً : انه لايوجد صوم مندوب الالشكر نعمة فلم يستحب فى مصيبة و يوم نقمة ولوسلم صدق ما قالوه من تواتر النعم على الامم فى ذلك اليوم وهى نعمة علينامن وجه فقد عورض بمصيبة آل محمد فى هذا اليوم(يوم عاشوراء) باعظم المصايب، ويعرف ذلك ايضاً مماروره فى عذاب قتلته والانتقام منهم وما سلف من بكاء المعصومين عليهم السلام وحزنهم عليه ودوام ذلك فيهم كما هوصريح رواية الاسفراييني وغيرها ايضاً، فيضمحل ما ثبت وينقلب الامر الى شعار الحزن والمصيبة اذهو اولى بالمراعاة بعد مطلوبية مزيد حبهم ونحو ذلك مع ان هذه الروايات كلها مكذوبة ، ولم يكن غرق فرعون فى ذلك اليوم كما أوردنا الروايات فى ذلك فى كتابنا الكبير فكيف يكون صوم هذا اليوم(يوم عاشوراء) من مستحبات شرع محمد وآله ولم يكونوا فيه الافى حزن ومصيبة كما يعرف ممامر، وكانوا يبكون من اجل وقائع اليوم قبل ان تقع.وبعدماوقعت ودام ذلك فيهم الى الابد؟!

افكان يوم نعمة عليهم يوجب شكراً و صوماً لاجلها و يكثرون من البكاء من حوادثه ؟؟

نعم هو يوم شكر لال زياد بزعمهم، وتلك الاخبار موروثة منهم وباقية ممابدعوها ونشروها وقبلها قوم متدينون وهم يزعمون انها حق ولوعرفوا كذبها لم يقبلوها ولعل هذواضح.

قوله : « اياه ثم اياه ان يشغله ببدع الرافضة و نحوهم من الندب و النياحة و الحزن اذ ليس ذلك من اخلاق المؤمنين والالكان يوم وفاته -ص- اولى بذلك واحرى».

قد عرفت جوازما منع عنه بالنسبة الى كل من مات له ميت بمقتضى الادلة الواردة من طرقهم، وعرفت ايضاً ان النهى عنه حتى تنزيهاً اوهام نشأت عن الغفلة عن ادراك الحقائق، وكذا عرفت استجباب كل ذلك واشباهه بالنسبة الى قتيل العبرات ومن حذى حذوه .

فكيف يكون بدعة وله من الثواب ما عرفت قطرة منه من طرقهم، ومايكون لحبهم واظهار ذلكم الحب من عظيم الثواب وجزيل الأجر، وعرفت انه لايسع الشيخ ولاغيره انكار حسنه واستحبابه، كما عرفت.

كماعرفت ان الحزن والبكاء عليه خلق رسول الله، وعلى، وزين العابدين، وام سلمة ، واهل البيت وغيرهم ، والسماء والأرض ، والجن ، والملائكة ، والحيوان ، والنبات ، ممامرذكره فمن المؤمنون غيرهم ، اويخرجون عن العنوان ويدخل فيه غيرهم وانه كيف لايكون خلق المؤمنين و قد امروا به من ربهم حسب ما عرفت تفصيله.

وقوله : (والا لكان يوم وفاة الرسول ـ ص ـ اولى بذلك) اشكال فاسد حيث لانمنع من ذاك . . و نقول بحسن البكاء وغير البكاء واستحبابه فيه ايضاً ونقوم به ، ومن لم يقم فقد قصر كمايعرف ممامر وقد عرفت ممامر ان فعل الامامية والروافض والزيدية وغيرهم من البدعة او فعل من اعرض عما يفعلون ، و ايهما المخالف للسنة النبوية والشريعة المحمدية ؟ ؟

افيكون كل ما فعله الرافضى بدعة مع ان المتبع فى معرفتها ملاحظة الادلة الشرعية ، و قد ندب الى فعلهم ذلك روايات اهل السنة ، فضلاً عن غيرها بأعلى صوتها وان لم تسمعها آذان صماء ، واذا لم يكن عليه حزن فبما ذا يدخل فى الاسلام والايمان ، وقداعتبر فيها حبهم ، ولا حب له ، ولماذا أمره بالاسترجاع و هو غير محزون ؟؟؟

قوله : «اوبيدع » الى آخر كلامه : فيه أولا ، كيف يدعى بدعية ما ذكره

مع ان في اخبار صوم عاشوراء في صحاحهم الاشارة الى بعض ذلك حيث يقول (نحن أولى بموسى) وايضاً (ان اليهود يصنعون بعض ذلك لاجله) (١) اذ البدعية موقوفة على انتفاء مثل ذلك، اوورود النهي عنه، وماورووانهيا فهومناقض.

وثانياً، ان من فعل كما يفعل اعداء آل محمد فهو منهم بدلالة الايات، و غيرها، فكيف يفصل وكيف يقول الجهال ولم يأخذوا الا عن علمائهم.

فهذا قول: (من اكتحل منهم في اليوم) اى شيء احرى بلبس السواد من عينى في ذلك اليوم الى غير ذلك وكيف يخطىء اعتقادهم بعدما عرفت الايماء اليه وكيف يدعى سنية خلافه الا ان يرجع في ذلك من اخبارهم الى آل محمد، فهو كما ذكره وفوق مازعمه ولايهمنا التعرض لاقوالهم، واخبارهم في المقام بعد وضوح الامر مما اسلفناه والكلام في ذلك كثير الا انّا نضرب عنه الذكر صفحاً.

قوله: «اولئك لرفضهم يتخذونه ...الخ» فيه، انه لوصدق في ذلك لعلم رئيس الرافضة وغيرهم في عملهم في اليوم ومن تأسوا به، وبهم، ممن عرفت، وان كذب فما ذا دعاه الى ذلك القول هل هو الا كف الناس عن عمل من يحبهم بتقبيح عنوان لهم وانه اى مدخلية لذلك العمل في رفض الروافض فضلا عن التشنيع بفعل لايختص بهم فقد شاركهم الزيدية والامامية وغيرهم من طوائف الاسلام غير اهل السنة فقد عرفت مارواه عن امامه الشافعي وغيره الا ان يكون هؤلاء كلهم رفضة عنده، ويكون عملهم ذلك رفضاً كما يقتضيه كلامه.

وان ادعى ان القبيح هو المأتم بعد مضي زمان الواقعة لاوقته ايضاً، فيعارض بالمأتم قبل وقوعها ممن عرفت وبمن بكى بعده بما عرفت ووجود المجوز والمحسن كما عرفت، وان لافرق فيه بين الاحوال كما بينت، وان فعل السجاد والصادق ما علمت وروى الرضا(ع) ماعرفت فلفاعل ذلك اسوة بهم، وتمسك بأحد الثقلين واتباع له،

---

(١) ولو كان في يوم آخر لايوم عاشوراء الا انهم يفعلون من اجل موسى وفرعون كما لايخفى.

واطاعةله وانما ضل عنه وخاب من خاب الى غير ذلك ممالايخفى يبكى عليه يوم القيامة ولايبكى عليه فى الدنيا ، بعد كونها ظرف مطلوبية حبه وان يفعل له فعل المحب

ومن ذلك يظهر ان هذا المنع ناشيء امامن فقد الحب اومن وجود البغض بعنوان حسنه ابليس ، انه من مصيبته (ع) ومصيبة اولياءه ومصدق ما روى ان هؤلاء كانوا اشد على اولياء الحسين عليه السلام ، من قتلته عليه ، ونحو ذلك ، فعلى مثل ذلك فليبك الباكون فانه من ظلم الحسين كما لايخفى .

قوله : «قال بعض الحفاظ ومن غير ذلك الطريق»: من غرائب الكلام ، اذ الموضوع اما ان يعرف من كون (وجود) كذاب في سنده ، وهو غير صواب ايضاً فان الكذوب قد يصدق .

واما ان يعلم من معلومية كذب مضمون الحديث وهذا لايتفاوت فيه طريق وطريق بل يكون موضوعاً وان روى بأصح الاسناد .

ولذا كان يحكم بمثل ذلك عائشة فيما مر ، وحديث الرؤية وشبهها وكذا غيره ، و انما يتوقف فى ممكن الصدق ، وموضوعات المقام مما حكم بوضعه من عدم امكان صدق مضمونه مع عدم امكان صدق مضمونه ، واستحباب عمل سرورى فى يوم حزن محمد و آل محمد كما عرفت كما يرشد اليه قول الحاكم وغيره ممن حكم بوضع شيء منها مما يعرفه العارف بكلماتهم فى المقام ولايهمنا التعرض لها بعد وضوح الامر كما لايخفى .

فما ذا ينفعه تصحيح محمد بن ناصر سنداً خصوصاً بعد اعترافه باشتمال الخبر فى المورد على المناكير ، او كيف يتوهم ان يحدث ضم بعضها الى بعض قوة ، او دعوى حسنه او غير ذلك .

اذ غاية ما يحصل من ذلك ان الراوى لم يكذب تعمداً ، ولاينحصر طريق بطلان الخبر فى ذلك ، وله اسباب اخر منها : نظير ما وقع لعمر وابنه وغيرهما كما مر فلاتثبت به صحة مضمون ذلك الخبر وان كان سنده فى اعلى مراتب الصحة فضلا

عن غيره ، ومن عرف حب آل محمد ومطلوبيته وقدرهما ولوازم ذلك ، وما يلزم المحب لهم طول حياته وان ماذا يضر به ويحبط اجره ونحو ذلك مثل ما اوجب كون دعواه الحب كذباً وشبه ذلك عرف بعين اليقين وضح ذلك كله وانلايكون شرع محمد الودود لهم فيه ما يشبه ذلك كما لايخفى .

تم الفراغ من نقله الى البياض فى١٢ صفرعام ١٣١١ ﻫ بيد مؤلفه محمد باقر البهارى الهمدانى وذلك فى المشهد الغروى والحمدلله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله اجمعين، ولعنةالله على اعدائم الى يوم الدين .

وبعد : فيقول الفقير الى ربه محمد باقر الهمداني البهاري انه بعد فراغي من كتابي الدعوة الحسينية الى مواهب الله السنية بدا لي ان الحق به اخباراً رويت عن كتاب ظننت انه لاخطب خوارزم موفق بن احمد حسب مابينته فيما الحقت بكتابه في فضائل امير المؤمنين علي -عليه السلام- وبعض مايجرى هذا المجرى. فجعلتها على قسمين :

الاول : فيمن بكى على قتيل العبرات قبل وقوع الداهية الدهياء والواقعة العظمى .

الثاني : فيمن بكى عندها وبعدها .

واليك فيما يلي القسمين :

القسم الاول

فيمن بكى عليه قبل الواقعة

فعن كتاب الخوارزمي فيما ظنناه وروى ركن الائمة عبد الحميد بن ميكائيل عن يوسف بن منصور الساوى عن عبدالله بن محمد الازدى عن سهل بن عثمان عن منصور بن محمد النسفى عن عبدالله بن عمرو عن الحسن بن موسى عن سعدان عن مالك بن سليمان عن ابن جريح عن عطاء عن عائشة ـ رض ـ قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جائعاً لايقدر على مايأكل فقال لى : هاتى ردائى فقلت: اين تريد؟ قال : (الى منزل فاطمة ابنتى فأنظر الى الحسن والحسين فيذهب مابى من الجوع).

فخرج حتى دخل على فاطمة فقال يا فاطمة اين ابناى ؟ فقالت: يارسول الله خرجا من الجوع وهما يبكيان .

فخرج النبى ـ ص ـ فى طلبهما فرأى ابا الدرداء فقال : ياعويمر هل رأيت ابنى ؟ قال: نعم يا رسول الله هما نائمان فى ظل حائط بنى جذعان ، فانطلق النبى ـص ـ فضمهما وهما يبكيان ، وهو يمسح الدموع عنهما ، فقال له ابو الدرداء : دعنى احملهما ، فقال ـص ـ (ياابا الدرداء دعنى امسح الدموع عنهما فوالذى بعثنى بالحق نبياً لو قطر قطرة فى الارض لبقيت المجاعة فى امتى الى يوم القيامة) ثم حملهما وهما يبكيان وهو يبكى .

فجاء جبرئيل فقال: السلام عليك يامحمد رب العزة جل جلاله يقرؤك السلام ويقول : ما هذا الجزع ؟

فقال النبي -ص- ما ابكي جزعاً بل ابكي من ذل الدنيا .

فقال جبرئيل : ان الله تعالى يقول : ايسرك ان احول احداً ذهبا ولاينقص لك مما عندي شيء؟ قال: لا ، قال: لم؟ قال : لان الله تعالى لم يحب الدنيا ولو احبها لما جعل للكافر اكلها ، فقال جبرئيل : ادع بالجفنة المنكوسة التي في ناحية البيت (قالت -ظ) قال: فدعا بها فلما حملت فاذا فيها ثريد ولحم كثير فقال: كل يامحمد واطعم ابنيك واهل بيتك قال (قالت - ظ) فاكلوا فشبعوا ثم ارسل بها الى فاكلوا وشبعوا وهو على حالها قال (قالت - ظ) مارأيت جفنة اعظم بركة منها فرفعت عنهم ، فقال النبي -ص- والذي بعثني بالحق لوسكت لتداولها فقراء امتي الى يوم القيامة .

(اقول) : كذا وجدنا النسخة، والظاهر بقرينة السياق قالت في المواضع ، ثم ارسل بها الى اهله قالت: قلت او قال فلان ونحوذلك فلاحظ.

وذكره -ص- ان الداعي الى البكاء هوذل الدنيا لاينافي كون البكاء عليهما ومن اجلهما بعد كونه عقيب ما شاهد منهما ، ولم يكن يبكي لجوعه واهله كما هو ظاهر حالهم ، و المشار اليه في الخبر، فان بكى من ذل الدنيا بجوعهما فكيف من ذلهما بما جرى لهما من الامة الميشومة في امرهما وقتلهما ؟!

وعن المناقب باسناده عن تفسير النقاش باسناده عن سفيان الثوري عن قابوس ابن ابي ظبيان عن ابيه عن ابن عباس قال : كنت عند النبي - ص - وعلى فخذه الايسر ابنه ابراهيم وعلى فخذه الايمن الحسين بن علي وهو تارة يقبل هذا وتارة يقبل هذا اذهبط جبرئيل يوحي من رب العالمين ، فلما سرى عنه قال أتاني جبرئيل من ربي فقال يامحمد ان ربك يقرء عليك السلام ويقول : لست اجمعهما لك فافد احدهما بصاحبه .

فنظر النبي -ص- الى ابراهيم فبكى ، و نظر الى الحسين فبكى ، و قال : (ان ابراهيم امه امة ومتى مات لم يحزن عليه غيري وام الحسين فاطمة وابوه علي ابن عمي لحمي ودمي ومتى مات حزنت ابنتي وحزن ابن عمي وحزنت انا عليه وانا

اوثرجزني على حزنهما يا جبرئيل يقبض ابراهيم فقد فديته للحسين) قال : فقبض بعد ثلاث .

فكان النبي ـص ـ اذا رأى الحسين مقبلا قبله وضمه الى صدره ورشف ثناياه وقال فديت من فديته بابراهيم .

وقال العلامة ـره ـ في كشف اليقين وروى صاحب كتاب نهاية المطلب وغاية السؤل للحنبلي باسناده الى ابن عباس فذكرمثله .

(أقول) : صاحب الكتاب ابراهيم بن علي بن محمدبن بكروس الدينوري وكتابه نهاية المطلب وغاية السؤل في مناقب آل الرسول ـص ـ على ما في فرحة الغري .

وقال رئيس المحدثين في كتابه كمال الدين : ومن اعجب العجائب ان مخالفينا يروون ان عيسى بن مريم ، ثم ذكر جملة ما يأتي انشاء الله ، وقال : فيصدقون بان بعرتلك الضباء تبقى زيادة على خمسمائة سنة لم تغيره الأزمان و الامطار والرياح ومرور الايام والليالي والسنين عليه ، ولايصدقون بان القائم من آل محمد ـص ـ يبقى حتى يخرج بالسيف فيثبر اعداء الله ويظهر دين الله .

مع الاخبار الواردة عن النبي ـ ص ـ والائمة بالنص عليه باسمه و نسبه ، وغيبته المدة الطويلة ، وجرى سنن الاولين فيه بالتعمير هل هذا الاعنادوجحود للحق نعوذبالله من الخذلان وسياق هذا الحديث على جهته ولفظه .

حدثنا احمدبن الحسن القطان (احمد بن محمد بن الحسن ـخ ل) وكان شيخا لاصحاب الحديث ببلد الري المعروف بابي علي بن عبد ربه ، قال حدثنا احمد بن يحيى بن زكريا القطان قال حدثنا بكر بن عبدالله بن حبيب قال حدثنا تميم بن بهلول قال حدثنا علي بن عاصم عن الحصين بن عبدالرحمان عن مجاهد عن ابن عباس قال كنت مع اميرالمؤمنين ـ ع ـ في خروجه الى صفين فلما نزل بنينوى وهو شط الفرات قال بأعلى صوته : يابن عباس اتعرف هذا الموضع ؟

قال قلت له : ماعرفه يا اميرالمؤمنين .

قال : لوعرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي قال : فبكى طويلا حتى اخضلت لحيته وسالت الدموع على خديه وبكينامعه وهويقول : اوه اوه مالي ولآل ابي سفيان ولآل حرب حزب الشيطان واولياء الكفر صبراً ياباعبدالله فقدلقي ابوك مثل الذي تلقى منهم . ثم دعى بماء فتوضأ وضوء الصلاة فصلى ماشاء الله ان يصلي .

ثم ذكر نحو كلامه الاول ، الاانه نعس عند انقضاء صلاته ونام ساعة ثم انتبه فقال: يابن عباس فقلت : هاانا ذا . فقال : الااحدثك بمارأيت في منامي الساعة ، رأيت آنفاً عندرقدتي فقلت : نامت عيناك ورأيت خيراً يااميرالمؤمنين فقال : رأيت كأني برجال بيض قدنزلوا من السماء معهم اعلام بيض قدتقلدوا سيوفهم ، وهي بيض تلمع وقدخطوا حول هذه الارض خطة .

ثم رأيت هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الارض فرايتها تضطرب بدم عبيط وكأني بالحسين نجلي وفرخي و مضغتي ومخي قد غرق فيه يستغيث فلايغاث وكأن الرجال البيض الذين نزلوا ينادونه ويقولون : صبراً آل الرسول فانكم تقتلون على ايدي شرار الناس وهذه الجنة ياباعبدالله اليك مشتاقة .

ثم يعزونني ويقولون : ياباالحسن ابشر فقداقر الله عينك يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم انتبهت هكذا .

والذي نفس علي بيده لقد حدثني الصادق المصدق ابو القاسم -ص- اني سأراها في خروجي الى اهل البغي علينا، وهذه ارض كرب وبلاء يدفن فيها الحسين وسبعة عشر رجلا من ولدي وولد فاطمة ، وانها لفي السماوات معروفة تذكر ارض كرب وبلاء كماتذكر بقعة الحرمين وبقعة بيت المقدس .

ثم قال : يابن عباس اطلب لي حولها بعرالضباء فوالله لاكذبت ولاكذبت قط وهي مصفرة لونها لون الزعفران . فقال ابن عباس : فطلبتها فوجدتها مجتمعة ، فناديته : يااميرالمؤمنين قداصبتها على الصفة التي وصفتها لي فقال علي -عليه السلام-

صدق الله ورسوله ثم قام يهرول اليها فحملها وشمها وقال : هي هي بعينها .

اتعلم يابن عباس ما هذه الابعار ، هذه قد شمها عيسى بن مريم وذلك انه مر بها ومعه الحواريون فرأى هذه الضباء مجتمعة ، فاقبلت اليه الضباء وهي تبكي فجلس عيسى وجلس الحواريون فبكى وبكى الحواريون وهم لايدرون لم جلس ولم بكى فقالوا : يا روح الله و كلمته ما يبكيك ؟

فقال : اتعلمون اى ارض هذه ؟ قالوا : لا ، قال : هذه ارض يقتل فيه فرخ الرسول احمد وفرخ الحرة الطاهرة شبيهة امي ويلحد فيها ، وهي اطيب من المسك وهي طينة الفرخ المستشهد وهكذا تكون طينة الانبياء واولاد الانبياء فهذه الضباء تكلمني وتقول انها ترعى في هذه الارض شوقاً الى تربة الفرخ المبارك وزعمت انها آمنة في هذه الارض .

ثم ضرب بيده الى هذه البعرات فشمها وقال : (هـذه بعر الضباء على هذا الطيب لمكان حشيشها ، اللهم فابقها ابداً حتى يشمها ابوه فيكون له عزاء وسلوة)

قال فبقيت الى يومنا هذا وقد اصفرت لطول زمنها، هذه الارض كرب وبلاء

وقال بأعلى صوته : يا رب عيسى بن مريم لاتبارك في قتلته ، والحامل عليه والمعين عليه والخاذل له .

ثم بكى طويلا وبكينا معه حتى سقط لوجهه وغشى عليه طويلا، ثم افاق فاخذ البعر فصرها في رداءه وامرني ان اصرها كذلك ثم قال : يابن عباس اذا رأيتها تنفجر دماً عبيطا فاعلم ان ابا عبدالله قد قتل بها ودفن .

قال ابن عباس : فوالله كنت احفظها اشد من حفظي لبعض ما افترض الله علي وانا لااحملها من طرف كمي ، فبينا انا في البيت نائم اذا انتبهت فاذا هي تسيل دما عبيطا وكان كمي قد امتلاء دما عبيطا فجلست وانا ابكي وقلت: قتل والله الحسين، والله ما كذبني علي عليه السلام قط في حديث حدثني به ولا اخبرني بشيء قط انه يكون كذلك الا كان كذلك لان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يخبره بأشياء

لايخبر بهاغيره ففزعت وخرجت وذلك عند الفجر ، فرأيت والله المدينة كأن بها ضباب لايستبين فيها اثرعين . ثم طلعت الشمس فرأيت كأنها منكسفة ورأيت كأن حيطان المدينة عليها دم عبيط فجلست وانا ابكى وقلت : قتل والله الحسين فسمعت صوتاً من ناحية البيت وهو يقول :

اصبروا آل الرسول — قتل الفرخ النحول

نزل الروح الامين — ببكاء و عويل

ثم بكى بأعلى صوته وبكيت واثبت عندى تلك الليلة ، وكان الشهر محرم ويوم عاشوراء لعشرمضين منه فوجدته يوم ورد علينا خبره وتاريخه كذلك، فحدثت بهذا الحديث اولئك الذين كانوا معه ، فقالوا : والله لقد سمعنا ما سمعت و نحن فى المعركة لاندرى ما هو فكنا نرى أنه الخضر .

(قلت) : رئيس المحدثين وكتابه هذا قد روى عنهما القندوزى فى ينابيع المودة معتمداً عليهما فليلاحظ ويظهر من كلامه فى الصدر ان هذا الخبر كان من المشهورات بين اهل السنة ، والا فمجرد نقل واحد وقبوله لايوجب ماذكره ، فكان ظاهراً فى الاول وعرض له الخفاء باعراض الناس عن امثاله فلاحظ .

و عن كتاب الخوارزمى عن شهردار الديلمى عن محمود بن اسماعيل عن احمد بن نازشاه قال : واخبرنى ابوعلى مناولة عن ابى نعيم الحافظ قالا : اخبرنا الطبرانى عن القسم بن عباد الخطابى عن سويد بن سعيد عن عمرو بن ثابت عن حبيب بن ابى ثابت عن ام سلمة زوج النبى صلى الله عليه و آله قالت : ما سمعت نوح الجن منذ قبض النبى صلى الله عليه وآله الا الليلة ، ولا ارانى الا و قد اصبت بابنى ، قالت : وجائت الجنية منهم تقول

الاياعين فاحتفلى بجهد — فمن يبكى على الشهداء بعدى

على قوم تسوقهم المنايا — الى متجبر فى ملك عبد

لعل هذا كان عند خروجه(ع) من المدينة اوذهابه الى الكوفة حيث سمع نحو ذلك منهم فى ذلك كما اوردناه فى «الدرة الغروية» ومعنى اصبت اصاب جزمافتأمل.

القسم الثاني

فيمن بكى عليه عند الواقعة وبعدها

عن المناقب ومما انفرد به النطنزي في الخصائص عن ابي ربيعة عن ابي قبيل قيل : سمع في الهواء بالمدينة قائل

يامن يقول بفضل آل محمد ... بلغ رسالتنا بغير توانى
قتلت شرار بنى امية سيداً ... خير البرية ماجداً ذاشان
ابن المفضل في السماء وارضها ... سبط النبي وهادم الاوثان
بكت المشارق والمغارب بعدما ... بكت الا نام له بكل لسان

وعن المناقب ابو نعيم في دلائل النبوة والنسوى في المعرفة قال نظرت الازدية لما قتل الحسين امطرت السماء دماً وحبابنا وجرارنا صارت مملوءة دماً

وقال قرطة بن عبيدالله : مطرت السماء يوماً نصف النهار على شملة بيضاء فنظرت فاذا هودم ، وذهب الابل الى الوادي ليشرب فاذا هودم واذا هواليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام

وقال الصادق عليه السلام : بكت السماء على الحسين اربعين يوماً بالدم

وزرارة بن اعين عن الصادق عليه السلام قال : بكت السماء على يحيى بن زكريا وعلى الحسين بن على اربعين صباحا ولم تبك الاعليهما قلت : فما بكاؤها قال كانت تطلع الشمس حمراء وتغيب حمراء

اسامة بن ثبيت باسناده عن ام سليم قالت لما قتل الحسين عليه السلام مطرت

السماء مطراً كالدم احمرت منه البيوت والحيطان

وروى قريباً من ذلك فى الابانة وتفسير القشيرى والفتال ، قال السيدى : لما قتل الحسين عليه السلام بكت عليه السماء وعلامتها حمرة أطرافها

محمد بن سيرين قال اخبرناان حمرة اطراف السماء لم تكن قبل قتل الحسين

تاريخ النسوى روى عمادبن زيد عن هشام عن محمد قال تعلم هذا الحمرة مم هو ؟ ثم قال : من يوم قتل الحسين ـ ع ـ ورواه ابو عيسى الترمذى

تاريخ النسوى قال ابو قبيل لما قتل الحسين بن على كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا انها هى

وعن كتاب الخوارزمى عن على بن احمد العاصمى عن اسماعيل بن احمد ابن الحسين البيهقى عن والده شيخ السنة احمد عن محمد بن الحسين القطان عن عبيدالله بن جعفر بن درستويه النحوى عن يعقوب بن سفيان عن النضر بن عبدالجبار عن ابى لهيعة عن ابى قبيل مثله .

وبهذا الأسناد عن يعقوب عن اسماعيل عن على بن مسهر عن جدته قالت : كنت ايام الحسين ـ عليه السلام ـ جارية شابة فكانت السماء اياما علقه .

و بهذا الأسناد عن يعقوب عن مسلم بن ابراهيم عن ام سرق العبدية عن نضرة الازدية قالت : لما ان قتل الحسين عليه السلام مطرت السماء فاصبحت كل شيء لنا ملاء دما .

وبهذا الاسناد عن يعقوب عن ايوب بن محمد البرقى عن سلام بن سليمان الثقفى عن زيد بن عمرو الكندى عن ام حيان قالت: يوم قتل الحسين ـ عليه السلام ـ اظلمت علينا ثلاثا ولم يمس احد من زعفرانهم شيئاً فجعله على وجهه الاحترق ، ولم يقلب حجر بيت المقدس الاصبح تحته دما عبيطاً .

وبهذا الاسناد عن يعقوب عن سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد عن معمر قال : اول ما عرف الزهرى تكلم فى مجلس الوليد بن عبد الملك قال الوليد :

ايكم يعلم ما فعلت احجار بيت المقدس يوم قتل الحسين بن على عليه السلام ؟ فقال الزهرى : بلغنى انه لم يقلب حجر الاوجد تحته دم عبيط .

وعن الطرايف روى فى اول الجزء الخامس من صحيح مسلم فى تفسير قوله تعالى: «فما بكت السماء الخ» قال: لما قتل الحسين بن على بكت السماء وبكاؤها حمرتها .

وروى الثعلبى فى تفسير الاية : ان الحمرة التى مع الشفق لم تكن قبل قتل الحسين .

وروى الثعلبى ايضاً يرفعه قال : امطرنا دماً بايام قتل الحسين

وعن المناقب جامع الترمذى وكتاب السدى وفضائل السمعانى ان ام سلمة قالت: رأيت رسول الله -ص- فى المنام، وعلى رأسه التراب فقلت: مالك يارسول الله فقال شهدت قتل الحسين -ع- آنفاً .

(اقول) : هذه الحالة تلازم البكاء مضافا الى مايرشد اليه مامر من حاله -ص- بالنسبة اليه .

وعنه احمد فى المسند عن انس و الغزالى فى كيمياء السعادة وابن بطة فى الابانة من خمسة عشر طريقاً ، وابن حبيش التميمى واللفظ له ، قال ابن عباس : بينما انا راقد فى منزلى اذسمعت صراخا عظيما عاليا من بيت ام سلمة وهى تقول يابنات عبدالمطلب اسعدينى به و ابكين معى فقد قتل سيدكن ، فقيل : و من اين علمت ذلك .

قالت: رأيت رسول الله -ص- الساعة فى المنام شعثا مذعورا فسئلته عن ذلك فقال : قتل ابنى الحسين و اهل بيته فد فنتهم قالت فنظرت فاذا بتربة الحسين التى اتى بها جبرئيل من كربلاء وقال اذا صارت دماً فقد قتل الحسين ابنك -ع- فاعطانيها النبى -ص- فقال : اجعليها فى زجاجة فلتكن عندك فاذا صارت دماً فقد قتل الحسين (ع) فرأيت القارورة الآن قد صارت دما عبيطا يفور .

وعن كتاب الخوارزمى عن ابى الحسن العاصمى عن اسماعيل بن احمد عن

والده البيهقى عن على بن احمد بن عبدان عن احمدبن عبيد عن تمنام عن ابى سعد عن ابى خالد الاحمر عن زربن حبيش عن سلمة قالت : دخلت على ام سلمة وهى تبكى فقلت لها مايبكيك قالت فرأيت رسول الله ـ ص ـ فى المنام و على رأسه و لحيته التراب فقلت يا رسول الله ـص ـ مالك مغبراً ؟

قال شهدت قتل الحسين آنفاً .

وجاء فى المراسيل ان سلمى المدنية قالت : دفع رسول الله ـص ـ الى ام سلمة قارورة فيها رمل من الطف وقال لها اذاتحول هذادما عبيطا فعند ذلك يقتل الحسين ـع ـ قالت سلمى فارتفعت واعية من حجرة ام سلمة فكنت اول من اتاها فقلت ما دهاك يا ام المؤمنين قالت رأيت رسول الله ـص ـ فى المنام والتراب على رأسه فقلت مالك فقال و ثب الناس على ابنى فقتلوه و قد شهدته قتيلا الساعة فاقشعر جلدى فوثبت الى القارورة فوجدتها تفوردما قالت سلمى فرأيتها موضوعة بين يديها.

وعن الطرايف من كتاب الجمع بين الصحاح الستة قال ان النبى ـ ص ـ رأى فى المنام وهويبكى فقيل له مالك يارسول الله؟ قال : قتل الحسين آنفا .

و عن كتاب الخوارزمى عن سيد الحفاظ ابى منصوربن شهردار الديلمى الهمذانى عن الرئيس ابى الفتح عبدوس بن عبدالله بن عبدوس الهمذانى عن احمد ابن الحسين الحنفى عن عبدالله بن جعفر الطبر ى عن عبدالله بن محمد التميمى عن محمد بن الحسن العطارعن عبدالله بن محمد الانصارى عن عمارة بن زيد عن بكر ابن حارثة عن محمد بن اسحاق عن عيسى بن عمر عن عبدالله بن عمر الخزاعى عن هند بنت الجون .

قالت نزل رسول الله ـص ـ بخيمة خالتها ام معبد ومعه اصحاب له فكان من أمره فى الشاة ما عرفه الناس فقال فى الخيمة هوواصحابه و كان يوم قائظ شديد حره فلما قام من رقدته دعا بماء فغسل يديه فانقاهما ثم مضمض فاه ومجه على عوسجة كانت الى جنب الخيمة ثلاث مرات الى ان قالت وقال : لهذه العوسجة شأن الى ان قالت

فلما كان من الغداصبحنا وقد علت العوسجة حتى صارت كأعظم دوحة عادية وابهى وخضدالله شوكتها وساخت عروقها وكثرت افنانهاواخضر ساقها وورقها واثمرت بعد ذلك واينعت بثمر كأعظم مايكون من الكماةفى لون الورس المسحوق ورائحة العنبر وطعم الشهد فذكرت ماجرى عليها .

الى ان قالت ثم اصبحنا ذات يوم فاذا بها قد انبعث من ساقها دم عبيط جار وورقها ذابلة يقطر دما كماء اللحم فقلنا انقدحدث عظيمةفبتنا ليلتين فزعين مهمومين نتوقع الداهية فلما اظلم الليل علينا سمعنا بكاء وعويلا من تحتها وجلبة شديدة ورجة ، وسمعنا صوت باكية تقول :

ايا ابن النبى و يا ابن الوصى	ويا من بقية سادتنا الاكرمينا

ثم كثرت الرنات والاصوات فلم نفهم شيئاً من كلامهم فاتانا بعد ذلك قتل الحسين - ع - ويبست الشجرة وجفت فكسرتها الرياح والامطار بعد ذلك وذهبت واندرس اثرها. قال عبدالله بن محمد الانصارى فلقيت دعبل بن على الخزاعى بمدينة الرسول فحدثته بهذا الحديث فلم ينكره وقال حدثنى ابى عن جدى عن امه سعيدة بنت مالك الخزاعية انها ادركت تلك الشجرة فاكلت من ثمرها على عهد على بن ابى طالب وانها سمعت تلك الليلة نوح الجن فحفظت من جنية منهن :

يا بن الشهيد ويا شهيداً عمه	خير العمومة جعفر الطيار
عجبت لمصقول اصابك جده	فى الوجه منك وقد علاه غبار

قال دعبل فقلت فى قصيدتى :

زرخير قبر بالعراق يزار	واعص الحمار فمن نهاك حمار
لم لازورك ياحسين لك الفدا	قومى ومن عطفت عليه يزار
ولك المودة فى قلوب ذوى النهى	وعلى عدوك مقتة ودمار
يابن الشهيد ويا شهيداً عمه	خير العمومة جعفر الطيار

(اقول) من غذى بلعاب رسول الله - ص - كما فى الاخبار من طرقنا قتل

فسال دمه فكذا ما غذى بمجته فى المضمضة للتناسب بينهما فى الجملة فلاحظ

وعن ابن الجوزى فى كتاب النور فى فضائل الايام والشهور و نوح الجن عليه فقال :

لقد جئن نساء الجن يبكين شجيات ويلطمن خدوداً كالد نانير نقيات

ويلبسن ثياب السود بعد القصبيات

وعن كتاب الخوارزمى عن ابى العلاء الحسن بن احمد الهمذانى عن محمود ابن اسماعيل عن احمدبن محمدبن الحسين عن ابى القسم اللخمى عن محمد بن عثمان عن جندل بن والق عن عبدالله بن الطفيل عن ابى زيدالفقيمى عن ابى حباب الكلبى عن الجصاصين كانوا يسمعون نوح الجن حين قتل الحسين بن على فى السحر بالجبانة وهم يقولون:

مسح الرسول جبينه فله بريق فى الخدود

ابواه من عليا قريش جده خير الجدود

وعن كتاب الخوارزمى عن على بن احمد العاصمى عن اسماعيل بن احمد البيهقى عن والده عن ابى عبدالله الحافظ عن يحيى بن محمد العلوى عن الحسين ابن محمد العلوى عن ابى على الطرسوسى عن الحسن بن على الحلوانى عن على بن يعمر عن اسحاق بن عباد عن المفضل بن عمر الجعفى عن جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن على بن الحسين قال لما قتل الحسين بن على -ع- جاء غراب فوقع فى دمه ثم تمرغ ثم طار فوقع بالمدينة على جدار فاطمة بنت الحسين بن على وهى الصغرى فرفعت رأسها اليه فبكت بكاء شديداً وانشأت تقول :

نعب الغراب فقلت من تنعاه ويلك يا غراب

قال الامام فقلت من قال الموفق للصواب

ان الحسين بكربلا بين الأسنة والضراب

فابكى الحسين بعبرة ترجى الاله مع الثواب

قلت الحسين فقال لـي | حقاً لقد سكـن التراب
ثـم استقل بـه الجناح | فلـم يطـق رد الجواب
فبكيت مما حـل بـي | بعـد الدعاء المستجاب

قال محمدبن على فنعته لاهل المدينة فقالوا قد جائتنا بسحر عبدالمطلب ، فما كان اسرع ان جائهم الخبر بقتل الحسين بن على ـ ع ـ .

وعن الكتاب وروى انه لماحمل رأسه الى الشام جن عليهم الليل فنزلوا عندرجل من اليهود فلما شربوا و اسكروا قالوا عندنا رأس الحسين فقال اروه لى فأروه وهو فى الصندوق يسطع منه النور نحوالسماء فتعجب منهاليهودى فاستودعه منهم وقال للرأس اشفع لى عند جدك فانطق الله الرأس فقال : انماشفاعتى للمحمديين ولست بمحمدى فجمع اليهودى اقرباءه ثم اخذ الرأس ووضعه فى طست وصب عليه ماءالورد وطرح فيه الكافور والمسك والعنبر .

ثم قال لاولاده واقربائه : هذا رأس ابن بنت محمد ـ ص ـ ثم قال يالهفاه حيث لم اجد جدك محمداً فاسلم على يديه ثم يالهفاه حيث لم اجدك حياً فاسلم على يديك واقاتل بين يديك فلواسلمت الان تشفع لى يوم القيامة فانطق الله الرأس بلسان فصيح ان اسلمت فانالك شفيع قاله ثلاث مرات وسكت فاسلم الرجل واقرباؤه ، ولعل هذااليهودى كان راهب قنسرين لانه اسلم بسبب رأس الحسين وجاء ذكره فى الأشعار واورده الجوهرى الجرجانى حيث قال :

حتى يصيح بقنسرين راهبها | يافرقة البغي يا حزب الشياطين
اتهزؤن برأس بات منتصباً | على القناة بدين الله يوصينى
آمنت و بحكم بالله مهتدياً | وبالنبى وحب المرتضى دينى

الابيات

وعن المناقب للشافعى :

تأوه قلبى و الفؤاد كئيب | وارق نومى والسهاد عجيب (١)

---

(١) فى نسخة:والرقادغريب

فمن مبلغ عني الحسين رسالة — وان كرهتها انفس و قلوب

ذبيح بلا جرم كأن قميصه — صبيغ بماء الارجوان خصيب

فللسيف اعوال وللرمح رنة — وللخيل من بعد الصهيل نحيب

تزلزلت الدنيا لآل محمد — وكادت لهم صم الجبال تذوب

وغارت نجوم واقشعرت كواكب — و هتك استار و شق جيوب

يصلى على المبعوث من آل هاشم — و يغزى بنوه ان ذا لعجيب

لئن كان ذنبى حب آل محمد — فذلك ذنب لست عنه اتوب

هم شفعائى يوم حشرى و موقفى — اذا ما بدت للناظرين خطوب

ولابى الفرج ابن الجوزى :

احسين المبعوث جدك بالهدى — قسماً يكون الحق عنه مسائلى

لو كنت شاهد كربلا لبذلت فى — تنفيس كربك جهد بذل الباذل

وسقيت هذا السيف من اعدائكم — جللا وحد السمهرى الذابل

لكننى اخرت عنك لشقوتى — فبلابلى بين الغرى و بابل

اذلم افز بالنصر من اعدائكم — فأقل من حزن و دمع سائل

وعن كتاب الخوارزمى باسناده عن البيهقى عن على بن محمد الاديب يذكر باسناده ان رأس الحسين بن على-ع- اذا نصب بالشام اخفى خالد بن عفران – وهو من افضل التابعين – شخصه من اصحابه فطلبوه شهراً حتى وجدوه فسئلوه عن عزلة فقال : الاترون ما حل بنا ثم انشأ يقول :

جاؤا برأسك يابن بنت محمد — مترملا بد مائه ترميلا

وكأنما بك يابن بنت محمد — قتلوا جهاراً عامدين رسولا

قتلوك عطشاناً ولم يترقبوا — فى قتلك التنزيل و التأويلا

و يكبرون بأن قتلت و انما — قتلوا بك التكبير و التهليلا

اقول: هذه الابيات سمعت من هاتف يوم ورود الشام على مارواه ابومخنف

وعن كتاب الخوارزمي اخبرني سيد الحفاظ ابو منصور شهردار الديلمي عن محيي السنة ابي الفتح اجازة قال انشدني ابو الطيب البابلي انشدني ابو النجم بدر ابن ابراهيم بالدينور للشافعي محمد بن ادريس :

تأوب همي و الفؤاد كئيب ... وارق نومي فالرقاد غريب

ومما لقي جسمي وشيب لمتي ... تصاريف ايام لهن خطوب

فدن مبلغ ... فذكر نحواً مما مرالى قوله : اتوب .

اخبرني ابو منصور عن احمد بن علي بن عامر الفقيه انشدني ابو احمد بن منصور بن علي القطيفي المعروف بالقطان ببغداد لنفسه فذكر مرثيته. قال: ولدعبل الخزاعي :

اسبلت دمع العين با لعبرات ... وبت اقاسي (١) شدة الزفرات

و تبكي لآثار آل محمد ... فقد ضاق منك الصدر بالحسرات

الا فابكهم حقاً وبل عليهم ... عيونا لريب الدهر منكبسات ـ الابيات

ولدعبل ايضاً :

ياعين جودي بالدموع وجودي ... وابكي الحسين السيد ابن السيد

قال : ولبعضهم :

ان كنت محزوناً فمالك ترقد ... هلا بكيت لمن بكاه محمد

هلا بكيت على الحسين ونجله ... ان البكاء لمثلهم قد يحمد ـ الابيات

و ذكر ابياتاله ايضا . وآخر للرضي الموسوي نقيب النقباء ببغداد اخو ـ المرتضى ـره. قال ولابي الحسن علي بن احمد الجرجاني من قصيدة طويلة يمدح اهل البيت :

وجدي بكوفان ماوجدي بكوفان ... تهمي عليه ضلوعي قبل اجفاني

ـ الابيات ـ

---

(١) تقاسي [خل]

ثم ذكر عاشورية الجوهرى الجرجانى ، هذه التى فيها الاشارة الى راهب قنسرين الذى اشار اليه فيما سبق آخرها :

يا عين لاتدعى شيئاً لنا دبة ‏ تهمى ولاتدعى دمعا لمحزون
قومى على حدث بالطف فانتقضى ‏ بكل لؤلؤ دمع فيك مكنون
يا آل احمد ان الجوهرى لكم ‏ سيف يقطع كل موضون

قال ولغيره عاشورية طويلة انتخبت منها:

اذا جاء عاشورا تضاعف حسرتى ‏ لآل رسول الله وانهل عبرتى
هو اليوم فيه اغبرت الارض كلها ‏ رجوعا عليهم والسماء اقشعرت
مصائب ساءت كل من كان مسلماً ‏ ولكن عيون الفاجرين اقرت
الابيات

ثم اورد قصيدة على بن الحسين الداودى وبعضها من قصائد اربع للصاحب وخامسة له منها :

فلتجرغزر دموعنا وتهمل ... الى آخرها

ومنها : فى كربلاء فنح كنوح المعول

ومنها: ناحت ملائكة السماء لقتلهم ‏ وبكوا فقد سقوا كؤوس الذبل
فأرى البكاء على الزمان محللا ‏ والضحك بعد الطف غير محلل
كم قلت للاحزان دومى هكذا ‏ فى القلب و لا تترحل

وابياتا من قصيدة زينب بنت فاطمة البتول آخرها :

فلى قلب عليه ذو التهاب ‏ ولى جفن عليه ذو انسكاب

وابياتا من قصيدة دعبل آخرها :

كم عبرة فاضت لكم وتقطعت ‏ يوم الطفوف على الحسين نفوس

صبراً موالينا ... الى آخر الابيات .

ومن قصيدة لجعفر بن عفان الطائى:

لبيك على الاسلام من كان باكيا　　　فقد ضيعت احكامه و استحلت

الى آخر الابيات

ومن اخرى :

بكى الحسين لركن الدين حين وهى　　　وللامور العظيمات الجليلات

قال: ومن مرثية زينب بنت فاطمة اخت الحسين -عليه السلام- حين ادخلوا دمشق:

اما شجاك يا سكن　　　قتل الحسين و الحسن

ظمئان من طول الحزن　　　و كل و غد ناهل

الى ان قال :

يسقن فى التنايف　　　بضجة الهواتف

و ادمع ذوارف　　　عقولها زوائل

آخرها :

فياعيون اسكبى　　　على بنى بنت النبى

بفيض دمع ناضب　　　كذاك يبكى العاقل

ثم نقل قصة ابى يوسف بن محمد القزوينى ثم البغدادى مع ابى العلاء و مرثية عن بعض النابعين وعن بعض الشيعة قال :ولمنصور بن النمرى :

يقتل ذرية النبى وير　　　جون جنان الخلود للقاتل

ما الشك عندى فى كفر قاتله　　　لكنى قداشك فى الخاذل

وللصاحب الى ان قال :

فالدين يبكى والملائك تشتكى　　　والجو كلف والسنون جماد

ولسليمان بن قتة الى ان قال : وانشدنى الامام الاجل ركن الاسلام ابو الفضل الكرمانى -ره- انشدنا الامام الاجل الاستاد فخر القضاة محمد بن الحسين الارشابيدى لواحد من الشعراء :

عين جودى بعبرة وعويل　　　واندبى ان بكيت آل الرسول

الابيات

قال فخرالقضاة : انشدنی القاضی الامام محمد بن عبد الجبار السمعانی من قبله الی ان قال وللصاحب کافی الکفاة اسماعیل بن عباد :

عین جودی علی الشهید القتیل ... واترکی الخد کالمحیل المحیل
کیف یشفی البکاء فی قتل ... مولی امام التنزیل و التأویل
ولو ان البحار صارت دموعی ... ما کفتنی لمسلم بن عقیل

الابیات

(اقول) : وکفی للاستشهاد کون تلک الابیات و المراثی مما استحسنه الخوارزمی فی کتابه ، و من اراد استحسانه لفهم فلیراجع تلک الابیات و اصل الکتاب ان رزقه.

وهذا آخر ما نورد وفیه کفایة .

انتهی فی صفر ١٣١٣ﻫ

المقالات

فی اثبات الاسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رافع الاعلام ، ناصر الاسلام ، خاذل اللئام ، العمى عن البدر التمام جازى اولياءه بأحسن الاكرام ، خازى اعداءه بما استحقوه من الانتقام ، والصلاة على المنصور على اللئام ، صنوف الكفرة وعبدة الاصنام ، اعداء من آمن واستقام وآله البررة الكرام ، حجج الله تعالى على جميع الانام . و لعنة الله على من خالفهم و ناوأهم و باينهم و عاداهم ، وانكر و جحد ماربهم اعطاهم ، مادار الجديدان ، واستمر النور والظلام .

و بعد : فهذه شهب ثاقبة للفرق الماردة المارقة ، يتضح بها لاولى الالباب من الكفرة و اهل الكتاب ان الاسلام هو الدين المبين المنزل من عند رب العالمين بيان مختصر وفى وكشف واضح غير خفى ، يتأمله طالب الرشاد وطريق السداد، يتحققه العاقل اللبيب ولاينكره الجاهل المريب، وان بلغ من الجحود غايته اوسلك عتواً نهايته، تشهد لصحته أوائل العقول، ولايمكن أن ينافيه شيء من المنقول .

وفيه مقدمة ومقالات :

اما المقدمة

ففى ان الدعاوى الممكنة الوقوع لايقبل شيء منها عن اربابها عند احدمن العقلاء ، بدون علامة واضحة تشهد بواقعيته وتحققه . فلاحظ الدعاوى الجارية بين العقلاء فى الامور المتعلقة بهم لترى عدم القبول فيها وعدم ترتيب اثر الواقعية على شيء منها قبل تحقق علامة الصدق والواقعية والجاحد المكابر فى مثل المقام يلزم بتوجيه ما يستشهد له بجبلته .

وبعبارة اخرى : ان الدعاوى اما ان تتعلق بأمر واجب فيعلم حقيتها من جهة وجوب المتعلق ، واما ان تتعلق بأمر ممتنع فيعلم بطلانها من ناحية امتناع ذلك ، واما ان تتعلق بالامر الممكن، وحيث انمجرد الامكان لايقتضى الوقوع كالوجوب ولا عدم الوقوع كالامتناع بل تحقق ذلك الممكن فى الخارج موقوف على تحقق علته و عدم تحققه انمايكون بانعدام العلة التامة لوجوده ، والعدم لايحتاج الى علة وجودية بخلاف الوجود ـ لم يعقل جزم العقلاء بوجود المدعى بنفس الدعوى المبتنية صحتها على تحقق المتعلق فى الخارج بضرورة كون الادعاء نظير الكشف عن وجوده لامن مقتضيات الوجود وعلله .

فقبول الدعوى عندهم انما يكون مع وجود شواهد الصدق و علامات وجود المدعى فى نفس الامر فقط ، وبدون وجود شيء من شواهد الصحة والوجود لا يعقل القبول والجزم بالوجود ، لعدم العلم بتحقق العلة حتى يتحقق

المعلول ، وذلك من ضروريات أمر العقلاء فيما يتعلق بهم .

ومن الامور الواقعة مورد الادعاء نبوات الانبياء عليهم سلام الله ، وشواهد وجودها وعلامات صحة الدعوى معجزاتهم كما يأتى بيانه انشاء الله تعالى . ومن انكر لزومها من اهل الضلال فقد ابدع وخالف اهل الكمال .

وكيف يعقل توقف سماع الدعاوى الجارية بين الخلق فى الامور الدنيوية على شواهد صدقها وتحقق متعلقها وتبطل بدونها حتى الرسالة عن بعضهم ونحو ذلك ولاتكون الرسالة عمن يرى ولايرى وهو بالمنظر الاعلى على نهج سائر الامور ، ولولا ذلك جاز افحام الانبياء بل و الترجيح من غير مرجح ، اذا اولوية الداعى بالرسالة والمتبوعية دون من يدعوهم انما يكون بعد وجود الحجة ، والافليكن النبى تابعاً فكيف لايكون الامتبوعاً . ولعل ذلك واضح .

المقالة الاولى

في ان الامر الدال على صدق المدعي في دعواه ما يكون من لوازم المدعى او مما يتلازمه ، اذ حينئذ من عرف ذلك اللازم و شاهده جزم بوجود الملزوم ، كما ان من رأى وجود احد المتلازمين علم وجود الآخر معه بضرورة الملازمة والتلازم .

وبعبارة اخرى : لابد ان يكون فيه جهة كشف عن غطاء المدعى ، و بدون ذلك لايتم دلالة على الصدق وواقعية المتعلق كمالايخفى فلايعقل دلالة في المتقارنين في الوجود بحسب الاتفاق .

ولما كانت النبوة رسالة عن الله تعالى والمعجز نحو علامة يعطيهاأحدنازيداً اذا ارسله الى عمرو في حاجة وهويعرف انلايقبل عمروقول زيدفي دعوى رسوليته عن قبل المرسل بدون العلامة ، وذلك السلوك ايضاً من البديهيات في أعمال العقلاء فاذا اراد المرسل العاقل ارسال زيد في حاجة يريدها فاما يصاحبه العلامة و امالا ، ففي الثاني يكون هوالمقصر المفرط في نيل مقصده وحصول غرضه بعد كون سيرة العقلاء عدم قبول قول المدعى بدون العلامة ، وفي الاول ثبوت غرضنا كمالايخفى

والمعجز الذي ذكرنا انيكون مع الانبياء فعل يعجز نوع العباد عن مثله وبعبارة اخرى : هوفعل يخرج عن مقدور البشر ولاتناله قدرتهم

بل يمكن أن يقال انه فعل الله جل جلاله لافعل من يقوم به بواسطة ان

لم يقدرهم نوعاً ولاشخصاً على مثله، بأن تكون قدرتهم على المعجز نحو قدرتهم على افعالهم العادية ثابتة فى كل الاحوال ، وان أقدرهم عليه حال مايريد تعالى وقوع المعجزمنهم كنطق الصبى فى المهد وبلع العصاء المنقلب حية سحرهم واشباه ذلك ممالاينسب الى القائم به على وجه الحقيقة ولايعد من مقدوراته كسائر عادياته، بحيث يكون حيثما شاء فعل ، مثل ماصدر عنه فى الوقت الخاص الذى أراد الله وقوع المعجز، وان صحت النسبة وتمت على وجه آخر وان لم نعرف تفصيله .

المقالة الثانية

ان العلامة الشاهدة يكفي فيها فعل مايعجز عنه الخلق ولاينحصر فيما يقترحونه، وذلك لحصول الغرض من الدلالة على صدق المدعى بوجود ما يعرف كونه من قبل الله تعالى من اى نوع كان وانقطاع العذر به وتمام الحجة كمالايخفى. وان ذلك من اعطاء العلامة وزمامه بيد المرسل اليهم ، ويفعل فى ذلك مايشاء ويعطى مايراه صلاحاً فقد يقتضى ايجاد ماافترحوه ، نظير ناقة صالح وشبهها فقد يغايره ولايلزم نقص بعد تمام الدلالة وان جحدها الجاحدون .

ووقوع الجحد من بعض بعد وقوع المعجز التام الدلالة على الصدق والتصديق لاينكره الاالمكابر ، والافاللازم على المتشرع بشرع الهى اما القول بخلونبيه عن دليل يشهد بصدقه وكون تصديق من صدقه من الناس بدون علامة الصدق ومخالفتهم سيرة العقلاء فى مقام قبول الدعاوى ، فلايحسن الموافقة لهم بوجه أوانكار بقاء مخالف لنبيه بعد بلوغ دعوته ومعرفة معجزته ، فيكون شبه انكار الضروريات أودعوى نقصان دلالة معجزته ، فيلحق بتصديق من لاشاهد له أيضاً .

ومن يصدق بلادليل اويتبع ذلك المصدق لايكون على سيرة العقلاء فليعالج نفسه. وغير المتشرع بشرع الهى جاهل بماجرى لهؤلاء اولى الالباب ، ولايكون له بحث ويلزم من وجوه اخر ككون هؤلاء العقلاء اظهروا الدعوى فيطالبون بشواهد المدعى ويفحص عمااظهروه كالشمس فى وسط السماء ، ويعرف من ذلك صدقهم او كذبهم فى الورى ، ولايجعل دعواهم من اول الامر كدعوى المحال ماكان لدعواهم فى وادالامكان مجال الى غير ذلك .

المقالة الثالثة

انتلك العلامة الشاهدة انما تؤثر مع ظهورها للناس دون وجودها الواقعي وانلم يعرفوه كماهو واضح، فايجاب التصديق والدعاء اليه من تلك العلامة الشاهدة انما يحصل بعد ظهورها للمدعوين ، وهذا الظهور لاينحصر فى أن يشاهدوا ذلك المعجز بأعينهم ، لوضوح ان المعيار هوحصول العلم ، سواء كان من المشاهدة ، ام غيرها .

ومن اجل انالمعجز قبل ظهوره لايفيد والنبوة الواقعية لاتثبت بدونها يسأل اهل الأديان المنتسبين فى تلك الازمان الى نبى من الانبياء عليهم السلام بماذا عرفوا نبوة نبيهم وبماذا يثبتونها لمن يريد الدخول فى دينهم وانحصار طريق اثباتها لمنكرها فى نقل المعجزة الصادرة عنهم فى زمانهم فى كمال الوضوح كانتفاء المعجز الفعلى عنهم فى هذه الأزمان، فلو كان لهم طريق آخر فى الوصول الى هذا المرام فليذكروه

وبعبارة اخرى : اهل كل ملة فى كل زمان محتاجون الى دليل صحة على مـا انتحلوه ، ولاحجة للمتأخرين عن زمـان الانبياء غير نقل الحجة بما يوجب القطع بقيامها على نبوتهم فى زمانهم ، وانهم صدقوا فى دعواهم الرسالة من الله تعالى ، فليكن الامر كذلك بالنسبة الى دين الاسلام .

المقالة الرابعة

ان محمدبن عبدالله صلى‌الله عليه وآله قدادعى نبوته و كونه خاتم الانبياء صلوات‌الله عليهم،وأظهر المعجزة على‌طبق دعواه بحيث‌علم‌صدقه وانه رسول‌من‌الله وله زيادة على سائر الانبياء بوجود المعجز الباقى أبد الدهر وهو القرآن الكريم ومن الحرى تحريرالبحث فى مقامين :

المقام الاول

فى وجوه المعجزات له كسائر الانبياء ـ ع ـ سوى القرآن الكريم و بيان طريق ثبوت ذلك‌على وجه‌الاجمال قبال من ينكرمعجزاته بخصوصه فنقول: معجزه وهو فعله الخارق للعادة الذى يعجز عنه الناس بعد امكان وقوع المعجز من‌البشر كما يذعن به أهل النبوات يعرفه بالحس من يشهده حال وقوعه ، فالعلم بمعجزه عن حس لايحتاج الى ازيد من شهوده حال وقوع ذلك الفعل ، وهو زمان قصير يمكن تحقق شهوده لكل واحد واحد من اهل معاشرته. ومن كان يتمكن من لقياه .ويعرفه من‌لم يشهد وقوعه من نقل المشاهد و نقل وقوعه اذا وقع من مقبول القول لامناص عن قبوله ولايمنع عن‌قبوله مانع عقلى اوغيره ، حيث‌اخبرعن امر ممكن الوقوع فى العقول يتمكن من ادراكه بحسه ، فأى طريق يبقى لدفعه و رده و عدم قبول نقله. فلاحظ موارد النقل والقبول فى‌سائرالامورلتعرف وجود مناطه فى مورد نقل المعجز ايضا من غير فرق وتفاوت بين المقامين كما لايخفى .

هذا فی طرف الاثبات ولايرتاب فيه مريب ، و اما فی طرف النفی فالامر المثبت :

اما انيكون مؤرخاً بوقت خاص ، فصحة نفيه لايتوقف على ازيد من الادراك الحسی ، لعدم وجود هذا الامر و عدم صدوره من هذا الشخص الخاص فی ذلك الوقت المخصوص بأن يكون مجتمعاً معه فی ذلك الوقت، فيرى عدم صدوره منه، بل وغيبة المثبت ونحو ذلك ايضاً، فهذا النفی نظير الاثبات ليس له كثير مؤنة كما لايخفی

و اما اذا لم يكن مؤرخا كذلك و كان الاثبات بشرائط قبول الخبر فيه فمن الواضح توقف صدق النافی و كون خبره على الوجه الصحيح دون الكذب ، والخرص على كون المخبر معاشراً للمخبر عنه فی تمام اوقات امكان صدور هذا الفعل عنه وعالما مطلعاً على أفعاله فعلا أو تركاً لايعزب عنه شیء منها ، فيرى ان لم يصدر منه ذلك المخبر به عنه فی شیء من الاوقات الممكن وقوعه فی شیء من ابعاضها .

وبعبارة اخرى : المخبر به سواء كان اثباتا أو نفياً لابد ان يكون مدركاً للمخبر ومعلوماً له من طريق الحس أو القريب منه ، والا فهو كذب فی الاخبار أو خرص ، والامر الوجودی ونفی الخاص لايتوقفان على أزيد من وجود شرائط الادراك الحسی لذلك المثبت أو المنفی فی الوقت الخاص ـ وقت تحقق ذلك المثبت او انتفائه فی الوقت الخاص .

وأما مع الاطلاق وعدم تقييد النفی او الانتفاء بوقت خاص، فالمعتبر فی صحة الخبر وجود الشرائط المفروضة فی تمام أوقات امكان وقوع ذلك المنفی كی يعرف الانعدام على وجه الاطلاق كما لايخفی ، والا فمع الاختلال فی بعض أوقات امكان وقوعه لايتجه له النفی المطلق لامكان انتقاض الانتفاء فی خصوص وقت الاختلال بضرورة من العقول كما لايخفی .

وكيف كان فانقدح من ذلك ان حكايات معجزات خاتم الانبياء لكونها من

نقل الأمور الوجودية التى تحققت فى بعض خاص من الزمان ، يمكن ادراك وجودها فيه عن حس مقبولة من حكاتها ، بخلاف نفيها من اعـادى محمد (ص) ، خصوصاً اذا كان من نفى معجز غير مؤرخ ، لانهم لم يدركوا محمداً فى تمام أزمان امكان وقوع ذلك المعجز منه ، بل ولم يتمكنوا من ذلك ايضاً ، فلا يكون قولهم من الاخبار عن انتفاء شيء أدركوه بالحس .

وأما نفى المعجزات المؤرخة فالامر فيها ايضاً قريب من ذلك ، لان اليهود و النصارى وأضرابهم لم يكونوا من اهل معاشرته صلى الله عليه وآله ومجالسته فى تلك الاوقات حتى يكون نفيهم خبراً صحيحاً يمكن أن يعارض به الخبر المثبت لها ، ويدل على ذلك عموم الانكار فى تمام اهل تلك المذاهب و عدم اختصاصه ببعضهم ، فدعواهم انتفاء تلك المعجزات كذب أو خرص أو جحود ، والمثبتون اخبروا عما يمكن ان يكونوا أدركوه بالحس فيقبل بخلاف نفى المكذبين كما لا يخفى .

هذا مع ان الاطلاع على ما صدر عنه (ص) وجوداً وعدماً انما يرجى ممن يدنو منه ويعاشره ويساكنه دون من ينفر عنه ويبعد عنه ، مضافاً الى ان النقل انما يؤخذ به عمن يجتنب الكذب ونحوه ، وشرائط القبول مجتمعة فى طبقات حكاة معجزاته ومنتفية عن نفاتها ، ويعرف ذلك بامتحان اهل العصر وملاحظة حال سائر الاعصار .

واما الآيات المتوهم منها ان ليس لمحمد (ص) معجزة فستعرف بيانها انشاء الله تعالى . ومن رد معجزته بدعوى مخالفتها نص القرآن فقد سلم ثبوتها لولا تلك المخالفة وستعرف ان لامخالفة .

المقام الثانى

فى معجزية القرآن الكريم

وفيه امور :

(الاول) ان وقع التحدى بالقرآن وعجزوا عن مثله ، واصل التحدى به يدل عليه قوله تعالى فى سورة البقرة ٢٣ «وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين».

وفى يونس ٣٧ « وماكان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين . ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين» .

وفى هود ١٣ «ام يقولون افتراه قل فأتوا عشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم يستجيبو لكم فاعلموا أنما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون» .

وفى اسرائيل ٨٨ « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» .

وفى الطور ٣٣ «ام يقولون تقوله بل لايؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين» .

ويقارب هذه قوله تعالى فى سورة النساء ٨٢ «أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» .

وقال فى سورة محمد ٢٤ «أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها» .

والنظر فيه الى التدبر فيه لمعرفة اعجازه ونحو ذلك لا لخصوص معرفة احكامه ونحو ذلك ، ولا حاجة الى ذكر الاخبار فى هذا المضمار .

(الثانى) انهذا القرآنالشريف كان ملاء اسماع الكفار الخارجين عن ربقة الاسلام و كان بمسمع منهمبل مرأى ، ولميكن مستوراً عنهم فى صدر الاسلام كى يدعى انهم لميعرفوه ونحوذلك ، والذى يدلعليه أمور :

(منها) آيات التحدى السابقة ، ولميكذبها احد فى زمان بقول انلم يظهر التحدى أولم يشاهدوا القرآن حتى يعرفوا انهم يقدرون علىمثله اومثل سورةمنهأم لاونحو ذلك ، ولولا ظهوره لهم كعجزهم لقيل فىوقت لميره الاسلاف كى يعرفوا حاله .

(ومنها) الخطابات الواردة فى القرآن للكفار ، وهى كثيرة ، ولا يعقل ان لايكون قداسمعهم كما لايخفى.

(ومنها) فىآل عمران ، ٧٢ «وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذىأنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » وقوله فى النساء ٨٢ «أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»

ووجه الكلام فيها الى منكرى القرآن والشاكين فىانه من عندالله تعالى ، وانمايتم بعدقرع سمع كلمنهم مايكفىفىمعرفةانه منعندالله وانهخال عن الاختلاف الذى يحصل فىمثله من كلام المخلوق .

وقوله فىالانفال ٣١ «واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قدسمعنا لونشاء لقلنا مثل هذاان هذا الاساطير الاولين» .

ولميكذب بقول انلمنسمعه ولمنقل انتقول مثله . وهذه الاية تدل على سبق التحدى وكمال معرفتهم بالقرآن، والالميعرفوا ماذامثله ولاانه أساطير الاولين.

ثم ماذا منعهم عن ذلك بعدوقوع التحدى وكانوا يسلمون لوقالوا مثله ولم تهرق دمائهم وتمتلهم الحجة فىدفع محمد صلىالله عليهوآله عنانفسهم وغيرها ورضوا بالقتلوالذلة .

وفى يونس ١٠« واذاتتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقائناائت

بقرآن غيرهذا أوبدله» الايات، وقولهم ذلك لايتم بدون معرفتهم له ، وقال «وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله» الآية وذلك ردعلى الكفار وابطال لقولهم .

وفي يوسف ١١١ «لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى و رحمة لقوم يؤمنون» ولعل فيه ايماء الى ماقالوا في قصة. يوسف ، كما يؤيده قوله تعالى «ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون »

وفي الرعد ٣٦ «ومن الاحزاب من ينكر بعضه» ولايتم ذلك الابعد معرفته

وفي الحجر ٦ «وقالوا يا أيها الذى أنزل عليه الذكر انك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين» .

وفي النحل ١٠١ واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لايعلمون» الى أن قال «ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين» ولولا معرفتهم القرآن لم يعقل اختصاص قولهم «انما انت مفتر» بما بعد وقوع التبديل ، كما ان اختلاف اللسان لايقوم حجة على من يدعى تعليم البشر تبطل دعواه الابعد معرفة القرآن بشخصه .

وفي الأسرى ٤١ «ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الانفوراً » وقال تعالى ٤٥ «واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالاخرة حجاباً مستوراً. وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقراً واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفوراً» اللايات.

ومن قولهم «ان تتبعون الارجلا مسحوراً » و النفور بعد معرفة القرآن وكذا قولهم «انه مسحور» وقال تعالى «ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى اكثر الناس الاكفوراً ، وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً» الايات، وهو حالهم بعد سماع القرآن .

وقال ٣: «وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الامبشراً ونذيراً وقرآنا فرقناه

لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به اولا تؤمنوا» الايات، هل اورد ان لم يقرو هل قيل لاتعرفه والايمان فرع المعرفة .

وفى الكهف ٦ «فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفاً» وهل يعقل خطابه بذلك بترك الايمان قبل أن يعرفوا القرآن ، وقال تعالى «قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» الاية ، أفلم يقل لهم ذلك ، وقال تعالى «ولقد صرفنا فى هذا القرآن من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا» هل المجادلون غير الذين كفروا وهل الجدل يتحقق قبل معرفة الأمثال .

وفى مريم ٩٧ «وتنذر به قوماً لداً» افلم يفعل (ص) ام يحصل الانذار به بدون معرفتهم القرآن ، والايات فى ذلك كثيرة .

وفى طه ١٠٠ «ومن أعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزراً» أفيحصل الاعراض قبل معرفته .

وفى الأنبياء ٥ «بل قالوا أضغاث بل افتراه بل هو شاعر » أفيعقل مثل هذا القول قبل ان يشاهدوا القرآن ويعرفوه .

وفى الفرقان ٢ «وقال الذين كفروا ان هذا الأفك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلماً وزوراً . وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا قال تعالى «وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة» الاية أفيكون ذلك قبل ان يعرف ان ينزل القرآن نجوماً .

وفى الشعراء ٥ « وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبو فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن » ولايتم ذلك قبل المعرفة جزماً .

وفى النمل ٧٦ « ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون » .

وفى القصص ٤٨ « فلما جائهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما اوتى

موسى» الاية، وقال تعالى «قل فأتوا بكتاب من عندالله هو أهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين » .

وفى العنكبوت ٤٦ « وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم » الاية «ومايجحد بآياتنا الا الكافرون» وقال تعالى «ومايجحد بآياتنا الا الظالمون» وقال «اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب تتلى عليهم » الاية ، ولم يقل أحد لم يتل علينا .

وفى يس ٦٩ «وما علمناه الشعر وماينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين» هو رد عليهم.

وفى الصافات ٣٦ «ويقولون ءانا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون» كيف يقولونه اذا لم يروا القرآن اصلا .

وفى ص ٤ «وقال الكافرون هذا ساحر كذاب» وقال « ءانزل الذكر عليه من بيننا» الخ .

وفى المؤمن ٧٠ «الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون» والمقابلة تشهد بمعرفتهم له .

وفى فصلت ٥ «وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون» قال تعالى «وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون» قال تعالى « ان الذين كفروا بالذكر لما جائهم » الخ قال تعالى «والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى» الخ .

وفى زخرف ٣١ «وقالوا لولا أنزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم» وقال «ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون» الايات .

واذا عرف المشركون فأهل الكتاب اولى ، وفى الجاثية ٧ «ويل لكل أفاك اثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها» الايات .

وهذا حال تمام الكفار به ، وقال تعالى «قال الذين كفروا للحق لما جائهم هذا سحر مبين . ام يقولون افتريه» الايات.

وفى الواقعة ٨١ «افبهذا الحديث انتم مدهنون . وتجعلون رزقكم انكم

تكذبون» الايات ، والأهانة بعد المعرفة والتكذيب فعل كل كافربه .

وفي المدثر ٢٤ «فقال ان هذا الاسحر يؤثر . ان هذا الاقول البشر» الايات الى غيرذلك .

وتلخص مماذكرناه ان القرآن لم يكن مستوراً عمن كفربه، وكانوا يعرفون منه شيئاً وصدر عنهم أمثال ذلك بعد تلك المعرفة، وكان يقرء عليهم كما يحكى في قصة المهاجرين الى الحبشة وفي وفد نجران وامر المباهلة ، بل وربما يستقرؤنه . وتفاصيل ذلك لايسعه هذا المختصر .

وآية «ان مثل عيسى» الخ قرئت على وفدنجران ولم يسعهم شيء فيها وكان فيهم العلماء المبرزون وهاشم الشامي مورد عليها في زمانه ان ذا لغريب . وبالجملة حكى في القرآن امثال تلك الوقايع الكاشفة عن انتشاره ، ومن ان لم يجهله الكفاروسلمها المتأخرون عن زمانه ولم يكذبوها بوجه لان تكذيبهم كان راجعاً الى كونه من الله تعالى وقالوا هو من محمد بن عبدالله (ص) ، مضافاً الى انقياد المسلمين طرأ لتلك القصص فضلا عن انقياد المنافقين الذين كانوا يسعون في هدم الاسلام من اساسه . ومنها صلاة المسلمين التي تفعل كل يوم سبع عشرة ركعة يقرأ فيها فاتحة الكتاب وسورة يأتون بها في كل محفل ويطلع عليها كل جاهل ، واي انتشار يزيد على ذلك .

(الثالث) ان لوقطع النظر عن معرفة الكفارله وعدم استتاره عنهم فقد كان يعرفه المنافقون الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر فلم يكن يزوى عنهم .

قالت فاطمة صلوات الله عليها بعد وفاة ابيها (ص) بأيام قليلة في حشد من المهاجرين والانصار وغيرهم في مسجد أبيها: (انتم عباد الله نصب امره ونهيه ، وحملة دينه ووحيه ، و امناء الله على انفسكم ، وبلغائه الى الامم زعيم حق له فيكم وعهد قدمه اليكم وبقية استخلفها عليكم ، كتاب الله الناطق والقرآن الصادق والنور الساطع والضياء اللامع ، بينة بصائره منكشفة سرائره منجلية ظواهره مغتبطة به

اشياعه قائد الى الرضوان اتباعه مؤد الى النجاة استماعه، بهتنال حجج الله المنورة وعزائمه المفسرة ومحارمه المحذرة وبيناته الجالبةوبراهينه الكافيةوفضائله المندوبة ورخصه الموهوبة وشرائعه المكتوبة)

وقالت صلوات الله عليها وابيهاوبعلها وبنيها: وكتاب الله بين اظهركم اموره ظاهرة واحكامهزاهرة واعلامه باهرة وزواجره لايحة واوامره واضحة.

وقالت: اعلن بهاكتاب الله فى ممساكم ومصبحكم، يهتف فى افنيتكم هتافاً وصراخاً وتلاوة والحاناً ـ الخ .

وبالجملة كانوا يعرفون القرآن ، وكانوا يبغون الغوائل للاسلام بكل ما يقدرون عليه ، فكم من مرة راموا قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرشوا عليه وافشواسره لاعدائه لياخذوا اهبتهم وينتظرون الجيوش عليه ويخوفون جيشه الى غير ذلك ، وكم من ضيق كانوا فيه كالطير فى القفص يحتالون للخلاص بكل حيلة ، واى حيلة اجدى لهم من أن يعلموا اعداء محمد (ص) مايتوصلون الى ابطال حجته والغلبة عليه .

(الرابع) ان المعجز لايعرف كنهه والا لايكون معجزاً ، بل تقر العقول بالعجز عن مثله. ولاينافى ذلك فعل فرعون وأخبر الله تعالى انهم جحدوابها واستيقنتها انفسهم ظلماً وعلواً . وامكان ذلك من ضرورى العقول .

واعجاز القرآن الكريم ليس من ناحية مافيه من الاخبار بالغيوب وان كان ذلك معجزاً ببداهة العقول ، بضرورة أن التحدى وقع بالسورة من مثله وعشر سور مثله مفتريات ، فهومعنى يقوم بكل سورة سورة ولايتوقف على انضمام سورة اخرى ولاآية الى السورة. ومن الواضح أن ليس كل سورة من القرآن محتوية على الاخبار بالغيب ، واذا وقع التحدى بالسورة فمجموع القرآن اولى بالاعجاز و اقوى فيه كمالا يخفى .

مضافاً الى آيات التحدى بعنوان القرآن ، و لفظه كما يطلق على المجموع

يطلق على أبعاضه ايضاً، ومنها ما كان نزل قبل نزول مثل قوله تعالى «بمثل هذا القرآن» ومعجزية المركب لايتوقف على اعجاز ابعاضه، فان الكلمة والحرف كالاية من اجزاء السورة ، والاولان مماتداولته ألسن العرب العرباء وغيرهم .

بل يحتمل دعوى وقوع صدور الاية منهم ايضاً في الايات المحكية عن الاعراب كمالايخفى ، ولايلزم مساواة الجملة والابعاض في تمام الاثار والخواص والاحكام، كماان مجموع الجند يفتح الحصون ولايتمكن منه آحادهم .

وانما يراعى معجزية ما ادعى معجزيته، ولم يدع الاعجاز في سوى عنوان القرآن المراد به المجموع والسورة ولم يسر الى الايات والكلمات .

ثم طريق معرفة معجزية ماوقع التحدي به من القرآن وسورة وان الامر كماادعى وعجز الناس عن مثله امور :

(منها) اذعان الفصحاء من العرب العرباء الموصوفين بالفصاحة و البلاغة و حسن الكلام المتفوقين على النظراء والاقران المشار اليهم في المحافل باعجاز القرآن وان لايتمكن منه انس ولاجان من الشعراء والخطباء والبلغاء ، واقوى من ذلك ان خضع له من وضعت له ملوك الكلام نير المذلة في اعناقها و اذعنوا أن لايشقون غباره ، وهو علي بن ابي طالب سلام الله عليهما الذي كلامه فوق كلام الخلق ودون كلام الخالق ، كمايعرف من ملاحظة كتاب نهج البلاغة من كلامه فاذعنوا بأنه افصحهم وابلغهم واعرفهم بمحاسن الكلام .

وبالجملة فاقرار الفصحاء بعجزهم عن مثل القرآن وسورة من سوره يوجب علم غير العارف بلغة العرب ووجوه كلامه بكون القرآن معجزاً واضح المعجزية كمالايخفى. وبيان حال الموصوفين بالفصاحة ومراتبهم يعرف من مظانها كمايعرف اذعانهم للقرآن بماذكر بايمانهم وتصديقهم له واسلامهم .

(ومنها) ان المنافقين من الاعراب الفصحاء مع كونهم يطلبون الغوائل للاسلام لم يفوزوا بمرامهم ولم يعارضوا القرآن ولاأظهروا انكار مافيه ، وبقوا على

ذلتهم فی دین الاسلام ، ولولاعجزهم لهدموا هذا الاساس کمالایخفی .

(ومنها) ان الکفار الذین حاربهم المسلمون فی زمان محمد (ص) وما بعده قداظهروا العجز عن مثل القرآن بتسلیم النفوس للحتوف والاقدام علی المقاتلات المؤدیة الی لواذهم بالآکام والحفرحیث لاوزر ، وترك الاولاد یتامی والازواج ارامل وایامی و اسری و الاموال نهباً .

و او فی من ذلك کله یحتالون فی دفعه عن انفسهم بکل حیلة ویسعون فیه بالمساعی الجمیلة ، بل یحتالون فی قتل محمدص وصحبه واطفاء نوره بعدماعرفوا ان یأبی الله الاان یتم نوره ، فما بالهم لم یظهروا کذبه ولم یبطلوا حجته ولم یأتوا بمثل القرآن ولوسورة منه ، حتی جری علیهم ماجری ورضوا بالجزیة .
أفتری العاقل یختار هما علی الدعة لوقدر علیها او یتقادلهما قبل العجز التام ، فلاحظ ذلك بعین البصیرة .

المقالة الخامسة

ان كتاباً وقع التحدى به فيه- مضافاً الى اجماع الامة عليه بكلمة واحدة - وان لم يسلم كونه كتاب الله وادعى كونه كتاب محمد بن عبدالله (ص) لايقصر عند احدعن سائر كمالات الفصحاء ، فان محمداً ايضاً تهامى حجازى مكى مدنى ميلاده ومنشائه بين ارباب الفصاحة لاينكره جاحد ، وقال اناافصح العرب بيدانى من قريش وربيت الفخرمن هوازن بنى سعدبن بكر ، ويعرف حاله من سائر كلماته(ص)الجوامع وخطبه واشباهها .

وترى اهل الدراية يستنبطون القواعد من كلمات الفصحاء ويتأملون فيها و يجتهدون فى وجوه صحتها حتى بالحمل على لغة ونحوذلك ، ولايجترىء احدعلى تغليطها ونحوذلك بعدفصاحة صاحبها ، ويخطئون افهامهم اذاعجزوا عن معرفة وجه الصحة فربما قالواسماع ونحوذلك ، فصدور الكلام من الفصيح كاشف عن انطباقه على القواعد الادبية وبطلان الايراد والتغليط ، ومع ذلك نتعرض لما ذكره الجاحد فى القرآن فنقول :

قوله تعالى فى سوره البقرة ١٧٧ «ليس البرأن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب و النبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى و المساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة واتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا و الصابرين فى السراء

والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون».

قال الجاحد : كان الوجه أن يقول و الصابرون لانه عطف على الموفون لكن المفسرين قالوا انه نصب الصابرين على المدح ، ولا ادرى لماذا استحق الصابرون هذا المدح ولم يستحقه الموفون بعهدهم مع انهم متقدمون فى النسق على أولئك ومع ان السورة بنفسها متقدمة النزول على سورة البرائة التى سن فيها نبذ العهد وعلى سورة التحريم التى احل فيها الحنث بالايمان .

ثم ان فى هذه الاية. خطاء آخر فى التركيب ، لانه كان الوجه ان يقول ولكن البر ان تؤمنوا وتؤتوا وتقيموا الخ لان البر هو الايمان لا المؤمن ولذلك لجأ المفسرون الى التقدير فقالوا ولكن البر الذى ينبغى ان يهتم به بر من آمن بالله الخ فلعل الكاتب اسقط ست كلمات واذهب بذلك ما فى القرآن من وضوح الدلالة فقدرها المفسرون والا فالتركيب فاسد .

اقول: شرح الحق فى المقام فى ضمن امور :

(الاول) فى القراءة فى الاية: ابو عمرو فى التيسير حمزة وحفص ليس البر بالنصب والباقون بالرفع ،ولا خلاف فى الثانى انه بالرفع. اقول يعنى بذلك الثانى قوله تعالى «ليس البر بأن تأتوا البيوت» الخ. ثم قال نافع وابن عامر ولكن البر فى الموضعين بكسر النون ورفع ما بعدهما والباقون بفتح النون وتشديدها ونصب البر — انتهى .

امين الاسلام فى المجمع : قرأ حفص عن عاصم غير هبيرة و حمزة ليس البر بنصب الراء والباقون بالرفع ، وروى فى الشواذ عن ابن مسعود وأبى ليس البر بأن تولوا مع نصب البر ، وقرأ نافع و ابن عامر لكن البر بالتخفيف و الرفع والباقون بالتشديد والنصب.

(الثانى) فى بعض وجوه القراءات ، فوجه رفع البر أن ليس يشبه الفعل فأولى ان يتعقبه الفاعل ، ووجه النصب ان ان وصلتها يشبه المضمر فى ان لا يوصف فالمورد من قبيل اجتماع الظاهر والمضمر ، والثانى بكونه اذهب فى الاختصاص

اولى بأن يكون اسم ليس ، ووجه الباء مع النصب الزيادة كما في «كفى بالله و كيلا» وانت خبير بما في ذلك ، فان اللازم تمييز المبتدأ والخبر قبل دخول ليس.

والقواعد اللفظية وان سكتت عن التعيين كصورة نكارتهما ولم يكن المورد من قبيل كون احدهما معرفة ليتعين الابتداء مع كون الثاني نكرة ، الأن ملاحظة القواعد المعنوية تكون محكمة في المورد، فالخبر هو المجهول ثبوته للمعلوم كما في سائر موارد المبتداء والخبر كمالايخفى .

والظاهر في مورد الاية مع الغض عن اداة السلب ان المجهول ثبوته كان هو برية التولية الى احدى الناحيتين ، حيث ان اليهود كأنهم كانوا يدعون المسلمين الى قبلتهم ويثبتون البرية للتوجه اليها والنصارى الى قبلتهم ويثبتون البرية لاستقبالها فايجاب الكلام الذى هو كالصادر عن كل واحد من الفريقين ما يساوق قول القائل التولى الى المشرق البر و قوله التولى الى المغرب البر ، فكان التولى الى كل واحد منهما هو المدعو اليه باثبات البرية له لا البر بدعوى حصوله بتلك التولى۔ فلاحظ .

و تلك الاية نزلت رداً عليهم و في ابطال دعواهم ، و يحصل ذلك بابطال وجود النسبة بين جزئى الكلام المفروض صدوره منهم نحوما عرفت ،ونفي النسبة نفي ثبوت الخبر للمبتدأ ، وبذلك تنقلب القضية الايجابية سلبية ويحصل الأبطال كما لايخفى.

ثم ان غرض هؤلاء كان هو الانحصار فيما زعموا و عدم البرية فيما يكون في عرض ذلك التولى ، بضرورة ان لايصححون العبادة الى غير قبلتهم . واستفادة الحصر من تعريف الخبر باللام ليس بذلك الوضوح بخلاف تقديمه ، فكلامهم المفروض كأنه البر هو التولى الى المشرق اوالى المغرب ، ومفاده ان ينحصر في ذلك ولايتحقق في التولى الى غير ذلك الوجه الخاص ، فادعوا بريته وانحصار البرية فيه .

وعلى ذلك لايصلح لفظ البر فى«ليس البر» الخ ، الاأنيكون خبراً وانتقدم على الاسم لغرض افادة الحصر كماعرفت ، والحصر فى ايجابى هذا الكلام ليس بحكم القيد حتىيكون النفى الداخل عليه ناظراً اليه ، بل النفى ينحط على الاسناد والنسبة بين الجزئين فيبطل اصل البرية .

وان شئت قلت : الخبر معرف بلام الجنس ، واثباته لشىء يفيد الحصر ، و نفى النسبة يدل على انتفاء اصل تماميته ، فالحصر كأنه من لوازم ثبوتية الكلام ، وهذا ابلغ كمالايخفى .

فمفاد الاية ليس تولية وجوهكم قبل المشرق والمغرب براً ، وفى ذلك فائدة اخرى ، وهى ان ليس يتوهم البرية فى عملكم غير نفس تولية الوجه الى احدى الجهتين، وفيه ايماء الى فساد اعمالهم التى يتوجهون بها الى قبلتهم.

ثم ان الحصر قديكون حقيقياً وقديكون حكمياً، واليهيرجع كون المحصور فيه هوالمهم الذى ينبغى الاهتمام به او اهتماماً أزيد من الاهتمام بغيره ، فمايرى من المفسرين من بيان الحصر لالذكر الساقط ونحوذلك من أوهام الغافلين .

(الثالث) لفظة «لكن» من الحروف المشبهة بالفعل، ومفادها الاستدراك وهو رفع مايتوهم ثبوته من ناحية الكلام السابق، تقول ليس زيد شجاعاً ولكنه كريم ، ويتوهم من نفى شجاعته ثبوت انتفاء الكرم أيضاً، فيرفع ذلك التوهم بذكر لكن ومعمولها حتى فى مثل «زيد مسافر ولكن عمراً حاضر» ، اذالمفهوم من قولك «زيد مسافر» انه ليس بحاضر، فيتوهم منه بواسطة تلازمهما فى الغيبة والحضور أنلايكون عمر ايضاً حاضراً فيستدرك بلكن ومعمولها . وكون سوق الكلام فى مثل ذلك للاستدراك وتوقف ذلك على ماذكرناه واضح للبصير بأغراض الكلام والمتأمل فى الاستعمالات العرفية .

وبالجملة فالكلام السابق قديكون بنفسه منشأ التوهم والاستدراك وقد يكون بلازمه المفهوم منه، والاية الشريفة « ليس البرأن تولوا وجوهكم قبل المشرق و

المغرب» يستفاد منها أن ليس ذلك حتى يكون البرمن تولى اليهما فيتوهمون من ذلك أن ليس براً ابداً اوولا من اهل الايمان فيستدرك بلكن ومابعدها .

أويقال لو كان ذلك التولى براً لكان اربابه ابراراً، واذا نفى البرية انتفى كونهم ابراراً، فيشبه الكلام «ليس زيد بارا ولكن عمرا بار» فكان يتوهم عدم باريته من عدم باريته .

وكيف كان فظهور الاستدراك واضح، وأما «لكن البرمن آمن» الخ فمن الواضح أن المصدر كما لايكون خبراً عن الاسم العين فهكذا عكسه ، وذلك لان قضية الحمل هو تحقق الاتحاد بين طرفى النسبة واتحاد الحدث والذات ممالايعقل، والمغايرة واضحة فكيف يتحقق الحمل والنسبة ، واذا وقع الحدث خبراً كان بمعنى المشتق أومحمولا على المبالغة فى اتصاف المبتدأ بوصفه فمعنى «زيدعدل» اماعادل أوكونه من شدة قوة عدالته كأنه صار نفس العدالة ، وهذا هو المبالغة وتعرف من سياق الكلام والقرائن الحالية للمتكلم ، و مع فقدهما يحمل المصدر على الفاعل بقرينة الحمل المقتضى للاتحاد ، ويؤخذ مثل ذلك فى صورة كون المبتدأ مصدراً فيدعى كونه ذلك الشخص باثبات العينية وتجريد المسمى عن غير تلك الصفة فيكون من قبيل المبالغة أوكونه بمعنى الفاعل والاستعمال فيه كثير ومنه «السخاء حاتم» و «الشعرزهير» والحمل لايوجب كونه من سنخ المبتدأ الوصفى بكون فاعله يسدمسد الخبر، والمعنى ولكن البار من آمن ـ الخ .

وذكر ذلك على وجه الاستدراك بعدقوله «ليس البر» الخ، قدعرفت الوجه فيه وانه انفهام نفى كون اهل التولى الى الجهتين ابراراً من العبارة المتوهم منه مشاركة اهل الايمان فى انتفاء البرية .

ويحتمل بعد ذلك كونه من موارد حذف المضاف امافى طرف اسم لكن واما فى ناحية خبرها، وليس معنى الحذف ان اللفظ ساقط من هذا نظير السقوط بسهوالقلم بل مرجعه الى انفهام معنى المحذوف من غير حاجة الى لفظة بقرينة المقام ونحوها،

وذلك فی صورة قيام المضاف اليه مقام المضاف أظهر، حيث كأنه استغنی عنه .

ويشهد له قولهم المحذوف لقرينة بمنزلة المذكور وغير ذلك من قواعد العلم وحذف المضاف شايع فی سائر اللغات ايضاً فضلا عن العربية ومعدود من أنواع الايجاز المرغوب فيه فی الكلام كما لايخفی .

وحينئذ ان شئت قلت: ولكن ذا البر من آمن الخ ، وان شئت قلت ولكن البر برمن آمن الخ ، وكلاهما حسن وان كان الأول بملاحظة انه يفهم من الكلام السابق نفی كون ارباب التوليتين ابراراً، وشرائط الحذف المذكورة فی محالها موجودة فی كلا الوجهين وليس هنا مجال تفصيلها .

والحذف فی كل واحد من الطرفين مما قال به جماعة من المفسرين ، كما ذكر جمع كون البر بمعنی البار، قال ابوذؤيب فی رواية الاصمعی :

و عليهما مسرودتان قضاهما داود أوصنع السوابغ تبع

وان روی «صنع السوابغ تبع» فهو من عطف المصدر علی الذات و هو بمعنی الفاعل .

فالاقتصار علی ذكر الحذف فی طرف الخبر كما تری ، كما أن جعل كلمات المفسرين من قبيل التقدير هذيان فضلا عن دعوی التجائهم و كونهم ملجأين كما لا يخفی، بل الكلمات من ايضاح المفاد المستفاد من كلام القرآن، وبين ذلك والتقدير بون بعيد .

واهزل منه ذكر اسقاط الكاتب وجعل ذلك من الافساد ، واقوی منه الحكم بفساد التركيب وفساد التركيب فيما لم يكن للاسناد الاطرف واحد حتی مقدراً أو محذوفاً لقرينة، وأما بعد ذكرهما والحاجة الی التقدير والحذف ووضوح المراد فتوهم الفساد من فساد العقل .

ومن موارد الحذف فی غير القرآن قوله :

انا ابن جلا و طلاع الثنايا متی اضع العمامة تعرفونی

وقوله :

مالك عندى غير سهم وحجر و غير كبداء شديدة الوتر

ترمى بكفى كان من أرمى البشر

أى ابن رجل جلا ، وبكفى رجل كان من أرمى البشر . وقوله :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا

والتقدير اغماض ليلة رجل ارمد فحذف طرفا الاضافة ، ولم يتوهم عاقل فى مثل ذلك فساد التركيب ومثل « اسئل القرية » سار فى الألسن كلها ، مع و ضوح ان السئوال لايقع على القرية، بل المتكلم ايضاً لايلتفت الى الاهل حال هذا الكلام فلاحظ

والافساد انما يكون لو فهم من « اسئل القرية » خصوص الابنية ، ومن القى اليه ذلك فقال القرية لالسان لها ولابيان اومن اى جدار اسئل ، يعد خارجاً عن الانسانية كما لايخفى ، والافمن حذف مع وجود القرينة الواضحة فقد افسد ، ومنهم فصحاء العرب وشعراؤهم وخطباؤهم ، بل المفسد اول من فتح باب الايجاز والأذهان السليمة التى تميل اليه ولاتمل منه.

واماذكر اسقاط الكاتب فمقدمة حال كتب العهدين وما اعترفوا به او قالوه فيهما «وانى لهم التناوش من مكان بعيد».

(الرابع) ان المخاطب فى صدر الاية خصوص اهل قبلتين ، ووجه الكلام اليهم وبيان حالهم، وهم الفاعلون لذلك المنفى والموجدون للتولية الى المشرق والمغرب . وبعبارة اخرى : هو متعرض لهم لا لاهل الاسلام . وبعبارة ثالثة : صدر الاية ينفى البرية عن فعلهم المعتادلهم ويرغبهم فيما هو بر بشهادة العقول من الامور المذكورة فى ذيلها ، وحينئذ لو كان عبر بماذكره المورد لاوهم أن المتعرض له هو تلك العناوين مع صدورها عن أهل القبلتين ، وهو بر من اى صنف حصل .

و من الدليل على ماقررناه نزول الاية فى امر القبلة ردعاً لاهل القبلتين ، والمسلمون تحولوا الى الكعبة فى اثناء الصلاة ولم يكونوا يرون بطلان مافعلوه

من التحول ، ولا مائلين الى ماكانوا عليه فى اول الامر كى يخاطبوا بقول «ليس البران تولوا» الخ ويكون ردعألهم ، فهوردع اليهود والنصارى لاغير.

وفيه نكتة اخرى ، وهى ان تولية الوجوه الى الجهتين نفى عنه البرية على الوجه الاستقبالى كمالايخفى ، ايماء الى أن انتفاء البرية عنها فيما بعد المقال وبعد ورود الامر بالتوجه الى المسجد الحرام ، ولاينافى ذلك البرية فى الجملة وقبل ذلك الوقت، وأمابرية المذكوربعدلكن الاستدراكية فلايختص بوقت كما لايختص بشخص وصنف .

هذا ولوكان عبرعنه بأن تومنوا الخ ، لخرج عنه الايمان الحاصل قبل ذلك الوقت .

لايقال : ان الفعل بتأويل المصدر فلازمان له ، فيعم كل ايمان من غيرملاحظة وقت لصدوره .

لانانقول : الفعل المأول يشارك المصدر فى اصل الافراد لافى كل شىء حتى الخلومن الزمان ، بل العدول عن المصدر الصريح الى تالى أداته للايماء الى ملحوظية الزمان .

لايقال : ان الاشكال من ناحيه اعتبار الزمان مشترك الورود على تلك العبارة، والعبارة الواردة فى القرآن الكريم حيث عبرفيها بالماضى، فيلزم خروج الايمان المتأخر عن نزول الاية كما لايخفى .

لانانقول : اولا المتفاهم فى العرف من الاية مايعبرعنه بالفارسية بقولك «كسيكه ايمان آورد ومال دهد ونماز بپادارد وزكوة دهد» الخ ، والمعيارفى ذلك على أصل وجود الفعل فى أى زمان كان من غير خصوصية فى ظرف وجوده ، فالماضى مجرد عن اعتبار الماضوية. ونظير ذلك التصرف فى الماضى كثير كما فى الانشاءات منه بخلاف صيغ المضارع ، نظير «من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلايفعل كذا» ايماء الى منافاة الايمان لهذا الفعل . وثانياً انه لوكان صلة الموصول ماضياً بالصراحة

فقد عرفت أن المعنى اما البر المهتم به برمن آمن الخ ، واماذوالبرمن آمن الخ . واما البارمن آمن الخ ، واما البرمن آمن من جهة شبه المبالغة ، وكل ذلك فى مقام الترغيب فى مشاركة من آمن الخ .

فيعرف : حال من آمن سابقاً بالدلالة اللفظية وحال من آمن حال النزول وبعده من ذلك الترغيب فى المشاركة، ولاغائلة حيث لايبقى فرد خارج ، بخلاف صورة اعتبار الحال والاستقبال فلاحظ .

ولعل قوله «صدقوا» مما يمنع عن التعبير بأن تؤمنوا الخ ، ايضاً . فتبصر فى ذلك جيداً .

وفى الاية ايماء آخر الى ان المقول فيهم ليس البران تولوا الخ ، محرومون عن المذكور فى مقام الاستدراك ، لضرورة لزوم كون ذلك منشأ الامتياز بين هؤلاء وغيرهم ، فلابد أن يختص بهم ولايتعداهم ، اذلايذكر الامر المشترك بين الفريقين فيماذم واحد ومدح آخر ببداهة من العقول .

(الخامس) ان اليوم والملئكة والكتاب والنبيين معطوفات بالواو على لفظ الجلالة ، والواو للجمع فالمفاد اعتبار التصديق بكل هؤلاء، والكتاب جنس والنبيين جمع، فلوخرج كتاب أونبى لم يتحقق الايمان المذكور فى الاية جزماً ، وانتفاء ذلك من اهل الكتاب واضح ، لوضوح كون هذا الايمان مما يحسنه العقول ، ولا يحكم عاقل بترك كتاب الله أونبى له وحسن عدم الايمان به وكلمة «آتى المال» عطف على «آمن»، فهومن العطف على صلة الموصول، وحيث كان بالواو فيقتضى الجمع ايضاً كالجمع فى المعطى له المال ، واما ان يراد به غير الزكاة لذكرها بعده اوالاعم والتخصيص ثانياً للاهتمام ، واقام «واتى» عطفان على آمن فهذه اربع جمل فعلية ذكرت صلة للموصول مع طول تراه فى الاولتين .

وأما الموفون بعهدهم ففى رفعه قولان :

احدهما كونه عطفاً على قوله «من آمن» ، وعلى هذا لايعطف عليه شيء ، بل العطف على المتبوع الاول لاغير، وعلى ذلك هو من عطف المفرد على المفرد، وهو من شواهد قيام المضاف اليه مقام المضاف في الاية على فرض كون المعنى لكن البربر مَن آمن وقضية الواو ايضاً الجمع، فالبر المثبت في مورد الاستدراك هو المعتبر الحصول من مجموع المذكورين في الاية لاخصوص الموجود من المؤمن بالمذكور الفاعل لماذكر الى «والموفون» ، وذلك واضح .

وثانيهما انه من النعت المقطوع ، وبيان المقام ان النعت من التوابع شأنه ان يتبع المنعوت فيما يلزم تبعيته ويكون نعتاً له، واذاتكررت النعوت جاز القطع. وليس معنى القطع رفع التبعية في الاعراب فقط ونحوه ، بل رفع التبعية بأن يصير كلمة مستقلة لايلاحظ وصفيته للموصوف السابق، وهذا القطع يعرف مرة بالاختلاف في الاعراب فيما هو وصف في المعنى ، وأخرى بادخال الواو وهو نص في القطع كما نص عليه نجم الائمة ، وهذه الواو اعتراضية بنصه ايضاً .

وهذا القطع يجرى مع الموافقة في الاعراب ايضاً كما في المقام ، اذ التابع يكون اعرابه مع متبوعه من جهة واحدة . والحال في المقطوع على خلاف ذلك لانه اما أن يقطع الى رفع فيقدر للمرفوع احد طرفي الابتداء أو الى النصب فيقدر له الناصب فلاتتحد جهة اعرابه مع جهة اعراب الموصوف كما هو واضح. وعلى اي حال فينفرد عن الموصوف، ويكون له جهة استقلال، ولايكون كسائر الاوصاف معنى ملحوظاً في الموصوف، ووقوع القطع في كلمات الفصحاء اكثر من ان يحصى.

ومما يوجب افادة معنى لم يكن يفهم لولا القطع من المدح ونحوه كما يأتي

وماذكرناه من صورة التكرار انما هو بالنظر الى الغالب والاكثر والا فيجوز من دون تكرار ايضاً اذا طال ذيل الموصوف : ويشترط في القطع أن لايكون الوصف مؤكداً كأمس الدابر، وان يعرف المخاطب اتصاف الموصوف به ولو من ناحية وصف سابق على المقطوع ، وأياما كان فيجوز الاختلاف في القطع بأن يقطع الى الرفع مرة

والى النصب اخرى ، بل الاختلاف على هذا الوجه أظهر فى القطع كمالايخفى

والغرض الزائد على ذكر الوصف فى موارد القطع الايماء الى المدح أو الذم اوالترحم أو التشنيع، لابأن تكون تلك المعانى معان مستقلة ملحوظة للمتكلم كمعانى الاسامى والافعال المذكورة فى كلامه ، بل على وجه المعانى الحرفية المستفادة منه فيكون غير ملحوظة بالاستقلال بل ملحوظة فى ضمن الغير ، لاعلى وجه الالتفات اليها حال التكلم ، نظير الابتداء والانتهاء الحرفيين المستفادين على هذا الوجه من قولك «سرت من البصرة الى الكوفة» ، والمعانى الحرفية المؤداة على هذا الوجه لاتعلل كما لايخفى .

وبالجملة فالمدح والذم والترحم والتشنيع تابعة لكون الوصف فى حد نفسه داخلا فى أحد الاقسام بكونه صفة حسن أوقبح أومستجلب رحم أومظهر شناعة ، لأن ذلك يتبع المقدرعاملا ، لماعرفت فى القطع الى الرفع من أن لافعل فى الكلام ولومقدراً يوهم ذلك ومن خروج ذلك من المعانى المقصودة بالاستقلال وان انفهمت، فيقطع الوصف الحسن عن التبعية رفعاً أونصباً بعداعتقاده علم المخاطب بالاتصاف فى الواقع مدح منه له على وجه ، المعنى الحرفى ، وتفهيم مثل تلك الاغراض من وجوه البلاغة وتفهيم المعانى الدقيقة بأطراف الكلام ولوازمه وخصوصياته كمالايخفى .

ومن موارد القطع فى غير القرآن قوله :

ويأوى الى نسوة عطل وشعثاً مرا ضيع مثل السعا لى

وقوله :

لا يبعدن قومى الذين هم سم العداة وآفة الجرز
النازلون لكل معترك و الطيبين معاقد الا رز

واماتطبيق الاية على تلك القاعدة فلااشكال فى أن البر المذكور تلولكن يرادبه كل البر اوالبر الكامل ، والافالبر فى الجملة و بعض افراده لايذكر فى مثل المقام كمالايخفى وحينئذ فالموصول لابد مصداقه جامع لوجوه البرولايكون فاقداً لفرد

واضح وشيء معظم‌منه جزماً، فلفظ «الموفون» لايحتمل فيه‌الاستيناف بل‌هوومابعده من أوصاف ذلك الموصول ، والاتصاف بهما مما يعرف من ذكر الموصول رافعاً لابهامه بالصلة الخاصة وبيناً للمتعين المرادمنه بذكر الايمان بالمذكور على وجه الاطلاق، بحيث كأنه لاينسب الى ذلك‌المراد من‌الموصول ماينافى الايمان‌والتصديق بتلك المذكورات بوجه من‌الوجوه‌وبذكر‌ايتاء المال‌على حبه‌للاصناف المذكورين المفهوم منه‌أن يتحقق الايتاء ولاينسب الترك وعدم الاعطاء اليه، وبذكر اقامة الصلاة واعطاء الزكاة حيث ان صاحب هذا الايمان وهذا العمل لاينفك عن الوفاء والصبر فالاتصاف بهما ممايعلمه المخاطبون، فيجوز‌القطع بعدطول ذيل الموصوف كماهو واضح‌الى‌الرفع اوالنصب ايماء الى المدح بالوصف الحسن وقطعه عن‌التبعية كما فى سائر الاوصاف .

ومثل ذلك من دقائق فصيح الكلام وقول المورد (وعطف على والموفون) غلط بل‌الواو على‌القطع اعتراض لاعاطفة .

وعلى فرض العدم أيضاً لايصلح ماذكره لان‌يكون معطوفاً عليه ، وسؤال لما استحق الصابرون هذا المدح هذيان اذاالمدح بذكرنفس وصف الصبر‌الذى هومن أجلة الصفات الحسنة‌مقطوعاً عن التبعية ، ولاتعلل المعانى الحرفية.

وقوله (ولم يستحقه الموفون) أهذى ، لماعرفت من كونه مقطوعاً ايضاًوصفة مدح كما هوواضح. والعلم كل العلم قوله «مع انهم متقدمون فى‌النسق» وقاعدة من القواعد المتعلقة بالالفاظ تجرى فى مواردها بشرائطها من‌غير مدخلية لتلك‌الاوهام، والمشهور أنه‌لايقطع‌النعت الاول. والاتفاق على‌أن‌القطع من‌محسنات الكلام وليس بلازم،فكيف يكون الاولية علة‌الاولوية .

وأهجن من التشبث بالتقدم النسقى ذكرتقدم السورة على السورتين ودعوى أن‌فيهما ماذكر ، اذلعل غرضه‌أن الوفاء بالعهد كان لازماً ومهتماًبه الى نزولهما وانما حدث الوهن فيه‌بعدهما .

وفيه اولا ان ورود الرخصة يلائم وهن الامر لاشدته ، وثانياً ان الجلالة تعرف من عموم المورد وقلته والصبر المذكور كان أعم مورداً خصوصاً فى صدر الاسلام وثالثاً ان الصبر المذكور اشق وأفضل من الوفاء بالعهد الصادر من المكلف باختياره، كمايؤمى الى ارادة خصوص ذلك قوله «اذاعاهدوا» وذلك واضح لمن تدبر مع ان عدم التصرف فى الصبر بالرخصة فى تركه يؤمى الى كونه اهم واشرف ، فالمدح به اولى. ورابعاً ان قوله «اماتخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لايحب الخائنين» فى سورة الانفال لاالبرائة ، وان تحلة الايمان غير الحنث لانه انما هو مع حرمة الفعل لامع ارتفاعها أيضاً. كل ذلك مع ماعرفت من المدح بالوفاء ايضاً.

قوله تعالى فى سورة النساء ١٦٢ «لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وماانزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الاخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً » .

قال : وكان الوجه ان يقول «والمقيمون الصلاة» كماقال بعده «والمؤتون الزكاة» هذا ما تقتضيه القاعدة ، الاان المفسرين زعموا أنه نصب المقيمين الصلاة على المدح ايضاً فلم استحق هؤلاء المدح ولم يستحقه المؤمنون بالله واليوم الاخر مع انهم احق به وأولى ، اذ كل مؤمن بالله واليوم الاخر مقيم الصلاة ولكن ليس كل مقيم الصلاة مؤمناً بالله واليوم الاخر، اذ يحتمل أن تكون صلاته رياء اوخوفاً اوطمعاً اولعلة اخرى، وهى ايضاً من الطاعات الظاهرة ،ولهذا يحرص المراؤن بأشد الحرص على قضاء هذا الفرض ، اما الايمان بالله واليوم الاخر فانه باطن لايقدر الناس أن يعلموه أويطلعوا عليه، وقصارى مايقدرون عليه هو أنهم اذارأوا واحداً منهم يخون وينهب و يقتل الاسرى حتى يثخن فى الارض ساغ لهم ان يرتابوا فى صحة ايمانه بالله واليوم الاخر .

أقول : وتبيان الحق فى ضمن امور :

(الاول) ان لكن المخففة يمكن ان تكون مخففة من الثقيلة فتكون حرف ابتداء

لاتعمل ، وان تكون مخففة بالاصل فتكون حرف ابتداء تفيد الاستدراك اذا تلاها كلام ، وليست عاطفة .

وتحقيق الاستدراك فى الاية : ان قوله تعالى «يسئلك اهل الكتاب انتنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك » الى هذه الاية كله يتعلق بخصوص اليهود ، فكان يتوهم من ذلك ان لايكون احد من اليهود المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وآله اهل ايمان وموصوفاً بحسن الحال والمآل ويكونتمام الموجودين منهم فى زمانه (ص) من اوله الى آخره مورد الذم السابق ذكرهونحو ذلك، فيستدرك ذلك بهذه الاية والتوهم من تلك الايةوحسندفعه فىالمقام لاينافىوضوح الحال من خارج .

وفى كلام آخر بأن جماعة من معاصريه من اليهود فازوا شرف الاسلام ، فان الاستدراك بالنسبة الى هذا الكلام ، واذاكان الكلام استدراكياً فالمعلوم ذكره فيه من آمن من اليهود وذكرالغيرايضاً معهم فى تلك الاية يحتاج الى دليل واضح وان كان الاستدراك يحصل بمجرد ذكرهم كما هوواضح .

(الثانى) ان ما بعد لكن هذه كما عرفت لابد انه كلام تام مشتمل على طرفى الاسناد ، فالراسخون مبتدأ ومجرد ذكر ذلك العنوان فى مورد الاستدراك يعرف منه انتفاء ذلك الرسوخ فى العلم عن الفريق الباقى بعد خروج هؤلاء كما لايخفى .

ومن ذلك التقابل يعرف انوصف المذكورين فى المقام غيروصف المذكورين فىالايات السابقة وبضد ذلك ونحوه .

ومن ذلك وغيره يعرف اتصافهم بالايمان اجمالا ، فلووصفوا بالايمان لكان من الوصف بالامر المعلوم للمخاطب ولو من هذا الكلام ، فيجوز قطع ذلك عن التبعية بعد طول ذيل الموصوف، ولايمنع عنهالموافقة فىالاعراب حسب ماعرفت فى الاية الاولى .

فان حكمنا بكون ذلك وصفاً مقطوعاً عن التبعية الى الرفع وكون الواو اعتراضياً لم ينافِ ذلك ، بل ناسب كون الاية بتمامها فى حق فريق واحد . ولو جعلناه عطفاً على الراسخين لكان المراد من الراسخين فريق ومن المؤمنين فريق آخر، وهو كما ترى. اذلو كان المراد مختلفاً لكانت الاوصاف المتأخرة كذلك،وان امكن كون باقى الاوصاف للفريقين جميعاً فتأمل .

(الثالث) انه بعد كون المرفوع بعد لكن مبتدأ محتاجاً الى الخبر قد يجعل جملة «يؤمنون» خبرية ، فيتم الكلام بتلك الجملة بتوابعها . ولو كان الامر كذلك لاختل الامر فيما بعد ذلك لافي خصوص « والمقيمين » الذى هو محل الكلام ، بل وفيما بعده ايضاً للنصب فيه وان لايخصان من بين سائر العناوين فى مثل المورد بالخبر المذكور اخيراً ولا هو خبر للمرفوع الاخير فقط لبعد الأخبار عن عنوانه على وجه الاطلاق بأن يؤمنوا وعن عنوانه المقيد اخيراً بالخبر الاخير ان سيؤتيهم اجراً عظيماً بل كان العكس انسب كما لايخفى .

ومن حكم بخبرية تلك الجملة فمن بادى النظر ومن غير تعمق ، والافالانصاف ان خبريتها مخل بالكلام من وجوه. ومن هنا حكم بعض بكونها حالية لكون الخبر قوله «أولئك سنؤتيهم اجراً عظيماً» حتى يكون تمام الاية كلاماً واحداً ، وهو وان فرعن محذور تعدد الكلام ونحو ذلك الا انه وقع فى محذور مجيء الحال عن المبتدأ .

لايقال : ادعيتم القطع الى الرفع فى كلمة «والمؤمنون» ، ولازم ذلك أن يكون المرفوع المذكور خبراً لامبتدأ .

لانانقول : مدعى الحالية جعل هذا المرفوع عطفاً على المرفوع الاول وذهب الى الحالية من مجرد كون الخبر هو المذكور اخيراً لاتلك الجملة ، مع أن خبرية هذا المرفوع أيضاً لايدفع المحذور وذلك . . . (١) .

---

(١) فى الاصل بياض مقدار سطرين .

والاظهرعندى فيها أن الجملة اعتراضية وكأنها جواب عن سئوال مقدر، كأنه قيل هؤلاء الراسخون الموصوفون بأنهم مؤمنون بماذايؤمنون،فأجيب بأنهم يؤمنون بالنازلين ، وذكرذلك للاهتمام بشأن الايمان بهذين كمالا يخفى ، حيث أن اليهود فيماز عموا كانوا آمنوابالله وباليوم الاخر، والذى يتوقف عليه سلامتهم الايمان بما نزل على محمد «ص» ومانزل من قبل ليشمل عيسى (ع) ومانزل عليه .

وحاصل ذلك ان الايمان المذكور في وصف هؤلاء الراسخين فى العلم من اليهود هنا هوالايمان الخاص المتعلق بالأمر الخاص افرد وقدم لمزيد الاهتمام بشأن هذا الخاص ، وبيان هذا الخاص وقع بتلك الجملة ، فهى اعتراض بين أوصافهم والصيغةوان كانت استقبالية الاان المراد منها الشغل والصنعة،ن غيرملاحظة خصوص الزمان ، ولايتجه على هذا الوجه غائلة كما لايخفى .

(الرابع) ان من الواضح الذى لايخفى أن الايمان الحقيقى بما انزل الى محمد (ص) وما انزل قبله مما يحمل على اقامة الصلاة على الوجه المطلوب فى الشرع التى يترتب عليهااثرها، فيكون ثبوت هذا الوصف لهؤلاء الموصوفين فى صدرالاية معلوماً للمخاطبين من الوصف السابق ، فيجوز قطعه عن التبعية وان فرض السابق غيرمقطوع فكيف بعد مقطوعيته كما عرفت لقبح الاتباع بعد القطع . ونفس قطع الوصف الحسن المعلوم الثبوت مدح كما عرفت فى الاية الاولى ، ومثل ذلك لايقبل السئوال بلم استحق هؤلاء المدح الخ كما شرحناه .

و اما الكلام فى عامل الوصف المقطوع الى النصب فقد قيل انه فعل لايظهر وهو أعنى او اخص فى الجميع او امدح او اذم او اترحم اواشنع كل فى موضع يناسبه .

ومنهم من يحمله على باب الاختصاص ويحمله على باب النداء ليجرى الكل مجرى واحداً، وذلك ايضاً من اعظم الشواهد على أن المعانى المعبرة عنها بتلك العبارات ليست معان مستقلة اسمية اوفعلية ،بل معان غيرمتصورة بالاستقلال للمتكلم

حال تكلمه كسائرمعاني الحروف ، وان التعبيرات في المقام نظيرالتعبيرعن الابتداء والانتهاء في شرح «سرت من البصرة الى الكوفة» كمالا يخفى. كيف لاوالدعوة في «ياعبدالله» غيرملحوظة بالاستقلال لقائله وحاصلة بنفس التكلم، فكذا المدح في مثل المقام، ولعل ذلك واضح . وأما ماذكره في شأن الصلاة فقد اومأنا وسنشرح انه هذر

(الخامس) اذاوجد شرط القطع في الاوصاف المتعددة جازالتلون في القطع الى الرفع مرة والى النصب اخرى والى الرفع ثالثة ، وكل ذلك من جواز الاختلاف ى القطع ، وهومنصوص به لجملة من النحاة على وجه يظهرمنه تسالم الكل عليه .

ومن الواضح ان الايمان الحقيقي بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله يكون داعياً الى ايتاء الزكاة والايمان بالله واليوم الاخر ،فان ذلك من اجل مادعى اليه.فيكون العنوانان من الاوصاف المعلومة الحصول لهؤلاء الراسخين في العلم من اليهود بعد الايمان بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله فيجوز قطعهما ويكون المعنى هم المؤتون الزكاة وهم المؤمنون بالله واليوم الاخر، ومرجع ذلك كله الى أن الراسخين في العلم من اليهود الذين جعلوا قبال من بقي منهم على دينه لهم اوصاف يمدحون بها صفات حسنة معلومة الثبوت لهم تصير مدحاً بالقطع، وهي الايمان بالمنزل على محمد صلى الله عليه وآله والمنزل من قبله واقامة الصلاة وايتاء الزكاة والايمان بالله واليوم الاخر ، فوصفوا بهذه مدحاً ثم أخبر عنهم بقوله تعالى « اولئك » اى المذكورون بالعنوان السابق «سنؤتيهم أجراً عظيماً» .

فالاية كلها في فريق واحد ، وهي كلام واحد على ماعرفت، وليس فيها غائلة ولامخالفة قاعدة، والمدائح ايضاً متوجهة الى ذلك الفريق بحيث تثبت لكل واحد واحد ممن دخل تحت عنوان المبتداء على وجه الحقيقة كما هوواضح ولايكاديخفى وليس من قبيل توصيف الفرق المختلفة كي يقال مدح هؤلاء دون هؤلاء لم استحقوا ونحو ذلك .

(السادس) في بعض ماقيل في الاية ، فمن ذلك ماقيل في قوله « والمؤمنون »

من الحمل على غير الراسخين فى العلم من اليهود ومن الحمل على سائر من كان آمن بمحمد صلى الله عليه وآله ، وكلا ذلك يوجب اختلاف المصداق ولا دليل عليه ، و انما نشأ من الحمل على العطف الظاهر فى المغايرة وجعل الخبر جملة «يؤمنون» ونحو ذلك .

ووجه آخر أن كلمة «والمؤمنون» لايحمل عليها يؤمنون الخ الابتأويل فى احد الطرفين ، والا فالمؤمن آمن لانه يؤمن ، الاان يراد المشرف على الايمان اويراد الاستدامة على الايمان .

لايقال : انذلك الاشكال انما يتجه لوقيل المؤمن يؤمن ، واللفظ هنامعطوف على « والراسخون فى العلم منهم » والخبر خبر عن العنوانين دون الثانى فقط .

لانانقول: اذااحتجنا الى التأويل فى الثانى ولم نحتج بالنسبة الى «والراسخون» لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز فى قوله «يؤمنون» ، وهو غيرجائز.

لايقال: انانتصرف فى قوله «والمؤمنون» ولايلزم محذور .

لانانقول : ظاهرعنوان المبتدأ بقاؤه بعدثبوت الخبر أيضاً ،كما أن ظاهر التشريك بالعطف أن طرفى العطف كفرسى رهان فى وجود العنوان قبل ثبوت الخبر وبقائه بعده ، ولوأريد المشرف على الايمان ونحوذلك زال عنوانه بعد تحقق الخبر، وهومخالف لقاعدة المبتدأ ، وظاهر الشركة . مع عنوان الراسخون فى العلم من اليهود الباقى بعد حصول الايمان بالمنزلين ايضاً، فلايصح ارادة شيء من المعنيين اللذين ذكرا ويتعين ما اسلفناه ـ فلاحظ بعين الانصاف .

واما كلمة «والمقيمين الصلاة» فالمشهور بين النحاة والمعربين هوماذكرناه من الحمل على المدح ، وعن بعضهم أن موضعه جربالعطف على الموصول فى قوله «بما أنزل اليك» ، والمراد بهم الانبياء ، وقيل المراد به الملئكة واقامتهم الصلاة تسبيحهم ونحوه ، وقيل المرادبهم الائمة المعصومون .

وكل ذلك كما ترى ، لحاجة الحمل على الجر على دليل عليه وهو مفقود،

و ان الايمان بالانبياء يحصل بالايمان بما نزل على محمد (ص) وما أنزل من قبله ، ولذلك لم يذكر الايمان به مع مزيد الاهتمام به كمالايخفى . وحمله على الملائكة قد اعترف ذاكره ببعده حيث تصرف فى الصلاة كما لايخفى ، و اما الحمل على الائمة فيبعده بعد عدم ذكرمحمد (ص) بعنوان الخصوص والاكتفاء فى ذكرالايمان به بالايمان بما أنزل اليه فى كمال الوضوح ، مضافاً الى أن الايمان بهم فى زمان محمد (ص) بغيرعنوان تصديقه فيما قال ، والايمان بما أنزل اليه ونحو ذلك لزومه فى غاية الاشكال فكيف يذكرفى هذا المجال . مضافاً الى مافى الاقتصار فى وصف المؤمنين بذكرالزكاة والاعراض عن ذكرالصلاة مع مالها من الفضل مما يخالف القول الفصل كمالايخفى .

ومنهم من جعله مجروراً معطوفاً على المجرورفى قوله تعالى «منهم» ، والمعنى والراسخون فى العلم من اليهود ومن مقيمى الصلاة . ولايخفى عليك ان العطف حينئذ على بعض متعلقات المبتدأ ، فالخبر مترقب لم يأت بعد . ولااشكال حينئذ ان الراسخين فى العلم صنفان يهود ومقيم الصلاة ، وقضية المقابلة وشبه القسمة عدم الشركة فى وصف اقامة الصلاة واختصاص الصنف الثانى بذلك ، ويلزم ان يكون اليهود لهم الدرجة العالية التى تكون لغيرهم بشرط اقامة الصلاة بدون اعتبار وجودهافيهم ، وذلك لايحتمله عاقل كمالا يخفى .

ويكون الحال فى الوصفين بعدها ايضاً كما اسلفناه آنفاً ، ويكون قوله «والمؤمنون» صنفاً ثالثاً، ولابد ان يقول فى جملة «يؤمنون بماانزل اليك ومانزل من قبلك» نحوماقلناه من كونها اعتراضية لاخبرية ، والاكيف يعطف على بعض متعلقات المبتدأ السابق خبره بعد مضى الخبربمايشعر بالحاجة الى خبر، وعلى ذلك أيضاً فهذا الصنف الثالث ينفردون بالايمان بالمنزلين .

ويظهرمن السياق وغيره انتفاء الشركة فى ذلك ، فينتفى من راسخى اليهود فى العلم كماينتفى من مقيمى الصلاة كما ينتفى عنهم اقامة الصلاة والرسوخ فى العلم.

وهل يحتمل ذومسكة ان يشارك الله تعالى فى حكم الاية بين أصناف ثلاثة: يهودراسخ فى العلم ليس لهم ايمان بالمنزلين ولااقامة الصلاة ، ومؤمن بالمنزلين ليس لهم رسوخ فى العلم ولااقامة الصلاة ومقيم الصلاة،راسخ فى العلم ليس لهم ايمان بالمنزلين فيقول «اولئك» هؤلاء المذكورون «سنؤتيهم اجراً عظيماً» بل مثل ذلك لايحتمل فى كلام عاقل وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

ومنهم من جعله مجروراً معطوفاً على الكاف فى قوله «من قبلك» ومنهم من عطفه على الكاف فى قوله «اليك» ، وهذه مع الحاجة الى اعادة الجارفى المشهور كماترى . وخصوص العطف على الكافين موهون بعدم الحاجة الى ذكر كون النازل قبل مقيمى الصلاة بعد وضوح حصول هذا العنوان بسبقه على محمد (ص) ، وبأن ليس نزول حقيقى الى مقيمى الصلاة ولواريد منهم الائمة ايضاً .

ولوسلم وجود معنى يعبر عنه بالنزول الى محمد (ص) واليهم فليس التصديق به زائداً على تصديق مانزل على محمد ص امراً معتبراً فى اصل حصول الايمان ولافى المدح به وكون الواجد له اشرف من الفاقد كما لايخفى، بل هو معنى تبعى يحصل بحصول متبوعه فهكذا التصديق والاقرار به كمالايخفى. ولاينبغى ذكره فى مورد على وجه يوهم الاستقلال كما هو واضح .

وهؤلاء يطالبون ايضاً ببيان المراد من مقيمى الصلاة .وعلى بعض الفروض يكون ذكرهم فى المورد بأحد الوجهين وافظع واشنع كارادة الائمة المتأخر زمانهم وعنوانهم عن زمان محمد ص ، فيشبه أن يقول قبلك وقبل القيمة او يقول اليك والى المسلمين الذين يوجدون بعد ألف او آلاف من السنين ، فهل مثل ذلك شيء قابل للذكر أومماينزه عنه كلام العقلاء فضلا عن القران الكريم .

(السابع) فى كلام الموردقوله:وكان الوجه أن يقول « والمقيمون الصلوة » كما قال بعده«والمؤتون الزكاة» ، هذا ما يقتضيه القاعدة الخ .

قدعرفت أن النصب صحيح وموجب لمزية فى الكلام ودلالته ، وليس الرفع بالوجه ، والاستشهاد برفع تاليه فاسد ، مثل دعوى اقتضاء القاعدة له وان كل ذلك

مبنى على توهم كون المورد من موارد العطف الموقوف على مغايرة الطرفين والأطراف ، وهو باطل فى المورد بلاخلاف ، للزوم أن يكون الراسخون فى العلم من اليهود الذين ليس لهم من غيرذلك العنوان شيء من الايمان والعمل اصلاصنفاً، والمصدقون بالمنزلين بلارسوخ فى العلم ولا ايمان بالله واليوم الاخر ولاعمل بشيء من الوظائف الشرعية صنفاً ثانياً ، والمقيمون الصلاة بلارسوخ فى العلم ولا ايمان بالمنزلين ولاايمان باللهواليوم الاخرولاايتاء الزكاة ولافعل شيء من العبادات ولاوجدان شيء من الصفات الحسنة ولافقدان شيء من الصفات الرذيلة صنفاً ثالثاً ، والمؤتون الزكاة فقط وان فقدوا الامور القلبية حتى الايمان بالله واليوم الاخر والايمان بالمنزلين والرسوخ فى العلم والاعمال البدنية حتى الصلاة صنفاً رابعاً ، والمؤمنون بالله واليوم الاخر بقلوبهم وان فقدوا كل ماسوى ذلك صنفاً خامساً .

وكل ذلك من اجل قرينة التقابل والعطف المشعر بالمغايرة من كل وجه وعدم اعتبار عنوان سوى المذكور فى الكلام ، فأخبر الله تعالى عن هؤلاء الاصناف الخمسة : بأن سيؤتيهم اجراً عظيماً . وهذا لامما يحتمله عاقل متنبه ومما يضرب عرض الجدار.

وهذا بخلاف الحمل على الوصف المقطوع فى العناوين الأربعة كما اخترناه ، اذ كل تلك العناوين الخمسة مصداقها فريق واحد ذكر فيهم تمام الايمان بحقيقته الداعية الى ان يطيع صاحبها ولايعصيه ، وذكر فيهم ايضاً اقامة الصلاة وايتاء الزكاة من العبادات الشرعية ايماء الى الاهتمام بشأنهما ومالهما من التأثير فى استحقاق الأجر العظيم ودخول الجنة كمايعرفه العالم بحالهما وفضائلهما ، فلو اخبر الله تعالى بأن الراسخين فى العلم الثابتى الاقدام فى المزال الموصوفين بحق الايمان الذى لاينفك عن العمل والاطاعة وان لم يكن جزء منه ، اذلاينسى حينئذ مثل قوله تعالى « ماكان ليضيع ايمانكم » مشيراً الى امر الصلاة ونفى الايمان عن تارك الصلاة ونحو ذلك «سنؤتيهم اجراً عظيما» لم يكن فيه غائلة بوجه كما لايخفى

ومما اسلفنا يظهر لك حال قوله: الان المفسرين زعموا الخ، وان ذلك صحيح لازعم، وشرائط القطع موجودة فى المقام بلا كلام.

كما ظهر أن لامسرح لقوله: لم استحق هؤلاء المدح ولم يستحقه المؤمنون بالله واليوم الأخر، حيث ان كل ذلك أوصاف مقطوعة عن التبعية ممدوحاً بها، ولاينحصر ذلك فى نصب المقطوع الممدوح به ولا المدح بأمر خارج كما زعمه الجاهل.

واما قوله: مع أنهم احق به وأولى اذ كل مؤمن الخ ففيه أن ظاهره أو صريحه أن الايمان امر باطنى وانه يكفى فيه الامر القلبى فقط، و ذلك مناف لمذهب النصرانى حيث أن المقرر فى مذهبهم فيمن يريد الدخول فى دينهم لزوم أن يحضر الكنيسة مع واحد من الرؤساء عند القسيس ليكون شاهداً له عند الله تعالى بتدينه بذلك الدين فيلقى اليه القسيس عقائد نصارى ويظهر هو الاقرار بها ويستشهد، ولو كفى الامر القلبى كيف اعتبر ذلك فى التنصر و فى مذهب الاسلام حيث يعتبر الاظهار لم يكن فرعون من اهل الايمان وحيث اعتبر الاظهار دخل فى عمل الجوارح ويأتى فيه مايذكره فى الصلاة ولاينافى ذلك التوصيف بالايمان بعد وقوع الاظهار، فان ذلك من اجل حمل الاظهار على الصحيح، اذ لو كان الامر القلبى مفقوداً حال الاظهار دخل فى النفاق ولم يكن ايماناً كما لايخفى.

مع ان الايمان ان لم يكن العمل جزء منه كما هو المناسب لمعناه اللغوى لم يتم قوله «اذ كل مؤمن مقيم الصلاة» كما لايخفى مع مافيه من الاشكال على التنويع والمقابلة بل قضية ذلك الاكتفاء بنفس الامر القلبى فى صدق العنوان والدخول فى الحكم، و المؤمن العاصى فى تمام تكاليفه أى مدح يكون له قبال العامل وان كان ممدوحاً قبال الكافر.

وأما الصلاة فلا اشكال ان المراد بها مايكون العبادة الموظفة المجعول لها الفضائل الكثيرة دون ما يراه الناس صلاة وان كان الواقع مكاء وتصدية، فلو جىء بها كما امر الشارع صح ركن الدين وترتب عليها ما ذكره سيد المرسلين صلى الله

عليه وآله ، وهوفضل وأىفضل ومدح أىمدح كمالايخفى .

لايقال : ان الاتيان بهاكما أمر فى شرع الاسلام بدون الايمان فى حيز الامتناع .

لانانقول : هذافرض يتجه من قبل كلام المورد حيث فرض التقابل التام بين الاقسام، وحيث جعل العنوان مقيم الصلاة ولوخلىعن الايمان فيتجه عليه ذلك على وجه الالزام بلوازم ماذكره ، وامانحن فنقول : لابدأن يفرض العمل الخاص مع الايمان ويعتبرفيه وليسعليه غائلة وهو مدح أىمدح وليس كذلك فىطرف الايمان حيثأن العمل من لوازمه التى تتخلف عنهمع أنالكلام فىموجبية العمل للمدحو موجبية الايمان،وان اعتبر الايمان فيهعلى وجه الاشتراط فانهشرط تحقق نفسالعمل ولواشترط العمل فىناحية الايمانلميكن منشرائط أصل ماهيته كىيصحجعلالمدح بنفس ماهية الايمان .

وأماالمدح بقوله تعالى فىسورة سجدة ١٨« أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون » ونحو ذلك فليس بارادة نفس الماهية فىقبال مطلق الفاسق ولو بكبيرة واحدة ، بلبارادة الايمان الكامل الذى لاينفك عنالعمل كمالايخفى .

ومماسلف يظهر كذب قوله : ولكن ليس كل مقيم الصلاة مؤمنا اذ الصلاة لاتتأتى الامنالمؤمن، وتعليله بقوله: اذيحتمل الخءعليل اذالصلاة الفاسدة بفقدشرط أووجود رياء و نحوه لاتدخل فى العنوان المذكور فىالاية ، معانه كأنه لايعرف ايمان المؤلفة قلوبهم ، وصلاة المرائى لوتم شرائطـها الظاهرية فهى مثل صورة الاسد فى الاوراق لايأتىمنها شىء، ولذا لايقضى صاحبها فرضاً وان لبس على من يراه .

وباطنية الايمان محضاًاول الكلام ، فقدورد أنهاعتقاد بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان ولتحقيق المسئلة محلآخر ، ولولا ذلكلكان فرعون من اهله ولو سلم كونه باطنياً فماادعاه منعدم امكان الاطلاع عليه باطل بلهو مثل سائر الامور

القلبية يعرف من آثارها «ولتعرفنهم فى لحن القول» وماجعله قصارى منصوص مقصور اذموارد العلم بعدم الايمان كموارد العلم بوجوده لايحصى .

ولا ينافى وجود مورد الشك لجريان الشك احياناً فى الأمور الحسية فالشك المفروض ونحوه لايجعله باطناً لاسبيل الى معرفته اصلا، والشك فى الصحة والكمال بواسطة صدور... (١) انماهو بعد قيام دليل واضح على اصل الوجود لامطلقا ، ولعل ذلك لايخفى .

قوله تعالى فى سورة المائدة ٦٩ «ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الاخروعمل صالحاً فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون».

قال : وكان الوجه ان يقول « والصابئين» كما قاله فى سورة البقرة آية ٥٩ وسوره الحج آية ١٧ .

اقول : من الغريب التغليط بالمسألة الخلافية من غيراهل العلم ، وبيان ذلك ان المورد من العطف بالرفع على منصوب ان المكسورة قبل مضى الخبر ، و هذا صرح الكوفيون بجوازه ومنعه البصريون وسيبويه ، والمبرد و الكسائى فصلافى المسئلة، والحرى بمثل الجاهل تصويب المجوزين من اجل تلك الاية لاتغليط الاية.

وقد أولها المانعون بمالامانع منه : فمنهم من قال الواوفى « والصابئون » اعتراضية ومابعدها مبتدأ والنصارى عطف عليه، حذف خبرهما لكون خبران قدسد مسده وبدلالته عليه ، ومثل الاية الشريفة قوله :

فمن يك امسى بالمدينة رحله فانى وقيار بها لغريب

عطف بالرفع والخبر المذكور بقرينة اللام لان دون هذا المبتدأ فالجملة اعتراضية ، ومثلها قوله :

الا فاعلموا أنى وانتم بغاة ما بقينا فى شقاق

وهى وان كان من المفتوحة فقدجعل هنا بحكم المكسورة لتمامية الجملة

---

(١) بياض فى الاصل .

تلوها . ومنهم من قال خبران محذوف قبل قوله « والصابئون » والمذكور انما هو خبر المبتداء نحو قوله :

خليلى هل طب فانى و أنتما   وان لم بتوحا بالهوى دنفان

ونظير قوله :

نحن بماعندناوأنت بماعندك   راضون و الرأى مختلف

ولو كان الخبر للاول لكان راضون ، و على محذوفية الخبر الاول يكون العطف بالرفع انما وقع بعد تمام الجملة وهو محل اتفاق ، وينبغى الكلام فى وجه العدول الى الرفع ، ولابدهو عدم الحاجة الى تأكيد هذه الجملة .

وعدم الحاجة اليه حال نزول هذه الاية ومع من خوطب بها أو وجهت اليه لايلازم عدم الحاجة اليه فى كل الاحوال لاختلاف حال المخاطبين وحال الكلام معهم كما لايخفى ، فالنصب بالعطف على المنصوب بأن فى مورد ومع جماعة لايلازم الجرى على ذلك مع كل احد وفى كل الاحوال .

اقول: وذكربعض ان «الصابئون» منصوب بالفتح ، وجوز ذلك بالواو كما جوزبالياء ولعل غرضه الاشارة الى أن هذا اللفظ بالصيغة الجمعية موضوع لتلك الطائفة، وحينئذ يكون من الملحق بالجمع ،وما كان من هذا القبيل من الاسامى والاعلام يعرب اعراب الجمع بالحروف كما يعرب بالحركات على النون مع لزوم الياء كما يجوز أن يعرب بالحركات على النون مع لزوم الواو، كما يجوز ان يفتح نونه فى الاحوال كلها مع لزوم الواو .

و عن الزجاج عن المبرد جواز اعراب النون مع الواو قياساً ، وعن ابى على انكاره .

هذا ، وقد ذكر فى المجمع: قيل «الصابئون» لقب لقب به طائفة من الكفار، و عن المصباح جنس من أهل الكتاب ، و عن قتادة الاديان ستة فذكر الصابئون و المجوس واليهود والنصارى والذين اشركوا ،وفى حديث سمى الصابئون لانهم صبوا الخ .

و ظاهر كل ذلك انه اسم بصيغة الجمع ، فلا مانـع من أن يجرى عليه ما يقتضيه قواعد الاعراب ، ولا اعراب النون يمنع عن الاعراب بالحروف ، و لكن فى الوجه السابق كفاية وغنى عن ذلك لاحتمال الشذوذ ويجنب عنه التنزيل.

قوله تعالى فى سورة الأعراف «وقطعناهم اثنى عشرة أسباطاً امماً» .

قال فأنث العدد وجمع المعدود، والوجه التذكير فى الاول والافراد فى الثانى كما هو ظاهر .

أقول : العدد يتبع المعدود فى التذكير والتأنيث ، فاذا ذكر علم حال المعدود قبل مجيئه كما فى الفعل اذا الحق به تاء التأنيث . الا أن ذكر المعدود ليس بواجب فقد يحذف للقرينة كسائر ما قامت عليه القرينة ،والسبط وان صلح للمعدودية الا أن مخالفته لقاعدة المعدود تدل على أن ليس هو عنوان المعدود ، بل المعدود الفرقة والطائفة والجماعة أو الامة أو القطعة ونحوها .

وأما اسباطاً فقد ذكر جماعة أنه بدل من اثنتى عشرة ثانى مفعولى قطعنا بدل الكل من الكل ومصداقهما واحد .

ويورد عليه بأن البدل لابد ان المبدل منه معه مستغنى عنه وجائز الحذف ، ولو حذف العدد لم يعرف العدة .

وفيه ان اللازم تمامية الكلام مع ذكر البدل، ولايلزم اتحاد مفاد الواجد و الفاقد له كما يعرف من ملاحظة موارده .

وربما قيل : ان العدد حال ، واحتمل كون اسباطاً تمييز على أن كل واحد من الاثنى عشر أسباط، ولعل مراده كون لفظ الجمع اسماً فهو جمع فى اللفظ مفرد فى المعنى ، و كون الاسباط فى ولد اسحق كالقبائل فى ولد اسمعيل كأنه يأبى عن ذلك .

ولعل من ذلك ماذكره بعضهم من لزوم كونهم ستاً وثلاثين و ضعف ذلك واضح ، لما عرفت من احتمال الاسمية ، بملاحظة أن تشعب من كل قبيلة قبائل. و

يضعف ايضاً بأن الاسم السبط كالقبيلة دون جمعهما .

(تجديد مقال)

قطع مجرداً يتعدى الى واحد ، قال تعالى فى سورة الحاقة / ۴۶ « و لقطعنا منه الوتين » ، واذا دخل باب التفعيل أفاد تكثير الفاعل من اصله و يفيد كثرته ، و كأنه افعال عديدة وقعت منه على المقطوعين واحتاج الى مفعول آخر .

و اللفظ فى الاية أشرب معنى التصيير ، و مفعولاه حينئذ فى معنى المبتداء والخبر كما ستعرفه ايضاً واثنتى عشرة فيه معنى هيئة للمفعول الاول ، فيكون حالا منه كحالية خمساً فى قوله :

لقد رأيت عجباً مذ أمسا عجائز مثل السعالى خمساً

تأنيثه لارداة المؤنث منه وانذيها بمعنى الجماعة كما لايخفى و أسباطاً ثانى مفعولى قطع ، والمعنى كأنه صيرناهم اسباطاً حالكونهم اثنتى عشرة ، وهو فى معنى الاخبار عن كل واحد منهم بكونه سبطاً .ويؤيد هذا الوجه قوله بعيدهذه الاية فى سورة الاعراف / ۱۶۸ «وقطعناهم فى الارض اما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك» الخ كما لايخفى .

والسبط ولدالولد ، ويطلق على القبيلة ، و منه قوله (ص) « حسين سبط من الاسباط » أى قبيلة اوأبو قبيلة ، فلا يختص ذلك بأولاد اسحق ايضاً . ولما كان اللفظ غير صريح فى قبيلة وصفه بقوله « امماً » ولم يقتصر على الثانى كما فى الاية الاخرى اشارة الى اسمهم الذى عرفوا به ، فأخبر ان جعلهم اسباطاً امماً حالكونهم اثنتى عشرة فرقة ، وهذا الاعراب أوجه من سائر ما قيل فى الاية كما لايخفى على المتأمل .

قوله تعالى فى سورة المنافقين ۱۰ « وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى اجل قريب فأصدق واكن من الصالحين»

قال : قال فى الاية بجزم «اكن» والوجه اكون بالنصب .

اقول : امين الاسلام قرء ابو عمرو واكون بالنصب والباقون واكن بالجزم، البيضاوى وقرء بالرفع على انا اكون .

ثم أقول : المورد من نصب المضارع بعد الفاء الجوابية والعطف على ذلك المنصوب ، ولا يخفى عليك أن من قواعد الاعراب انتصاب المضارع بعد الفاء الواقعة تلو الامر والنهى والاستفهام والنفى والتمنى والعرض سماعاً بوقوعه الاكثرى فى كلام الفصحاء بحيث لاتعد ولاتحصى ، وادخل التحضيض فى النفى وربما يعد مستقلا كالترجى لما فيهما من معنى الطلب ، وربما خرج عن ذلك فرفع و احتاج ذلك الى تأويل ، وذلك يقتضى أن التركيب الغالبى فى تلك الموارد فيه مقتضى لانتصاب المضارع بعد الفاء هذه، ولايهمنا التعرض لماذكروه فى وجه هذا الاعراب

ومن قواعدهم أن كل موضع من تلك المواضع سوى النفى حيث لايستحق جواباً يجاب بالفاء يجاب بالمضارع المجزوم ايضاً ، وان وجد موضع فى جواب تلك الامور لم يجزم فيها المضارع تأولوه بالحمل على غير الجواب . و ايما كان فالجزم فى الاغلب يدل على وجود مقتضى الجزم فى تلك التراكيب كما هو واضح .

ووجه الجزم استفادة شرطية يكون المضارع المجزوم جزءاً فيها ، بمعنى ان يعرفوا من المتكلم تقدير شرط يكون المضارع المجزوم جزءاً له ويتحقق التعليق بين الشرط والجزاء بذين ، واستقامة الكلام بهذا التقدير وكون الشرط والاشتراط مفهوماً من المتكلم وكلامه مما لايكاد يخفى على اولى البصائر .

واذا عرفت ذلك فاعلم ان منهم من قال فى الاية انها نظير قول الهذلى:

فابلونى بليتكم لعلى ... اصالحكم واستدرج ثوبا

على معنى فلعلى ، نظير «من يفعل الحسنات الله يشكرها» .

دعينى فأذهب جانباً ... يوماً واكفك جانبا

ان واكن عطف على محل «فأصدق» وهو جزم.

ويورد عليه بأن اصدق يكون منصوباً بأن مضمرة بتأويل المصدر،وهكذاما قبل الفاء بتأويل المصدر توهماً ، ولا يكون بين المفردين شرط مقدر ليثبت محل جزم .وفيه ان جزم بكون المأول بالمصدر عطفا على مصدر متوهـم ، بل هـو مبتداء محذوف الخبروالجملة هذه جواب الشرط المقدر،والمعنى أخرتنى فتصدقى ثابت واكن .

ولعل اعتبار الجهتين فى الجزء السابق بأن يصلح للنصب بعده والجزم لم يقم على امتناعه دليل ، و جعل مثل المقام من عطف المفردين يوجب فوات السببية و الجمع فى الفاء والواو وكونه بحكم المفرد الموهوم لايوجب جريان حكم المفرد عليه مطلقاً .

ومنهم من قال هومن العطف على المعنى الذى يسمى فى غير القرآن عطفاً على التوهم ، اذ معنى «لولا اخرتنى فأصدق» و ان اخرتنى اصدق واحد . حتى ان الطلب المفهوم من التحضيض قديستفاد من مثل السياق فى المقام.وشرط هذاالعطف صحة وجود الموهوم ، و امكانه وحسنه موقوف على كثرة وجوده ، نظير الجر فى قوله :

بدالى أنى لست مدرك ما مضى ولاسابق شيئاً اذا كان جائيا

وقوله :

ماالحازم الشهم مقداماًولابطل ان لم يكن للهوى بالحق غلابا

حيث يصح دخول الباء فى السابق ويكثرفغلبة وجود الجرفى المعطوف عليه معمول النفى يجوز الجر فى المعطوف،وكذا غلبة وجودالجزم فى جواب الطلب يجوز الجزم فى المعطوف على مافى صورة الجواب، بل الجزم بالغلبة كأنه محل المعطوف عليه فتأمل .

ثم ان المورد قد غلط فى التغليط ، حيث ان مثل الاية مع قطع النظرعن القرآنية ونزولها من عند رب العالمين لايشك فى انه قد تداولتها السنة العرب العرباء ،

ولا اقل من ان يكون مثل كلامهم،ومثل تلك المخالفات للقواعد العامة لا يوجب الحكم بالغلطية ، بل غاية ما يسع في كلامهم نظير الحكم بالشذوذ وكونه لغة ونحوذلك .

وفي مسألة اذا الفجائية استدعى من الرشيد ان يأمرهم بالتلفظ اتكالا بان لايساعدهم السنتهم على ما يوافق الكسائي في مقام التعبيروالجماعة ، قالوا لسيبويه ارحل عنا ولاتجالسنا فانك تلحن ، وصار ذلك سبباً لطلبه النحو .

والحجاج بن يوسف تلاقوله تعالى «ان ربهم بهم يومئذ» ففتح همزة ان سهوا ونحوه فاسقط اللام من قوله «لخبير» بكونها من خواص المكسورة وامثال ذلك غير عزيز فكيف يسع الحكم بأن لم يجروا هؤلاء العرب العرباء على قاعدة وضلوا عن طرقها وهي منهم اخذت فلاحظ .

قوله تعالى في سورة آل عمران / ٥٩ « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلاتكونن من الممترين» .

قال : والوجه فكان لكن هذا يخل بالروي فآثر الاخلال بالمعنى ليستقيم له الروي والافقد ساقه اليه ما الفه لسانه حتى كرره في ستة مواضع من كتابه ،وذلك قوله «كن فيكون» لكن المعنى في تلك المواضع يقتضي الجزء الثاني من الجملة بصيغة المضارع وفي هذا الموضع بصيغة الماضي .

اقول : لابأس بالايماء الى امور :

(الأول) ان الماضي يدل على الزمان السابق والمضارع على الحال والاستقبال على وجه الاشتراك ، ولكنه مع ذلك ينصرف الى الحال مع خلوه عن قرينة تخلصه للاستقبال كأن وسوف ونحوهما ،وان كان قضية الاشتراك احتياج كل من طرفيه الى القرينة الا ان لشيوع الاستعمال كأنه صار عدم القرينة قرينة معينة للحال ، ومن هنا وسع دعوى حقيقيته في الحال ومجازيته في الاستقبال لعدم القرينة في الحال ووجود الحاجة اليها.

وايأما كان فما ذكرناه من الانصراف واضح لمتتبع الاستعمالات ، وليس المهم هنا البحث عن الاشتراك وعدمه ، والمعيار فى التعبير عن الحادث بصيغة ماضيةاوحالية اواستقبالية ملاحظة نسبة وجودذلك الحادث الى زمان التكلم والاخبار فان كان وجوده قبل ذلك الزمان عبرعنه بالماضي وان كان فيه فبالحال وان كان بعده فبالاستقبال وهكذا فى تعيين زمان النسبة وانكان الخالى عن الزمان منصرفاً الى الحال ايضاً بقضية اطلاقه كمالايخفى.

(الثانى) انماذكرناه من المعيار فى تشخيص الأزمنةالثلاثة انما هومع خلو الكلام عن صارف عن ذلك ، و الا ففى المركب من الالفاظ الزمانية التى بعضها قيد بعضزمان القيد يلاحظ بالنسبة الى مقيده بمعنى أنالقيد اذا كان ماضياً فماضويته بالنسبة الى زمان المقيد وان اتفق حاليتهأواستقباليتهبالنسبة الى زمان التكلم ، ولعل ذلك واضح .

(الثالث) انالقضايا المحكية تلاحظ فيها حالوقوعها لاحالالحكاية والنقل بضرورة النقل ، ويجرىفىقيود المحكى نحوماذكرناه بلافرق .

(الرابع) ان القضايا الطبيعة لازمان لها ولافيها انصراف الى الحال ، بلولا يعقل فيها زمان بضرورة الطبيعية كمالايخفى ، بل الواجب فى الزمانية منها دعوى الانسلاخ والالمتكن طبيعية كماهو واضح .

(الخامس) انلفظة «قال» فى الاية مثلا تدل على أنصدر وقت الخلق المشار اليه قول ، ولفظة « كن » هو ذلك القول المقول فى ذلك الوقت وقت ابداع هذا الخلق ، وليس هذا من القول الحقيقى حيث ان كلامه تعالى بخلق اللفظ فى شيء كشجرة موسى وليس مثله فىموارد التكريم ، وانالفظ للاسماع ولاسماع فيها ، وانالله تعالى كان ولاشيء معه فأبدع ، ولايعقل لفظ وكلام فىابداع اول ما ابدع مضافاًالى لزوم خطاب المعدومومافيه وكونالامر فىمورد امكانالامتثال ونحوذلك كمالايخفى ، فهو من مثلالتشبيه والكناية .

قال شيخنا المفيد «ره» في جواب المسائل السروية فيقوله تعالى « اذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم » الخ ، بعد ذكر قوله تعالى « فقال لها وللارض ائتياطوعاأو كرهاً قالتا اتيناطائعين» : هو سبحانه لم يخاطب السماء بالكلام ولاالسماء قالتقولا مسموعاً، وانمااراد انهعمدالسماء فخلقها ولم يتعذرعليهصنعتها فكأنهلما خلقها قاللها وللارض ائتيا طوعاً او كرهاً، فلما تعلقت بقدرته كانتا كالقائل اتينا طائعين .

وكمثل قوله «يوم نقول لجهنم هل امتلاءت وتقول هل من مزيد» والله يجل عن خطاب النار وهى ممن لايعقل ولا يتكلم ،وانما الخبرعنسعتها وانها لاتضيق بمن يحلها من المعاقبين . وذلك كله على مذهباهل اللغة وعادتهم في المجاز،الاترى الى قول الشاعر:

وقالت له العينانسمعاً وطاعة و أسبلتا كالدر لم تثقب

والعينان لمتقولاقولا مسموعاً ولكنه اراد منها البكاء فكانتا كما اراد من غير تعذر عليه . ومثله قول عنترة :

فازور من وقع القنا بلبانه وشكى الى بعبرة وتحمحم

والفرس لا يشتكى قولا لكنه ظهر منهعلامة الخوف والجزعفسمى ذلكقولا ومنه قول الاخر :

* وشكى الى جملي طول السرى *

والجمل لايتكلم لكنه لما ظهر منه النصب والوصب لطول السرى عبر عن هذه العلامة بالشكوى التى تكون كالنطق والكلام . ومنهقولهم ايضاً :

امتلاء الحوض وقالقطنى حسبك منيقد ملاءتقطنى(١)

والحوض لميقلبطنى لكنه لماامتلاء بالماء عبرعنه بأنه قال حسبى، ولذلك امثال كثيرة في منثور كلام العرب ومنظومه ، وهو من الشواهد على ماذكرناه في تأويل الاية ـانتهى كلامه رفع مقامه .

---

(١) مهلا رويداً قدملات بطنى ـ خ ل

ومن ذلك قولهم «جوارحى تشهد بنعمتك وحياتى معترفة باحسانك» والشهادة والاعتراف من سنخ القول ولا قول فى مورده .

وعن بعض الحكماء « سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك و جنى ثمارك فان لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً » والجواب من سنخ القول . وقولهم «قال الجدار للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى فان الذى ورائى ماخلانى» . وقال ابو النجم :

قد قالت الانساع للبطن الحقى　　　قدماً أفاضت كالفنيق المخنق

وقال العجاج يصف ثوراً :

وفيه كالاعراض للعكور　　　فكر ثم قال فى التفكير

ان الحياة اليوم فى الكرور

وقال عمرو بن جمحة السدوسى :

فأصبحت مثل النسر طارت فراخه　　　اذا رام تطياراً يقال له قع

وقيل :

الم تسأل الربع الفراء فينطق　　　وهل يخبرنك اليوم بيدأ سملق

فالمراد من ذلك كله الاشارة الى تحقق مضمون الكلام ووقوعه فى الخارج من دون نظر الى وجود ما هو من سنخ القول وافراد الكلام كى يراعى خصوصياته

(السادس) ان موارد نزول قوله تعالى « كن فيكون » اكثرها قضايا طبيعية لانظر فيها الى خصوص زمان ابداً ، مثلا قوله «انما امره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» يراد به مطلق الامر السابق والحالى والاستقبالى بضرورة عدم التفاوت بين الاقسام وعدم اختلاف امره فى حين بعد حين و كون كله على نهج واحد . وحيث لازمان فى طرف المبتداء بضرورة كونه مصدراً خالياً عن الزمان فكذا الحال فى طرف الخبر فالصيغة فى طرف الخبر وان كانت مضارعاً لابد هى منسلخة عن الزمان ولا النسبة بين الجزئين زمانية ومختصة بأحد الازمنة لما عرفت فى طرف المبتداء

و ان لاوجه لتخصيص الحكم المذكور ببعض الازمنة فيعم الكل ، فالكلام «زيد انسان» و «الانسان حيوان ناطق » و نحوهما ، فالتعبير بقوله «ان يقول» ليس لاعتبار المضارع قبال الماضى ، ومثل قوله «اذا أرادشيئاً» لايراد منه غير ماذكرناه

فان لفظة اذا ظرفية قد عمل فيها لفظة «يقول» فهو بيان ظرف هذا القول و حرف المصدر فى أن يقول لمجرد التأويل لا للاشارة الى الاستقبالية ايضاً ، فكل تلك الزمانيات فى هذا الكلام ومثله منسلخة عن الزمان لم يرد بها أزمنتها الخاصة بضرورة عدم الفرق فى ذلك الحكم بحسب الازمان وعدم الوجه لتخصيص الاخبار واثبات الحكم بخصوص الاستقبال من بين الازمنة. وهل يجزى بالحكم بخروج حال المخاطب عن تلك القضية بأن لايكون اخباراً عنها أوتشمل خلق الوقت وما بعده ، ولايتم ذلك الا بالانسلاخ ، فان تم تم بالنسبة الى الماضى ايضاً .

لايقال : ان الذى يحتاج المخاطب الى معرفته فى الغالب هو الاستقبال .

لانا نقول : لايمكن اخراج الحال من ذلك ، بل الجاهل بالحال فى أمرالله لايختص مجهوله بزمان دون آخر بل لو كان يعلم الماضى يعلم منه الحال والاستقبال أيضاً لوضوح عدم التفاوت ، فالملقى اليه ذلك الكلام ونحوه مفروض فيه الجهل بحال امره فى كل أحوال وعلى وجه القضية الطبيعية واللازم دفع ذلك الجهل والقاء الكلام المفيد لحكم تلك القضية الطبيعية فيكون المشتمل على الزمان منسلخاً عنه ولايعتبر الامارات الزمانية فى مثل تلك القضية

فاتضح أن لفظ يقول المذكور فى تلك القضايا سوى مورد البحث ليس بزمانى بل المراد منه نفس الطبيعة من غير خصوصية زمان فيها ، ومرجع ذلك الى القضية الكلية ومثل ذلك يتجه عليه السؤال عن المقول .

وبعبارة اخرى: محصل الكلام انحصار أمره فى موارد ارادة الشىء فى القول وكون القول هو فعله وامره واتحاد طبيعة العنوانين وعدم وجود المبتدأ فى ضمن غير عنوان الخبر .

وبعبارة ثالثة: هذا وأمثاله من عنوان حدث ومعنى يحدث ومعنى آخر وبيان

كون الاول هو الثانى ، و هذا المقام لايعتبر فيه المتعلق بتمام الخصوصيات ، واذا حصر الامر فى القول والقول لايتحقق فى الخارج بدون مقول ولا كل قول له ممايصح أن يكون مصداق الخبر فى المورد ، فيتجه السئوال عن مقول هذا القول بمثل مقوله ماذاوما مقوله ومامقول قوله ؟ وهومعنى كلى وطبيعة وقع مورد السئوال ، فيجاب بلفظ كن كما يقال: من فى الدار ؟ فتقول زيد ويتم الكلام بذلك اللفظ فقط وان كان يقال فى الصناعة معناه هوزيد، بمعنى الذى فى الدار زيد، أويدعى كونه مبتدأ محذوف الخبر ونحو ذلك .

وتقدير السئوال والحكم به بعد وضوحه ممالايستراب فيه ولايتوجه عليه اشكال مثل كون هذا المذكور طبيعة لم يلحظ فيهاشىء من خصوصياتها وتشخصاتها ، كما هوواضح لايخفى .

وقضية مثل ذلك وان كان كون لفظ كن بحكم المفرد حيث يراد منه لفظه لا كلاماً أريد منه معناه ، الاان العدول الى الحكاية فى نظير المورد غيرعزيز، قال:

يدعون عنتر و الرماح كأنها   أشطان بئر فى لبان الادهم

فيمن روى «عنتر» بالضم ، ففى مقام ذكر مفعول «يدعون» اكتفى بذكر النداء حكاية عنهم ، عكس العدول الى التكلم من الخطاب فى قوله :

ألم تر انى يوم جو سوقية   بكيت فنادتنى هنيدة ماليا

فتكون هذه الجملة مفسرة للاجمال المعلوم من سابقتها ، نظير قوله :

رجلان من مكة أخبرانا   انا رأينا رجلا عريانا

حيث روى بكسر «انا» وعلى تفسير الاجمال خصوصاً مع حكاية الواقع ، فالجملة استيناف لامحل لهاأغنت عن منصوبة المحل أوالمنصوب.

و اذا عرفت ذلك فقوله «فيكون» عطف على قوله «كن» الجملة المستأنفة الفاقدة للاعراب محلا ايضاً ، و هو من عطف المعلول على العلة والمسبب على السبب والفاء العاطفة افادت الترتيب والتعقيب وسببية ماقبلها لما بعدها، نظير قوله تعالى «فوكزه

موسى فقضى عليه » والغرض بيان المسبب والمعلول لذلك القول الكلى كماظهرمن السئوال وان نشأ عن ذكر الخاص .

ومنه يعلم زمان وجود المعلول وأنه وقت وجودعلته، اذالمضارع فى المورد ليس استقبالياً بل هو حالى بالنسبةالى علته ومقتضى وضعه وان كان اعتبار الحال المذكور بالنسبة الى زمان النطق الا أن خصوصية العطف على العلة يصرفه الى حال وقوع الجملة السابقة لكونه بحكم القيد ، فان الفاء السببية مفادها ما عرفت من الترتيب والتعقيب بلامهلة مضافاً الىقضية العلية والمعلولية كمالايخفى .

ثم ان قوله تعالى «خلقه من تراب» من بيان وجه المماثلة، وقوله «ثم قال له» عطفه بلفظة ثم لبعد مضمون مابعدها عن مضمون ماقبلها فى الانظار ، وصح العطف بمغايرة العنوانين ان كان راجعاً الى الاول مع اشارة الى سهولة الامر ، وستعرف التعبير عنه بالقول فلاحظ .

* * *

ثم لابأس بتوضيح الكلام فى الايات المحتوية على قوله «كن» و «فيكون» فنقول: فى سورة البقرة ١١٧ «واذاقضى امراً فانمايقول له كن فيكون»، ومثله فى سورة آل عمران فى الاية ٤٢ ومثله فى سورة مريم فى الاية ٣٦ ، ومثله فى سورة المؤمن فى الاية ٧٠ .

وتوضيح الحال فى تلك الايات فى ضمن امور :

(الاول) فى كلمة «اذا» قال نجم الائمة: والاصل فى استعمال اذا ان يكون لزمان من أزمنة المستقبل مختص من بينها بوقوع حدث فيه مقطوع بوقوعه فى اعتقاد المتكلم وقال: ولما كثر دخول معنى الشرط فى اذا وخروجه عن أصله من الوقت المعين جاز استعماله فى شرط وان لم يكن فيه معنى ان الشرطية، وذلك فى الامور القطعية استعمال اذا المتضمنة لمعنى ان، وذلك بمجيء جملتين بعده على طرز الشرط والجزاء وان لم تكونا شرطاً و جزاءاً كمافى قوله تعالى «اذاجاء نصر الله والفتح» الى قوله «فسبح». الى ان قال: والفاء

فى مثل هذا الموضع فى الحقيقة زائدة و انمارتب اذا والموصول فى الايات المذكورة والجملتان بعدهما ترتيب كلمتى الشرط والجزاء وان لم يكن فيهما معنى الشرط ليدل هذا الترتيب على لزوم الجملة الثانية لمضمون الجملة الاولى لزوم الجزاء للشرط فلتحصيل هذا الغرض عمل فى اذا جزاؤه مع كونه بعد حرف لايعمل مابعده فيماقبله كالفاء وان ولام الابتداء الخ .

وصرح احياناً بأن الجزاء يعمل فى اذا فى مثل المورد وهو ظرف له وان الفاء زيدت لافادة التعقيب، لان السببية لاتخلو عن التعقيب. وسيتضح ان تلك الايات لايتم فيها الشرط والجزاء بحقيقتهما، فالشرط صورى لا غير فانتظر .

(الثانى) لفظة «قضى» لها معان عديدة والذى يناسب المقام الصنع والفعل قال ابو ذؤيب :

وعليهما مسرودتان قضاهما داود اوصنع السوابغ تبع

وعن الزهرى «القضاء» فى اللغة على وجوه مرجعها الى انقطاع الشيء وتمامه وكلما أحكم عمله وتم وختم اوادى اواوجب اوعلم اوانفذ اوأمضى فقد قضى انتهى

واذا كان القضاء بمعنى الخلق والفعل والصنع ظهر عدم مغايرة الشرطية للجزائية ليتحقق بينهما ترتيب وتعقيب على وجه الحقيقة ، و اما تأويل ذلك بالارادة ففيه مالايخفى، حيث ان الارادة من البارى تعالى فعله ايضاً، ويأتى انشاءالله تعالى تأويل الايتين.

و اما قوله فى سورة الأسرى ١٦ « واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » فالارادة فيه بمعنى المشية لاحقيقتها لما عرفت. وبالجملة فمن يدعى مغايرة طرفى الشرط فعليه الاثبات ، والافلا شرطية حقيقة ولاتعليق ولاترتب ولامثل ذلك .

(الثالث) « ان قوله واذا قضى امراً » الخ لما لم يكن من الشرط الحقيقى لايختص بالاستقبال بل الجملة مفيدة للاستمرار ، وهو كثير النظير فى الايات وقال :

اذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا الى اعدائنا فنضارب

يريد استمرار العادة بذلك قديماً وحديثاً لاخصوص الاستقبال ، بل بعدنكارة الامر فى الايات و وضوح كونه يقول عند كل قضاء يدل على أن لاايراد من القول قول وقت خاص ولامن «كن» أحدمايستعمله فيعم بالكلية ، و اذا كان كذلك فيكون من بيان زمان القول ، فيعم لامحالة ويفيدحال صدور «كن» فى أى وقت كان.

(الرابع) ان مرجع الكلام المذكور الى أن قضائه وخلقه وفعله الصادر عنه فى مرحلة الخلق هو قوله للمخلوق وانحصار الامر فيه ولا يتعداه ، و هو اشارة الى سهولة الامر وانقياد المخلوق بدون مشقة او اعمال رويات و آلات ونحوذلك ، و مرجع ذلك الى اتحاد عنوان قضاء المخلوق والقول له فى حقه تعالى . ومن الواضح أن بيان هذا المقدار لايتوقف على تعيين شخص المقول بل يكفى فيه ذكره الكلى، كمايقال فى العرف الامر الفلانى لايحتاج الى أزيد من امرمنى أولايكون على فيه غيرامر ، واذا عزمت على الامر الفلانى فانما امر أمراً الى غيرذلك مما يشاربه الى سهولة الامرونحوذلك حيث لاينظرفيه الى خصوصيات الامر أبداً بل ولايلتفت الى غيرالمعنى الكلى اصلا كماهو واضح لايخفى .

و بعد تمام الكلام فى افادة المرام بذكر هذا المعنى الاجمالى تشتاق نفس المخاطب الى معرفة القول والامر فيتجه السئوال و الجواب ولايخرج السئوال و الجواب عن الكلية الى الخصوصية كماقررناه آنفاً، ويكون من التفصيل بعدالاجمال والاجمال والتفصيل أوقع فى النفوس .

اما قوله فى سورة النحل فى الاية ۴۲ « انما قولنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون » فربما يتوهم أن المبتدأ لما كان قولنا « لشىء » لايصح ان يجعل « ان نقول له » خبراً له ، بل لابد أن يكون فى طرف الخبر خصوصية زائدة بهايتم الحمل والحصر، وليس ذلك الا ان يكون لفظة «كن» معمول القول، وحينئذ يشكل الامرفى قوله « فيكون » فقدقرىء بالرفع والنصب ، فالرفع على معنى فهو يكون أى ما اراداللهفهويكون ، والنصب بالعطف على مدخول ان وبدعوى كون الفاء فى

جواب الامر ، وربما يدعي كون الثاني خلاف الأصحاب ، حيث أن الامر ليس بحقيقي وانما هواخبار عن كون الشيء وحدوثه .

ولايخفى عليك ما فيهذا الخيال ، لابتناء ذلك على حمل القول في قوله « انما قولنا » على القول المرادف للكلام واللفظ و نحوهما ، وليس كذلك اذلو أريد منه ذلك لقبل انما قولنا له كن ، وكان غيره كزيادة لاحاجةاليها بل القول فيه مستعمل في معنى آخر ولو كان مجازاً لوضوح لزوم المصير اليه في مثل المورد ، فان القول في الاية يراد منه ما يساوق القضاء فيالايات السابقة والامر في آية يس ، اذالمفهوم منهاحصر القضاء في أن يقول له ، كما أن المفهوم من آية يس حصرالامر في ذلك .

و من جمع بين عنوان القضاء والامر والقول علم أن المراد من جميعها في تلك الايات شيء واحد أريد هو من كل واحد من تلك الالفاظ ، وان لم يرد من كل واحد معنى على حدة غير ما اريدمن الاخر وحصر كل واحد من تلك المعاني فيان يقول له كن أويقال ما بعد اذا في الايات القضاء والارادة ، فالمراد منهما معنى واحد لامتعدد كما لايخفى .

وكذا ما بعد انما فيالنحل ويس القول والامر و يراد بهما المعنى الواحد ايضاً ، فان الموقت فيهما أمر واحد وكذا المحصور لامعاني عديدة ، ولعل ذلك واضح انشاءالله .

و معنى القضاء والارادة قدعرفتهما ، و كون المراد من الامر أيضاً الشأن و الشغل في كمال الوضوح ، فيساوى القضاء والخلق .

وأما القول فالمراد منه الفعل فيساوى الثلاث ، و مما يرشد الى سعة التجوز فيه قول الزمخشري فيالاساس : قال بيده أهوى ، وقال برأسه اشار ، وقال الحائط سقط ، وهذا قول فلان رأيه ومذهبه، وقال ابوالنجم :

غيثاً اذا جئت اليه قاصداً   ترجوالغنى و تذهب الشدائد

قال لك الطير تقدم راشداً

وقال آخر : « اذاقالت الاتساع للبطن الحق» . و قول ابى البقاء يستعمل لغير ذى اللفظ تجوزاً كقوله « فقالت له العينان سمعاً وطاعة » وقال الحائط سقط و به حكم واعتقد واعترف وغلب سبحان من تعطف بالعز ، وقال به احبه ، وقال عنه روى ، وله خاطبه ، وعليه افترى ، وقال فيه اجتهد ، وقال بيده أهوى بها .

وفي النهاية : اخذه وقال برأسه اشار، وبرجله مشى ، وبثوبه رفعه، وبالباب على يده قلبه، ويجيء بمعنى مال واقبل وضرب وغير ذلك. وقال: ويستعمل فى كثير من الافعال ، وحينئذ لاغرو فى أن يراد به مايساوق الفعل و القضاء والأمر بقرينة الايات والحصر المستفاد منها، ومع ارادة هذا المعنى لامانع من كون الخبر نفس قوله « ان يقول له » كما بيناه فى آيات الأمر والارادة والقضاء .

ثم ان الاية المذكورة فى امر البعث والنشور، و الغرض بيان انه اذا اراده الله تعالى وقع . و بعبارة اخرى : ان لفظ « اذا » فى آية النحل ايضاً يعمل فيه القول الثانى دون الاول ليوافق سائر الايات فى كون الظرف للقول الثانى و اطلاق ماسبق عليه كما لايخفى .

وهو ظرف محض عارعن الشرطية لفقد الدليل عليه مثل الفاء فى آيات القضاء وحينئذ يكون مقيداً له .

وقد عرفت أن ارادته تعالى لشيء من التكوينيات احداثه له و مثل ذلك لايبقى دليل على الاستقبالية بوجه ، وحرف المصدر ايضاً لو تجرد عن تلك الدلالة وكان لمحض السبك لم يمنع عنه مانع، فيعم كل الاشياء من غير اختصاص بزمان بوجه ، بل لفظ «قولنا» ممايعين ذلك بمصدريته اذ لايعتبر فيه زمان ومن اضافة المصدر الموجبة لارادة العموم ونفس الطبيعة منه، والتصرف فى المصدر المضاف بوجه من التخصيص موقوف على دليل مفقود فى المقام كما لايخفى. فمثل تلك القضايا لها ظهور فى ارادة بيان العادة محضاً ، فتكون استمرارية فى الا زمان تشمل كل الثلاثة على نهج واحد كمالا يخفى .

ومثل تلك القضايا العادية يصح التعبير عنها بالماضي أيضاً، قال تعالى في سورة البقرة ١٣ «واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنومن كما آمن السفهاء» «واذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض قالوا انمانحن مصلحون» «ولا على الذين اذاما اتوك لتحملهم قلت لااجدما احملكم عليه» الخ .

وأما قوله في سورة الانعام ٧٢ «وهو الذى خلق السموات و الارض ويوم يقول كن فيكون ، قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب و الشهادة وهو الحكيم الخبير» فالمراد من اليوم الوقت لاالمعنى المعروف ، وهومضاف الى الجملة ولم يشخص فيها المقول لهبوجه ،بل الجملة مطلقة تفيد باطلاقها العموم، ومثل ذلك ينبغى أن لايختص بشيء من الازمنة الثلاثة. وقيل في نصب «اليوم» وجوه كونه عطفاً على الضمير المنصوب في «واتقوه» في الاية السابقة وتقدير اذكر ، وايد بقوله بعدها «واذقال ابراهيم» الخ وعطفه على السماوات ، فيكون مفعول خلق لاحاجة هنا الى القول بأن اخبرعنه بالماضى لانه محقق الوقوع ونحوذلك ، لانهلم يقيدبمايشعر بارادة القيامة فقط بل أعم، الاان الاخبارعن خلق وقت القول كما ترى لعدم حاجته الى الوقت و ان لاوقت لخلق الزمان . والاظهر فيه عندى أن العامل قيد مقدر ، وليس مثل «اذكر» بل خبر للمبتداء المؤخر ، وهوقوله «الحق» والمعنى قوله الحق وقت ما يقول كن فيكون ، فهومن بيان وقت القول المخبر عنه كما بين وقت الملك بعده .

ومنهم من جعل قوله «الحق» فاعلا لقوله «فيكون» ومثل ذلك يحتمل في قوله في سورة البقرة ١٤٧ «الحق من ربك فلاتكن من الممترين» ويكون ذلك اخباراً على ما هو كالعادة ، حيث يستمر كون الحق من الله تعالى اذا كان منه شيء ومن غيره شيء يخالفه. وحينئذ يكون انقطاع الكلام في الايتين في قوله «كن». وأما الفاء فيحتمل الاستيناف كما في قوله «ألم يسأل الربع القراء فينطق» وقوله يريد ان يعربه فيعجمه برفعهما .

وقدقيل بذلك فى كن فيكون بجعل الجملة معطوفة لاخصوص الفعل ، وان قال بعضهم فهويكون . وليس كل موضع يجب أن يذكر فيه فيكون على وجه يكون كالجزاء كما فى سائر الموارد - فلاحظ .

وقال الطبرسى (ره) فى جوامع الجامع «قال له كن فيكون» أى انشأ بشرا كما قال «ثم انشأناه خلقاً آخر» ، وقوله «فيكون» حكاية حال ماضية - انتهى .

وقول المورد: والوجه فكان كأنه يجعل ما بعد كان عطفاً على يقول السابق حتى يكون هنا العطف على قال ، وهو مع اعترافه بأن مقتضى المعنى فى سائر الآيات صيغة المضارع ويلزمه النصب فى سورة النحل وجريه المحل فى سورة الانعام ليس عليه دليل .

وأما قوله: لكن هذا يخل بالروى، فجعل على بصره غشاوة، فان الآية السابقة و الذكر الحكيم واللاحقة الممترين وما بعدها المكذبين. واما الف اللسان فكذب بالعيان اذمع نزول القرآن فى أزيد من عشرين سنة ووجود الآية فى تلك السور المتباعدة كيف يدعى الألفة ، وكان ذلك الى سائر الفاظ الآيات اقرب بعد ادعائه مراعاة الروى فى أواخرها كما لايخفى .

واما المواضع فثمانية لاستة ، والجزء الثانى فى الكل مضارع حالى مبين لما يتفرع على «كن» ، ولفظ كن بعد كونه من حكاية الواقع نظير «يدعون عنتر» لايوصف بالماضوية ، وان صح فى الاخبار عن وقوع هذا الواقع بلفظ «قال» لوضوح اعتبار السبق فى ذلك الاخبار وتحققه فيه بخلاف نقل نفس اللفظ ، فكأنه ليس الأنفس وجوده السابق الذى يكون ترتب «فيكون» عليه فى حاله لاغير ، وقد عرفت محتملات الآيات تفصيلا .

* * *

قال: ومما اخطأ فيه مراعاة الروى قوله فى سورة الصافات ١٣٠ قوله «سلام على الياسين» والوجه الياس وقوله فى سورة التين ٢ «وطور سنين» والوجه سيناء. وكان من

المحتمل لولا الروى ان يقول عن حملة العرش انهم ثمانية لا اكثر ولا اقل ، وما كان لولاه وجه لقوله مراراً «جنتان» و«زوجان».

أقول : قوله «والوجه الياس» كأن منشأه قوله تعالى قبل هذا بست آيات «وان الياس لمن المرسلين» زعماً ان ذهل عن مقتضاه فى هذه الاية غفلة من ان آل كلمة اضيفت الى يس وهو اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولاغروفى أن يقول فيه بعنوان الغيبة « انه من عبادنا المحسنين» . ولبيان ذلك وابطال الاحتمالات الاخر مجال آخر.

وأما الاية الثانية فكأن الشامى قال ذلك لما عرف من الجبل وهو بالشام، ولو كان يلاحظ الروى لقال«والزيتون والتين . وطورسنين.وبهذا البلدالامين»فالعدول فى الاية الاولى مع امكان ما ذكر يدل على انه لم يلاحظ الروى.

وقال الجوهرى فى الصحاح : وطورسينا جبل بالشام وهوطوراضيف الى سينا وهى شجر، وكذلك طورسنين. قال الاخفش السنين شجر واحدها سينية قال وقرىء سيناء بالفتح والكسروالفتح أجود فى النحولانه بنى على فعلاء، قال والكسر ردىء فى النحو لانه ليس فى ابنية العرب فعلاء ممدودمكسور الأول غيرمصروف الا ان تجعله اعجميا . قال ابوعلى انما لم يصرف لانه جعل اسماً للبقعة انتهى كلام الجوهرى .

وقال الفيروزآبادى: وطورسنين وسيناء يفتح و سيني مقصورة جبل بالشام ، والسينية شجرة ج سنين ـ انتهى.

اقول : مثل تمرة وتمر ، وفى رواية عن الباقر عليه السلام الطور الجبل وسيناء الشجرة التى تنبت بالدهن وهى الزيتون .

وعن ابن عباس انما سمى الجبل الذى كان عليه موسى طورسيناء لانه جبل كان عليه شجر الزيتون ، وكل جبل يكون عليه ماينتفع به من النبات والاشجار من الجبال يسمى طورسيناء وطورسنين ، وما لم يكن عليه ما ينتفع به من النبات والاشجار يسمى

طوراً ولايقال له طور سيناء وطور سنين .

الطبرسي: وسنين وسيناء واحد ، وقيل ان كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسينا بلغة النبط عن المقاتل ، وقال في طور سيناء وسيناء اسم المكان الذي به هذا الجبل في اصح الاقوال ، وهي نبطية في قول الضحاك و حبشية في قول عكرمة ، وهي حجارة بعينها اضيف الجبل اليها عن مجاهد.

اما قوله « وكان من المحتمل لولا الروى » الخ ، لو كان وقع مثل تلك العبارة في موضع من القرآن لكان لذكره وجه واذا لم يقع فهو فرض ، مع ان الاناطة بخصوص العدد يعرف من ذكر العدد خصوصاً بعد تخصيصه بيوم الحشر ، وترك ملاحظة الروى يعرف من اختلاف آيات كل سورة سورة ولو كان ملحوظاً لكان الجرى على واحد من محسناته كما هو واضح.

واما قوله « وما كان لولاه وجه لقوله مراراً جنتان وزوجان» فصريح الكلام ان التثنية في اللفظتين من أجل مراعاة الروى ، ولولا ذلك لافرده ، وان ذلك وقع مراراً في آخر الايات لوضوح كون ذلك موضع الروى لاغير ، و مع ذلك فذكر جنتان في القرآن في سورة الرحمن ٤٦ و٦٢ « ولمن خاف مقام ربه جنتان .ومن دونهما جنتان» وجرى بعد كل آية على تثنية أوصافهما والاخبار عنهما ، واما زوجان في آخر الاية أوغيره فليس في القرآن غير قوله في سورة الرحمن بين الايتين ٥٢ «فيهما من كل فاكهة زوجان» أفمثل ذلك يقال فيه ما كان لولاه وجه لقوله مراراً كذا وكذا اولا، وثانياً ، فتشنيع التثنية من زعم ان جنة اسم دار نعمة الله التي هي مقابلة دار نقمته جهنم.

قال الجوهري في صحاحه: والجنة البستان ومنه الجنات ، والعرب تسمى النخيل جنة ، وقال زهير :

كان عيني في عربي مقلته　　　من النواضح تسقى جنة سحقا

وقال فيروزآبادي في قاموسه: والجنة الحديقة ذات النخل والشجر ج الجنان ككتاب .

وذلك لاينكره ذومسكة، والاطلاق على دارالنعيم لكونها من افراد الجنس، وهذه الفردية لاينافى كونهاذات اجزاء يصح اطلاق الجنة على واحد منها، نظيرلفظ الماء الشامل بمعناه الجنسى لتمام مافى الدنيا ويصح اطلاقه على مافى البئروالحوض ونحوهما ، وأبعاض ذلك اذا انفصلت من غير تصرف فى اللفظ والاوصاف المخاصة المذكورة تلو كل من الايتين تدل على ارادة حديقة هذه أوصافها لأصل دارالنعيم كما لايخفى .

وشواهد هذا المطلب لاحاجة الى ايرادها . فعن الباقر عليه السلام قال : ان الجنان أربع وذلك قول الله ـ فأشار الى الاية الاولى وبين خوف مقام الرب فقال فهذه الاية فيه فهاتان جنتان للمؤمنين والسابقين .

وأماقوله «ومن دونهما جنتان» يقول عزوجل من دونهمافى الفضل وليس من دونهما فى القرب وهما لاصحاب اليمين وهى جنة النعيم وجنة المأوى ، وفى هذه الجنان الاربع فى الكثرة كورق الشجر والنجوم ، وعلى هذه الجنان الاربع حائط محيط بهاطوله مسيرة خمسمائة عام لبنة من فضة ولبنة من ذهب ولبنة من درولبنة ياقوت وملاطه المسك والزعفران وشرفه نوريتلاء لاء يرى الرجل وجهه فى الحائط، وفى الحائط ثمانية أبواب على كل باب مصراعان عرضهما كحضر الفرس الجواد .

وعن النبى صلى الله عليه وآله انه قال : جنتان من فضة ابنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب ابنيتهما ومافيهما .

« واما الزوجان » فقد قيل فيه غريب ومعروف وقيل رطب ويابس ، وبعدمثل ذلك كيف يقال التثنية لمجرد ملاحظة الروى مع ماعرفت من أن الروى بما هوغير ملحوظ فى القرآن والموافقة من اجل خصوصية المقام لايوجب الحكم بالملاحظة فى خصوص المورد ايضاً .

* * *

قال : من خطائه فى الضمائر قوله فى سورة الحج آيه ٢٠ «هـذان خصمان

اختصموا فى ربهم » والوجه اختصما فى ربهما ، و قوله فى سورة الانبياء آيـة ٣ « وأسروا النجوى الذين ظلموا » والوجه وأسر النجوى، وقوله فى سورة الحجرات آية٩ « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما» والوجه اقتتلا أو بينهم.

اقول : الاية فى سورة الحج هكذا «هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم » الايات . وكونها فى الجماعة لااشكال فيه ، والمحتاج الى التأمل التعبير عنهم بقوله «هذان خصمان»، لان الواضح كونه اشارة الى رجلين مثلا اختصما كى يقال مثل ماذكره المورد .

وبيان الواقع:ان الجمع والفريق مثلا يطلقان على المركب من متعدد لوحظ فيه جهة اتحاد تجمعهم ، وهو فى المقام وحدة الدعوة والمدعى ، فأهل الاسلام جمع وفريق ومقابلوهم جمع وفريق كفروا بربهم ، والاشارة الى هذين الفريقين بلفظ « هذان » لايكون عليه اشكال .

وايضاً الخصم يستوى فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع ، ومعنى خصمان هنا خصوم وخصوم، بمعنى انه تثنية المطلق على الجماعة ، فالتثنية هنا للاشارة الى أن الخصومة بين قبيلتين، ثم بعد ذلك اتى بصيغة الجمع وضميره للاشارة الى قيام ذلك بآحادهم، ولو جمع من بدو الامر لم يعلم وحدة الخصومة وكون الجماعة باعتبارها فريقين واحتمل تعدد الخصومات بينهم .

لايقال : لماذكر لفظ « ربهم» كان يعلم منه الوحدة .

لانا نقول: لايدل ذلك على الوحدة، لوضوح كثرة الخصومات فى الرب أيضاً، فالمتعين فى مثل المورد أن يثنى أولا ثم يجمع، والا يراد غفلة عن المعنى والا كان ذكر التثنية أولى من الجمع المكرر فى تلك الايات كما لايخفى .

واما الاية فى سورة الانبياء فهى هكذا « لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الابشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون » وقد قيل فى « الذين ظلموا » وجهان الرفع والنصب ، بتقدير أعنى ، ووجه الرفع بوجوه: منها انه فاعل

وأسروا ، ومنها انه بدل الكل من الكل من الفاعل المضمر ، ومنها انه مبتدأ مقدم الخبر والمعنى الذين ظلموا أسروا النجوى ، و منها انه خبر لمحذوف اى هم الذين ظلموا .

اما من جعله من باب « اكلونى البراغيث » فادعى ان الواو فى اسرواحرف لااسم ، وعلامة جمعية الفاعل المذكور بعده ، نظير تاء التأنيث لاانه ضمير الفاعل ومنهم من صرح بأن « اكلونى البراغيث » لغة ، وقيل انالبصريين حكوهاعنطى، ولكن صرح جماعة من النحاة بأن الحاق علامة التثنية والجمع بالفعل مع كون الفاعل اسم ظاهر مثنى اومجموع ضعيف ، فلايحمل التنزيل عليه .

واما القول بالبدلية فيورد عليه بلزوم عود الضمير الى المتأخر ولزوم جواز ذلك فى مورد البدل وظاهرهم المنع ، وان كان ظاهرنجمالائمة «ره» الجواز مع الفائدة .

ونظير الاية قوله :

دبافى ابوه وامه بحوران   يعصرن السليط الشاربه

وقوله :

تولى قتال المارقين بنفسه   وقد اسلماه مبعد وحميم

وقوله :

نتج الربيع محاسناً   ألقحنها غر السحائب

و قوله صلىالله عليه وآله : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل و ملائكة بالنهار .

وقوله :

رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى   فأعرضن عنى بالخدود النواظر

وأماالاية فلايلزم فيهاعود الضميرالمتأخر بضرورة رجوعه الى المذكور فى ضمن السابق كما هوواضح كوضوح ان النجوى يقوم بالقليل، فهواظهار مطلبمن بعض لبعض والا لميكن نجوى ، ومن الاظهار علىوجه الاخفاء منالغير ، وحينئذ

قدتتوق النفس الى معرفة صاحب النجوى ،فيقال من الذى أسر النجوى ، فيقال الذين ظلموا ، فهو خبر لمحذوف ، أوتتوقى الى معرفة وصفه فيوصف بذلك مقطوعاً.

وعلى كل من الوجهين يكون فى الكلام مزيد فائدة على جعل الفاعل نفس الذين ظلموا وقول وأسر الذين ظلموا النجوى كمالايخفى. فكيف يقال والوجه اسر الذين ظلموا أويعد ذلك من الخطأ فى الضمائر .

وأماقوله تعالى فى سورة الحجرات ٩«وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهمافان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امرالله» الآية فلفظ الطائفة فى افراد ظاهره وصحة اطلاقه على الجماعة نظيروما ومن الموصولتين وماكان من ذلك يراعى فى ضميره ظاهره فيفرد ويراعى جانب المعنى ، والمراد فيعرض عن الافراد ، وفى الاية اشارة الى أن المقاتلة تقوم بآحاد الطائفتين وان لووقع الصلح بين القبيلتين كفى فى حصول الغرض ، وليس يتوقف على حصول الصلح بين آحاد كل من الفريقين ، فان نائرة الحرب تنخمد بوقوع الصلح بين الحيين وان لم يصالح آحادهم، ولو قال فأصلحوا بينهم لزم ايجاد الصلح بين الاحاد وصلح الحيين لايتوقف على ذلك، ولو قال اقتتلتا لم يفهم قيام الاقتتال بتمام الاحاد من الطرفين وكفى القيام بواحد من طرف وبالاكثر من الاخر أوتوهم قيام الاقتتال بعنوان الطائفة من طرف من غير ملاحظة آحاد مصاديق الطائفة .

وبعبارة اخرى: مفاد اقتتلوا أن كل واحد واحد من افراد هذه الطائفة يطلب ويريد قتل تمام آحاد أفراد الطائفة الأخرى والعكس ، ولو كان اكتفى بالتثنية وقال اقتتلتا بعد ذكر الطائفتين المتفاهم منهم الكثير لكان النسبة باعتبار البعض والقيام فى كل واحد من الطرفين لجزء ماهو مصداق الطائفة .

* * *

قال ومن اتيانه بجمع الكثرة حيث يتعين جمع القلة وبالعكس قوله فى سورة البقرة آية ٢٢٧ «والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء والوجه اقرء»واقراء، وقوله

فيها آية ۷۴ «لن تمسنا النار الا أياماً معدودة» والوجه معدودات لانهم ارادوا قلة الايام، وقوله فيها آية ۱۷۹ و ۱۸۰ «كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياماً معدودات» والوجه هنا معدودة انه اراد أيام الصيام وهى ثلاثون يوماً

أقول: الكلام فى ضمن أمور :

(الاول) ان جمع القلة والكثرة ادعى دلالة الاول على القليل والثانى على الكثير وانحصار مدلولهما فى ذلك ، وليس كذلك بل مفادهما مطلق الجمع واتفق استعمال الاول فى مورد وجود القلة والثانى مع وجود الكثرة ، ولا اقل من جواز العكس. قال ابن مالك :

افعلة افعل ثم فعلة ثم افعال جموع قلة

وبعض ذى بكثرة وضعاً يفى كأرجل والعكس جاء كالصفى

وقال الجوهرى : والصفاة صخرة ملساء، يقال فى المثل «ماتندى صفاته» ، والجمع صفا مقصور وأصفا وصفى على فعول ، وقال :

كأن متنيه من النقى مواقع الطير على الصفى

وقال نجم الائمة «ره» : قالوا مطلق الجمع ضربين قلة وكثرة - الى ان قال - قالوا وجمع القلة من المكسر أربعة - الى ان قال - وجمعا السلامة عندهم منها أيضاً استدلا لا بمشابهتها للتثنية فى سلامة الواحد ، وليس بشىء اذ مشابهة شىء بشىء لفظاً لا يقتضى مشابهته له فى المعنى ايضاً، ولو ثبت ما نقل ان النابغة قال لحسان لما انشده :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

قللت جفانك وسيوفك لكان فيه دليل على أن المجموع بألف والتاء جمع قلة . وقال ابن خروف: جمعا السلامة مشتركان بين القلة والكثرة ، فالظاهر انهما لمطلق الجمع من غير نظر الى القلة والكثرة فيصلحان لهما. واستدلوا على اختصاص أمثلة التكسير الاربعة بالقلة بغلبة استعمالها فى الثلاثة الى العشرة واختيارها فيه على سائر الجموع ان وجدت . واعلم انه اذا لم يأت للاسم الابناء جمع القلة كأرجل

فى الرجل وأذرع فى الذراع فهواذن مشترك بين القلة والكثرة ، وكذا ان لم يأت للاسم الابناء جمع الكثرة لرجال فى الرجل، وكذاكل جمع تكسير للرباعى الاصلى حروفه كجعافرولما لايجمع الاجمعه كأجادل ومصانع فهومشترك بين القلة والكثرة وقديستعاراحدهما للاخرمع وجود ذلك كقوله «ثلاثةقروء» مع وجوداقراء ـ انتهى .

ومما لاينبغى الاشكال فيه أن كلا من نوعى الجمع لايدل بمادته على قلة و لاكثرة ، وهكذا بحسب الهيئة العارضة بضرورة وجودها فيما لم يجمع جمع قلة فان الهيئة فى واجد جمع القلة وفاقده واحدة ، فلا يفهم من المادة والهيئة فيهما معنى زائد على اصل الجمعية من القلة اوالكثرة ، فدعوى الحقيقة والمجاز من بعضهم كما ترى ، فالظهور فى القلة ونحوها لو كان فمن غلبة اختيار نوع فى مقام كما صرح به نجم الائمة ، والاستعارة التى ذكرها ايضاً ليس على وجه الحقيقة .

(الثانى) فى لفظ «قروء» قال الجوهرى فى صحاحه : القرء بالفتح الحيض والجمع اقراء وقروء على فعول واقرؤ فى أدنى العدد ـ الى أن قال ـ والقرء أيضاً الطهر وهو من الاضداد ، قال الاعشى :

وفى كل عام أنت جاشم غزوة ... تشد لاقصاها غريم عزايكا

مورثة مالا وفى الاصل رفعة ... لما ضاع فيهامن قرؤ نسائكا

الى أن قال : قال ابو عمرو بن العلا وانما القرء الوقت ، فقديكون للحيض وقد يكون للطهر ، قال الشاعر :

اذا ما السماء لم تغم ثم أخلفت ... قروء الثريا أن يكون لها قطر

يريد وقت نوئها الذى يمطرفيه الناس .

قال الفيروزآبادى فى قاموسه : والقرء بالضم الحيض والطهر ضد والوقت والقافية ج اقراء وقروء واقرء، وجمع الطهرقروء وجمع الحيض أقراء .

وقال ابن الاثير الجزرى فى نهايته: والمقروءة بفتح القاف وتجمع على اقراء وقروء وهو من الاضداد يقع على الطهر ، واليه ذهب الشافعى واهل الحجاز وعلى

الحيض واليه ذهب ابوحنيفة وأهل العراق والاصل فى القرء الوقت المعلوم، فلذلك وقع على الضدين لان لكل واحد وقتاً .

اقول : بعد احتمال الفيروز آبادى اختصاص القرء بمعنى الطهر بقروء و كون القرء بمعنى الحيض يجمع على أقراء مع كون ذلك مخالفاً لمذهبه اذ هو حنفى وموافقاً للحق عندنا حيث أن المدار فى العدة على الاطهار و كون الوارد غالباً فى رواياتنا فى العدة ومايرتبط بها بلفظ قروء دون أقراء ، والنادر لايعتنى بشأنه لاحتمال النقل بالمعنى. وتوهم كون الاقراء جمع القرء بمعنى الطهر أيضاً كما يظهر من جماعة من اللغويين كيف يدعى وجود الجمعين للقرء بمعنى هو معيار العدة .

و كيف كان فتلك الروايات مع قوله (ص) «دعى الصلاة ايام أقرائك» مما يؤيد قول الفيروزآبادى كما لايخفى .

وأما ذكره اقرء فمن المحتمل أن يكون ذكره من اجل القاعدة فى الجمع لاوقوع السماع فلاحظ .

(الثالث) أن وقوع جمع القلة تمييزاً الى العشرة غالبى لادائمى، قال ابن مالك

ثلاثة بالتاء قل للعشره — فى عد ما آحاده مذكره

فى الضد جرد والمميز اجرر — جمعاً بلفظ قلة فى الاكثر

وقال ابن الحاجب فى الكافية: ومميز الثلاثة الى العشرة مخفوض مجموع لفظاً أومعنى. وعد شراح كلامه من الجمع المعنوى اسم الجنس واسم الجمع ، وقال نجم الائمة (ره) ان كان له الجمعان أضيف العدد فى الغالب ال جمع القلة لمطابقة العدد المعدود نحو ثلاثة أجبال وقد جاء ثلاثة قروء وليس بقياس ، وقال المبرد يجوز قياساً نحو ثلاثة كلاب بتأويل من كلاب ليس بمشهور- انتهى .

(الرابع) ان القرء فى الشعرين يراد به القلة،ومن استعمال فعول فى ذلك قوله

كأن مجيىء دون من اتقى دونه — ثلاث شخوص كأعيان ومعصر

وقوله :

كأن متنيه من النقى — مواقع الطير على الصفى

وقد عرفت تصريح ابن مالك بأن الصفى .

كأن متنيه من النقى مواقع الطير على الصفى

وقدعرفت تصريح ابن مالك بأن الصيفى من غير جمع القلة وتفيدها وضعاً حيث جعله عكس ارجل جمع رجل، فهوفعول يكون للقة ، ويقرب من ذلك قوله:

ثلاثةأنفس وثلاث ذود لقد جاد الزمان على عيالى

وقد ذكر الفيروزآبادى في الذود تساوى الجمع والمفرد وكونه جمعاً لامفرد له وكونه مفرداً جمعه أذواد ، وذلك بعدذكر الخلاف فيمعناه فيمرتبة العددوعلى الجمعية جمع كثرة استعمل فى القلة فلاحظ .

وأما قوله تعالى فيسورة البقر / ٨٠ « قالوا لن تمسنا النار الأأياماً معدودة قل اتخذتم عندالله عهداً أم تقولون على الله مالاتعلمون» وقول المورد : والوجه معدودات لانهم ارادوا قلة الأيام .

أقول:دعواه مبنية على كون جموع السلامة من جموع القلة ، ولم ثيبت ذلك مع أن ارادة قلتها المناسب لايراد جمع القلة انمايكون لوحددوا أيام العذاب بأقل من عشرة ، وهو يناسب تعيين السبعة ولم يعلم ذلك وقدقيل بأربعين يوماً فيناسب جمع الكثرة لا القلة مع ان الاعتراض يناسب ان يكون على العدول من الجمع الى المفرد لاعلى العدول من جمع الى جمع لوضوح افراد معدوده .

ثم ان الافراد فيالاية واشباهها بواسطة أن الجمع المكسر قديعامل معه معاملة المفرد،قال نجم الائمة «ره»:واما برمة اعشاروا كساروثوب اسمال ونطفة أمشاج فلان البرمة مجتمعة من الاعشار والاكسار و هى قطعها ، والثوب مؤلف من قطع كل واحد منها سمل أيخلق، والنطفة مركبة من اشياء كل واحد مشيج ، فلما كان مجموع الاجزاء ذلك الشىء المركب جاز وصفه بها .

وجراهم على ذلك كون أفعال جمع قلة فحكمه حكم الواحد ، قال تعالى «نسقيكم مما فى بطونه » والضمير للانعام ، وقال سيبويه افعال واحد لاجمع جاء قميص شراذم ولحم خراذيل- انتهى .

و قال ابو البقاء ألقلة أقرب الى الواحد من ابنية الكثرة ، ولذلك يجرى عليه كثير من احكام المفرد ، من ذلك جواز تصغيره على لفظه خلافاً للجمع الكثير، وجوازوصف المفرد بها نحوثوب اسمال ، وجواز عود الضمير اليه بلفظ الافراد .

وقال : وجمع التكسيريجرى مجرى المفرد ، وقال والجمع يوصف بالمفرد المؤنث بالتاء وهوالشائع، وقد يوصف بالمفرد المؤنث بالصيغة الخ. وقال: جمع العاقل لايعود عليه الضميرغالباً الابصيغة الجمع سواء كان للقلة اوللكثرة ، واما غير العاقل فالغالب فى الكثرة الافراد وفى القلة الجمع - انتهى

ومن العجب العجاب قول المورد فى آية الصيام «والوجه هنا معدودة لانه اراد أيام الصيام وهى ثلاثون يوماً» بعد ظهور كلامه فىان تلك الايام كثيرة، أفيكون المفرد اشمل من الجمع واكثر وهمانكرتان متساوى الجهات. و كلامه ايضا كان فى تبديل جمع الكثرة من جمع القلة والعكس لافى ذكر المفرد فى مورد الجمع والعكس ، مع انه لااختصاص فى مثل المورد بأحد الفريقين لمجيئهما فى مثله ، فالافراد لمعاملة الجمع المكسر معاملة المفرد بواسطة كونه بزوال بناء المفرد عنه كأنه صيغة برأسها موضوعة لذلك المعنى نظير اسم الجمع ، وذكر الجمع بكونه جمعاً حقيقة مراداً به متعدد مفرده كما لايخفى. واذا شاع الامران فى استعمال العرب العرباء لم يثبت اختصاص كما لايخفى .

ولايخفى ايضاً ان من صفات الجموع ما يثبت له ولافراده ولايبقى فرد الا وهوواجد لتلك الصفة ،كما فى قولك «الرجال العلماء » فالعالمية معنى يثبت لعنوان الرجال، ولكل رجل رجل منهم .

والنسبة الى المجموع انما يثبت من جهة الانتساب الى الآحاد كما هوواضح، ومنها ما يثبت للجمع ولايثبت لآحاده فيلاحظ فيه المجموعية ونحو ذلك ، ولفظ معدود فى وصف الايام من ذلك ، اذ لايراد من المعدودية الدخول فى العد

والحساب حتى يكون كل يوم منهما مما أحاط به العد والحساب ولم يبق خارجاً عن التعديد ، بل المعدود في مثل المورد شبه الكناية عن القلة يذكر تقليلا واستقلالا للمذكور وترغيباً للمكلف في الاطاعة بالايماء الى أن ذلك ليس بكثير فيصعب و يطول وانما هو شهر لاشهور مثلا، وفي ذلك الوصف معنى ثابت لخصوص المجموع فقط ، فلا يجمع مثل هذا الوصف و لو جمع لم يكن جمعيته لجمعية الموصوف

فان ذلك الجمع انما يصح فيما ثبت آحاده لاحاد الموصوف لامطلقا ، و الثبوت المذكور في المورد ممتنع كما عرفت ، فالجمع في قوله «الأياماً معدودات» ليس لجمعية الموصوف ويقرب أن يكون للاشارة الى تعدد قائلي هذا القول، فأيام مس النار لكل من هؤلاء معدودة وجماعة أيام ،وانما يجمع فيقال «معدودات» فيضم ايام كل الى أيام الاخر وهكذا ، نظير ما قيل في «رب ارجعوني » من أن الجمع للاشارة الى أنه يقول ارجعني ارجعني فلاحظ .

* * *

قال : اما الكلام المبتور فهو في القرآن كثير جداً ، لكنا نقتصر من أمثلته على القليل ، قال في سورة الحج آية ٢٥ «ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد» فهذه الاية تعاب من وجهين : احدهما انه عطف فيه المضارع على الماضي فقال « ان الذين كفروا و يصدون » وكان .... (١) في هذا الموطن ان يقول وصدوا ، والثاني انه لم يأت بخبران فلم يتم الكلام بل بقي سامعه منتظراً شيئاً .

ثم اردف هذه الاية بقوله «ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم » فهذا ايضاً كلام ناقص ، لانه جاء فيه بفعل متعد وهو يرد ولم يأت بمفعوله ، ثم قال «نذقه من عذاب اليم» وكان المقام يقتضي أن يقول العذاب الاليم أو عذاباً اليما بحذف من التبعيضية ، اللهم الا ان يكون أراد التبعيض ، فيصح حينئذ من الكلام

---

(١) في الاصل بياض هنا .

مبناه لكن يفسد مغزاه او تذهب النكتة المرادة و هى الوعيد الشديد لمن يريد فيه بالحاد بظلم ، فيطمع فى أنه لايصيبه الا بعض العذاب الذى يستحقه .

اقول : ايضاح الحق فى امور :

(الاول)ان حذف الخبر من طرق الايجاز وترك الاطالة ، وشرط اصل الحذف قابلية المقام بمعرفة السامع للمحذوف بواسطة قرينة حالية أو مقالية سابقة أومقارنة اولاحقة ، ووجود الداعى الى الحذف كالاحتراز عن شبه العبث واختيار الاختصار وارادة الاختبار وغير ذلك من حكمة ، وهل يتوهم احد أن قوله :

قال لى كيف أنت قلت عليل | سهر دائم و حزن طويل

كلام مبتور ، وقوله :

رمانى بأمر كنت منه ووالدى | بريئاً و من أجل الطوى رمانى

وقوله :

فياقبر معن كيف وأريت جوده | و قد كان منه البر والبحرمترعا

وقوله :

ان محلا و ان مرتحلا | و ان فى السفر اذ مضوا مهلا

وقوله :

لهفى عليك للهفة من خائف | يبغى جوارك حين ليس مجير

وقوله :

من صد عن نيرانها | فأنا ابن قيس لابراح

وقوله :

اذا قيل سيروا ان ليلى لعلها | جرى دون ليلى مائل القرن أعضب

أى مجير لها لعلها قريبة لابراح لى . وقولهم «ان مالا وان ولداً» وقول الاعرابى لما قيل له الزبابة (١) الفارة «ان الزبابة ان الفارة» والحديث لما قيل له صلى الله عليه

---

(١) الزبابة فارة حماء يضرب بها المثل فيقال : «اسرف من زبابة» ويشبه بها الجاهل – الصحاح .

وآله: ان الانصار قد فضلونا وآوونا وفعلوا بنا . فقال : ألستم تعرفون ذلك؟ قالوا بلى. فقال: ان ذلك .

وقول عمر بن عبدالعزيز لمن مست اليه بقرابة « ان ذلك » فلما ذكر الرجل حاجته قال له : لعل ذلك .

وبالجملة فكل أشباه هذه اخبارات مبتورة لم يعرف المخاطبون بها المرادات بها . نعم الزبابة لابد تحتاج الى التصريح والتنصيص والاطالة . وقوع الخلاف في المحذوف في بعض الموارد لا يدل على عدم حصول التفهيم والتفهم عند الخطاب بل قد يكون الابهام على هذا الوجه من دواعي الحذف خصوصاً بعد فهم من قصد افهامه كما لا يخفى .

(الثاني) ان واو العطف ان أفاد الجمع لم يمتنع أيضاً تخلله بين الماضي والمضارع ، ضرورة ان مقتضاه ان الفاعل يجمع بين الفعلين اوأن الفعلين لهما اجتماع ولو لحظا باعتبار اجتماع ما، وذلك لا يتوقف على اتحاد زمانهما كما لا يخفى .

وقال نجم الائمة : ويعطف الماضي على المضارع وبالعكس خلافاً لبعضهم وقال ابن مالك :

وعطفك الفعل على الفعل يصح

ومنهم من قيد كلامه باتحاد زمانهما ، وهو كما ترى بل ينص بالجواز في مورد المنع ، اذ لا يتوهم عدم صحة عطف الفعل أوعليه بما هو فعل ، مع أن وحدة الزمان لا يصح اشتراطه، لصحة «جاء زيد يوم السبت ورجع يوم الاحد» اذا قلته يوم الاثنين وبعده . واذا لم يعتبر الوحدة الحقيقية فأي دليل على اعتبار الماضوية والاستقبالية المطلقة وكفايتهما وان تغاير زمان الحدثين ـ فلاحظ .

ومنهم من جعل جملة «ويصدون» حالية عن فاعل كفروا ، ولا اشكال عليه .

(الثالث) ان مفاد« كفروا» في الاية ونظائرها لا يساوق مثل قتلوا ونحوه مما يتحقق في زمان وينعدم بعده وقبله ، ويكون اللفظ اشارة الى وجوده الخاص ، بل

ولاالجزاء في موارد ذكره للذين كفروا ولاالذم ونحوه يكون ناظراً الى خصوص وجوده السابق على حال الكلام ، بل المدار في الجزاء ونحوه اما الى وجوده المستمر أوخصوص الحالي منه وان كان قداستمرمن الزمان السابق فهومع ماضويته اللفظية لايكون زمانه ممايغايرزمان الصد عن سبيل الله، لوضوح ان المراد في قوله «ويصدون»هوالصد الموجود حال نزول الاية أوهو من بيان العادة والشغل ، ولايراد منه خصوص ما يتحقق منهم في مستقبل زمان نزول الاية كي يجعل ذلك من عطف الاستقبالي على ماض سبقه بل الكفرباستمراره،لوضوح خروج مايكون في الماضي فقط عن مورد الوعيد واللوم بلحاظ،الصد الحالي ،ويتحدزمانهما في الجملة ويتلائمان ولايختلفان ويصح العطف .

ويؤيد ماذكرناه أن آيات عطف ذلك كان بمرئى المانعين ومسمع منهم ولم يخدشوا في العطف فيها ، وليس ذلك الالمثل هذا التأويل في نظرهم فلاحظ .
فلاحاجة الى دعوى أن المضارع بمعنى الماضي ولاالاستشهادله بقوله «ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله» الخ ، مضافاً الى ما فيه من ان استعمال المضارع في الماضي لم يثبت، وتمام الشهادة مع اتحادوقت الايتين والمضارع أفيد كمالايخفى. مع جريان ماذكرناه في كلمة كفروا ههنا ايضاً ، ويتبعه «وصدوا» خصوصاً بعدما علم من كون الصداذا قدروا عليه من شعار الكافرين ، كماأن دعوى ان المعنى كفروا سابقاً وهم الان يصدون تأويل لاحاجة اليه أومخدوش في ماضوية كفروا كماعرفت .

(الرابع) ان دعوى ابقاء السامع منتظراً للخبر كما ترى ، لوضوح أنه لم يبق محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينتظر شيئاًيلتحق بهذه الاية يكون خبراً ، والا سأل عنه بعد مضي وقت الالتحاق ولاالسامعون لعين ذلك .

وانتظارمثل النصراني لايخل بتمامية الكلام فان عدم فهم الجاهل بالقرينة وانتظاره لايوجب نقصان الكلام ولاعيباًفيه اذاكان خارجاً عمن قصد افهامه وتفهيمه . ولاينافي ماذكرناه حجية الظواهر بالنسبة الى غير من قصد افهامه أيضاً كماهو واضح لايخفى .

(الخامس) الخبر المحذوف قال أمين الاسلام «ره» يدل عليه قوله «ومن يرد

فيه» الخ ، والمعنى ان الذين كفروا نذقهم من عذاب اليم ومن يردالخ نذقه ، ومنهم من قال يفهم من ذيل الاية وهو قولنا معذبون .

ونقل نجم الائمة عن بعض ان جملة «يصدون» خبرية والواو زائدة. ويرده أن صدهم لم يكن مجهولا لاهل الاسلام حتى يذكر على وجه الاخبار عن الكفار، مضافاً الى مافى دعوى زيادة الواو فى الخبر فلاحظ .

(السادس) ان المفعول فضلة يجوز حذفه ، ومنه قوله :

حميت حمى تهامة بعد نجد   وما شيء حميت بمستباح

وقوله :

قد أصبحت ام الخيار تدعى   على ذنباً كله لم أصنع

وقوله :

و اقبلت زحفاً على الركبتين   فثوب نسيت و ثوب أجر

ولايكون حذفه موجباً لنقصان الكلام والاختلال بالمرام ، لانه انما يعرف بعد وضوح تعلق الغرض بتفهيم الخبر عن الفعل بمفعوله ولم يكن عليه قرينة ، اذ بعد وضوح القرينة الدالة عليه أيضاً يكون بحكم المذكور ، وأغراض الكلام المذكور فيه الفعل لاتنحصر فى ذلك، ويصح حذف المفعول ويحسن لاغراض مذكورة فى محلها ، ومنها التعميم وهو الجارى فى المورد .

والبيان الرافع لظلام الأوهام فى المقام: أن لفظ «يرد» ربما احتمل فيه صيغة الثلاثى من ورد فيختص بالوارد من الخارج وهو كما ترى ، بل هو مضارع أراد و هو من الرود بمعنى الطلب والأرادة بمعنى المشية. وعلى أى حال فهى من مقدمات الافعال، وهى من الامور القلبية التى ليست مورد تلك الاحكام والاثار والمقام ليس مجال بيان ذلك، الأن ذكر الارادة فى الاية ليس لارادتها ، بل المدار على نفس الفعل لا مقدماتها وهو الموجب للعقاب لاغيره ، فذكرها اما للاشارة الى أنها تؤدى الى الفعل فى الغالب أو للمبالغة فى التنزه عنه ، فالموضوع الواقعى فاعل المحرمات الشرعية

مفعول الارادة آحاد عناوين تلك الافعال كما لايخفى .

وحذف المفعول يفيد العموم وعدم الاختصاص بشيء نظير عموم قولك «فلان يعطى» الشامل لكل قابل للاعطاء . والالحاد الميل والاعراض ونحوهما قال الجوهرى الحد في دين الله أى حاد عنه وعدل . وقال الفيروز آبادى : والحد مال و عدل ومارى وجادل. وعلى أى حال فليس الالحاد فعلا خاصاً من بين أفعال الجوارح كى يصلح لكونه مفعولا للارادة فيحكم بزيادة الباء كما صدر عن الجوهرى وغيره، بل هو عنوان يتحقق في ضمن الافعال البدنية قال:

قدنى من نصر الخبيبين قدى ليس الامام بالشحيح الملحد

وهذا العنوان لايتوقف اصل تحققه ولا ترتيب الاثار عليه على ارادية نفسه بل يكفى ارادية مايتحقق فى ضمنه وعلى اى حال فكون الالحاد معنى قد يقارن الافعال وقد يفارقها يدلّ على ان الباء فيه للملابسة نظير ما في قولك «دخلت عليه بثياب السفر» وحاصل المعنى من فعل في المسجد الحرام فعلاً مقروناً بعنوان الالحاد والميل عن دين الله أى من محرمات الله كان من غير فرق بين تلك الافعال نذقه من عذاب اليم

و اصل ذكر الاذاقة يدل على أن ما يصل الى هؤلاء بعض من الكل لا كل العذاب كما هو واضح ، والالم يكن اذاقة . والاذاقة والذوق لايكونان الابتناول البعض فقط « ذوقوا فتنتكم » ، « لذائقوا العذاب الاليم » ، « ولئن اذقناه رحمة من بعد ضراء مسته» - وصحة التعبير لايتوقف على ازيد من وجود العذاب الكثير وهو معلوم ، بل الاختلاف فى مراتب العذاب والتأثر منه ممايرشد الى أن كل مايتناوله كل واحد من العصاة بعض من كل العذاب. وورودہ على واحد كان ممكناً فى العقل من حيث نفس الورود وان كان تناول كل بقدر استحقاقه لأزيد ولا أقل والقدر المستحق فى كل واحد انما هو ذلك البعض لأنه يذوق بعض مايستحقه كما توهمه النصرانى.

ثم ان المتعارف ذكر مثل ذلك فى مقام التعظيم ، نظير التصغير للتعظيم كقولهم «دويهة تصغر منها الانامل» ، لأن يراد به اقل القليل من الكثير كما هو ظاهر اللفظ فى غير المورد ، ونظيره «فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف» «واذاقهم الله الخزى فى الحيوة الدنيا» وقوله «وأذقت اعداءك هواناً وعقاباً وابرت العتاة وجحدة

الحق» فتوهم كون «من» منافياً لنكتة التشديد كماترى خصوصاً بعد ماكان المذوق القدر المستحق المبين فى سائر الموارد فلاحظ .

ثم فى بعض الروايات «كل ظلم الحاد» وفى بعض «اراه الحاداً» وفى بعض «من فعل كذافقد ألحد بظلم». ولعل الحاصل من الجميع اعتبار تحقق الالحاد فى ضمن ظلم ظلم فيه نفسه أوغيره ، وان الالحادفى ضمن غير المعصية ليس له هذا الاثر .

* * *

قال: وقال فى سورة القصص آية ٣٢ «وما كنت بجانب الطور اذناديناه ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما آتاهم من نذير من قبلك» فهذا كلام ناقص لايفيد معنى، ولذا قال المفسرون ان بين قوله لكن ورحمة فعلامحذوفاً تقديره علمناك، فما الذى اضطره الى حذف هذا الفعل وليس قد بقى من الكلام دليل عليه ، الاان يقال ان هذاليس البيان الّذى يعجزعنه البشر ويزيد معجزة القرآن وضوحاً .

أقول : قدعرفت فيماسبق أن لكن يقع بين كلامين يتخالفان ويفيد الاستدراك ودفع توهم ينشأ من الكلام السابق ، والامرهنا كذلك ، اذبعدمانفى كونه بجانب الطورعندالواقعة يتوهم جهله ماوقع فيوقت النداء ويرفع ذلك الوهم بلكن ومابعده، ولما كان علمه به من تعليم الله تعالى بحسب دعواه صلى الله عليه وآله بقرينة ماذكرمن القصة سابق الاية واضحاًلم يحتج الى ذكر علمناك وأوحينااليك رحمة ، واكتفى بذكر هذا المعمول الدال على عامله على سبيل الاجمال ، وصار نظيرقوله :

علفتها تبناً و ماءاً بارداً حتى غدت حمالة عينا ها

فى وضوح الجملة المحذوفة وانفهامها من الكلام .

وقوله «لايفيد معنى» من سوء الفهم. وقوله «فما اضطره» الخ من عدم العلم بالقواعد ، اذلاينحصر جواز الحذف فى مورد الضرورة و الاضطرار ، والقرائن تشترط وجودها فى الكلام العرفى والصادر فى مجلس التخاطب لاخصوص الكلام النحوى كما لايخفى. والاعجاز وعدم النظير لم يدع بالنسبة الى كل كلام من القرآن

«قل فأتوا بعشر سور مفتريات» . والحذف للقرينة فى كمال الوضوح ولاحاجة الى التطويل .

* * *

قال: وقال فى سورة البقرة ١٧ «مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضائت ما حوله ذهب الله بنورهم» قال المفسرون : ان الذى بمعنى الذين ، واستشهدوا لذلك لابشاهد من كلام العرب بل بكلام القرآن نفسه ، اذقال «وخضتم كالذى خاضوا» اى كالذين خاضوا ، وهذا احتجاج ضعيف فضلاعن أنه لوأراد بالذى فى الموضع معنى الذين لقال الذى استوقدوا كماقال الذى خاضوا، ولكنه قال استوقد بالافراد وبقى الكلام بعدذلك ناقصاً لسقوط جواب لما، الاأن المفسرون لايعجزهم شىء من التأويل ، قالوا ان الجواب محذوف للايجاز وأمن اللبس ، فأى ايجاز اشداخلالا بالبلاغة من هذا الايجاز ، أم كيف يؤمن اللبس والسامع لايدرى ماهو المحذوف لعدم الدلالة عليه ممابقى من الكلام. وقدقرر ائمة البيان منهم أن مالايفهم الابذكره لايجوز حذفه ، ولاشىء اذا كان هذا المحذوف ممايوقع فى الكلام لبساً ويزيله عن معناه ويخيله تغيير المرادمنه ، فانجاز تأويل المفسرين لم يبق رطانة ولا . . . (١) الاويمكن عدها من البلاغة .

أقول : الكلام مرة فى الاية الشريفة وأخرى فيماحكاه عن المفسرين .

اما الاول ، فهوانه ربما يتوهم فيها اشكال من ناحية تمثيل الجمع بالواحد ، وهو كما ترى ليس اشكالا يعتدبه، لوضوح أن التمثيل والتشبيه لم يقع على الاشخاص وانماهو تمثيل الحال بالحال ، ولامانع مـن تمثيل حال جماعة بحال واحد واضح الحال، اذالممثل من هؤلاء الجماعة فى الحقيقة شىء واحد اشترك هؤلاء كلهم فيه ، وهو نفاقهم باظهار الايمان خلاف ما يضمرونه فى قلوبهم الموجب لعدم انتفاعهم بالايمان

---

(١) بياض فى الاصل

وقت الحاجة اليها وفوات المنافع عنهم فى ذلك كهذا المستوقد كما لايخفى .

ووجه آخر: ان افراد الذى لايقتضى أزيد من أن المراد به شىء يصح فيه وصفه بالفردية والوحدة والمعانى الجنسية ممايصح فيه ذلك كالجمع والجيش ونحوهما، ولاظهور له فى ارادة خصوص واحد من الاعيان الخارجية كما لايخفى . واذا أريد منه ذلك افرد ضميره أيضاً ، الاان ذلك لايمنع عن ارجاع ضمير الجمع اليه فى وقت بملاحظة كون هذا المعنى ملتئماً عن الأشخاص العديدة اوطبيعة متحققة فى ضمنها ، اذالضمير لايعتبر فيه أزيد من انفهام المرجع فى السابق بوجه. والأمر فى تعدد افراد الجنس ومصداق الجمع والجماعة ونحوهما كذلك .

وهذا الاختلاف نظير الاختلاف الذى ذكرناه سابقاً من جهة مراعاة اللفظ والمعنى ولاوجه للاشكال فيه عزقوله تعالى فى سورة الزمر ٣٣ «والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون».

ووجه آخر : ان يكون فى الكلام حذف مضاف أقيم المضاف اليه مقامه ، وقدأسلفنا الكلام فى مثل ذلك ايضاً، أى كاتباع «الذى استوقد ناراً» .

(واما الثانى) فماحكاه عن المفسرين الظاهر فى ارادة الكل كما لايخفى كذب وخطأ مفسر لايوجب الخدشة فى القرآن كما هو واضح. ومع ذلك فالعبارة المحكية تقبل التوجيه بأن المراد به الجمع ، نظير ما ذكرناه .

وأما وقوع «الذى» موقع الذين فلاينكر ولاينحصر شاهده فى القرآن قال:

وان الذى حانت بفلج دماؤهم   هم القوم كل القوم يا ام خالد

ويقرب منه قوله :

قومى اللذو بعكاظ طيروا شرداً   من رؤس قومك ضرباً بالمصاقيل

فادعى حذف النون فى هاتين كما حذف فى التثنية فى قوله :

ابنى كليب ان عمى اللذا   قتلا الملوك و فككا الاغلالا

وقوله :

هما اللتا لو ولدت تميم لقيل فخر لهم صميم

ونجم الائمة سلم التخفيف فى الاخيرين وقال فى الاولين : ويجوز فى هذا أن يكون مفرداً وصف به مقدر مفرداللفظ مجموع المعنى ، أى وان الجمع الذى او ان الجيش الذى ـ الى أن قال ـ وهذا كثير، اعنى ذكر الذى مفرداً موصوفاً به مقدر مفرداً للفظ مجموع المعنى. وأما حذف النون من الذين نحو «جائنى الرجال الذى قالوا كذا» فهو قليل كقلة اللذا فى المثنى ـ انتهى وصراحة كلامه فى الجواز لايخفى

واما آية «وخضتم كالذى خاضوا» كأنه سلم كون الذى فيها بمعنى الذين كما قاله بعضهم أيضاً ، والراجح عندى فيها أن الموصول بمعناه الا فرادى وأن المعنى كالخوض خاضوا وان العائد اليه محذوف لانه المرفوع المتصل كى يكون دليلا على جمعية المعنى كما توهم ، فالتشبيه فى الخوضين لافى الخائضين . ونظير ذلك قول على عليه السلام «نزلت انفسهم منهم فى البلاء كالذى نزلت فى الرخاء» اى نزولا كالنزول الذى نزلته فى الرخاء .

وأما الكلام فى جواب لما فلما تدل على وقوع شىء لوقوع غيره، وفيه معنى الظرف كما قيل والعامل فيه جوابه. ومنهم من زعم أن حق العبارة فى الآية فلما أضائت ماحوله طفئت أى طفئت حين أضائت، وانما قال ذهب الله بنورهم ولم يقل بنارهم لكونه المقصود من النار لافائدة أخرى غير النور، فلم يحصل مشاكلة الجواب لاصل القضية فأقيم اذهاب النور مقام الاطفاء فحذف هو للايجاز وامن اللبس وحذف هذا الجواب أى غائلة فيه واى لبس وأى جهالة فلاحظ .

وقال بعضهم فى اعراب «ذهب الله بنورهم» جواب لما والضمير للذى وجمعه للحمل على المعنى ، أو استيناف أجيب به اعتراض سائل ثم شبه حالهم بحال المستوقد، أوبدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف للايجاز وأمن اللبس، وليس فيه جزم بالحذف ولامانع من كون «ذهب

الله» جواب لمابعد وضوح كونه كناية عن اطفاء النار غيرتوهم مانعية الا ختلاف بالافراد والجمع أوتوهم رجوع ضميره الى غير الموصول وعدم قابليته للمرجعية له وكل ذلك قداتضح جوابه ، والايجاز ايجازقصر وايجاز حذف ، و المحذوف جزء جملة مضاف أوصفة أوشرط أو جواب شرط اما لمجرد الاختصار أو ليذهب السامع كل مذهب أو جملة مسببة عن مذكور أو سبب أو غيرهما. ويجوز حذف الموصول كقوله :

أمن يهجورسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

وقوله :

ماالذى دأبه احتياط وحزم وهواه اطاع يستويان

وحذف صلته كقوله:

وعند الذى واللات عدنك احنة عليك فلا يغررك كيد العوائد

* * *

قال : وقال فى سورة يوسف الاية ١٥ « فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لايشعرون» قال المفسرون ان جواب لما فى هذه الاية محذوف وتقديره فعلوا به مافعلوا وعند . . . (١) انالواو العاطفة فى قوله «وأوحينا» فان حذفت استقام المعنى .

اقول : ويتضح الكلام فى ضمن أمور :

(الاول) انلماالداخلة على الماضى قدوقع الخلاف فيها : قيل ظرف بمعنى اذايستعمل استعمال الشرط كمايستعمل كلما ، وقال نجم الائمة من قال ظرف قال وضع وضع كلمة الشرط مع جملتها للغرض الذى ذكرناه فى اذا ، وقال فى اذا وانمارتب اذا والموصول والجملتان بعدهما ترتيب كلمتى الشرط وجملتى الشرط والجزاء وان لم يكن فيهما معنى الشرط ليدل هذا الترتيب على لزوم مضمون الجملة الثانية

---

(١) بياض فى الاصل.

لمضمون الجملة الاولى لزوم الجزاء للشرط ـ انتهى، وقيل بمعنى حين، وقيل بمعنى اذ، وعن سيبويه تشبيهها بلو، ونص ابن خروف بأنها حرف. ولامهم لناهنافى تحقيق تلك الاقوال والكلمات، الأن من الواضح ان مثل تلك الاختلافات لايوجب قدحاً فى الكلمة ومعناها المستفاده منها فى الاستعمالات العرفية كما هوواضح.

(الثانى) ان لماهذه تقتضى جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود الأولى وان لم يكن على وجه الترتب والارتباط الموجود فى القضايا الشرطية، وتسمى الثانية جوابية. ووقع الخلاف أيضاً فيما يقع جوابالها قيل يكون ماضياً باتفاق وجملة اسمية مقرونة باذا الفجائية اوبالفاء عند ابن مالك وفعلا مضارعاً عند ابن عصفور، وقال نجم الائمة ويليه فعل ماض لفظاً ومعنى أولم يفعل وجوابه ايضاً كذلك أوجملة اسمية مقرونة باذا الفجائية أومع الفاء، وربما كان ماضياً مقروناً بالفاء، وقديكون مضارعاً ـ انتهى.

ولكل قول دليل ربما اجاب عنه خصمه، ومما قيل فى جواب جوازالفاء ان الجواب محذوف وجعل ذلك احتمالا فى دليل المضارع أيضاً، وقال نجم الائمة وهذه الاحرف الثلاثة تجيء عند الاخفش زائدة والبصريون يؤلون فيما يمكن فيه التأويل صيانة للحرف عن الزيادة، اما الواو فمثل قوله تعالى فى سورة الصافات ١٠٣ «فلما اسلما وتله للجبين وناديناه» قال البصريون جواب لما محذوف، أى وتله للجبين وناديناه كان هناك مالايوصف من الطاقة، وكذا قوله:

فلما أجزنا ساعة الحي وانتحى ‏ ‏ ‏ ‏ بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل

واما قوله:

ولما رأى الرحمن أن ليس فيهم ‏ ‏ ‏ ‏ رشيد و لاناء أخاه عن العذر
وصب عليهم تغلب بنت وائل ‏ ‏ ‏ ‏ فكانوا عليهم مثل راعية البكر

فالمعنى غضب وصب بحذف المعطوف عليه. وقال امين الاسلام والكوفيون يقولون الواو فى «واجمعوا» مقتحمة، وتقديره اجمعوا، ولايجيز البصريون اقحام

الواو و قالوا لم يثبت ذلك بحجة ولاقياس ، ومما أنشده الكوفيون فى ذلك قول الشاعر :

حتى اذا قملت بطونكم(١) و رأيتم ابنائكم شبوا
و قلبتم ظهر المجن لنا ان اللئيم العاجز الخب

وقول أمرىء القيس:

فلما أجزنا البيت قالوا أراوانتحى والبصريون يحملون الجميع على حذف الجواب

(الثالث) ان لما هذه قد أجريت فى الاستعمال مجرى أدوات الشرط فى لزوم الجملتين كما عرفت بمجرد وجود الترتيب وان لم يكن فى البين تعليق ، نظيرما فى ادوات الشرط و تاليتها ، فلابد يجرى فى تاليتها حكم تالى الادوات . و قال ابن مالك :

والشرط يغنى عن جواب قدعلم والعكس قد يأتى اذ المعنى فهم
واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما اخرت فهو ملتزم
و ان تواليا و قبل ذو خبر فالشرط رجح مطلقا بلاحذر
و ربما رجح بعد قسم شرط بلا ذى خبر مقدم

قال فى باب العطف « وحذف متبوع بدا هنا استبح» والمعلومية المشروطة بالنسبة الى المخاطب ومن قصد افهامه ومثلهما لاالى كل احد وفى كل زمان كما لايخفى .

(الرابع) ان الجواب المحذوف قيل انه فعلوا ما فعلوا وقال امين الاسلام وتقديره عظمت فتنتهم أو كبر ما قصدوا له، ومن الواضح أن حذف الجواب هنا للستر على الاخوة قبيح ماعزموا عليه فى امر اخيهم وهو القتل، فهو تعظيم لما ترب على ذهابهم به .

* * *

قال : اما الكلام الزائد زيادة تخل بالبلاغة أو تجعل المعنى الى غير مراد

---

(١) يعنى كثرت قبائلكم ـ الصحاح .

قائله فهو كثير جداً فى القرآن لكنا نقتصر على القليل من امثلته: فمن ذلك قولهفى سورة القيمة «لااقسم بيوم القيمة ولااقسم بالنفس اللوامة» قال المفسرون ان حرف النفى فى الجملتين زائد ، فهو اذاً لغو فى كتاب حقه أن يكون منزهاً عن اللغو ، ولكن يلزم من زيادته ههنا انه قسم ولم يأت بجواب القسم فصارت الاية تعاب بالزيادة فى أولها والنقص فى آخرها .

ومن ذلك قوله فى سورة الحديد ٢٨ «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به لئلا يعلم اهل الكتاب ان لايقدرون على شىء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم» فلا فى قوله لئلا والاصل لان لازائدة ، لان المفسرين يزعمون انه اراد يقول ليعلم أهل الكتاب الى آخرها ، الا ان هذه الزيادة عكست معنى الكلام واحالته الى غير مراد قائله. ثم ان فى هذه الاية نكتة يعجز عن ادراك معناها من لم يكن من الراسخين فى العلم وهى امره الذين آمنوا أن يتقوا الله ويؤمنوا برسوله ، فانهم ان كانوا حقيقة قد آمنوا كما دعاهم فقد اتقوا الله وآمنوا برسوله والافما هم بمؤمنين .

اقول : لابأس بالاشارة الى أمور :

(الاول) فى الزيادة وحروفها . قال ابن الحاجب فى الكافية: حروف الزيادة ان وان وما ومن والباء واللام، ثم اشار الى موارد زيادتها والقلة والكثرة. وفى المفصل ومن أصناف الحروف حروف الصلة ، وهى ان الخ . يعنى بحروف الصلة حروف الزيادة سميت حروف الصلة لانها يتوصل اليها الى زنة أواعراب لم يكن عندحذفها ومعنى زيادة تلك الحروف فى مواردها ان لم يردمنها معانيها الموضوعة لها فانها كلها من حروف المعانى ، وليس معنى زيادتها أن لا فائدة لها كى تلغو كما زعمه الخصم قال ابن هشام الزائدة الداخلة فى الكلام لمجرد تقويته وتوكيده، وقال ابن الحاجب والزيادة فيها معنى التأكيد ولاتخرج بقوة دلالة الكلام بها عن أن تكون زائدة.

وقال نجم الائمة بعد لزوم فائدة اما لفظية أومعنوية أما القاعدة اللفظية فهى تزيين

اللفظ وكونه بزيادتها افصح اوكون الكلام والكلمة بسببها مهيئاً لاستقامة وزن الشعر اولحسن السجع اوغير ذلك من الفوائد اللفظية والمعنوية ولايجوز خلوها من الفوائد اللفظية والمعنوية معاً والا لعدت عبثاً ولايجوز ذلك فى كلام الفصحاء ولاسيمافى كلام البارى وانبيائه وائمته وقدتجتمع الفائدتان فى حرف وقد تنفرد احداهما، سميت حروف الزيادة لانها قد تقع زائدة لانها لاتقع الازائدة، وسميت ايضاً حروف الصلة لانه للتوصل بها الى زيادة الفصاحة والى اقامة وزن اوسجع اوغير ذلك. انتهى.

و قال فى اواخر المبحث: والعجب انهم لايرون تأثير الحروف تأثيراً معنوياً كالتوكيد فى الباء و دفع الاحتمال فى لاهذه و فى من الاستغراقية مانعاً من كون الحرف زائداً ، و يرون تأثيرها تأثيراً لفظيا لكونها كافة مانعاً من زيادتها ـ انتهى

وهو ميل الى عدم الزيادة ، وفيه ان ليس ذلك مماوضع له اللفظ ولامما استعمل فيه ، وانماهو من غرض الاتيان به فتأمل.

(الثانى) فى جملة من موارد زيادة تلك الحروف.

منها قوله :

ما ان اتيت بشئ انت تكرهه   اذن فلارفعت سوطى الى يدى

وقوله :

فما ان طبنا جبن ولكن   منايانا ودولة آخرينا

وقوله :

يرجى الغنى ماان لايراه   وتعرض دون أدناه الخطوب

وقوله :

ورج الفتى للخير ما ان رأيته   على السن خيراً لايزال يزيد

وقوله :

الا ان سرى ليلى فبت كئيبا   احاذر ان تنأى النوى بغضوبا

وقوله :

ما ان جزعت ولاهلعت   ولايرد بكائى زيداً

ومنها قوله :

فأقسم انلو التقينا و انتم لكان لكم يوم من الشرمظلم

وقوله :

اما والله ان لو كنت حرأ وما بالحرأنت ولا العتيق

وقوله :

يوماً توافينا بوجه مقسم كأن ظبية تعطوالى ناضر السلم

وقوله :

فأمهله حتى اذا ان كأنه معاطى يد فى لجة الماء غامر

ومنهاقوله:

فلما يبرح اللبيب الى ما يورث المجد داعياًاو مجيباً

وقوله :

فأطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدوديدوم

وقوله :

الا ليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا و نصفه فقد

وقوله :

ربما أو فيت فى علم ترفعن ثوبى شمالات

وقوله :

أخ ماجد لم تخزنى يوم مشهد كماسيف عمرو لم تخنه مضاربه

فلئن صرت لاتحير جواباً بما قد ترى وانت خطيب

وقوله :

لو بابانين جاء يخطبها زمل ماء انف خاطب بدم

وقوله :

ربما ضربه بسيف صقيل بين بصرى وطعنة نجلاء

وقوله :

ونتصر مولانا ونعلم انه كماالناس مجروم عليه وجارم

وقال ابن هشام وزادها الأعشى مرتين فى قوله :

اما ترينا حفاة لانعال لنا انا كذلك مانحفى وننتعل

ومنها قوله :

ويلجئنى فى اللهو أن لا احبه وللهو داع دائب غيرغافل

وقوله :

لو لم يكن غطفان لاذنوب لها الى لامت ذووا حسابها عمرا

قال الاخفش لازائدة يريد لهاذنوب.

وقوله :

ابى جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فتى لايمنع الجود قائله

وعن أبى على فى الحجة قال ابو الحسن فسرته العرب ابى جوده البخل وجعلوا لا حشو- انتهى .

وقوله

لا و ابيك ابنة العامر لايدعى القوم انى افر

وقول الراجز :

فى بئر لاحور سرى وما شعر

قال الجوهرى قال ابو عبيدة أى فى بئر حور ولازيادة . وقوله :

الانادت أمامة باحتمالى لتحزننى فلا بك لاابالى

ومنها قوله :

ومهماتكن عندامرىء من خليقة وان حالها تخفى على الناس تعلم

وقولهم «قدكان من مطر» .وقوله :

وينمى لهاحبها عندنا فماقال من كاشح لم يضر

ومنها قوله :

كفى ثعلا فخراً بأنك منهم ودهر لان امسيت من أهله أهل

وقوله :

الم يأتك والانبياء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد

وقوله :

مهمالى الليلة مهماليه أودى بنعلى وسرباليه

وقوله :

نحن بنو ضبة أصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

وقوله :

هن الحرائر لاارباب أخمرة سود المحاجر لايقرأن بالسور

وقوله :

تبلت فؤادك فى المنام خريدة تسقى الضجيع ببارد بسام

والحديث « كفى المرء كذباً ان يحدث بكل ماسمع » .وقوله:

فكفى بنا فضلا على من غيرنا حب النبى محمد ايانا

وقوله :

كفى بجسمى نحولا اننى وجل لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

وقوله :

أليس عجيباً بأن الفتى يصاب ببعض لما فى يديه

وقوله :

فلا تطمع أبيت اللعن فيها و منعكها بشىء يستطاع

وقوله :

فما رجعت بخائبة ركاب حكيم بن المسيب منتهاها

وقوله :

كابن دعيت الى بأساء داهمة فما انبعثت بمزور ولاوكل

ومنها قوله :

أم الحليس لعجوز شهربة ترضى من اللحم بعظم الرقبة

وقوله :

يلومونني في حب ليلى عواذلي و لكنها من حبها لعميد

وقوله :

وما زلت من ليلى لدن أن عرفتها لكا لهائم المقصى بكل مراد

(الثالث) انه اذا كانت حروف الزيادة ممايهتم النحاة بذكرها وضبطهاوبيان مواردها وتفاوت الوقوع فى تلك الموارد قلة وكثرة حسب مافصلوه فى مواضعه الكاشف عن اطلاعهم وعثورهم بها كثيراً حتى عرفوا القليل والكثيرمن مواردها وذكروا مثل ماذكرناه فى مقام التمثيل فى كتبهم والتعليل بنحوماذكر، كيف يتوهم كون الزيادة بعدم ارادة المعنى الموضوع له اللفظ من اللغو الذى ينزه عنه مثل الكتاب، أويتوهم كونها مخلا بالبلاغة .

واعجب الكل توهم كونه مخلا بالمعنى المقصود لتوقف ذلك على ارادة المعنى الموضوع له اللفظ ، وهويباين الزيادة كمالايخفى . واذاكان كل تلك الاحرف من حروف المعانى كيف يعقل عدم تفاوت المعنى المقصود بذكرها وحذفها كماذكره علماء النحو ومن حذا حذوهم ، بسوىأن لايكون فى الكلام من تلك الاحرف الا صورتها ، اذمجردصورة اللفظ لايغيرمعنى الكلام عن معنى المجردعنها كماهوواضح

(الرابع) فى الاقوال من المفسرين والمعربين : قال ابوعمر وفى التيسير قرأ قنبل «لاقسم بيوم القيمة» بغير ألف بعد اللام ، وكذا روى النقاش عن أبى ربيعه عن البزمى ، والباقون بألف ولاخلاف فى الثانى . وقال امين الاسلام «ره» قرأ القواس لاقسم والباقون لاأقسم ولم يختلفوا فى الثانى انه ولااقسم.

اقول والقواس من رواة ابن كثير وهكذا قنبل والبزى يرويا عن اصحابهما عن ابن كثير وهو اقدم القراء زماناً

وفى الكشاف قالوا ويعضده انه فى الامام بغير ألف . وكيف كان فقد قيل ان اللام

يجوز أن تكون التي تصحبها احدى النونين في الاكثر حكى ذلك سيبويه واجازه، ولم يلحق النون هنا كما لم يلحق اللام في قوله :

وقتيل مرة اثأرن فانـه   فرع وان اخاكم لم يثأر

وقوله :

تأتي ابن اوس حلفه ليردني   الـي نسوة كأنهن مقائد

فعلى ذلك فعل القسم استقبالي لا انشاء ، ويجوز أن تكون لحقت فعل الحال، ولذلك لم يلحقه النون التي هي علامة الاستقبال ، ولحوق النون اكثري لادائمي، والجمهور يجوز جوابية الحالي. وعن ابي علي في غير كتاب الحجة ان اللام زيادة لان لام القسم لايدخل على مايقسم .

اقول : لعل ذلك الجواب على مذاق الكوفية في حمل كل لام على جواب قسم محذوف ، و لام الجواب ما يتعقبه احدى النونين وقد يترك ، فقول ابي علي وجيه .

ولو قيل المعنى والله لاقسمن بيوم القيمة ،ففيه ان الاصل وان القسم على القسم الحالي من أعجب العجب كما لايخفى.

وعن ابن جني لام ابتداء ، والتقدير لانا اقسم و لعله متعين على هذه القراءة وعن الحسن انه قرأ الاية «وقال اقسم» بالاولى و«لم يقسم » بالثانية . وعن ابن ابي اسحق مثله وهو يحتمل قراءة اللام وان ذكر في لا ، وقيل في قراءة لاصلة ، وقيل عليه لاتكاد تزاد أولا. وتمحل بأن مجموع القرآن كالكلام الواحد ، و استشهد له بمالايغني . والاحسن انكار اشتراط وسطية محلها ، ويشهد له شعر امرىء القيس السابق «لاوابيك» الخ. وعن الزمخشري في كشافه الاترى الى امرىء القيس كيف زادها في مستهل قصيدته «لاوابيك» الخ.

.ومنه يظهر ما في دعوى اولوية قياس لا بما من قياسها بالباء «في بحسبك درهم» ومنهم من جعل لانا فية ورداً لكلام سبق من الكفار من قبيل انكار البعث ، ومنهم

من جعلها نافية للقسم بزعم ان القسم لا يفى بتعظيمه ، استشهاداً بقوله « وانه قسم لو تعلمون عظيم» وانت ترى ان تعظيم القسم غير تعظيم المقسم به، والذى يناسبه الاية الاول ، واما الثانى فانما يستفاد من نفس القسم كما لايخفى، كما ان دعوى ان القسم لايفى بتعظيمه كما ترى ، فان القسم للاغراض الاخر دون تعظيم المقسم به وقال «فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » اتراه وافياً بتعظيم الله تعالى اووارداً لمحض ذلك.

ومنهم من جعل لازائدة زيدت توطئة لنفى الجواب ، والتقدير لا اقسم بيوم القيمة لاتتركون سدى . وعورض بمثل « لا اقسم بهذا البلد » فان الجواب مثبت، فلا تتحد الموارد فى كون الجواب منفياً حتى يجعل زيادة لاتوطئة للنفى فى الجواب فى الكل .

وقال بعضهم والسرفى زيادتها التنبيه على جلاء القضية بحيث يستغنى عن القسم فيبرز لذلك فى صورة نفى القسم.

وقيل فائدتها التأكيد وتقوية الكلام. واعترض الزيادة بأن تخل بفصاحة قوله «ولااقسم بالنفس اللوامة» زعما زيادة لافيه ايضاً وشرطها سبق النفى فلاتزاد بعد الايجاب وقد عرفت ان قيل الثانية غير مزيدة و الشرط شرط الزائدة بعد العاطف المأتى به لبيان عدم اعتبار الاجتماع ، ولامانع من دخولها على المنفية الظاهر، فيكون حكمها حكم الداخلة على ابتداء الكلام فلاحظ.

و اقول : هذه الاية وقوله « لااقسم بهذا البلد » وقوله « فلا اقسم بمواقع النجوم » وقوله «فلا اقسم برب المشارق و المغارب» كلها على نهج واحد ، ومع ذلك قال نجم الائمة فى زيادة لا: وجاءت قبل المقسم به كثيراً للايذان بان جواب القسم منفى ـ الى ان قال ـ وجاءت قليلاقبل اقسم ، و عليه حمل قوله «لااقسم بيوم القيمة » الخ . و هو يشعر بكثرة ما رآه من موارد الزيادة فى القسم الاول و قلة الثانى بالنسبة الى الاول ، مع ان تلك الايات كلها على الزيادة عند جماعة . وقوله

«عليه حمل» الخ . يشعر بأن لايرتضى الرضى الزيادة فى الاية . و نعم ماضاء نجم الائمة (ره) اذمع وجود محمل لايحمل الكتاب على القليل فى لسان العرب .

وقال الزمخشرى فى الكشاف : ادخال لا النافية مستفيض فى كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس «لاوابيك» الخ . وقال عرمة الاسلمى « الانادت » الخ ، وفائدتها توكيد القسم . وقالوا انهاصلة ثم لم يرتضه ايضاً ، ولاداعى ايضاً الى الحكم بالزيادة لامكان كون لارداً لتوهم سابق على نزول الاية ونفيا للقسم ايذانا بوضوح الامروانما يقسم فى الخفى .

وكون الكلام على الاستفهام بمعنى ألا اقسم ويعرف الاستفهام المذكور من كيفية اداء الكلام نظيرقوله «قالوا جزاؤه من وجدفى رحله فهوجزاؤه» وكل ذلك يكون القسم معه اثباتيا مع كون لانافية ، ويناسبه ايضاً ما ذكره على بن ابراهيم القمى «ره» فى تفسيره يعنى اقسم بيوم القيمة واقسم بالنفس اللوامة، ولايكون صريحاً فى زيادة لا كما يناسب المحكى عن ابن عباس وغيره فلاحظ .

وفى شرح ديوان امرىء القيس:

لاوابيك ابنة العامرى   لايدعى القوم انى افر

لارد لشىء سمعه ، لان البيت اول القصيدة ، كأنه قيل فررت فقال مجيباً لا ، ثم ابتدأ فأقسم بقوله «وابيك» ثم بين ذلك بقوله لايدعى القوم انى افر . ومثل ذلك قول الطائى:

« اجل ايها الربع الذى بان اهله» ومثله قول ذى الرمة:

لاغيرأنا من تذكرها   وطول ما هيجنا نزع

اقول : يعنى ان قول الطائى تصديق لقول غيرمذكور، وقول ذى الرمة ايضاً مثله ، وقول امرىء القيس هذا مما نص جماعة من الفحول بزيادة لافيه ، و نصهم بذلك وفهمهم الزيادة لم يمنع الشارح عن هذا الحمل ، ومثل ذلك الحال فى الاية الشريفة ، فتسليم بعض لزيادة لافيها لايكشف عن الزيادة فى الواقع ولايمنع الحمل

على غيرها بعد ما وجد محمل ، وكان القرآن فى الغالب رداً لاوهام من خالف الاسلام وردعاً عنه كما لايخفى. كما يفهم الكلام المجاب فى شعر امرىء القيس من كلامه القسم بعدلافهكذا الكلام فى الاية ، اذيظهر من قوله تعالى «أيحسب الانسان» الايات أن الكلام المنكر بلاهذه ممايتعلق بالحشر والنشر كماهو واضح ، وهكذا الثانية أيضاًردلذلك الكلام الذى بحكم المسموع . ولما كانت الجملة الاولى جواباً مؤكداً بالقسم المذكور كررذلك الجواب المؤكد ، وفى تكريره بذلك الوجه تأكيد آخر كمالايخفى . والعاطف عطف المجموع على المجموع ، فكلتاهماردله مؤكد بالقسم .

(وأماالكلام فى جواب القسم) فاتفق أهل العلم على جواز حذفه اذاعلم ، وتلك الجمل يعرف منها الجواب على وجه أوفى من ذكره بصورة الجواب بما اشتمل عليه من التفريع ومثله ، وليس الانقيض الكلام المنكر ولايتوهم خفاؤه بعد ذلك حتى يلزم ذكره بصورة جواب القسم كمالايخفى .

ومن حذفه قوله :

واقسم لوشىء اتانا رسوله ... سواك ولكن لم نجدلك مدفعا

وقوله :

ان الكريم و ابيك يعتمل ... ان لم يجد يوماً على من يتكل

وقولها :

لئن كان ماحدثته اليوم صادقاً ... أصم فى نهار القيظ للشمس باديا

واركب حماراً بين سرج وفروة ... واعرض الخاتم صغرى شماليا

فان اللام فى لئن موطئة للقسم عندالكوفيين ، وان قالت البصرية بزيادتها، وكون المذكور جواب الشرط واضح . وقوله :

لئن نشيت بناعن غب معركة ... لاتلقناعن دماء القوم ننتقل

و أما قوله «واقسم لوالتقينا» الخ فالمذكور جواب القسم والمحذوف

جواب الشرط ، وحيث تعدد القسم لزم لكل قسم جواب ، فالمحذوف لمعلوميته جوابان لاجواب واحد .

(الخامس) ان من مواضع زيادة لامابعدأن المصدرية ، ومنه قوله «ويلجئني» الخ . قال نجم الائمة: وتزاد بعدأن المصدرية، وجاءت قبل المقسم به كثيراً للايذان بان جواب القسم منفي وجاءت قبل اقسم قليلاً وشذت بعد المضاف في مثل وقال ابن الحاجب في شرح المفصل: واما الاختزاد بعد ان المصدرية فمطلقا وبعد حرف العطف المتقدم عليه النفي وقبل اقسم قليلاً وشذت في مثل بئر لا حور سرى وما شعر

هذا وفي الكشاف بعدذكر الزيادة وقرىء لكي يعلم وكيلا يعلم وليعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وليعلم بقلب الهمزة ياء وادغام النون في الياء ، وعن الحسن لئلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء ورواه قطرب بكسر اللام ـ الخ .

وقال البيضاوي: ولامزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء، وقال بعضهم انماتدخل صلة في كلام فيه جحد وان لم يصرح به . وقوله « ان لايقدرون» مجحود في المعنى ، ولو أريد من الشيء المنفي قدرتهم عليه خصوص الامور المترتبة في الاية على الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله فصحة الجحدوعدم القدرة مابقوا على عنوان اهل الكتاب واضح ، وان قدروا عليهافي انفسهم بايجاد الايمان المؤدي الى الفوزبتلك الامور كما لايخفى .

وقيل لاهنا بحكم الاثبات ، حيث علل بعدم العلم بعدم القدرة ، و انتفاء هذا العلم بثبوت العلم بالقدرة. والحاصل ان جعل عدم العلم كناية عن نفي المعلوم ولو وجدمتعلق لتعلق به العلم ولم يتخلف عنه، ومن ذلك قوله في الحديث «أخبرني عما ليس لله وعما ليس عندالله وعمالا يعلمه الله» فأجاب على عليه السلام: بأن ليس له شريك ولاعنده ظلم ولا يعلم قول اليهود عزير ابن الله وقول النصارى المسيح ابن الله فجعل نفي العلم كناية عن انتفاء المعلوم والمطلب الذي لووجد لم يخرج عن علمه تعالى كمالايخفى .فكذاهنا لو كانوا يفوزون بتلك الامور لعلموها ولايعلمون فلايفوزون في حكم الله تعالى .

وقيل انضمير يقدرون راجع الى المؤمنين الذين آمنوا بمحمد صلى‌الله‌عليه وآله، واذالم يعلم اهل الكتاب الذين لم يؤمنوا عدم قدرة هؤلاء فقدعلموا قدرتهم

وقيل يفعل بكم تلك الامور لتبين جهلم وانهم لايعلمون ، ولعل مرجع ذلك الى أن الفعل بتأويل المصدر المنفى واللام للعاقبة فلاحاجة الى دعوى زيادة لا.

ثم ان العلم المذكور استقبالى، بدليل ان المصدرية ولم يبين وقته أزيد من ذلك وحيث ان الاجر والنور فى القيمة والعلم وجوداً وعدماً يترتب على ايتاء الكفلين وجعل النور فيكون القيمة وقت علم اهل الكتاب هذا وليس فى الدنيا ، فلايقال لايتفاوت حالهم فى العلم بوجود القرائن وعدمه ومثل ذلك ، فيشكل جعل ذلك غاية ، وبعد ذلك وأمثالها كيف تعاب الاية، وزعم العيب من زعم ارادة المعنى وهو ينافى الزيادة والغفلة عن وجه الصحة مع تلك الارادة أيضاً .

(السادس) ان الايمان المذكور اولا فى قوله «الذين آمنوا» يراد به المتعلق بغير نبوة خاتم الانبياء صلى‌الله عليه وآله بضرورة الامر به بعد فرض وجود ذلك الايمان وهو قرينة على خصوص المتعلق وعدم عمومه.واما حمل ذلك على الايمان فى الظاهر فيوجب اختصاص الاية بالمنافقين . ولعل ذكر الرسول فى الثانى ممايرشد الى أن ليس الاختلاف بينهما لكونه ظاهرياً والثانى باطنياً كما لايخفى ، بل ولا بالحدوث والدوام .

ثم ان الامر بالتقوى و عطف الايمان برسوله محمد صلى‌الله عليه و آله عليه بعد ذكر الايمان المذكور ، يدل على أن الايمان بمحمد قضية تقوى هؤلاء المؤمنين وانهم ان لم يؤمنوا به لم يتقوا وتركوا ماكان عليهم فى ايمانهم ودينهم ، وهو يدل على كون نبوته مذكورة فى كتبهم ومبشراً بهامن رسلهم .

وقوله «يؤتكم» جواب الامر والامر المترتب على تقواهم و ايمانهم بمحمد صلى‌الله عليه وآله .

وقوله «لئلا يعلم» الخ من بيان داعى ترتيب تلك الامور المذكورة على التقوى

والايمان بمحمد صلى الله عليه وآله. وفضل الله المذكور في تلك الاية يمكن أن يراد منه ما يعطاه هؤلاء الممتثلين لامره هذا لايقدرون عليه فلايفوزون به، وهو بيد الله تعالى جعله لهؤلاء دون من خالفهم، كما يمكن ان يشار به الى نبوة محمد، فكانوا يريدون أن تصير النبوة لغيره «صلى الله عليه وآله» ولايكون لاتباعه تلك الفضيلة فلا يقدرون عليه وتثبت النبوة لمن جعلها الله تعالى فلاحظ.

ثم ان قوله «لان المفسرين يزعمون انه أراد ان يقول ليعلم» الخ، يوهم ان قالوا ان وجود لا هنا من قبيل الغلط بسبق اللسان ونحوه، وهذا شيء لايتوهمه أحد من المفسرين فضلا عن جميعهم، بل ولاذو عقل ودراية، بل الزيادة في مواردها مما يؤتى بها قصداً وارادة لغرض افادة التأكيد ونحوه من دون ان يراد من اللفظ المزيد معناه الذي وضع لفظه بأزائه، وتراهم ينسبون فوائد الزيادة من النصوصية والعموم ونحوهما الى افادة المتكلم، ويفرقون بين مفاد كلامه المشتمل على الزيادة والخالي عنها ومقصوده من كل واحد من الكلامين. بل جعل نجم الائمة (ره) وجود الفوائد التي ذكروها منافياً للحكم بالزيادة، وان الحكم بها عنده كالاصطلاح وليس من حقيقة الزيادة، و حينئذ كيف يتوهم عاقل كون مواردها من قبيل الزيادة السهوية ونحوها

وقوله «الا أن هذه عكست معنى الكلام» الخ، جهل بمراد من حكم بزيادة لا، لما عرفت من أن الزيادة لاتجامع ارادة المعنى الموضوع له المزيد والعكس والاحالة انما يتوهم مع ارادة النفي ولم تحصل على فرض الزيادة. والجزم بمغايرة المفاد لمراد قائله غلط، حيث أن مراده انما يعرف من كلامه لأنه معلوم من الخارج يلزم تطبيق الكلام عليه كما لايخفى. وفرض المعلومية أيضاً لايزيد الجزم بالزيادة، واين هذا من القلب الى غير مراد قائله.

وقوله « فانهم ان كانوا حقيقة قد آمنوا» الخ، فيه جهل بمعنى الايمان وهو التصديق، ولابد له من متعلق يتعلق به من الوحدانية والرسالة ونحوهما والمصطلح ليس مراداً في تلك المقامات، والانطباق على المعنى الخاص والفرد المخصوص انما يحصل من ناحية ملاحظة خصوص المتعلق. ولبيان ذلك مجال آخر.

المقالة السادسة

قال بعض النصارى : ان القرآن يثبت ان محمداً صلى الله عليه وآله لم يجيء بالمعجزات، ففي سورة الرعد ٢٧-٢٩ «ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من أناب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب» وفي سورة العنكبوت ٥٠ «وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين» وفي الاسرى ٥٩ «وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا» .

ومن أجلها كذب المعجزات الواردة في الروايات بزعم كونها خلاف نص القرآن ،وقبله منه رجل أضله الله تعالى فقال لمحمد صلى الله عليه وآله أدلة ثلاثة يظهر من القرآن تشهد لنبوته الاول مطابقة تعاليم القرآن لتعاليم التوراة والانجيل كلية الكاشفة عن كون الكل كلام رب واحد ، الثاني فصاحة عبارات القرآن و بلاغتها بحيث يعجز عنه الانس والجن ،ففي سورة الاسرى «قل لئن اجتمعت الانس الجن» الآية ، الثالث معجزة لاثاني لها وهي شق القمر ، ففي سورة القمر « اقتربت الساعة وانشق القمر» .

فأجاب النصراني بعدم المطابقة في أمور يقولونها في شأن عيسى عليه السلام وان المسلمين لايقبلون الانجيل، وان حسن عبارات القرآن لابدان يقربه كل شخص

عالم الانه لايفيد فى اثبات دعوى محمد صلى الله عليه وآله لان فى كل لسان كتاب يوصفه أهل ذلك اللسان بالفصاحة والبلاغة وحسن العبارة كزند اوستا الزردشتيين وبيدمابين الهنديين وكتاب الأموات للمصريين القدماء، وليس عاقل يقبل كونها الهاماً ربانياً ، لان قضاياها ليست على ماينبغي وممزوجة بعبادة الاوثان وبضد تعاليم كتب الانبياء وخلاف شهادة العقل ، ولو كان حسن عبارة القرآن دليل الهيته لكان تلك الكتب مقبولة وهو بضد العقل السليم .

وشق القمر اختلاف رواياته يمنع عن قبوله ، ولو وقع أيضاً كيف يدل على رسالة محمد صلى الله عليه وآله ،لان رسول اله السماء لاينبغي أن يضر شيئاً من صنائعه بل لو عاب ذلك أصلحه ، لان الضرر بمال شخص ضد محبته مع أن وقوعه منه خلاف تلك الايات ، حيث دلت على أن لم يقدره على الاعجاز لئلا يهلك من أنكره .

وبعض المفسرين أعلم الاسلاميين فسره بوجه آخر يراه كل عاقل عالم على حسب عبارة القرآن موافقاً لقواعد الصرف والنحو ، فان الساعة القيمة كما يشهد له آيات ولم يقترب زمان محمد، فليس معنى الاية جاءت القيمة وانشق القمر بل المعنى اذا قربت القيمة انشق القمر، فالماضي بمعنى المستقبل كما يقع كثيراً فى كلام العرب بل فى الفارسي ايضاً ، وليس ذلك اخباراً بالغايب أيضاً حيث لايعلم صحته وعدمها قبل القيمة ، مع أن بنت امرىء القيس قالت لفاطمة بنت محمد صلي الله عليه وآله ان اباك سرق هذه الاية من ابى وقصيدته محفوظة الى الان :

دنت الساعة وانشق القمر   عن غزال صاد قلبى ونفر

القصيدة . بل ذكر ذلك مرتين ولايفترقان الا أن الاية اقتربت وفى القصيدة دنت ، وبعض ألفاظ القصيدة داخل فى السورة لان محمداً استحسن صوتها ،وليس امرىء القيس اخذها من القرآن ، لان علماء الاسلام يقرون بموت امرىء القيس قبل البعثة . و أيضاً فى سورة الانبياء و فى سورة الصفات دخل ألفاظ قول امرىء القيس :

أقبل و العشاق من خلفه   كأنهم من حدب ينسلون

وجاء يوم العيد في زينته   لمثل ذا فليعمل العاملون

ولعل شعر هذا الشاعر القرشي الكافر كان قبل ايجاد العالم مكتوباً مع القرآن في اللوح المحفوظ . وبالجملة فشق القمر من علامات القيمة ذكره قائل القرآن على حسب رأى جاهلية العرب وانكارها كان رأى بعض اهل الجاهلية، اذ فيهم اليهود والنصارى والفريقان يقران بها ، فعرف امرؤ القيس ان كل مطالع أبياته يعتقدونها فلايدعى في الاية ان شق القمر ويثبت ان لم يكن له معجزة بشهادة القرآن ، وهذا المنافى لمعجزته يشهد لمعجزات عيسى عليه السلام. هذاملخص ما ذكره بعض النصارى ، وتحقيق المقام في ضمن أمور :

(الاول) في دفع ما ذكره من ان القرآن ينفي ان يكون لمحمد صلى الله عليه وآله معجزة ، فنقول : قدعرفت اولا ان القرآن الكريم ينادى بأعلى صوته بالتحدى وان نفسه معجزة له . وعن هينرى مارتن في رسالته في رد الاسلام ما حاصله دعواه النبوة و اتيانه بالقرآن معجزة له متواتران لامن اخبار المسلمين بل من تواريخ النصارى ، ويتضح معجزيته اجمالا من الوجوه التى أشرنا اليها وغيرها ، وسنشير انشاء الله تعالى الى نبذة من المعجزات الموجودة في خصوص القرآن ، فكيف يتوهم كون القرآن نافياً لمعجزته « ص » ومع ذلك نقول: في سورة الرعد ورد « يقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد » وايضاً «ويقول الذين كفروا» الى آخر ماسلف .

و مما لايرتاب فيه لبيب أن قول الكفار الموهم لانتفاء المعجز والاية الذى يحكيه مدعى النبوة من غير اكتراث به مضافاً الى دعواه الاعجاز و تواتر صدور المعجز عنه صلى الله عليه وآله ظاهر في اظهار تعنتهم و استصغارهم لما عرفوا من معجزاته و انهم ارادوا الاتيان بخصوص ما يقترحون والمعجز الخاص لمثل زعم انحصار المعجز الدال على كون مدعى النبوة مرسلا من الله تعالى في ذلك والالم يعقل

صدور نقل هذا النفى والانتفاء من عاقل يدعى النبوة والمعجز ، ولا سيما فى خصوص القرآن الذى ادعى معجزيته ، وان مثل ذلك النفى لايدل بوجه من الوجوه على الانتفاء فى الواقع ، فمن يصدق هؤ لاء الكفار ويكذب محمداً ايضاً لا يسعه دعوى الانتفاء فى الواقع ونفس الامر كمالايخفى .

والبيان الفصيح أن يقال : ان قوله تعالى « ويقول الذين » ألخ عبر عنه بالمضارع ايماء الى ان هذا التنديم والتوبيخ شأنهم و زيهم ، ولا يختص صدور ذلك منهم بوقت من أيام نبوته . وقوله « الذين كفروا » عرف الموصول فيه بكفرهم ، فكان المعنى يقولون ذلك القول كافرين، ولا يختص ذلك بسنخ من الكفار بل يعم الكل، والكافر بمحمد صلى الله عليه وآله من لم يؤمن به من أهل الملل والأديان ، سواء فى ذلك اهل الشرايع وعبدة الأوثان ، فان الكفر ــ و هو عدم الايمان ــ موجود فى الكل كمالايخفى .

الا ان فى المقام قرينة على عدم ارادة صدور هذا القول من كل أفراد هذا العموم، لوضوح أن منهم من لايقول برب، و كيف يقول هؤلاء « آية من ربه » فهو قرينة على أن هذا القول المحكى انما هو عن جماعة يقولون بربه فيما يزعمون واختلافهم معه فى نفس الرسالة فقط ، فيختص بأهل الكتابين، وانهم بمعجزات نبيهم يدعوا الى زعم مثل انحصار آيات الله فيها وان ما سواها من الامور ليس بآية ومعجزة فأرادوا من الاية خصوص شيء من معجزاتهم .

ويؤيد ذلك ما عن الزجاج فى الاية الاولى طلبوا غير التى أتى بها، فالتمسوا مثل آيات موسى و عيسى . و عن ابن عباس مثل الناقة والعصا . وقال الطبرسى «ره» لم يتفكروا فيما أنزل عليه أولم يعتدوا بتلك الايات .

وغاية ما فى المقام أن النكرة أطلقت وأريد منها احد افراد نوع خاص ، مثلا نظير الاستغراق الاضافى فى « جمع الأمير الصاغة » حيث يراد صاغة بلده . فعلى هذا فقول هؤ لاء الكفرة ايضاً لا يدل على أن نفوا عنه كل معجزة ليشهد للنصرانى مع أن قول الكفار لا يعلم حقيته ان لم يكن معلوم البطلان بضرورة الكفر

والعداوة المانعة عن قبول شهادتهم على من عادوه ، مضافاً الى ما عرفت فى اوائل الرسالة فى أصل شهادة النفى مع الغض عن موانع قبولها ولانقل ذلك القول بما هو له يكون حجة واضحة على الانتفاء في الواقع ، لوضوح أن مجرد النقل لايكون تصديقاً للمحكى كمالايخفى .

مضافاً الى كون ذلك المحكي في موارده مقروناً بابطال الحاكي ورده وطرده مرة بقوله «انما انت منذر» الخ مشيراً الى أن ليس من شأن المنذر الاعتناء بمثل هذه الخرافات ، ولو كان حجة واضحة تنافي رسالته لم يحكم حاكيه بمنذريته بعد حكايته أيضاً ، فحيث أثبت منذريته حينئذ أيضاً فقد عده لاشيء كمالايخفى .

فكيف يقوم دليلا بمحض وقوعه فى تلك الحكاية واخرى بقول «ان الله يضل» الخ ، اذحيث زعموا أن لو كان أنزل عليه ما اراد والتمت الهداية ولم يضل عنه ضال، أجيبوا بأن الاضلال والهدى لاينوط بتلك الاية بل من الله تعالى فضلاوخذلاناً وان الهداية لم تعم الكل عند مانزلت على موسى وعيسى واضرابهما عليهم السلام بضرورة لاينكرها احد ، واذا كان من طرف الله فهو يفعل مايشاء فيضل من يشاء ويهدى من يشاء .

ومقدمات هذين وخصوص الهداية لايدور مدار نظرهؤلاء الكفار القائلين ذلك، فأى باعث على ان ينزل ماارادوا كى يوبخوا ويندموا الان بأن لم يقع الامر كما أرادوا ويقولوا لم يقع كما يريدون، وقد كان ينبغي ان يقع كذلك فقد وقع كما ارادوا فى سالف الزمان ولم يؤمن الناس كلهم ، فالمدار فى الهداية والضلال على أمر اخر لايوجب الاعتناء بخصوصيات مايقترحه العباد .

ويقال أيضاً: انه تعالى فى مقام الجواب عن مقالهم قال «يهدى اليه من أناب» فنسب الهداية الى نفسه وجعلها فعلاله ولم يذكر ماهوفعل العبد كالايمان والاهتداء ولا اكتفى به ، ولايتم ذلك بضرورة من العقول بغير نصب دلالة واضحة منه تدل المهدى الى المطلوب ، والالم يكن له تعالى فى المورد فعل كمالايخفى ولانصبها

يوجب اهتداء الكل بضرورة قصص السالفين ، فكيف يتوهم من الاية عدم وجود المعجزالدليل على رسالته .

لايقال : انه كما نسب الهداية الى نفسه وجعلها فعلاله ولا تتم بدون صدور شيء من قبله ، فهكذا صنع فى طرف الاضلال فقولوا بأنه يصدرعنه شيء نظيرما فى طرف الهداية .

لانا نقول : بواسطة امتناع صدور ـ الاضلال منه تعالى علم ان لافعل فى طرفه وان المراد ترك الشخص على ضلاله وخذلانه حتى لايهتدى ونحوذلك، وليس كذلك الامرفى طرف الهداية ، فالفرق بين المقامين بالقرينة الواضحة.

وثالثة يقول «انما الايات عندالله» الخ مشيراً الى نظير قوله «وان من شيء الا عندنا خزائنه ومانتزله الا بقدر معلوم» ولاتحصل ويعقب ذلك بقول انماانانذيرمبين ولاتحصل المنذرية مبيناً الامع وجود معجزمعه كما لايخفى فهوابطال للزوم انزال خصوص ماارادوا مع اثبات وجود المعجز فى الجملة كما لايخفى

وخصوص آية العنكبوت من حكاية القول السابق الصادر من اهل مكة و جماعة مخصوصين ، ولعله المحكى تفصيله فى قوله «لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً» الايات ، وعدم الدلالة على النفى فيه أظهرمع انهم ذكروا الايات بصيغة الجمع فلعلهم أراد واحداً خاصاً من عددها، مضافا الى ان كثيراً من كفار مكة آمنوا به بعد مدة من ذلك القول ، ولايكون ذلك الا بمعرفة الدليل على رسالته كما لايخفى فكيف يتشبث بقولهم فى وقت مع انهم خالفوه بعدما قالوه ولو كان المخالف بعضهم وبعد زمان وذلك واضح .

وأماآية سورة الاسرى فلفظ «الآيات» لكونه جمعاً محلى باللام قديتوهم منه ولو كان كذلك فالمرادمانعية تكذيب الاولين عن ارسال جميع الايات، وهولاينافى ارسال بعضها كما لايخفى. وحمل المعرف باللام على المعنى الجنسى خلاف ظاهر لايصار اليه الا بدليل، ولكن من الواضح ارادة الآيات المقترحة لتعلق غرض خصوم

محمد صلى الله عليه وآله بهاخاصة وجوداً وعدماً لامطلق طبيعة الاية كما لايخفى ، فيراد به المعهود المذكور في الاية السابقة أونحوها ، مثل ما في قوله «لولا أوتي مثل ماأوتي موسى» وذكر ايتاء الناقة مبصرة من بيان وجه المانعية أوذكر فرد العام في كذب الاولين واقتصر على ذكر ظلمهم لوضوح حالهم في العذاب للمخاطبين ، وهوعذاب استيصال ينافي شرف الامة الموعودين بمحمد ان لايستأصلهم ليتم خروج الودايع من الاصلاب ، أوبيان ان تلك الاية الواضحة وقعت مورد الظلم حسًّا وضرورة وكانت اولى بأن لاتظلم فيكيف بغيرها معما كان لهم من الانتفاع بها في دنياهم وما بعدذلك وبيان أن الغرض من ارسال الآيات هو التخويف وهوحاصل بمامع انبيائه ولايلزم الكل ولا خصوص مايقترحون لحصول الغرض بغيرهما كما لايخفى . و القضيتان يمكن عطفهما على مابعد أن فالمانع من ارسالها تلك الامور ثلاثة لاخصوص الاول فلاحظ .

(الأمر الثاني) ان لم يتم دلالة القرآن على نفي المعجز فضلا عن النصوصية في الانتفاء ، كي يرد شيء من الروايات معجزاته ومعجزات الأئمة من بعده بمخالفة القرآن ، وبطلان مخالف القرآن من بديهيات دين الاسلام ، بل المخالفة في باب المعجزات توهم محض ، بل أصل صدور المعجزات منه صلى الله عليه وآله من ابده بديهياتهم مضافاً الى اعجاز القرآن والاعجازات فيه كما ستعرف نبذة منه انشاء الله تعالى .

(الامر الثالث) ان ماذكره الضال من موافقة تعاليم القرآن تعاليمهما خطأناش من وصفه بكونه مصدقاً لهما ، وقدبينا في موضعه أن المعني كون القرآن محققاً لصدقهما ، حيث كان فيهما الاشارة الى حال الكتاب الذي ينزل على خاتم الانبياء أو كونه ميزان الصادق من أبعاضهما والكاذب فماوافقه منهما فهوصادق والافهومغشوش وان المعنى أي شيء كان ينظر الى خصوص مانزل من عندالله . ولاشاهد على كونه ما بأيدي اليهود والنصارى فلاحظ ماقيل في كتب الفريقين لتعرف عدم كون مانزل من عنده بأيدي هؤلاء .

وأما اختلافهما فيمايتعلق بعيسى عليه السلام فمنهمابين وجهه في القرآن قال: «لكن شبه لهم» فذكروا كما شاهدوا فيمايزعمون فكذبهم القرآن واثبت الشبهة وهي ممكنة عقلاً فأين المخالفة ، ومنه ماهو من قبيل ترك الذكر كمعجزات حال ولادته ، ومجرد ذلك لايدل على العدم حتى يجيء الاختلاف ، ومنه ذكر مايبطله العقل كنبوة عيسى والتثليث وكون وجود ذلك موهناً للانجيل أولى من ايجاب الخدشة في القرآن كمالايخفى فلاحظ .

(الامر الرابع) ان اعجاز القرآن قد أسلفنا الكلام فيه ، وحسن العبارة غير الاعجاز ، ومجرد الفصاحة غير بلوغ الغاية ، واستحسان كتاب شخص غير الاقرار بمعجزيته . وقدعرفت وجوه حصول الاقرار بمعجزية القرآن ، ولا حاجة لنا الى التطويل في بيان ذلك ، ولولم ينفع اعجاز القرآن في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وآله بعد وضوح معجزيته لم ينفع اعجاز نبي في نبوته وهوخلاف أوليات العقول

(الأمر الخامس) ان اختلاف الروايات في قصة شق القمر كيف يعقل أن يكون مانعاً عن قبول أصل الشق ، اذالروايات الكثيرة المختلفة في خصوصيات اذا كان لها جامع اتفقت الكل عليه يكون ذلك الجامع معلوماً وان بقي كل واحد من الخصوصيات على مشكوكيتها كماهو واضح لاوائل العقول، ومقتضى التدبر في الاخبار المختلفة التي لها جامع في سائر الموارد من حكايات قضايا أهل العرف ووقائعهم .

وأمادلالة ذلك على رسالته فكدلالة قصة العصا ونحوها على رسالة موسى عليه السلام من كونه فعلا يعجز عنه البشر وقع مقام التحدي ومقروناً بدعوى الرسالة ولاثبات صحتها باقتراح خصومها ، بل الدلالة في شق القمر اولى من دلالة معجزات موسى عليه السلام، لاحتمال كونه ممانفرد بعلمه دون سائر الناس واخرى بأن العصا ممباشره موسى بنفسه ، وهومورد يقبل الشكوك باعمال طريق من طرق النيرنجات بخلاف مايبعد مابين السماء والأرض واحتمال التصرف في العيون قدذكره طالبوا تلك المعجزة ونصوا بأن اندفاعه يحصل من سؤال اهل الافاق فسئلوهم فأخبروهم بان رأوا كما رأوا .

ثم من العلم الوافر ما ابطل به دلالة انشقاق القمر على رسالته من قول ان رسول اله السماء الخ والجهل فيه من وجوه :

(منها) ان وقع ذلك باذن من الله تعالى، حيث سأل ربه فأوحى اليه ان امر تعالى ان يطيعه كل شيء .

(ومنها) ان ليس ذلك من الاضرار بصنائع الله تعالى و احداث عيب فيه ، و معارض بفعل خليل الرحمن بالطيور وبوقوف الشمس وردها، فعن الباب العاشر آية ١٢ ما حاصله المناسب للمقام تكلم يوشع فى منظر من بنى اسرائيل فقال ياشمس قفى فى كبعون وانت ياقمر قف فى ايلون فوقفا حتى انتقم القوم من اعدائهم. وعن بعضهم ان وقوفهما كان مقدار يوم وليلة ، فكيف جعل صنعة الله معيوبة وكان الحرى اصلاحها دون التعييب ، اليس من العيب ان تيعطلا عن دورانهما مقدار يوم وليلة.

وعن كتاب الشعيا فى الباب الثامن و الثلاثين فى الآية الثامنة ما حاصله هذا الظل موافقاً لدرجات هبوط الشمس ارده عشر درجات ، فرجعت الشمس عشر درجات .

بل وكيف يقاس بهما شق القمر الذى لم يوجب الاجعل جرم القمر نصفين ولم يعطله عن سيره ولا اختل به حساب ، والايقاف والرد يبطلان حساب النجوم كما لايخفى ، فالضرر فيهما اكثر ولم ينسبا فعلهما الى الله بل الى انفسهما وان كان امر الاعجاز كما عرفت .

(ومنها) ان صنائع الله المتقنة العلوية قابلة - للتعييب بفعل العباد بل ولاصلاح العباد لها ورفع عيبها، وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

(ومنها) ان المعجزات افعال الانبياء كسائر أفعالهم العادية وكسائر افعال العباد، ويستند اليهم على وجه الحقيقة لانها فعل الله جرى على أيديهم ، والا فأين الاضرار المنافى للمحبة.

اما قوله «مع ان وقوعه خلاف تلك الآيات» فقد عرفت ان الآيات السابقة

لم تنف مطلق المعجزعنه ، والمانع عن ارسال الاية المقترحة لايلزم ان يعم تمام موارد الاقتراح ،فقد يوجد فى مورد مقتضى الاجابةواقع هذا المانع وهوامرممكن فى العقول .

مع ان مفاد قوله « وما منعنا ان نرسل» الخ تحقق المنع قبل حال التكلم عن ارسال آيات معهودة فى الحال ، والمانع فى الحال لايلزم ان يكون مانعاً فى الاستقبال ايضاً ، اذ المنع قد يتقوم بخصوصيات تختص بمقام ولايتعداه . ومع ذلك يصح هذا التعبير. وحكم افعاله خفية عن العباد ولوسلم دلالتها على النفى ايضاً لزم صرفه الى غيرما يثبته القرآن كما لايخفى.

واما قوله «وبعض المفسرين اعلم الاسلاميين» الخ ففيه مالايخفى.

اما اولا: فان انكاروقوع الانشقاق منسوب الى عطاورواه عن الحسن وانكره البلخى ايضاً وهؤلاء ليسوا بأعلم الاسلاميين .

واما ثانياً : فلان هؤلاء ايضاً انما اولوا خصوص قوله«وانشق القمر»فقالوا معناه وسينشق القمر ، ولم يتصرف احد فى قوله «اقتربت الساعة» ، و لا داعى اليه ايضاً ، بل ولا الى التصرف فى وانشق القمر، ففى تلك النسبة افتراء واضح.

ودعوى موافقة ما ذكره لقواعد الصرف والنحو معاً مؤمياً الى مخالفة التفسير الاخر لهما دعوى كاذبة ، وبيان ذلك : ان اقترب افتعال من قرب ، والقرب خلاف البعد ، وهما امران اضافيان يلاحظان بالنسبة الى شيئين و اضافة تتحقق بينهما ، فيقال هذا قريب من ذلك اوبعيد عنه ، مثلا من قدرالله له عمر الف سنة كلما عاش فى الدنيا يقرب منه اجله بمقدارعيشه ، لم يكن ذلك القرب حاصلا قبل هذا القدر من العيش ، فتحقق هذا القرب الخاص لاينافى وجود بعد ما ، فكلما زاد العيش زاد القرب وقصر البعد، ووجود القرب والحكم به ملازم لوجود بعد ما وعدم حصول التقارن والتلاقى ونحوهما كما لايخفى . والقرب والاقتراب نظير الكسب والاكتساب فى افادة ايجاد المشقة والتكلف لحصول المبدء ، فهو تحصيله بمشقة

وتكلف من فاعله ، والفاعل هنا الساعة المراد بها القيمة أووقت تهلاك العالم .

وفي نسبة القرب اليها بصيغة الافتعال اشارة الى انها كالمجد في تحصيل القرب لتبلغ الى الوصول نظير مايقال والموت يطلبك. وايا ماكان فمعنى «اقتربت الساعة» ان الساعة حصلت القرب قبل زمان هذا الاخبار والتكلم، وهو كلام مسوق للتخويف نظير قوله في الاية الاخرى «اقتربت الساعة وهم في غفلة معرضون مايأتيهم من ذكر محدث من ربهم الا استمعوه وهم يلعبون» .

ثم حصول القرب لها حينئذ ليس فيه خفاء حيث صارت أقرب منها في زمان عيسى عليه السلام مثلا ، وهذا تقريب للساعة ترغيباً في الاستعداد لها، ووجود قربها في ذلك الوقت لايلازم وصولها بعده بيسير ، لما عرفت من كونه بالاضافة الى حال ما قبل الوقت ، فكيف يتوهم كون المعنى جائت القيمة ، وكيف يتوهم نفي الاقتراب زمان محمد صلى الله عليه وآله ، وكيف يحمل على معنى ستقرب الساعة الصريح في كون حصول هذا الحدث في الزمان المستقبل فقط دون الحال والماضي مع وضوح كون حصول ذلك الحدث الخاص في كل آن بالنسبة الى ماقبله، واى صرف واى نحو يقتضي الحمل على المستقبل ، وانشق القمر من صيغ الماضي ولا يخرج عن وضعه الا بدليل منصوب من قبل المتكلم على ارادة الاستقبال وترك الجرى على مقتضى الوضع الاصلي ، اذلولا ذلك لم يصح الحكم بوقوع العدول عن قضية الوضع الاصلي في خصوص هذا الاستعمال وان فرض لزوم الكذب وعدم تحقق الحدث في الماضي كما لايخفى.

والعطف ايضاً لايفيد اتحاد زمانهما مضافاً الى حصول الاتحاد ايضاً لان وقت الانشقاق كان الاقتراب ايضاً موجوداً ولايتفارقان فلاداعي الى التصرف في الثاني ايضاً ولاصرف ولانحو يقتضيه بل بعد ماوضح عدم الداعي الى التصرف في «اقتربت» يعلم ان مقتضى القاعدة النحوية المشهورة ترك التصرف في المعطوف وان لم يلزم منه مفسدة حيث ان المشهور اتحاد زمان الفعلين في مورد العطف وان كان الاظهر عندنا عدم اعتبار ذلك كما عرفت فيما سلف فكيف ادعى ان حمل «وانشق»

يقتضيه بل بعد ماوضح عدم الداعي الى التصرف في

على معنى سينشق أوفق بقواعد الصرف والنحو .

واى عقل وعلم يدعوالى ذلك ، فان انكارالانشقاق ان كان لامتناع الخرق والالتيام فلافرق بين الماضى والاستقبال ومن جوزذلك يجوزه فى الزمانين ، وان كان لعدم المعرفة والدليل فالدليل موجود كما عرفت الاشارة اليه ، وعدم ذكر مؤرخى الكفرة لا يدل على العدم ، لوضوح أنهم تركوا أموراً كثيرة مما شارك الاسلاميون أهل الكتاب فى نقله ومما انفرد به اهل الكتاب وسائرالامور المعلومة الوقوع قطعاً ، مع ان ذلك ينافى اغراضهم وكان يوجب الطعن عليهم بعدم الايمان فتركوه أولم يدركوه بالحس لغفلة اوغيم الى غيرذلك ،واى عاقل يجعل عدم الذكر دليلا على العدم مضافاً الى نقل ادراك اهل الآفاق للانشقاق كما فى الروايات

وعن تاريخ فرشته مليا بار هند انهم رأوا الانشقاق ولما حقق واليهم الامر اسلموا . وعن المرى عن بعض عن بعض المسافرين رأينا فى هند بناء كتب عليه هذا بناء ليلة شق القمر .

ثم الامرالاعجب قوله فى تفسير الاية « بل المعنى اذا قربت القيمة انشق القمر» فمن اين اتى باذا الشرطية والظرفية ، وكيف حذف العاطف ، وكيف جعل الجملة الثانية معلقة على الاولى وجعلهما كلاما تعليقياً واخرجهما عن الكلام الجزمى وقد كان ذلك قضية ظاهر الكلام كما كان يعرفه اوائل العقول.

ويتضح من ذلك ايضاً ان وقوع استعمال الماضى فى الاستقبال فى اللغة العربية وغيرها لا ينفعه فى المقام شيئاً ، لاختصاص ذلك بمواضع مع القرينة على ترك الجرى على مقتضى الوضع الاصلى ، والاية لاتدخل فى تلك المواضع ولافيها قرينة على الصرف المذكور.

واعجب من ذلك زعمه ان لفظ « آوردم » فى الفارسى من الفاظ الماضى مع انه حالى وماضيه « آورده ام » كما هو واضح ، كعدم الحاجة الى الجواب عن احتمال العبارة الخبر عن الغيب وخدشته فيه بعد ما يكون مبايناً للمرام والمقام كما لايخفى.

و من العجب ايضاً انكار كونه اخباراً بالغائب، معللا بأنه لايعلم صحته و عدمها قبل القيمة مع اقراره بكونها معلومة لاهل الجاهلية .

و اما قوله « مع ان بنت امرئ القيس» الخ فياليته كان عين موضع نقل تلك القصة كي نراه . ومما يظهر حال ذلك النقل ان وفاة امرئ القيس كما يأتي في اوائل ملك انوشيروان ، ومولد محمد صلى الله عليه وآله بعد اثنين واربعين من ملك انوشيروان عام الفيل و قيل في ملك ابنه هر مزد بعث عام اربعين من عمره الشريف ، ومولد فاطمة بنته صلوات الله عليهما بعد خمس سنين من البعثة فيقارب تفاوت الوقتين ثمانين سنة ، فكيف بمولد بنت امرىء القيس وبلوغ فاطمة عليها السلام كي تخاطب بمثل ذلك ، مع ان قضية طول الزمان اشتهار قصائده وان لاينفرد بها بنته وعدم اعتراض سائر الناس دليل كذب تلك المحكي كمالايخفى.

و كيف كان فهويرى ان امرىء القيس الشاعر رجل واحد قرشي مات على الكفر قبل البعثة ، ومن اشعاره تلك القصيدة ، وهي محفوظة من زمانه الى تلك الأزمنة، والقصيدة مطبوعة في بعض المجاميع، وعبارته هكذا : قال امرىء القيس بن عمرو حجر الكندي:

دنت الساعة وانشق القمر ... عن غزال صاد قلبي ونفر
احور قد حرت في اوصافه ... ناعس الطرف بعينيه حور
مر يوم العيد في زينته ... فرماني فتعاطى فعقر
بسهام من لحاظ فاتك ... فتركني كهشيم المحتضر
واذا ما غاب عني ساعة ... كانت الساعة ادهى وامر
كتب الحسن على وجنته ... بسحيق المسك سطراً مختصر
عادة الاقمار تسرى في الدجى ... فرأينا الليل تسرى بالقمر
بالضحى والليل من طرته ... فرقة ذاالنور كم شيء زهر
قلت اذ شق العذار خده ... دنت الساعة وانشق القمر

وله ايضاً :

أقبل و العشاق من خلفه كأنهم من حدب ينسلون
وجاء يوم العيد فى زينته لمثل ذا فليعمل العاملون

وهكذا ذكره النصرانى ايضافلعله وجدها فى تلك المجموعة. وفى مجموعة اخرى هكذا : هذه قصيدة مليحة يقال انها من امرىء القيس قداقتبس من القرآن «دنت الساعة» فذكرالابيات الى قوله«كم شىء زهر» فقال:

الهوى فى القلب امر مستقر
لامنى فيه عذولى ونهى عنه والعاذل كذاب اشر
قلت من علمى باحكام الهوى انما الا لحاظ سحر مستمر
كم قتيل بسيوف اللحظ قد صارمجنون هوى كم وازدجر
اقبلت قائلة غرت فوق خديه كماه ينهمر
لوترى أدمعه لابصرت قبله نحن جميع منتصر
وجرى من كل عين اعين فالتقى الماعلى امر قد قدر
تارك العشاق من حرى النوى والتجافى كهشيم محتضر
انما هجرك ريح صرصرة ارسلت فى يوم نحس مستمر
نزع الناس الى الموت كأ نهم اعجاز نخل منقعر
قلت اذ شق العذار خده دنت الساعة وانشق القمر

انتهى ومن يلاحظ الجميع عرف كونها مقتبسة من القرآن اقتبسها و كان يعرف القرآن .

ثم ليت شعرى كيف يفسر هذه الأبيات التى اوردها حتى يجعلها للملك الضليل الذى مات قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فانّ دنوّالساعة بمعنى القيمة ان كان قدحصل فى زمان هذاالضليل المتقدم زمانه على زمان خاتم الانبياء كيف ينفى الاقتراب فى زمانه «ص» بطريق الجزم ويصرف الماضى الى الاستقبال بذلك ، و كيف يحمل

الانشقاق فيها ، أفهوشأني استقبالي فيقول «عن غزال صادقلبي ونفر» ويقول :

قلت اذشق العذار خده دنت الساعة وانشق القمر

فعلى ذلك ينبغي أن تضحك الثكلى ، فان كلام الشاعر في غزال صادقلبه ونفر أحور قدحارفي أوصافه رآهمارأيوم العيد في زينته ورماه بطرفه الفاتك وزمان غيبته ادهى وامرعليه ، وكان قدكتب الحسن على وجنته السطر المختصر بسحيق المسك

عادة الاقمار تسرى في الدجى ورأينا الليل تسرى بالقمر

وزهر الاشياء من طرفه وشق العذار خده فقال «دنت الساعة وانشق القمر» ناصاً بحصول الانشقاق فيه وتشبيهاً لمافيه بالعلامة المعلومة للقيمة ، لافي غزال يوجد بعده فيصيد قلبه بعد ماوجد ويكون له تلك الاوصاف ويقول الشاعر تدنو القيمة وتنشق القمر كمالا يخفى.

فان قلت: لايريد بالساعة القيمة وان كانت الساعة اسماً لها أو ينصرف لفظها اليها كي يتجه هذا المقال ، بل مراده منها الساعة الصعبة التي كان يترقبها في فراق محبوبه كمايؤيده قوله :

واذا ماغاب عني ساعة كانت الساعة أدهى وأمر

وشبه تلك الساعة بالقيمة أوجعلها اياها، والحكم بدنو تلك الساعة لايشعر بدنو القيمة بوجه.

قلت : من الواضح الذي لا يكاد يخفى أن الدنو يلازم عدم الدخول ، وان الحكم بالدنو وقع حال التكلم والاخبار ، واذافرض ان المحبوب صادقلبه ونفر قبل ذلك وكذا انه مريوم العيد في زينته فرماه فتعاطى فعقرو تركه كهشيم محتضر فقدوقع الفراق ، فكيف يقول دنت الساعة الخ. فكل ذلك دليل انه لايريد من الساعة وقت الفراق ونحوه بل بريد القيمة ، مضافاً الى ان ذكرذلك في الذيل ايضاًيشعر بان المراد بالدنو والدانية فيهما شيء واحدلايتغايران . ومن الواضح ان المراد بالدنو في الذيل ماحصل بانشقاق القمر ، فانقوله «وانشق القمر» بصيغة الماضي من بيان دليل الدنو

المحكوم به سابقاً بحيث يعرفه المخاطب ولاينكره كمالايخفى وحاصله انعلم الدنو وأدركه وعرف علامته المعلوم كونها علامة دنو القيمة فأخبر الناس بمعلومه ذلك، فيدل على انعرف الدنو وادرك حصول الانشقاق سابقاً على كلامه ذلك ولفظة عن فى قوله «عن غزال» الخ للتعليل ، اى صار سبباً له اومرادفه من اى صدر انشقاقه من غزال

ثم المذكور فى الشطر الاول دنو القيمة وحصول انشقاق القمر بفعل ، من انشق القمر بفعله والمراد من الشطر الاخير دنو القيمة وتحقق تلك العلامة فى وجهه الشريف ، وفيه ايماء لطيف الى علامة اخرى لها وهوبعثه صلى الله عليه وآله فقد قال تقريباً لها : بعثت انا والساعة كهاتين فجمع بين سبابتيه . وبالجملة فذكر هذا الشطر بتوقف على أمور منها الاعتقاد بالقيمة، ومنها ان لها قرباً أو بعداً ، ومنها أن لدنوها علامة ، ومنها انشقاق القمر علامة لدنوها ، ومنها معروفية حقية كون ذلك علامة دنوها . فهذه الابيات بظواهر ألفاظها تدل على كونها لمسلم صدرت عنه بعد انشقاق القمر لامن امرىء القيس الذى مات قبل ميلاد محمد بزمان .

فان اثبت الخصم مبادىء ذلك القول حتى ماضوية الانشقاق بالنسبة الى زمان هذا القول كما عرفت لامرىء القيس الشاعر المشهور ، أقررناله بايراده ودون ذلك خرط القتاد .

والافصاح عن ذلك بذكر هذا الشاعر واجداده فنقول : قال المسعودى فى مروج الذهب ذكر غير واحد ممن عنى بأخبار العرب وأيامها ان جذيمة وكان يقال له مالك بن فهم بن دوس بن الازدبن الغوث بن مالك بن زيدبن كهلان بن سبأبن يشخب بن يعرب بن قحطان قال ذات يوم لندمائه : لقد ذكرلى عن غلام من أياد له ظرف وأدب فلو بعثت اليه فوليته كاسي والقيام على رأسى لكان الرأى قالوا: الرأى ماراى الملك فبعث اليه ثم قال: فمن أنت؟ قال: عدى بن نصربن ربيعة.

وقال ابن الشحنة اللخمى من أياد ثم ذكرا تزوجه بأخت الملك رقاش وولادة عمربن عدى هذا وملكه بعد خاله جذيمة وقتله قاتل خاله الزبا الى أن قال

ملك سنة وملك بعده ابنه امرىء القيس بن عمروبن عدى ستين سنة ، وملك بعده عمروبن امرىء القيس محرق العرب خمساً وعشرين سنة وأمه مارية البرية اخت ثعلبة بن عمرو ، وملك النعمان بن امرىء القيس قاتل الفرس خمسأوستين سنة وامه هيجانة بنت سلول من مراد ويقال من أياد .

وقال ابن الشحنة في اخبار الاوائل والاواخر: وطالت مدة عمروبن عدى ثم ملك بعده امرىء القيس وهو وابوه أول للخميين ، ثم ملك بعده ابنه عمرو ثم اثنان من العماليق، ثم عاد الملك الى اللخميين فملك امرىء القيس من ولدعمرو بن امرى القيس ولقب بالمحرق لانه كان يعذب بالنار ، ثم ابنه النعمان ثم ابنه ثم ابنه الاسود ثم انتصر على غسان عرب الشام .

الى ان قال : ثم ملك اخوه المنذر ثم امرىء القيس بن النعمان بن امرى القيس المحرق وهو الذى قتل سنمار بانى قصره ، ثم ابنه المنذر وطرده قباذ وولى مكانه الحرث بن عمرو بن امرىء القيس بن حجر الكندى لعدم موافقته له على الدخول فى دين مزدك فلما ولى انوشيروان قتل مزدك وأعاد المنذر، ثم ملك ابنه عمرو مفرط الحجارة وفى زمانه ولد النبى صلى الله عليه وآله .

الى أن قال : وكانت المناذرة الى نصربن ربيعة عمالاً للاكاسرة على عرب العراق وقال ابن الشحنة : وأما ملوك كندة فأولهم حجر آكل المرار من ولد زيدبن كهلان ، الى ان قال وانتزع من اللخميين ما كان بأيديهم من أرض بكربن وائل ، و حجر هذا هو جد الحرث الذى ولاه قباد موضع المنذربن ماءالسماء حين وافقه على دين مزدك ، وكان قدعظم شأن الحرث بذلك فملك ابنه حجر على بنى اسد وبنى خزيمة وملك باقى أولاده على ساير العرب ، وامرؤ القيس الشاعر هو ابن حجربن الحرث هذا، فلما اعاد انوشيروان المنذربن ماءالسماء و طرد الحرث زالت دولة الكنديين وبقى امرىء القيس الشاعر فتفرقت جموعه ولم يؤوه احد ، فقصد السموأل بن عاديا اليهودى فأكرمه واقام عنده مدة، ثم صار الى قيصر واودع ادراعه السموأل

الى ان قال: ومات امرؤ القيس بعدعوده من عند قيصرفي بلاد الروم عندجبل يقال له عسيب، الى ان قال: قيل ان قيصر سمه في حلة وهو بعيدفجاء الحرث بن(١) ابى السمر الغسانى الى السموأل وطلب ادراع امرىء القيس فأبى وكان ابنه اسيراً عنده وقال ان لم تعطها قتلت ابنك ولم يعطهافقتله ، وقال السموٴال :

و فيت بأدرع الكندى اننى اذا ما خان اقوام و فيت

وقال المسعودى : ملك قباذبن فيروز ، وفى ايامه ظهرمزدق الزنديق و اليه تضاف المزدقية وله أخبار مع قباذ وماحدثه في العامة من النواميس والحيل الى ان قتله انوشيروان فى ملكه ، وكان ملك قباذ الى أن ملك ثلاثاً و اربعين سنة ، ثم ملك بعده ابنه انوشيروان بن قباذ بن فيروزثمانياً وأربعين سنة وقيل سبعاً واربعين سنة وثمانية اشهر ، وقد كان قباذ خلع من ملكه واجلس اخ له يقال له جا ماسب نحواً من سنتين لامر كان من مزدق وأصحابه ، فظافر انوشيروان بزرجمهر بن سرحوضى اعيد قباذ الى ملكه فى خبرطويل ، ولما ملك انوشيروان وقتل مزدق واتبعه ثمانين ألفاً من اصحابه وذلك بين خاور والنهروان من ارض العراق فسمى من ذلك اليوم انوشيروان وتفسير ذلك جديد الملوك ، وجمع اهل مملكته على دين المجوسية ومنعهم النظر والخلاف والحجاج فى الملل الخ .

اقول: لابعد فى دعوى كون امرىء القيس الشاعر المذكورهنا باقياً على دين

---

(١) قال المسعودى في ذكرملوك الشام : ذكرعدة من الاخباريين ان حسان بن ثابت الانصارى زار الحرث هذا وكان النعمان بن المنذر اللخمى يساميه ، فقال له وهو عنده : يا بن الفريقة لقد نبئت انك تفضل النعمان على القصة منه .

وفى شرح ديوان امرىء القيس بن الحجر بن العامر بن الحارث بن عمرو المقصور بن حجر الاكبر، وهومن بنى آكل المرار معاوية بن ثور، وهو كندى وأمه فاطمة بنت ربيعة بن الحرث بن زهر اخت كليب ومهلهل . اقول : كان فى زمان النعمان بن المنذر والحرث بن ابى الشمر الغسانى والمعلى اجاره من المنذر بن ماء السماء وردعنه جيش النعمان منه .

الحرث وجارياً على وتيرته من المزدكية ، وقدذم قيصراً بقوله :

انى حلفت يميناً غير كاذبة لانت أقلف الا ماجنى القمر

ولهقرعة عنذى الخليصة وقصص فىأمر النسوان ، وان قال ابن قتيبة فى أديان العرب فى الجاهلية فى كتاب المعارف : و كانت اليهودية فىحميروبنى كنانة وبنى الحرث بن كعب و كندة الىانقال و كانتالزندقة فىقريشأخذوها من الحيرة.

وقال الشهرستانى المزدكية هومزدك الذى ظهر فىأيام قباذ والد انوشيروان ودعا قباذالىمذهبه فأجابه، واطلع انوشيروان على خزيه وافترائه فطلبه فقتله،حكى الوراق أنقول المزدكيةكقول كثير من المانوية فى الكونين والاصلين الخ .

و كان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغظة والقتال ، و لما كان اكثر ذلك انمايقع بسبب النساء والاموال فأحل النساء واباح الاموال وجعل الناسشركة كاشتراكهم فىالماء والناروالكلاء . الىأن قال : وروى عنه أن معبوده قاعد على كرسيه فىالعالم الاعلى قعود خسرو فىالعالم الاسفل ، وبين يديه أربع قوى قوة التميزوالفهم والحفظ والستركما بينيدى خسرو اربعة اشخاص موبدان موبد و الهربذ الاكبر والاصبهبذ والرامشكر ، وتلك الاربع يدبرون امرالعالمين بسبعةمن وزرائهمسالار وپيشكار وبالونوبودان وكاردان ودستور و كودك، وهذه السبعةتدور فىاثنى عشر روحانيين خواننده دهنده شناسنده برنده خورنده دونده خيزنده كشنده زننده كننده آينده شونده باينده . و كل انساناجتمعتله هذه القوى الاربع والسبعة والاثنى عشرصار ربانيافىالعالم السفلى وارتفع عنه التكليف الخ.

وذكر فىالمانوية أنهقال بعيسى عليهالسلام وانكرموسى عليهالسلام، والعالم مصنوع منأصلين قديمين ازليين لميزالا ولايكونشىء الامن أصل قديم.

و كيف كان فانقدح أن الملك الضليل كندى لاقرشى ، فان قريشاً هم أولاد النضربن كنانة ، وانشعاب كندة من سلسلة نسب قريشالى آدم قبلذلك بكثير،فكيف يقول ولعل شعرهذا الشاعر القرشى الكافرالخ. وانمذهبه مزدكى أوما يقربمنه .

ومن الواضح أيضاً ان الاقرار بالقيمة لايلازم معرفة أشراط الساعة ، و على الخصم الاتيان بذكر انشقاق القمرفي أشراط الساعة في غير كتب الاسلامية كي يمكن الاذعان بصدور هذا القول من شخص جاهلي لايقربدين الاسلام ولم يثبت بعد كون الانشقاق من علامات القيمة، فكيف يجعله رأى جاهلية العرب.

وافظع من ذلك ايهام أن اليهود والنصارى يقرون بها ، فليأتنا بسلطان مبين اى سلطان أقوم من ابطاله كون ذكر الانشقاق بعد حمل اللفظ على المستقبل من الاخبار بالغيب الاتي، بأن ذلك لايعرف صحته ولا عدمها قبل يوم القيمة ، والاعراض عن ذكر كون الاخبار به انما وقع تبعاً للمذهب الفلاني اوالكتاب الفلاني، وافتراؤه ان قالت بنت امرىء القيس لفاطمة عليها السلام كذا من دون أن يذكر البنت و يعرفها ويعرفها ، وجهالة ان كون الانشقاق من علامات دنو القيمة لو لم يكن معروفاً بين سامعي تلك الاشعار لم تستملح أبداً كما لايخفى، ولو كان ذلك مشهوراً في الاديان وكتبها فكيف لايذكرها ويتشبث بتلك الأشعار الغير الثابت النسبة بل معلومة العدم كما عرفت من مباديها ، ويعرف ايضاً من خلوشرح ديوانه وامثاله عن نقل الابيات وشيء منها في قصائده ، وكل ذلك انما هو من نسبتها الى امرىء القيس مع توهم كونه الشاعر المشهور فقط والامر على خلاف ذلك تعدد المسمين بذلك الاسم :

امرؤالقيس بن الاصبغ الكلبي بعثه رسول الله صلى الله عليه و آله عاملا على كلب حين ارسل عماله على قضاعة فارتد بعضهم وثبت امرؤالقيس على دينه، ذكره في الاستيعاب وقال اظنه خال ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الخ .

امرؤالقيس بن عابس بن المنذر .

امرؤالقيس بن السمط بن عمرو بن معاوية بن الحرث الاكبر بن معاوية بن ثور بن مرقع بن معاوية بن الحرث بن كندة الكندى ، وفد الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم واسلم وثبت على اسلامه ولم يرتد فيمن ارتد من كندة ، وكان شاعراً نزل الكوفة ، ذكره ابن مندة وابونعيم وابن عبد البر .

امرؤالقيس بن الفاخرالخولانى ، ذكره ابن‌مندة وابونعيم‌فهؤلاء صحابيون

وقال ابوالفرج فى‌مقاتل الطالبين وعبد الله بن‌الحسين بن على‌بن ابى‌طالب عليه‌السلام و امه الرباب بنت امرىء الفيس بن عدى بن اوس‌بن جابربن كعب بن عليم بن جناب بن كلب ، وأمها هندالهنود بنت‌الربيع بن مسعود بن‌مصادبن‌حصن بن كعب بن عليم‌بن جناب هذا الخ.

وسكينة اخت عبدالله‌هذا حالها فى‌الشعرومعرفتها معروفة،حتى‌ذكرهاالقاضى ابن خلكان وغيره .

وقال المفيد «ره» فى‌الارشاد : وسكينة وامها الرباب بنت امرىء القيس بن عدى كلبية معدية ، وهى ام‌عبدالله بن‌الحسين عليه‌السلام.

وفى‌المناقب الرباب بنت امرىء القيس الكندية والاصح الاول‌لماعرفت و لقصة امرأة الكلبية.

وفى ناسخ التواريخ امها رباب بنت امرىء القيس بن عدى كلبية شعبة من المعدية ، وعن ابى الفرج فى الاغانى بنت‌امرىء القيس‌بن عدى بن جابربن كعب بن على‌بن مرة بن ثعلبة عمران بن الحاف بن قضاعة ،وام‌الرباب هند بنت الربيع بن مسعود بن‌مروان بن حصين بن‌كعب بن عليم بن كليب .

قال ابوالفرج : امرؤالقيس ابوالرباب‌أسلم فى‌زمان عمربن الخطاب

ينابيع المودة عن‌كتاب الاصابة فى معرفة الصحابة هكذا : امرؤ القيس بن عدى‌بن أوس بن جابربن كعب بن عليم كلبى كان اميراً على قضاعة الشام ، قال له على بن ابى‌طالب هذان ابناى وقدرغبا فى صهرك فانكحنابناتك فقال : قدأنكحتك ياعلى‌الحرة ابنتى وانكحتك يا حسن سلمى‌ابنتى‌وانكحتك يا حسين الرباب ابنتى، وهى ام السكينة وفيها يقول الحسين (ع)

لعمرك اننى‌لاحب دارا تحل بها السكينة والرباب

وهى‌التى‌اقامت على‌الروضة المكرمة للحسين (ع) بكربلا حولا ثم انشدت

هذا البيت « ثم اسم السلام عليكما» الخ.

اقول: وعن المناقب عن الارشاد في اولاد علي وازواجه ومن محيابنت امرىء القيس جارية هلكت وهي صغيرة ، وفي ازواج الحسن (ع) امرأة من كلب.

وقال الجلال السيوطى في كتابه المزهر : النوع ٤٧ معرفة المتفق والمفترق فيه ثلاثة فصول : الاول فيمايتعلق بائمه اللغة والنحو الى ان قال : الفصل الثانى فيما يتعلق بشعراء العرب امرؤالقيس جماعة منهم امرؤ القيس بن حجر الكندى ـ الى ان قال ـ وامرؤالقيس بن عدى من عليم وذكرغيرهما أربعة عشررجلا بعضهم من كندة ايضاً واحدهم امرؤالقيس بن الكندى واياماً كان فجد سكنية من مشاهير الشعراء كما لايخفى. . . (١)

قوله «الان في الاية اقتربت وفي القصيدة دنت ومعناهما واحد» فيه ان الدنو أعم من الاقتراب ، لان معناه طلب القرب والجد فيه وتعمده وليس الدنو هكذا.

وقوله «لان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم استحسن صوتها» يكذبه ان ليس من احسن قصائده في القرآن شئ .

وقوله «وليس امرىء القيس اخذها من القرآن الخ» فيه انه لم يثبت كون القصيدة لامرىءالقيس الملك الضليل بدليل وانما اخذ ذلك من المجموعة التى أشرنا اليها ولايعرف جامعها ولاعلمه بالاشعاروشعرائها،ولايبعدان يكون وجدها منسوبة الى امرء القيس فظنه من زعم الاتحاد ابن عمرو بن حجر و كل ذلك ظنون لاواقع لهاوالجامع الثانى نسب النسبة الى القيل تضعيفاً ونص بكونها مقتبسة من القرآن الموجب لتأخرها عن زمان محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعدم امكان التقدم، ولووجدت في ديوانه أومحكية عنه من حاك معتبر لكان دليلا على انتسابها الى الضليل.

وقوله «لان علماء الاسلام يقرون بموته قبل البعثة» عليل لانه انما يفيد بعد اثبات الانتساب الى الضليل ولم يفعل بعدومجرد زعم الاتحادلاينفع شيئاً. وبالجملة

---

(١) بياض يقرب من صفحة .

فالذى ينفعه اقرارهم بموت قائل هذه القصيدة قبل محمد ولن يجد الى ذلك سبيلا ولاقول جامع كتب وقصائد فى مجموعة له يكون على ذلك دليلا .

قوله: دخل الفاظ قول امرىء القيس الخ أما الاية فى سورة الانبياء فهكذا ٦٩٦ «حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون» فالاشتراك فى حدب ينسلون، وأما الاية فى سورة الصافات ٦٠-٦٢ «ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم» والمشاركة فى كلمة فليعمل العاملون ، أى قدح فى ذلك ام أى نفع حتى يورده ، هل ادعى محمد صلى الله عليه وآله أو احد من المسلمين ان القرآن كلماته لاتوجد فى كلام متكلم اوان كل لفظ منه كلاماً اوغيره معجز يعجز عنه البشر، أوالمشاركة فيما زعمه من المواضع يوجب الجزم بأن استحسن صوت هذا الشاعر ، أولو استحسن دخل النقص فى اعجاز القرآن القائم بالسورة وقدرها او معجزية القرآن الذى هو عبارة عن المجموع. ويصدق على جملة من ابعاض ذلك المجموع ايضاً يلازم ان يكون كل كلام يشاركه فى بعض الكلمات مثبتاً مع القرآن فى اللوح المحفوظ قبل ايجاد العالم وينزل به جبرئيل كما نزل بالقرآن بمجرد وجود مشاركتهما فى كلمتين حتى يشنع بما يذكره ، فليجعل كل كلام يحتوى على ذكر اسرائيل وموسى وعيسى ونحو ذلك مساو كلمتين من الفاظ التوراة والانجيل مشاركاً لهما مثبتاً معهما نازلا من ربهما على من نزلا عليه، فتلك الكلمات من الهذيانات .

وقوله « فشق القمر من علامات القيمة ذكره قائل القرآن على رأى جاهلية العرب» الخ كونه من اشراط الساعة واضح عندنا ، وذلك لايقتضى تأخره عن زمان محمد صلى الله عليه وآله ، و الاقرار بالقيمة لايلازم معرفة علاماتها فأتوا بالتوراة فاتلوها فى الساعة واشراطها ان كنتم صادقين و لن تجدوا فيها من الساعة ذكراً ، ولو كان عرف اليهود والنصارى تلك العلامة كيف قال ايضاً لايعلم صحته وعدمها

قبل القيمة ، واذا اختص الاقرار بالقيمة بأهل الكتابين كيف يدعى ان عرف امرىء القيس ان كل مطالع ابياته يعتقدونها الا ان يدعى ان الله جل جلاله يحفظ قصيدته من ان تنالها عبدة الاوثان والمجوس واشباه هؤلاء ان لايظفر بها غير اهل الكتابين ، وفهى اعز عنده من التوراة والانجيل المبذول فى تلك الازمنة للدهرية وغيرهم.

وقوله «فلا يدعى فى الاية» الخ باطل، لما عرفت من دلالتها على وقوعه ووجود النقل المتواتر و ان القرآن يثبت كون نفسه معجزاً له فكيف يعقل ان ينفى مطلق المعجز عنه ، وانه كما يشهد بمعجز عيسى الذى سلموه يشهد بقوله فى صباوته « انى عبدالله آتانى الكتاب واوصانى بالصلاة و الزكاة مادمت حياً » على زعم من تنصر فلاحظ وتبصر .

المقالة السابعة

رام بعض النصارى اثبات سلامة كتب اليهود والنصارى عن التحريف بآيات من القرآن الكريم ،وقد شرحنا تلك الايات واوضحنا مقتضاها فى رسالة ونذكرها عمدة ما يتوهم ذلك منها.

فلنقدم على ذكرها مقدمة فنقول:

اعلم ان المسلمين على ان الله تعالى انزل كتاباً على موسى يسمى بالتوراة وعلى عيسى آخر يسمى بالانجيل ، وانهما كتابان سماويان نزلا من عند رب العالمين جملة لامنجماً ولا خصوص الالفاظ كالقرآن،وهماموصوفان فى القرآن بأوصاف جليلة لايهمنا ذكرها.

والنصارى ينكرون ذلك ويدعون ان نسبة تلك الكتب ليست من تلك الجهة، وانما هى من اجل كونها مكتوبة بالهام من قبل الله تعالى . ولابد ان يريدوا الهام مطالب تلك الكتب دون الهام ضبط مطالبها بالكتب ، و انهم يسلمون ان تلك المتداولة لم تنزل على الوجه الذى ذكرنا ، فهى اولا غير مايذ عن بها المسلمون، فلا ينزل عليها آيات القرآن الكريم بضرورة كونها ناظرة الى خصوص مانزل على الرسولين لامصنف آخر ولو كان لهما،وانكار الفريقين لوجود نازل عليهما لايوجب علينا رفع اليد عن نزول الكتاب عليهما فكم من حق ابطلوه ومن باطل ابدعوه .

وقد انكر على الفريقين ايضاً طوفان نوح الامر الواضح فلم يثمر الانكار،ففى

امريكون اخفى من ذلك اولى بأن لايجدى الانكار كمالايخفى.

وفى آية ٢٢ من الباب الخامس من التوراة المثنى ما حاصله ان الله تعالى فى الجبل من النار تكلم بين الجماعة بتلك الاحكام العشرة ولم يزد عليها وكتبها فى لوح من حجر فأعطانيه.

وفى الباب الحادى والثلثين كيفية ابداع اللوحين والامر بقرائتهما بمشهد من الناس فى العيد من رأس كل سبع سنين.

وبتقرير أوضح ان كافة المسلمين فى تلك الاوان انما يعرفون نبوتهما من تصديق نبيهم صلى الله عليه وآله نبوتهما من قبل رب العالمين لامن تصديق اليهود والنصارى وحالهم بعد ما عرف منهم من خلاف الامانة حال سائر الضالين من الذين اتخذوا الهاً اونبياً لاترى فيهم ما يوجب تصديقهم فيما يدعون كيف وجملة من دعاويهم مما يكذبه ضرورة العقول، كقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله.

و اذا عرفت رسالتهما من قبل رسول الاسلام فقط يكون خصوصيتهما و خصوصيات ما يتعلق بهما كما يذكره ذلك الرسول ويكون ما سوى ذلك معلوم البطلان، ولايكون مورد الشك ايضاً اذا كان منافياً لخبر خاتم النبيين بوجه. نعم يبقى مثل قوله تعالى «فأتوا بالتوراة فاتلوها» وستعرف الجواب عن امثال ذلك فى مورد يناسبه انشاءالله تعالى.

وبعبارة اخرى: مدعى المسلمين ورود التحريف على الكتاب النازل على الرسولين، ولايرتبط بذلك الكلام فى كتاب آخر وان سمى بالتوراة و الانجيل، فان التسمية لاتدل على كون المسمى بهما المتداولة مورد مدح الايات المادحة، بعد اتفاق الفريقين على ان مسماهما المتداول فى تلك الازمنة لايوصف بنزول وانما هو تصنيف كسائر التصانيف، بل يكون المسمى اجنبياً عن موصوف تلك الايات بواسطة الخصوصيات المذكورة فيها كما لايخفى، فعلى المدعى اثبات جلالة ذلك المسمى اولا ثم الذب عنه لووقع مورد تحريف ونحوه.

وآيات القرآن لاتوجه لها الى تلك التصنيفات الامن زعم كونها نفس المذكور في تلك الايات من طرف التسمية والاسم، وذلك بعد ما عرفت من مميزات المقصود فيها عن هذا المتداول في كمال الوهن كما هو واضح لايصدر الاعن جاهل أو متجاهل ونزول الكتاب من السماء كان كان معهوداً حتى قيل له «ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً من السماء نقرؤه» الاية والانزال على موسى كان مسلماً حتى رد على بعض اليهود اذ قالوا «ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى» الاية ولم يقولوا لم يكن انزال وانما كان الهاماً ونحو ذلك .

وثانياً : ان التوراة والانجيل الالهيين انما نسباقي القرآن الى موسى وعيسى عليهما السلام ، وجملة من كتب موسى غير ثابت النسبة اليه عندهم ومورد انكار ، والاناجيل تنسب الى أربابها مع ما في ذلك ايضاً، فكيف ينزل عليهما مايكون ناظراً الى الكتاب المنزل على موسى وعيسى(ع) ، ومثل «فأتوا بالتوراة» لايدل على كون ما امر باتيانه كتاب موسى كما يظهر مما يأتي.

وثالثاً : ان المراد من الالهام ماذا ، ولابد هو معنى يمتاز عن الموجود عند سائر المصنفين فيما يصنفونه والعلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء ، فان اريد ان يلقى اليه ملك فهو كأنه يسمع من ذلك الملك ويكتب ما يلقيه ويلقنه من غير اعمال فكر وروية واستعمال اسباب العلم الاختيارية كمراجعة الكتب ونحو ذلك بخلاف سائر العلماء والمصنفين فعلمهم من الاسباب الظاهرية الاختيارية واعمال فكر وروية فهو اقرار بالنزول ، وان انكروا نزول مكتوب على لوح فانما ادعوا الانتقاش على لوح القلب اولا ثم تحرير ذلك على الواح اخر، وكيف يدعى كون ذلك تصنيف فلان غير ما نزل من السماء ومن عند الله كما نزل القرآن . وان اريد معنى آخر فكيف يمتاز عن الكتب الاخر حتى يختص بكونه الهياً الهامياً دونها، ودون اثبات الامتياز خرط القتاد.

والعجب انهم يدعون الهاميتها ويقولون ان اوراق النسب كانت عند فلان كذا وصار عند فلان كذا وامثال ذلك ، واعجب منه الهامية مثل ان الناس كتبوا

اتجيلاقاً ردت الخ . واعجب منه الهامية ما في نسب عيسى وعند بعض الناس ابن يوسف الخ حكاية قول من جعله ولدزنا، والهامية ما يستلزم كون جملة من الانبياء اولاد زنا مع رمي نبي ، فهذا هوالتوراة المثنى لتم ما جاء به موسى ، والهامية ما كتبه موسى في مدين قبل نبوته واصح من الكل قول المتنخ بعد جلاء بابل في زمان داود .

ورابعاً : ان تلك الكتب قد قيل فيها ويوجد فيها ما ينافي الانتساب اليهما والالهية والالهامية .

فمن ذلك ماعن داكترسكندر كيدس من فضلاء النصارى : ظهرلي بواسطة ظهور الادلة الخفية ثلثة امور : الاول ان التوراة الموجودة ليست تصنيف موسى بن عمران ، الثاني انها كتبت في كنعان او اورشليم ، الثالث أن لايعلم ان تصنيفها قبل سلطنة داود أوبعدها بل نسبها الى زمان سليمان .

وعن الفاضل منهم :لايوجد فرق معتد به بين محاورات التوراةومحاورات الكتب المصنفة في زمان اطلاق بني اسرائيل من بابل، ولذلك ظن الفاضل ليوشلن أن تصنيف كلها في زمان واحد .

وعن سفر عزرا : احترقت التوراة ولم يكن يعلمها احد ، وقيل ان عزرا جمع مافيهامرة ثانية باعانةروح القدس، وضياعها و كتابة عزيرلها ذكرهاغيرواحد.

وعن جانمل: كا تلك اتفاق اهل العلم على ان نسخة التوراة الأصلية و كذا سائر كتب العهدالعتيق ضاعت فيأيدى عسكر بخت نصر ، ولماظهرت بواسطةعزرا ضاعت فيعهد اينو كس .

وعن كتاب المغابيين لمافتح له أورشليم احرق جميع نسخ الكتب العهد العتيق بالنار ونادى منوجد عندهشيء منتلك الكتب أوعمل بفريضة منشرع موسى فهومقتول ، و كان يفتش في كل شهر فيقتل وتمادى زمان ارتداد بنياسرائيل الىان ملكابن امون فتاب وروج شرع التوراة ولم يكن منهااسم الىسبع عشرة سنة من

ملكه وفي الثامنة عشر من ملكه وقعت قصة حلفياه الكاهن فادعى أنه وجدها في بيت الله وقرئت على الملك فخرق ثيابه .

أفلم يفحص الملك المروج عن نسخة التوراة اولم يجدها ، وكيف وجدها حلفياء بعد تلك المدة في خرابة صارت موطىء الاقدام ، وقصة ذلك في باب ٢٢ من سفر الملوك وباب ٣٤ اخبار الأيام الثاني .

وعن لاردنر في كلياته : ولم يتحقق ان ترجمة انجيل متى باليونانية من صنفها ومن المترجم للعبرانية باليونانية .

وعن فاستس من علماء المانكيزية في القرن الرابع من قرون المسيحية ان الانجيل المنسوب الى متى ليس من تصنيفه .

وعن پروفسر الجرينى انه هذا الانجيل تمامه كذب، وقيل كان عند المارسوتية ولم يكن فيه البابان الاولان وكذا عند الابيونية هما الحاقيان و انكرهما أيضاً جماعة و نورتن كان ينكر اكثر مواضعه .

وعن وارد كاتلك عن جيردم أن بعض القدماء كانوا يشكون في الباب الاخر من انجيل مرقس ، وعن نورتن فيه عبارة قابلة للتحقيق وهي من الاية التاسعة الى آخر الباب .

والعجب من كريباخ حيث علمها بعلامة الشك ثم أقام أدلة على الحاقيتها .

وعن قيس فندر في حل الاشكال في ص ١٢٥: هذا حق ان انجيل مرقس ولوقا ليسا من الحواريين .

وعن كاتلك هرلد: كتب الاستاد لن أن مصنف انجيل يوحنا طلبة من طلاب مدرسة الاسكندرية بلاريب .

وعن برطشيندر : تمام هذا الانجيل وكذا رسائل يوحنا ليس من تصنيفه بل كتبها شخص في ابتداء القرن الثاني ، ويحكى هذا الانكار عن فرقة وكين في القرن الثاني أيضاً .

وعن كرونس انه كان عشرين باباً والباب الحادي والعشرين ألحقه كنيسة اقسس بعد موت يوحنا .

وعن واتس : عدم الهامية انجيل لوقا يتضح ممافي ديباجته كثير من الناس مدوا الايدي الى تأليف حكايات امور انتهت الى اليقين عندنا كما أبلغ الينا البصراء وخدمة الكلام من بدو الامر ، فرأيت انا اكتبها بتدقيق تتبع وترتيب جديد فيه شهادة على ان كتابة الاخرين لم تكن عن الهام ومن تأليف القصص كسائر المؤلفين فلاحظ .

وعن ريس : اختلفوا في الهاميتهم ، وقالوا في أفعالهم وأقوالهم خطأ كثير . وأيضاً لم يكن كل واحد يظن الاخر صاحب وحي والهام كما يعرف من مناظراتهم في اورشليم . وأيضاً قدماء المسيحية لم يحتسبوهم كذلك حيث اعترضوا عليهم أحياناً

وعن الفاضل نورتن في كتابه في الاسناد عن اكهارن في ابتداء الملة المسيحية كانت رسالة مختصرة في أحوال المسيح يجوز أن يقال انها الانجيل الاصلي والظن الغالب ان تلك الرسالة ألفت لمن لم يرو لم يسمع أقوال المسيح ولم تكتب مرتبة ثم ذكر كثرة الاناجيل الكاذبة وانه لم تشتهر الاربعة في القرنين وانما اشتهرت بعدهما

و قال الرضا عليه السلام : يا جاثليق الاتخبرني عن الانجيل الاول حين افتقدتموه عند من وجدتموه ومن وضع لكم هذا الانجيل؟ قال له : ما افتقدنا الانجيل الايوماً واحداً حتى وجدناه غضاً طرياً فأخرجه الينا يوحنا ومتى فقال الرضا عليه السلام ما أقل معرفتك بسر الانجيل وعلمائه ، فان كان هذا كما تزعم فلم اختلفتم في الانجيل وانما وقع الا ختلاف في هذا الانجيل الذي بأيديكم اليوم ، فلو كان على العهد الاول لم تختلفوا فيه، ولكني مفيدك علم ذلك اعلم انه لما افتقد الانجيل الاول اجتمعت النصارى الى علمائهم فقالوا لهم: قتل عيسى بن مريم وافتقدنا الانجيل وانتم العلماء فما عندكم. فقال لهم لوقا ومرقابوس: ان الانجيل في صدورنا ونحن نخرجه سفراً سفراً في كل أحد فلا تحزنوا عليه ولا تخلوا الكنائس فانا سنتلوه عليكم في كل احد سفراً

سفراً حتى نجمعه كله، فقصد لوقا ومرقابوس ويوحنا ومتى فوضعوا الكم هذا الانجيل بعدما افتقدتم الانجيل الاول ، وانما كان هؤلاء الاربعة تلاميذ التلاميذ الخبر

فلنقتصر فى هذا المقام على تلك النبذة اليسيرة اذ يظهر منها أن المتداول فى تلك الازمنة ليس النازلين على الرسولين ولايتوجه اليه ما كان ينظر اليهما.

ثم ان هذا المتداول لم يكن مبايناً للنازل عليهما من كل وجه، بل فيه بعض ما كان فيهما وكان الفريقان قد اتخذوه حجة فيما بينهم وبين ربهم وعاملوا معه معاملة كتاب الله وكتاب الرسولين ، ومن تلك الجهة صح الزامهم بشىء صحيح يوجد فيه بالعناوين المذكورة فى الايات الشريفة سوى الناصة بنزولهما على الرسولين

واذا عرفت هـذا فاعلم أن غرض المستدل لما كان الاستدلال بتلك الايات الشريفة على سلامة التوراة والانجيل من التحريف واستظهار نص صاحب القرآن بذلك ، فادعى انه كان يعرفهما حق المعرفة وعامل مع المتداول معـاملته مع سالم التوراة والانجيل عن التحريف فيكونان هما الموجودان فى تلك الاوان وسالمين عن وصمة التحريف، فلو استظهر من القرآن الكريم خصوصاً الآيات التى تشبث بذيلها الدالة على وجود شىء فى التوراة والانجيل ولم يوجد ذلك فى المتداول منهما باقرار من الخصم كان ذلك دليلا على كون الموجود محرف ما كان نظر صاحب القرآن فى زمانه اليه وناقص ذلك وسقيمه لاتمامه وصحيحه .

وهذا لازم استدلاله واقراره بمعرفة صاحب القرآن لهما فليقر بأن نـالهما التحريف ، ولااقل من أن يعذر المسلمين ويرى ان مدعاهم مما يفصح عنه القرآن ومما اخذوه منه، وقول قالوه عن دليل حجة لهم وعليهم و عندهم لاخرص أوظن أو نحو ذلك، ولاهو شىء افترمه علماء التفسير فيما بعد صدر الاول حين ما وجدوا القرآن مخالفاً لهما ، بل القرآن افصح عن ذلك من صدر الزمان بل مثل بهت اتى به لاضلال العوام .

فنقول : مما توهم منه ثبوت مدعاه قوله فى الاعلى ١٨-١٩ «ان هذا لفى الصحف

الاولى صحف ابراهيم وموسى » وفى النجم ٣٦ - ٣٨ «ام لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى ألا تزر» الخ ومن الواضح ان المراد أن هذا المطلب ليس مطلب جديد لم يذكر قبل فقد سبق ذكره فى صحفهما، ولا يتوقف الاخبار عن ذلك على وجود الصحفين بين الناس وفى أيديهم ، كما ان كونه منبىء بما فيهما لايتوقف على علمه بهما ويكفى علمه به وانه مذكور فيهما وان كانا انعدما قبله بألف عام ، فان بقاء الذكر لايتوقف الاعلى اصل الوجود .

ثم ان النصرانى ادعى أن صحف ابراهيم مافيه قصة من اسفار التوراة ، ولعل ملاحظه الايتين يرشد الى بطلانه ، حيث تدل آية النجم على أن نسبة الصحف الى ابراهيم نحو النسبة الى موسى، ومن العكس فى الاعلى يعرف انها الى الكل من جهة واحدة لامغايرة .

وفى رواية ابى ذر عن النبى صلى الله عليه وآله: انزل الله تعالى على ابراهيم عشرين صحيفة وفى أخرى عشر صحائف ، قال : وكانت أمثالا كلها . قلت : فما كانت صحف موسى ؟ قال: كانت عبراً كلها . قلت : فهل فيما بأيدينا شيء مما فيهما ؟ قال : اقرأ «قد افلح من تزكى» الى آخر السورة .

وفى رواية الاصبغ عن على عليه السلام بعد ذكر هما : والله عندى ورثتهما من رسول الله «ص» وورثهما من ابراهيم وموسى .

عبدالحميد بن ابى الديلم عن الصادق عليه السلام: وانما عرف مما يدعى العلم بالتوراة والانجيل والفرقان فما كتاب نوح وما كتاب صالح وشعيب وابراهيم - ثم ذكر آية الاعلى .

وعن الباقر عليه السلام انه قرأ مناجاة اليا النبى بالعبرانية وبكى .

وفى حديث برهة : وانى لكم التوراة والانجيل وكتب الانبياء ، فقال : هى عندنا وراثة من عندهم نقرأها كما قرأوها ونقولها كما قالوها .

وفى روايات : ولحكمت بين اهل الزبور بزبورهم حتى - الخ .

وفي روايات: ان ألواح موسى غيرالتوراة وفيها تبيان كل شيء يكون الى يوم القيمة .

وقد ذكر عدة من كتب الانبياء في المحديث الطويل في امر المباهلة وكانت عند النجرانيين ، فلولم يوجد فيهما ذلك ومافي النجم ظهر التحريف ، ولووجد أيضاً فانما يظهر السلامة بالنسبة الى خصوص المحكي وهو لايدل على السلامة من كل جهة ، وعدم الداعي الى التحريف في خصوص محكي المقام لايستلزم انعدام اصل التحريف مطلقا كماهو واضح .

وفي الصافات ١١٧ «وآتيناهما الكتاب المستبين» وكونه مستبيناً لايستلزم أن لايعرضه انعدام أوخفاء اوتحريف ، فقد وقع كل ذلك كما يعرف من تلف التوراة ومن دعوى حبين سرقة اليهود البشارة بالمسيح .

وفي الشعراء /١٩٧ «أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل» وظاهره انه في امرالقرآن وانه مذكور في زبرالاولين ولاينحصر في التوراة والانجيل، والغرض انه أوليس آية لهم تدلهم على صدقك ونبوتك ونوع نزوله ، ويعرفون أنه ينزل على النبي بعد عيسى . ثم ان علم علماء بني اسرائيل بذلك لايلزم :

اولا: ان يكون ناشئاً من خصوص التوراة والانجيل ، لوضوح عدم انحصار مدرك العلم فيهما ، فكيف تدل على سلامتهما من التحريف بعد عدم وضوح الاستناد اليهما .

وثانياً : ان مدعى ذلك اما ان يدعى أن محمداً صلى الله عليه وآله حيث جاء بهذه الاية كذبه علماء بني اسرائيل عامة من آمن منهم ومن بقي على كفره وقالوا لم نعلمه ولاواحدمنا في وقت ابداً فعليه اثبات ماواجهوه به من كلامهم، واما ان يقبل عدم التعرض وهونوع من الافحام ، وحينئذ اذا لم يجد ذكره في توراتهم وانجيلهم المتداول فليلتزم بعروض التحريف عليهما . ولعل ايمان من آمن مـن علماء بني اسرائيل كاف في التزامه بذلك فوجدوا ذلك صدقاً فثبتوا على الاسلام،

ولووجدوه خلاف الواقع لرجعوا على اعقابهم مدبرين

ثم ان علمهم هذا انما كان ظهرمنهم قبل ان يصدع بالامروصارسببا لاسلام جماعة وكان يتم به الحجة ايضاً ، ووقوع ذلك حينئذ لايلازم دوام الاظهار

ثم ان من موارد ذكرالقرآن مافى قصة موسى عليه‌السلام بعد مااخذالالواح ورأى فيها الامة الممدوحة وسئل‌الله تعالى ان‌يجعلهم امته قال : انی اجد فی‌الالواح امة كتبهم فی صدورهم يقرؤنها فاجعلهم امتی . قال : تلك امة احمد ـ الخبر .

وفی مناجاة له فيها البشارة بعيسى ومحمد (ص) وجملة من اوصاف محمد وامته : فمُرظلمة بنی اسرائيل ان لايدرسوا اسمه ولايخذلوه وانهم لفاعلون‌وحبه‌لی حسنة فأنا معه وانا من حزبه وهومن حزبی‌وحزبی‌هم‌الغالبون‌فتمت كلماتی‌لاظهِرن دينه علی‌الاديان كلها ولاعبدنّ بكل مكان ولانزلن عليه قرآنا فرقانا شفاء لما فی الصدورمن نفث الشيطان ، فصل عليه يابن عمران فانی‌اصلی‌عليه وملائكتی‌ـ‌الخبر

وقال الرضا عليه السلام لرأس الجالوت : هل تعرف حيقوق النبی ؟ قال: نعم انی به لعارف . قال: فانه قال : وكتابكم ينطق به‌جاءالله بالبيان من جبل فاران وامتلاءت السموات من‌تسبيح احمد وامته يحمل خيله‌فی‌البحر كمايحمل فی البر يأتينا بكتاب جديدبعدخراب بيت‌المقدس يعنی به‌القرآن. قال: هذا قوله‌لاننكره .

وفی‌الملائكة ۶ «مصدقا لما بين يديه »الخ وای دليل على ان المرادممابين يديه النسخ المتداولة من كتب الفريقين وان المراد من المصدق هوالمظهر لصادقية كل ما فی‌تلك النسخ . ولعله يستدل لذلك بان القرآن كالتوراة يدعوالی‌التوحيد كيف‌وينسبون‌التثليث الی‌انجيلهم‌والقرآن يقول فی‌عيسی‌عليه‌السلام(غيرـظ) ماقال انجيلهم‌فيه‌كما رده‌القرآن‌وانجر‌الامر‌الی المباهلة، ولوعلم ارادةالكتابين فی‌مورد فنظره الی‌النازل علی‌الرسولين‌لاالنسخ المتداولة(۱)ومتی‌كان‌نظرالقرآن‌الی‌انجيل يوحنا الذی‌قيل‌فيه‌انه‌ليس‌من تصنيفه . ومعنی‌التصديق‌اظهار كونهما من‌قبل‌الله‌تعالی

(۱)يعنی‌فی‌عنوان الكتاب ونحوه‌فلاينافی المروی عن‌الرضا(ع)من كون‌البشارة‌بمحمد (ص) المذكور فی قوله ومبشرا برسول يأتی من بعدی اسمه احمد(ص)عند يوحنا وظاهره بواسطته فلاحظ ای ليس نظرالقرآن الی انجيل‌يوحنا وغيره‌المتداولة بايديهم‌ـ‌ابن‌المؤلف محمد حسين‌عفی‌عنه

قبال من كذب الرسولين و كتابهما .

وفى الشورى ١٤ «وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب» ومن أين علم ان المراد من الكتاب هو كتاب الرسولين واللفظ اعم ، ولو كان أيضاً فالوارث انما يجوز خصوص مابقى الى زمانه ، واطلاق مثل لفظ الكتاب على الكل والبعض اكثر من أن يحصى .

وفى المقام قرينة على ان النظر الى بعض خاص ، وبيانها : انه اشار الى الدين الذى شرعه جملة من الانبياء نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام وامر باقامته وعدم التفرق فى ذلك فقال «كبر على المشركين ماتدعوهم اليه» ، ثم ذكر الاجتباء والهداية وتفرق من تفرق عن علم لاجل البغى، ومن الواضح ان الامر المشترك بين هؤلاء الانبياء عليهم السلام الذى وصاهم به واوحاه اليهم خصوصاً بعد ملاحظة كبره على المشركين هو خصوص التوحيد ، والتفرق فيه هو عدم الموافقة مع القائلين به والانفراد عنهم بانكار التوحيد و الاشراك ، وكون ذلك التفرق عنهم طلب البغى على الموحدين الثابتين على التوحيد ،وبعدما جائهم العلم به وبكونهم محقين فى ذلك الاعتقاد فلايخرج عن ذلك عالم ويبقى العوام غير مذكورين بوجه .

وحيثما ذكر التفرق بعد العلم ابتغاء البغى ولا يشمل ذلك شاكاً كمالايخفى، تعرض للشاكين وهم الذين لم يأتهم العلم وليس تفرقهم بغياً بينهم، وينحصر ذلك فى العوام الذين لايعلمون الكتاب الأمانى فلم يأتهم علم، ولو خالفوا اهل التوحيد لا يعلل بالبغى وهم يوصفون بالشك لمايعروهم عندما يختلف العلماء كما لايخفى .

ولوجود أدلة التوحيد فى كتابهم مدخل عظيم فى شكهم ذلك ولذلك عنونهم بعنوان أورثوا الكتاب .

وقوله «من بعدهم» يراد به البعدية فى المرتبة والعوام الذين هذا حالهم دون الفرقة الاولى الذين تفرقوا بعد العلم بغياً كما لايخفى . ولايراد به البعدية الزمانية لما يدل من الايات على وصف معاصرى محمد صلى الله عليه و آله من أهل الكتاب بغير

الشك وماينافيه كما هوواضح، فالنظر في المقام الى ارث خصوص مايدل على الدين المشترك بين هؤلاء الانبياء الكبير على المشركين اذادعوا اليه الذي يكون تفرق جملة من الخارجين عنه بعدعلمهم وبغياً، وهومنحصر في التوحيد كما عرفت ، ولايتوقف الذكر في المقام على ارث أزيد من ذلك كما لايخفى ، وهذه الاناجيل أيضاً واجدة لادلة التوحيد كما بين في محله .

ثم ان المتفرق عن علم وبغياً كان لاينفعهم دعوة بخلاف من هو في شك مريب كماهوواضح ، امره الله تعالى بدعوتهم فقال «فلذلك فادع واستقم» الخ.

وفي المؤمن ٥٣ «واورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الباب» والوارث كافتهم فكان صحيحه عند كلهم .

والجواب : انه لم يعلم ارادة كل اسرائيلي في تمام الاعصار ولاخصوص عصر محمد «ص» كيف وهو براهم كفاراً يدعوهم الى الهدى فالوارثون هم الانبياء منهم واوصياؤهم الموكلون بحفظ شريعة التوراة .

ولعل قوله «وذكرى لاولي الالباب» فيه اشارة الى الاختصاص بالبعض ، ووصول التوراة الى بعض بني اسرائيل بايراث الله تعالى لايستلزم الوجود والسلامة عند الكل وفي كل آن بل اتحاد الارث ربما يشير الى الاختصاص بخصوص الطبقة الاولى فلاحظ . بل ولا الارث يدل على حفظ الوارث له، بل كون فائدة هذا الارث الهداية والذكرى يوجب العلم بعدم الحيازة والحفظ اذا علم انتفائهما عن الوارث كمالايخفى . ويؤيد ذلك ما قالت المسيحية في حق كتب العهد العتيق فراجع .

وفي طه ١٣٣ «وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه اولم تأتهم بينة مافي الصحف الاولى» صريح في انه وصلهم بينتهم .

والجواب : انه زعموا ان لم يأتهم بآية من ربه تشهد على صدقه فخاصمهم فخصمهم ان اتتهم بينة ما في الصحف الاولى، فان وجدت اليوم علم من الاية سلامة تلك الصحف بالنسبة الى تلك البينة لامطلقا كما لايخفى ، والاعلم ان اخرجت من

تلك الصحف فأى تحريف افظع من هذا ولا غرو فى هذه الدعوى ، فقد ادعى جبيتن قبال طريفون اليهودى ان اليهود اسقطوا بعض البشارات بعيسى من التوراة

ثم من ذلك ما فى حديث الرضا عليه السلام : التفت الى رأس الجالوت فقال : يا يهودى اقبل علي بالعشر الايات التى انزلت على موسى بن عمران هـل تجد فى التوراة مكتوباً نبأ محمد صلى الله عليهوآله وامتهاذا جاءت الامةالاخيرة اتباع راكب البعيريسبحون الرب جداً جداً تسبيحاً جديداً فى الكنائس الجدد ، فليفزع بنواسرائيل اليهم والى ملكهم ليطمئن قلوبهم ، فان بأيديهم سيوفاً ينتقمون بها من الامم الكافرة فى اقطار الارض، أهكذا هوفى التوراة مكتوب ؟ قال رأس الجالوت: نعم انالنجده كذلك . ثم قال للجاثليق : يا نصرانى كيف علمك بكتاب شعيا؟ قال: أعرفه حرفاً حرفاً قال لهما: تعرفان هذا من كلامه ياقوم انى رأيت صورة راكب الحمارلابسأجلابيب النورورأيت راكب البعيرضوؤه مثل ضوء القمرفقالاله: قدقال ذلك شعيا . فقال عليه السلام : يانصرانى هل تعرف فى الانجيل قول عيسى : انى ذاهب الى ربكم وربى والبارقليطا جاء، وهوالذى يبدى فضائح الامم وهو الذى يكسر عمود الكفر . فأقربه جاثليق الى ان قال : ثم انك تقول من شهادة عيسى على نفسه حقاً اقول لكم يا معشرالحواريين انه لايصعد الى السماء الامن نزل منها الاراكب البعيرخاتم الانبياء فانه يصعد السماء وينزل فما تقول فى هذا القول ؟ قال الجاثليق هذا قول لاننكره ـ الى ان قال ـ اتعلم يايهودى ان موسى بن عمران اوصى بنى اسرائيل فقال انه سيأتيكم نبى من اخوانكم فيه فصد قوه ومنه فاسمعوا . فقال رأس الجالوت : هذا قول موسى لاندفعه الى ان قال فى التوراة قد جاء النورمن جبل طورسينا واضاء لنا من جبل ساعير وستعلن علينا من جبل فاران . قال : أعرفها وما ادرى ما تفسيرها الى ان قال فاران جبل من جبال مكة بينه وبينها يوم . وقال شعيا النبى عليه السلام فيما تقول وانت واصحابك فى التوراة رأيت راكبين اضاء لهما الارض احدهما راكب حماروالاخرعلى الجمل وهومحمد صلى اللهعليه وآله.

وقال قال داود فى زبوره و انت تقرأه اللهم ابعث مقيم السنة بعد الفترة ثم اوضح انه محمد . قال وفى الانجيل مكتوب ابن البرة ذاهب والبارقليط جائى من بعده وهو يخفف الاصار ويفسر لكم كل شيء ويشهد لى كما شهدت له ، انا جئتكم بالامثال وهو يأتيكم بالتأويل اتؤمن بهذا فى الانجيل ؟ قال : نعم ولا انكره .

وفى صدر هذا الحديث قال: أقسمت عليك هل نطق الانجيل بأن يوحنا قال: ان المسيح أخبرنى بدين محمد العربى و بشرنى به انه يكون من بعده فبشرت به الحواريين فآمنوا به. قال الجاثليق : قد ذكر ذلك يوحنا عن المسيح وبشر بنبوة رجل وبأهل بيته ووصيه ولم يلخص متى يكون ذلك ولم يسم لنا القوم فنعرفهم .

وفيه انه قرأ عليهم من السفر الثالث من الانجيل ذكر محمد واهل بيته وامته بمشهد من نسطاس الرومى ورأس الجالوت بعد ما ادعيا علم الانجيل فأقر الجاثليق بذلك، ثم سأله الجاثليق عن عدة حوارى عيسى وعلماء الانجيل؟ فقال : اما الحواريون فكانوا اثنى عشر رجلا و كان افضلهم و اعلمهم لوقا ، واما علماء النصارى فكانوا ثلاثة رجال يوحنا الاكبر بآج ويوحنا بقرقيسيا ويوحنا الديلمى النجار و كان عنده ذكر النبى وذكر اهل بيته وامته ، وهو الذى بشر امة عيسى وبنى اسرائيل به وقال قبيل ذلك فيه القدم المقدم عند عيسى بن مريم . وقال الجاثليق : بخ بخ احب الناس الى المسيح

وفى يونس ٩٤ «فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك» الاية ، امر بسؤالهم ووصفهم بأنهم يقرؤن الكتاب فكيف يدعى تحريفه

والجواب : ان المدعى كون الكتاب الهيأ الهامياً سالماً من وصمة التحريف ونحوه ، وهذه الاية لاتدل على شيء من ذلك . وبيان ذلك : أن الخطاب مع محمد «ص» والمقصود غيره من الشاكين فيما أنزل اليه ، سواء فى ذلك من كفر به من أهل الكتاب وغيرهم من عبدة الاوثان والدهرية وغيرهم، فقد جعل الشك فى ذلك علة لوجوب السئوال، ولابد أن يكون سئوال الذين يقرؤن الكتاب رافعاً لمرض الشك من هؤلاء الشاكين فى نظر صاحب القرآن و الا لم يأت بتلك القضية الشرطية كما لايخفى .

والمراد من الكتاب فى قوله «يقرؤن الكتاب» هوخصوص ماكان متداولا بين اهل الكتاب زمان نزول الاية وقربه ، اذلم يكن لهم غيره ، الا ان ذلك لايدل على الهيته والهاميته ولاعلى سلامته من أنواع التحريف ، لضرورة ان غايةما يستفاد من الاية أن الشك فيماانزل اليه يرتفع منذلك الكتاب ، وهولا يتوقف على كونه مانزل على موسى وعيسى عليهما السلام ولاعلى صحة جميع مافيه فضلا عن عدم ورود تحريف اسقاطى عليه كمالايخفى ، اذ بعد ادعائهم الهيته والهاميته وتصديقهم ذلك فيه بلزمون على حقية مافيه ويرونه خبراً سابقاً صحيحاً ، وكان ذلك فى الواقع كذلك وان فرض اندراجه فى كتاب مجعول ، ويتم الحجة على غيرهم بماكان لهم من الاعتماد عليهم فى امثال ذلك .

ثم ان الشك فيما انزل اليه[1] اماان يكون بالشك فى النزول أوبالشك فى صحة ماانزل ، ومن الواضح ان الثانى يرتفع بارتفاع الاول ، وان الاصل هوالشك فى النزول وان لوثبت النزول عليه من عند الله تعالى لثبت نبوته وارتفع الشكوك ، فهذا هوالمشكوك الذى امر الكفارفيه بسئوالهم من الذين يقرؤن الكتاب وقدسلف مايصدق ذلك من الكتب السالفة .

ثم انهناعلى المستدل سئوالا، وهوان حاصل مدلول الاية ان الشك فى أمر محمد «ص» ونزول شيء عليه والشك فيما انزل عليه يرتفع بمراجعة كتابهم وان فيه الدافع والرافع لذلك الشك والالم يأمربسئوال الذين يقرؤنه، فان كان الامر كذلك فما لهم لايؤمنون والافكيف يدعى سلامة كتابهم بمقتضى هذه الاية واثبات التحريف من وجه آخر ، وهو أن الذين اسلموا من اهل الكتاب قدسمعوا هذه الاية وصدقوها وعلموا أن فيه رافع هذا الشك والاكذبوها و كذبوا محمداً وارتدوا عن الاسلام ولم يفعلوا ، وكذا المنافقون عرفوا صدق ذلك ولم يظهروا الخلاف والقدح فى القرآن ، ومن ذلك يعلم محرفية مايخلو عن رافع الشك فيما انزل على محمد «ص» بأوضح وجه، فنعم دليل السلامة هذه الاية من الكتاب الكريم .

(١) ولعل ترك العايد فى قوله انزلنا يشير الى الشك فى النزول فقط

وفى الانعام ٢٠ «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفرن ابنائهم» الاية ، مدحهم بتلك المعرفة ولوأن كتابهم غير الهى أوغير صحيح لم يعرفوا .

والجواب : ان الاية اخبارعن حال جماعة وصفهم بأن آتاهم الكتاب بأنهم يعرفون محمداً صلى الله عليه وآله بنبوته كما اراد كفار مكة حق المعرفة معرفة كاملة كما يعرفون أبنائهم ولايعرضهم فيه شك كما لايعرض فى أولادهم، وان تلك المعرفة ثابتة فى قلوبهم وان لم يظهروها عناداً وبغياً ، وثبوت تلك المعرفة لهؤلاء موقوف على كون الكتاب حاوياً لعلاماته وأوصافه بحيث لايمكن الشك فى نبوته بعد معرفتها. ثم اخبرعن حال اهل الكتاب بقوله «الذين خسروا انفسهم فهم لايؤمنون» بكتمان تلك المعرفة ، وقال فيهم «ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً» فقال لم يذكرمحمد ونبوته ، او كذب بآياته وخبره عنه فى الكتب السالفة «انه لايفلح الظالمون» ، فان كانت كتبهم فى تلك الازمان بحيث تفى بمعرفة هذا الرسول كمعرفة كل ولده فما لهم لايؤمنون يخسرون انفسهم ويفترون على الله أويكذبون خبره ، وان كانت ليست كذلك فكيف يدعى سلامة الكتب المتداولة بدلالة القرآن وقول محمد «ص» ومن تلك الاية وهى ناصة باحتوائها على ما يوجب معرفته بالرسالة حق المعرفة .

ثم ان وجود دلائل معرفته كذلك أيضاً لايدل على سلامتها من التحريف من كل وجه لوضوح جامعية ذلك لورود أنواع من التحريف كمالايخفى .

وقوله «آتيناهم الكتاب» لايدل على سلامته عند كلهم ودوام تلك السلامة الى آخر الابد ، وبعد ماتداول بينهم من توارد التحريف والتغيير فى كل وقت لايحتاج دعواه الى شاهد .

ثم ان المراد من قوله «آتيناهم الكتاب» بالنسبة الى معاصرى محمد «صلى الله عليه وآله» بعدماعرف من الواردات على الكتـاب هو وصول مضمونه وشىء منه اليهم فلاحظ .

ومن ذلك يظهر الكلام فى قوله فى القصص ٥٢ «الذين آتيناهم الكتاب من قبلهم به يؤمنون واذا تتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين»

حيث دل على أن الذين آتاهم الكتاب يؤمنون بالقرآن ويقرون بحقيته ويظهرون سبق اسلامهم على نزوله ، واذا لم يكن الكتاب يوجب ذلك ظهر محرفيته عما كان فى وقت محمد صلى الله عليه وآله. والدليل على صحة مضمون الاية سكوت من أسلم منهم والمنافقون عن التخطئة والقدح فيها وتسالمهم فيها وما يحكى من فعالهم ، فلاحظ ان كان نظر الآية الى الموجود فى زمانه دون خصوص النازل على الرسولين وكيف يفضح اهله .

ومثله الحال فى قوله فى الرعد ٣٦ «الذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه» الخ ، ويقرب منه قوله تعالى فى الاسرى ١٠٧ « ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان » الخ و مثل ذلك قوله فى العنكبوت ٤٧ «وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون» ومثله يأتى آنفاً فلاحظ .

وايضاً فى سورة الانعام ٩١ «قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً و هدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً و علمتم مالم تعلموا انتم و لا آباؤكم قل الله ثم ذرهم يلعبون» .

واستدلالهم بهذه الاية من العجب العجاب لصراحتها فى انزال الله تعالى الكتاب الذى جاء به موسى وصراحتها فى أن يجعلونه قراطيس يبدونها و يخفون كثيراً وهو التحريف الصادر عنهم فى زمان محمد صلى الله عليه وآله وزعم اختصاص ذلك بالمدينة وحولها فاسد ، حيث أن الكثير المخفى مما كذب اليهود محمداً صلى الله عليه وآله ولم ينشر ذلك بعدما كانوا يخفون ، فلاحظ ماسلف من حكاية انحصار ما نزل فى الاحكام العشرة ونحو ذلك، وكل هذه لتوهم أن البشارات بعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله لم يكن من التوراة وسيأتى قوله سورة المائدة ١٥ « ويبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون ويعفو عن كثير» وهذا الاخفاء كان فعل علمائهم و للاغراض

النفسانية، والالم يذموا وعن تمام العوام والاليقيد كما لايخفى، وكان ذلك سبب عدم ايمانهم وبقائهم على مذهبهم، فيدوم بدوام ذلك ولايختص بأهل بلد دون دون بلد ومن الغلط العجيب توهم كون ذلك اخفاء عن محمد صلى الله عليه وآله فقط ومن الديانة قول ان وجود الخبر السابق عن محمد وعدمه لايهمنا لوضوح أنه لو كان كيف صار فى هذه الاوان وان لم يكن اتضح وقوع الاسقاط فى ذلك الزمان .

وايضاً قوله تعالى فى سورة الانعام ١١٤ «والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلاتكونن من الممترين» يدل على أن اهل الكتاب يعلمون حقية نزول القرآن من عندالله ، فان لم يعلمه هؤلاء علم أن ليس كتابهم هو الكتاب الذى آتاهم الله تعالى المذكور فى هذه الاية وان حرف منه ما يوجب العلم بحقية نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وآله وأى دليل اوضح من ذلك على سلامة كتابهم من التحريف .

وربما يستفاد حقية القرآن وانه من عندالله تعالى وحقية من جاء به من قوله فى التوراة: واجعل كلامى فى فيه فيقول كلما أوصيه به فلاحظ .

ومن قوله فى الانجيل : الذى لايكلم من قبل نفسه . ومن العلم توهم أن منشأ هذا العلم اتحاد مطالب القرآن مع مطالب التوراة والانجيل ، وتوهم ان الكل كتاب واحد بألسنة مختلفة، ولولا مثل ذلك لم يخدع العوام .

وأيضاً فى سورة الانعام ١٥٦ «ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا» الاية نزل عليهما وهما يقولان لم ينزل بل كتب الهاماً ومع ذلك قالوا فيه ماقالوا واظهر الله تعالى حال ماكان عندهم فى جملة من الايات .

وفى القصص ٤٩ «قل فأتوا بكتاب من عندالله أهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين» يدل على ان التوراة الموجودة فى زمان محمد صلى الله عليه وآله كانت هدى وكان يتبعها فلابد ان تكون اليه دفعت سالمة عن التحريف والالم تتبع .

والجواب : ان الاية فى دفع الذين قالوا « لولا أوتى مثل ماأوتى موسى »

مظهرين انلو أوتى مثل ماوتى موسى لم يكفر به كافر، فردهم بأن كفروا بماوتى موسى ايضاً ولو كان اتيان مثله موجباً لعدم الكفر لم يقع ذلك وقدوقع، ثم اراد اظهار كون كل من القرآن والتوراة كتاباً هادياً فقال «فأتوا بأهدى منهما» و تخصيص التوراة في المقام بواسطة الاختصاص في كلام المعترضين من الكفار كما لايخفى

ووعد الاتباع لوجاؤا بأهدى منهماوفي ضمن القضية الشرطية لايدل على فعلية اتباعه لهما ، مع ان المقصود من قوله (اتبعه) هو تبعية الذين من شأنهم الاتباع من الناس دون خصوص نفسه الشريف كما لايخفى .

مع ان تلك المخاطبات انما وقعت بالنسبة الى امر خاص وهو ما كفروا به وكان يدعوهم الى تركه وهو التوحيد والاقرار برسالته ، وهذا ما جعلهما هدى فيه ليتبع والامر في التوحيد ورسالته لم يكن بحيث يتبع هو فيهما كتاباً وانما يكون ذلك لغيره كمالا يخفى .

ثم بين ان حال هؤلاء اتباع الهوى دون الاخذ بحجة بقوله « فان لم يستجيبوا لك» في اتيان الاهدى اوتصديق الرسالة بعد تلك الا حتجاجات ايضاً « فاعلم انما يتبعون اهوائهم» ثم قال فيهم «ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله والله لايهدى القوم الظالمين» لايوفقهم للاهتداء بل يشملهم الخذلان بماصنعوا .

وبالجملة فكون التوراة الموجودة هادياً وهداية في ذلك الامر الخاص لايتوقف بالضرورة على كون جميع مافيه الهامياً وسالماً عن التحريف ولا بتبعيته في ذلك على تبعيته في سائر الامور ، بل ان صدقوا رسولا جاء بعد التوراة كان ذلك الرسول مرجعاً في تمام امورهم الدينية من غير حاجة الى التوراة كما لايخفى .

ولما كان مدلول الاية الشريفة هادوية التوراة في الامر المتنازع فيه بينه صلى الله عليه وآله وبين هؤلاء الكفار الذين حاجوه بما في الآيات ، وقد عرفت انه امر ان التوحيد ورسالته فالمقر بكون التورية هدى في ذلك ان لم يجد الدلالة الواضحة عليهما عرف كون المتداول محرف التوراة الموجود في زمان محمد صلى الله عليه و آله

ووقت نزول هذه الاية من غير تأمل وبدون حاجة الى دليل آخر فلاحظ .

وفي الانبياء ١٧ والنحل٤٣ «فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون» امر بسئوالهم ولايستقيم الامع صحة كتابهم .

والجواب : ان الامر بـالسؤال لو كان انما هو فى امر خاص ، وهو كونه لم يرسل الارجالا يوحى اليهم ، ومعرفة ذلك لايتوقف على صحة كتاب اهل الكتاب بوجه كما لايخفى .

وفي الاسرى ٤ « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين» الى عدة آيات، فكان موجوداً فأخبرهم بمافيه.

والجواب : ان الملتمس ان يرينا القصة المذكورة فى الآيات فى شىء من كتب العهدين سواء تعلقت بهم ام كان اخبار أعمايقع للمسلمين، وقد اذعن المستدل فى غير موضع ان محمداً صلى الله عليه وآله كان يعرف تلك الكتب حق المعرفة فالتحريف واضح .

وفي الرعد٤٣ «ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب» جعله شاهداً لمدعاه ولولا صحة كتابهم لم يفعل .

والجواب : مع الجرى على الظاهر ان علم الكتاب يلازم معرفة رسالته و الشهادة له بذلك، واذاتخلف ظهر اختلال الكتاب على الوجه الذى سلف بيانه.

وفي الاعراف ١٥٦ «فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به و عزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه اولئك هم المفلحون» يدل على شيوعهما وسلامتهما عن التحريف .

والجواب : انه تعالى أثبت الرحمة لاهل التقوى و الزكوة و الايمان بآياته واتباع النبى الامى الذى يجدونه عندهم فى الكتابين بوصفه المذكور فى الاية ، و

يحتمل فيه الاستينافية ذكر فى مقام المدح كما لايخفى ، ويحتمل انيكون تخصيص يجدونه مكتوباً عندهم بهؤلاء التابعين بواسطة اختصاص ترتب اثر المكتوبية بهم فلاحظ .

ولعل كونه أمياً منسوباً الى أم القرى أيضاًمما وجدوه مكتوباً ، فقدقال بعضهم اذا رجع الضمير الى موصوف كان الوصف ايضاً ملحوظاًفيه وان كان القول ضعيفاً كمالايخفى .

وربما يشير الى ذلك الوصف قوله «واستعلن من فاران» ، ويحكي التصريح بكون ميلاده ومبعثه من فاران جبل مكة من كتاب حيقوق النبى ايضاً . وحيث زعم النصرانى أن هذا الخبر به فبهما خيالى فقد أقر بمحرفيتهما عند صاحب القرآن .

وأمادعوى شيوعهما فى زمانه فكما ترى ، فان قوله «يجدونه مكتوباًعندهم» لايتوقف على أزيد من العلم بالمكتوبية ، وهو أعم من أن يكون لكل واجد ذلك وعالمه نسخة ، بل يصح ذلك مع وحدة النسخة ايضاً اذا وقع التسامح بما فيها . مع أن تلك الفقرة فى الاية مخصوصة بالذين اتبعوا النبى صلى الله عليه وآله من الفريقين ، وهم أقل قليل منهم ، فلم يصرح بأنيجده غيرهم أيضاً وان كان يعرف ذلك من المواضع الاخر ، اذ الكلام فى مفاد هذه الاية كمالايخفى .

وايضاً : فى سورة الاعراف ١٦٩ « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لايقولوا على الله الاالحق ودرسوا مافيه والدار الاخرة خير للذين يتقون أفلاتعقلون والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انالانضيع أجر المصلحين» صريح فى أن ورثوه وان الممسكين به لايضيع أجرهم .

والجواب : انه ذكر تفريق اليهود أمماً ثم ذكر ارث الذين بعدهم للكتاب، ولايكون ذلك سوى ماكان موجوداً عندمورثهم سواء وافق كتاب موسى عليه السلام أم لا .

وقوله «ألم يؤخذ» الخ ، يعرف منه سلامة هذا العهد فيه ، وأما سوى ذلك فمسكوت عنه . واطلاق الكتاب لايتوقف على الصحة والسلامة ، فكم من تحريف

وتغيير لايوجب تبدل الاسم وارتفاع جملة من الاوصاف ، والماسكون الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله ومدح هؤلاء لايستلزم مدح غيرهم كمالايخفى، فالباقون على دينهم لم يمسكوا به ، ومنه يعرف تحريف مايقتضي الاسلام ، فلاحظ .

وأما سؤاله ان هذا الكتاب الموروث ماذا وأين هو وعند من ؟ فجوابه أن يسأل حلقياه الكاهن ومن قال أحرق التورية وجستن الذى قال أخرج اليهود منه البشارات ، وأن يلاحظ تبدل المتداول فى كل طبقة ، وان يراجع احتجاجات النبى والائمة عليهم السلام لليهود واقرارهم فيها بوجود أمور لايوجد أثرها فى المتداول، وعدم استقبال أهل الكتاب وعدم تركهم الارتياب بما فى سورة المدثر أيضاً دليل وقوع التحريف .

وفى البقرة ٧٥ «يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون» حال فريق من علمائهم ومن فعلهم ذلك بقطع الطمع من ايمانهم بمحمد صلى الله عليه وآله، ومن حال فريق آخر ما بعد الاية ٧٦ «واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم» فكانوا يأمرون بالكتمان وحال عوامهم قوله ٧٨ «اميون لايعلمون الكتاب الاامانى» وحال فريق آخر من علمائهم ما اشار اليه فى قوله ٧٩ «فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون» وكان ذلك فى اوصاف النبى صلى الله عليه وآله، وحال فريق آخر مافى قوله «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض» الاية، فأخبر عنهم بقوله ٨٦ «أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلايخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون» .

وأراد النصرانى تطبيق ذلك على المسلمين حيث لايعاملون التوراة والانجيل معاملة القرآن ، مدعياً أنهم كفروا بما يصدقهما من القرآن . وذلك أضحوكة ، اذ التصديق هو الاقرار بنزول الكتابين على مرسولين قبال من كذبهما ، وهو حاصل لكل مسلم متدين فيه بمحمد وعترته عليهم السلام ، فأين الكفر ببعض الكتاب. بخلاف

من ترك الأخذ بالبشارات بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم من كتابه ، والقول بمحرفيتها أيضاً مما ينادى به الكتاب .

ومن حال فريق ٨٩ « فلما جاءهم كتاب من عندالله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلماجاءهم ماعرفوا كفروا به» عرفوا المصدقية بحقيقتها ولم يكذبوا تلك الاية وكانوا عرفوا محمداً وكتابه ، ولم يكذبه فى هذه الدعوى من دخل فى الاسلام منهم ولا المنافقون الذين كانوا يعرفون ، وذلك مع ما كان يفضحهم به من تحريف الكتاب كما نادت به الايات .

فمن الاضحوكة قول النصرانى أن دعوى التحريف مما أحدثه علماء التفسير بعد ما رأوا مخالفة القرآن معهما من ضيق الخناق وانه ينافى التصديق وأشباه ذلك. كيف لاوالقرآن بما ترى رآه المسلمون والكفار والمؤمنون والمنافقون مصدقاً للكتابين بحقيقة التصديق ولم يتوهموا منه العدم بوجه، ولذلك لم يقدحوا ولم يتأملوا فى صدق تلك الايات الى أن توهمه الاعوج فى تلك الازمان .

وحال فريق من هؤلاء قوله ١٠١ «ولما جائهم رسول من عندالله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانوا لايعلمون» فجعل عدم الايمان بذلك الرسول نبذاً لكتاب الله بواسطة كونه اعراضاً عن الاخبار بذلك الرسول فى هذا الكتاب . وليت شعرى ان هذا المنبوذ بقى منبوذاً فنعم دليل سلامة الكتاب هذه الاية .

وحال فريق منهم ما قال ١٤٦ « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون» وقال ١٥٩ «ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله» الاية وقال ١٧٤ «ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا» الاية .

فهل ظهر المكتوم المذكور فى تلك الايات وشاع فيما بين اهل الكتاب ام بقى مكتوماً وكان مما يوجب الايمان لمحمد (ص) وبرأوا ساحتهم منها وخدشوا

فی تلك الايات وقدحوا فی قائلها اذ رأوا كل ذلك حقاً لاريب فيه ولاهم قدروا على الذب من انفسهم ، واى دليل على سلامة كتبهم يكون فی تلك الايات فياله من علم وفـی وفهم ذكی يعرف دلالتها على سلامة كتبهم فيستدل بها على المسلمين زاعماً ان المدعی هو التحريف الواقع قبل الاسلام بمئات من السنين فقط اوأن لايقدح التحريف زمان الاسلام وبعده ، «وفی ذلك فليتنافس المتنافسون».

ويحق لی ان اتلو فی شرح تلك الوقائع وحالها ومنشأها آية من كتاب الله تعالى « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين و أنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعدما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بأذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم» (سورة البقرة ٢١٣).

والوقائع السابقة من الاختلاف فی الكتاب من بعد ما جاءتهم البينات بغياً فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ومن فضله ، ويقال امر محمد (ص) مما اختلف فيه الناس ، فلابد أن يكون التوراة والانجيل يحكمان فيه بالحق فاما ان يثبتوا منها نفی رسالته اونثبت منها الاثبات ، وقد بين الثانی فی محله ولم يأت هؤلاء بشیء كماقرر فی محله.

وعلة الاختلاف والتفرق - وهو تخلفهم عن الاسلام - هو البغی، وبيان ذلك فی آل عمران ١٩ ، قال تعالى «ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الامن بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » فهواشارة الى مخالفتهم لاهل الاسلام وفی سورة البينة «لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين» بعد ماجاء محمد (ص) «منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة» ولعل ذلك اشارة الى ما قال «يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً من السماء» الاية، وما فی الاية التی سبقت قبيل ذلك.

وذلك اقتراح لايلزم اجابتهم فيه ولم يصلح فی حكمته تعالى والالفعل كما لايخفى.

«وما تفرق الذين أوتوا الكتاب» بتخلفهم عن اخوانهم الذين آمنوا «الامن بعد ما جاءتهم البينة» فخالفوهم عن علم و جحدوها بغياً بينهم وكل هؤلاء «ما أمروا الاليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء و يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة» واعرض كفارهم عن ذلك وجرى عليه من اسلم .

«ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نارجهنم خالدين فيها» بكفرهم وترك ما أمروا به «اولئك هم شرالبرية ان الذين آمنوا» بمحمد(ص) منهم اومن غيرهم «وعملوا الصالحات اولئك هم خيرالبرية» .

فالفعل المذموم عند صاحب القرآن ما صدرعن تارك الايمان برسوله محمد (ص) وصنيعهم اختلاف وتفرق واعراض عما آتاهم الله تعالى والبينة وبغى وجحد وتكذيب بآيات الله وغيرذلك وكتمان حق ولما أنزل الله تعالى ونبذ كتاب وتحريف لكلام الله تعالى مما عقلوه وامثال ذلك.

وتلك الصنائع الشنيعة منهم المشاراليها فى تلكم الايات والمستفاد منها ومن امثالها مما أشيراليه اجمالا فى سورة الجمعة الاية ٥ من عدم حمل التوراة حيث قال «مثل الذين حملوا التوراة» اى كلفوا بأخذها والعمل بها والجرى بطبقها فى زمان سابق على نزول هذه الاية ليحوروا «ثم لم يحملوها» بالحفظ والعمل واتباع تام لاياته «كمثل الحمار يحمل اسفاراً» يكون حاملا لها ولا ينتفع بشىء مما فيها من الامورالنافعة .

فصنائعهم هذه فى أمرنبوة محمد (ص) اوجبت ان لاينتفعوا بشىء مما فـى التوراة اصلا كما لاينتفع الحمارالحامل ، ولاغروفى ذلك بعد ما يكون علمهم نبذاً لكتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون وبيعاً لاياته بثمن قليل وشراءاً للحياة الدنيا وامثال ذلك وكفراً ببعضه وغيرذلك مما مر، فيحق لى أن أتلو الاية التى بعدها «بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدى القوم الظالمين» واى ظلم أقبح مما نسبه الى اهل الكتاب الباقين على دينهم التاركين لتصديق محمد(ص) فى تلك الايات الشريفة.

وبعد ماترى الايات مجتمعة مؤتلفة هل يشك عاقل في أن الفارق بين مدحها وذمها هونفس الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله فقط ، وان تلك الطعون على تاركي تصديقه لاتصلح الامع كون نبوته والادلة الالهية القائمة على نبوته كالشمس في وسط السماء . وذكر الكتاب بهذه العناوين لايحسن الامع كونه خاوياً لواضح برهان نبوته ، فهب أن يكون عدم حمل التوراة في عصرمحمد من محض ترك العمل والاخذ فهل انقلب، ذلك في تلك الاعصار الى ضدما كان في ذلك الاوان ، أوالامر كماكان واضمحل واضح البرهان . فيالها من دليل على سلامة التوراة من التحريف يجعل العمل بها كأن لم يكن شيئاً مذكوراً بل هباءاً منثوراً ، فقل للمستدل بها «لاتدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً» (سورة الفرقان ١٤) .

ومن عجائب الاضحوكات ماذكره النصراني في سورة الفتح الاية ٢٩ حيث يقول اشارة الى بعض تشبيهات الزبور وتمثيل الزارع في الانجيل ، فتراه يقربفقدان مافي الاية عن التوراة والانجيل ويستدل بالاية على سلامتهما عن التحريف، والاية «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراةومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار» .

وأعجب من ذلك ما قال في قوله تعالى في آل عمران ٣ «نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لمابين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذوانتقام» المسلم واليهود والنصارى كل أحديلزمه الحذر من أن ينكر آية أوشيئاً من كتاب ألهمه ذوالانتقام كيلايبتلى بناره، وكل عاقل يعلم أن اليهود ينكر كتاب عيسى واليهود والنصارى معاً ينكرون القرآن والمسلمون يؤمنون بكتاب موسى وكتاب عيسى وقرآن محمد صلى الله عليه وآله وبكل كتاب جاء من عندالله ، والكفربه تكذيب النزول كما كان يصدرمن

الكفار أوتكذيب بعض من ذلك النازل . وكيف يخاف على المسلم ويحذر عليه وحاله ذلك ويأمن الفريقان .

ومثل ذلك ماتوهم فى قوله فيها ٢٣ «ألم ترالى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون» من شموله المسلمين حيث تولوا من حكم التوراة ، وانما ذلك فى الكتاب الحاكم وليس التوراة اليهم كذلك .

وفى آل عمران ٤٨ «ويعلمه الكتاب والحكم والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل» الى قوله «ومصدقاً لما بين يديه من التوراة» الخ ، فعلمه التوراة المتداول وصدقه ولاحاجة الى ذلك ، لان محمداً صلى الله عليه وآله كرر من تصديق التوراة والانجيل .

والجواب : انالظاهر انتعلمه التوراة لم يكن على الوجه المتعارف بل على نسق تعلم الانجيل ، وهودليل كون متداول زمانه محرفاً والالتعلمه كسائر الناس ولم يحتج الى تعليم الهى نحو تعليم الانجيل فعلمه كماانزله على موسى وهوايضاً صدق ماتعلمه كذلك ، كماأن الحال فى محمد صلى الله عليه وآله كذلك ، فهذاايضاً دليل التحريف لاالسلامة .

ومنها ايضاً ٩٣ «كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الاماحرم اسرائيل على نفسه من قبل أنتنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون» طلب التوراة منهم وأظهر مرجعيتها ولا يكون الا مع سلامتها عن التحريف .

والجواب : انه نوزع فى المحرم عليهم وكان نزل قوله «فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات» الخ ، فادعى اليهود أنالمحرمات عليهم كانت محرمة من البدو وليس فيها ماحرم لاجل الظلم وكان حلالا طيباً قبل هذا الظلم فنزلت الاية وطولبوا بالتوراة ليفتضحوا فيماادعوا وفى تكذيب محمد صلى الله عليه وآله ولم يأتوا بها .

وغاية مايعلم من ذلك سلامتها فى أمر هذا الحرام وهو لايستلزم السلامة فى كل شىء كان فيها كمالا يخفى .

ثم ان طلبها من اليهود يدل على انه لم تكن عند المسلمين والا لقيل هذه التوراة فاتلوها، ومن ذلك يعلم معاملتهم معها فى صدر الاسلام ،فكيف يتوهم ان يلزم ان يعاملوا معها معاملة القرآن فى الحفظ والتلاوة ونحوهما ــ فلاحظ .

وايضاً ٩٨ «قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ماتعملون قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون» لامهم على كفرهم بآيات الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وبصدهم المؤمنين عن سبيل الله وبغيهم السبيل عوجاً وهم يعلمون حقيّتها واستقامتها بواسطة ماقام عندهم من حجج الاسلام فانما جعلهم شهداء هذا الامر الخاص . ووجه الكلام عند نزوله وان كان الى جمع خاص منهم الان التعبير بعنوان اهل الكتاب يرشد الى عموم الحال وان كل كتاب يصح أن يخاطب بذلك بعدما علم منه الصد ، ولايكون ذلك الا بكون كتابهم وافياً بمعرفة ذلك حق المعرفة ، فان لم يكن الان كذلك كان محرفاً .

وأيضاً ١١٤ ــ ١١٦ «ليسوا سواء من اهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات واولئك من الصالحين ومايفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين » وحينئذ لايمكن تحريف كتابهم لانهم يتلونه آناء الليل ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فكيف يقع التحريف .

الجواب: ان مفاد الاية تقسيم أهل الكتاب ، ولايتوقف على أزيد من دخولهم فى عنوانهم طرأ عليهم عنوان آخر أم لا . وآيات ذم اهل الكتاب ومذامهم لايفرق فيها بين من كفر بمحمد صلى الله عليه وآله وبقى على دين آبائه بوجه ولم يثبت لهم فى موضع الايمان بالله واليوم الاخر ولاأثبت لهم حسنة وخيراً وصلاحاً ولاتقوى ، بل

نسب اليهم مع وضوح عدم الفرق أضداد ذلك في غير موضع . مضافاً الى آن عموم رسالة محمد صلى الله عليه وآله وعموم دعوته يأبى أن يتوهم ثبوت تقوى وخير و صلاح وايمان لمن ترك الايمان بمحمد ، فالنظر في الاية الى من أسلم وكان من أهل الكتاب .

ويدل عليه وصفهم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولا معروف عند صاحب القرآن أعظم من الايمان بمحمد ولا منكر أقبح من الكفر به ولا يثبتان في حق غير من دخل في الاسلام كما لا يخفى . والتلاوة حينئذ تلاوة القرآن لا التوراة ولم يقبلوا منهم الامر بالايمان ولا النهى عن الكفر بمحمد صلى الله عليه وآله ،فكيف يتوهم قبول النهى عن التحريف خصوصاً ما كانوا يفعلونه في ملاء كي ينهوا.

ويدل على ماذكرنا من مورد الاية قوله ١٩٩ «وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وماأنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله» و تعريضه بكل من سواهم بقوله «لايشترون بآيات الله ثمناً قليلا» كما لايخفى .

وأيضاً ١٨٧ «واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا فبئس مايشترون» فكان عندهم سالم فأمروا بذلك التبيين والنبذ غير التحريف .

والجواب :أنه لم يخدش في هذه الاية مسلم ولا منافق ولا كتابى ولم يحك منهم تكذيب لها ، ومفادها أن اوجب الله تعالى عليهم تبيين الكتاب وعدم كتمانه وخالفوا ذلك ولم يفعلوا ماأمروا به فنبذوه وراء ظهورهم وكانهم لايعلمون ، و هو كناية عن ترك العمل، ونسب ذلك الى الجميع فلابد أن يكون امراً مشتركاً بين جميعهم والى جميع الكتاب ، بواسطة أن أخذ غير المنبوذ لم يكن بجديهم شيئاً واستعوضوا بذلك ثمناً قليلا. والامر المشترك بين تمام الباقين على دينهم والذى لاينفع اخذ الكتاب بعد نبذه وماشتروا به ثمناً قليلا هو دلائل محمد صلى الله عليه وآله في كتابهم خالفوها جميعاً وكفروا بذلك ودعاهم اليه متاع الدنيا .

ومثل ذلك لايقال الامع وجود الأدلة الواضحة فى كتابهم نبذوها وكتموها فهلكت ، فهى دليل التحريف، ومحرفيته متداول الزمان للاتفاق على أن من لم يكتم لم ينبذ ولم يؤخذ عليه العوض من كلهم على ماسوى ذلك وشبهه ـ فلاحظ .

وفى المائدة ١٢ «ولقد أخذالله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً» يدل على اختصاص ذلك باليهود ، كما يدل عليه افراد النصارى بالذكر فيما بعد الاية «وقال الله انى معكم» أنصركم وأعينكم « لئن أقمتم الصلاة و آتيتم الزكاة و آمنتم برسلى» ممن مضى ويأتى ولعل ارادة خصوص الثانى أظهر «وعزرتموهم» بنصركم « وأقرضتم الله قرضاً حسناً » بالانفاق فى سبيله وتأييد دينه « لاكفرن عنكم سيئاتكم» بماوفيتم بعهدى المذكور «ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر» بعدذلك الميثاق «منكم» بترك الايمان وتقوية الرسول «فقد ضل سواء السبيل فبما نقضهم ميثاقهم» بترك الايمان «لعناهم» وصاروا ملعونين .

«وجعلنا قلوبهم قاسية» بشنيع فعلهم وقبيح ماصدر عنهم ، ومن فوائد قساوة قلوبهم وآثارها انهم «يحرفون الكلم عن مواضعه» بالانكار أو التبديل ليحصلوا عذراً لانفسهم «ونسوا» بواسطة ذلك التحريف وتركوا «حظاً» وافراً كما يرشد اليه تنكيره كمالايخفى «مماذكروا به» فى ذلك العهد والميثاق أومطلق ماكانوا ينتفعون به من مواعظ الله تعالى وان كان فى كلام الرسول المتأخر ، ففات عنهم بصنيعهم السابق من ترك الايمان ونحوه كما لايخفى .

«ولاتزال تطلع» أنت يامحمد «على خائنة منهم» خيانة منهم أو طائفة خائنة «الاقليلا منهم» أى أهل الكتاب اليهود لاترى لهم خائنة ، وهو اشارة الى من أسلم منهم وحسن اسلامه «فاعف عنهم واصفح» ولاتفضحهم بكل خياناتهم كما قال «ويعفو عن كثير» فهو اغماض «ان الله يحب المحسنين ومن الذين قالوا انانصارى أخذناميثاقهم» نحو المأخوذ من اليهود «فنسوا» وتركوا «حظاًمما ذكروابه فأغرينا بينهم العداوة و البغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله» جميع الفريقين «بما كانوا يصنعون» .

ثم عمهم بالخطاب فقال « ياأهل الكتاب قدجائكم رسولنا » واضح الرسالة

بدلالتها « يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب» ويظهره ومن ذلك « ويعفو عن كثير» والتمس منه ابن صوريا ايضاً، وفيه دلالة على أن النقص انما وقع في الايمان منه بمحمد صلى الله عليه وآله «قد جائكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم» .

وصراحة الايات فى التحريف لاتخفى ،ولم يبق عالم الزنا مع الاحصان الا مثل ابن صوريا وكان من المخفيات على العوام كلهم بل الناس كلهم ، وبقى مخفياً بماصنعوا جملة من الاخبارات به ، فليلاحظ ماروى فى طرقنا ، وبعد ذلك يظهر لك مافى قول النصرانى كتب الفريقين كانت تتلى فى معابدهم ولم يكن يمكن تحريفها أوأن النصارى كانت تمنع اليهود من ذلك. وكيف لم يقل ذلك على من ادعى اخراج بشارات عيسى من التوراة وهمايد واحدة على اخراج بشارات محمد صلى الله عليه وآله ـ فلاحظ .

(وايضاً) ٤١ «ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك» وهم أهل خيبر «يحرفون» هؤلاء السماعون أوكلهم ولعله اظهر «الكلم من بعد مواضعه» وهوحكم الزنا مع الاحصان أوأوصاف النبى صلى الله عليه وآله وآياته اوكلماته ، وقوله «من بعد مواضعه» يشير الى حصول استقرار الكلم . قيل هذا التحريف والتحريف في الامور المذكورة واشباهها انمايحصل بتغيير المعنى المفاد دون تغيير محض العبارة مع اتحاد المعنى بل ذلك لايسمى تحريفاً كما لايخفى .

بل الظاهر أن مجرد الحكم بخلاف الحق أوالعمل بذلك مع بقاء الحق ثابتاً فى محله وان لم يعمل به لايسمى تحريفاً ، وانما هوعمل بغير ماأنزل الله أوحكم به ، و هوعنوان آخر غيرالتحريف كمالا يخفى . فاذابدل شىء بشىء وأزيل الاول عن مقره وقراره فهو التحريف .

ثم من تشبيد تحريفهم وتسديدهم اياه فعلهم الذين حكاه تعالى بقوله «ويقولون»

هؤلاء المحرفون «ان أوتيتم هذا» مشيراً الى ما أبدعوه من عند انفسهم «فخذوه» فهو حق «وان لم تؤتوه» وأوتيتم غيره «فاحذروا» لايكون هو من الحق .

ثم اشار الى مايوضح حال المحرفين فقال «ومن يرد الله فتنته» وعذابه وليست هذه الارادة على حقيقتها كما قرر فى محله ويعرف مما يأتى آنفاً «فلن تملك له من الله شيئاً» ويقع ماقضى وقدر .

ثم أوضح ذلك وخذلانهم وعدم توفيقهم بواسطة قبيح ماصدر عنهم وان يؤول امرهم بسوء اختيارهم فقال «اولئك» المحرفون أو السماعون الذين « لم يرد الله أن يطهر قلوبهم » كى يوفقهم لترك تلك القبائح ولم يكن فيهم ما يوجب حسن توفيقهم ليطهروا قلوبهم ولاوجد مايستحسن فعل ذلك بهم والا لفعله الحكيم تعالى، واذا لم يكن أراد تطهير قلوبهم وخلى السرب بينهم وبين مايشتهون هلكوا بقبائح مايأتون به بسوء اختيارهم يكون «لهم فى الدنيا خزى» وفضيحة وذلة «ولهم فى الاخرة عذاب عظيم» كل ذلك جزاء بما كانوا يكسبون .

«سماعون للكذب» كرر تأكيداً «أكالون للسحت» والحرام «فان جاؤك» هؤلاء المحرفون «فاحكم بينهم» فيما جاؤك فيه «أوأعرض عنهم وان تعرض عنهم» حينئذ وفى ذلك «فلن يضروك شيئاً وان حكمت» ولم تعرض «فاحكم بينهم بالقسط» والعدل الذى أمر الله تعالى به «ان الله يحب المقسطين» .

ولما كان هؤلاء الذين أرادوا المجىء اليه فى الامر الذى أرادوا حكمه فيه قوم من اليهود الذين لم يسلموا بعد ويعتقدون عدم حقيته وفى توراتهم أنها كتاب الله الذى يجب العمل به قال بصورة التعجب لبيان ان عملهم ليس من التحكيم بل لهم أغراض فاسدة «وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله» فلو أرادوا ماهو حكم الله عندهم رجعوا اليها وتركوا من لايرون قوله فى قضيتهم حكم الله كما هو قضية تهوّدهم وعدم تصديقهم لك ولرسالتك «ثم يتولون » ويعرضون هؤلاء اليهود «من بعد ذلك» أى بعد وجود التوراة المذكور لتحكيمهم لك أو حكمك موافقاً

لكتابهم حيث رأى اعراضهم عن حكمه الذى صدر عنه مغايراً لمحرفهم وكانوا تواصوا بذلك من قبل فى قولهم «وان لم تؤتوه فاحذروا» ولعل الاول اظهر .

ولفظة ثم فى قوله تعالى «ثم يتولون» ليست لافادة الترتيب بين طرفى العطف بل فى ذكر عنوان التولى بعد عنوان التحكيم بواسطة كونه عنواناً ثانوياً له وامراً منتزعاً عنه وان كان التولى أسبق من التحكيم كما لايخفى .

ثم بين حالهم فى ذلك التولى بالجملة الحالية بقوله «وماأولئك بالمؤمنين» بالتوراة ، ولو كانوا آمنوا بها ورأوا حكمها حكم الله تعالى لم يعرضوا عن حكمها فى القضية ولم يطلبوا حكماً آخر فى امرهم ، فالاعراض المذكور امارة واضحة على عدم ايمانهم بها وبحكمها فى القضية كما لايخفى . وهو كفر بها .

ثم ان الذم والتقبيح حيث نشأ عن التولى والاعراض فى واقعة خاصة عن حكمها النازل فى التوراة والكفر بها وحكمها فيها ، وكانت تتم مقدمات ذلك بوجود ذلك الحكم عندهم وسلامته وان لم يكن المذكور فيه هو التوراة الاصلى .

وبعبارة أخرى : يصح أن يذكر المتداول بينهم الذى يسمى توراة ويعامل معه معاملة التوراة فى ذكر التولى والاعراض والكفر ووجود الحكم الخاص فى الواقعة المخصوصة بعد وجود التطابق فى المقدار المأخوذ فى منشأ الحكم فى المورد .

وبعبارة ثالثة : لايلزم فى المقام ذكر ازيد مما احتوى على حكم المورد فى ترتيب الآثار المذكورة فى تلك الاية ووجود الباقى لادخل له فيها ، ولو كان الموجود عندهم منحصراً فى دليل حكم المورد منّا صح التعبير بما فى الاية كيف وقد علم زيادته عن ذلك من الايات الاخر.

ويمكن أن يقال: انما حسن هذا التعبير فى مقام الاستعجاب و التقبيح الاخذ بطبق معتقدهم والجرى على مجراهم وان لم يكن توراتية ما عندهم مطابقاً للواقع وحقاً ، فالتسمية بالتوراة جرى على مذاقهم اظهاراً لمخالفتهم ما يرونه كتاب الله،

مع أن التسمية والجرى على طبق الاطلاقات العرفية أعم من وجود تمام المطابقة ، وهو علامة السلامة دون مطلق المطابقة ولو جزئياً كما هو واضح.

والقرآن كما يشهد هنا بوجود التوراة عندهم أثبت في غير مورد عروض التحريف عليها بما عرفت غير مرة ، واهل الكتاب قالوا فيها ما قالوا ، و روايات المسلمين تثبت فيها ما تثبت ، وكل ذلك بل بعضها يكفى فى دعوى كون التعبير فى المقام من قبيل التجوز ومن باب التسامح و اتباع الناس فى محاوراتهم اظهاراً لشناعة ماعملوا .

وكيف كان فوجود حكم الله عندهم واعراضهم عنه وكفرهم به و تحكيم غيره مع عدم تصديقهم له دليل واضح على أن غرضهم ليس هو تحكيمه و العمل بحكمه بل امر آخر فاسد لا يعتنى به ، و من أجل ذلك فاحكم أو أعرض فليس من موارد طلب حكم الله حتى يتعيّن الحكم

ثم أبان عن فضل التوراة التى كان أنزلها فقال ٤٤ « انا انزلنا التوراة فيها هدى» من عامة الضلالات كما هو قضية الاطلاق «ونور» فى موارد الظلمات، فلابد ان يكون فرقاناً يوجب تمييز الحق من الباطل فى موارد النوائب بالنفى أو الاثبات ومن موارد حاجة الناس عامة وبنى اسرائيل خاصة الى الهدى والنور أمر نبوة محمد خاتم النبيين ، فان كانت اثبتتها فكيف لم يؤمنوا به كلهم وان نفتها فكيف أسلم بعضهم وهم علماؤهم وان سكتت لم تكن نوراً وهدى على وجه الاطلاق.

«يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا» يحكم «الربانيون والاحبار بما استحفظوا » هؤلاء كلهم من قبل الله تعالى وما أمروا بحفظه «من كتاب الله» و هو التوراة «وكانوا عليه» على ذلك الكتاب «شهيداً» يعلمونه ويعرفونه حق المعرفة.

ثم حكى ماخاطب به هؤلاء الشهداء ووصاهم به فقال «فلاتخشوا الناس» ايها الشهداء المتحفظون «واخشون» أنتم وهى أولى بكم «ولاتشتروا» أنتم الشهداء الحكام ثمناً قليلا» تأخذونه فتتركون الحكم بها «ومن لم يحكم بما انزل الله منكم» وحكم بغيره «فأولئك هم الكافرون».

ثم أخبرعن بعض ما فيها فقال «وكتبنا فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به» بما ورد عليه من الجنايات أوبالقصاص على من جنى عليه به «فهو كفارة له» أى المتصدق «ومن لم يحكم بما انزل الله» وحكم بغيره «فأولئك هم الظالمون» وله مراتب ومنها الكفر، وظاهره أن ذلك مما كتب فيها ، ويحتمل أن يكون من حكاية ما قيل عند نزولها ونحوذلك.

وقال تعالى ۴۶ «وقفينا على آثارهم» اى المستحفظين الشهداء من النبيين و الربانيين والاحبار المذكورين آنفاً ، ويشعرذلك بل يدل على أن هذا الاستحفاظ والشهادة الثابتة من قبل الله تعالى لهؤلاء قد انقطع سلسلتها عند ماقفى على آثارهم «بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل فيه هدى ونوراً» جملة حالية «ومصدقاً» ذلك الانجيل ، عطف على الجملة الحالية «لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين» ويحتمل عندى كونهما عطفاً على قوله «مصدقاً» فى قوله «بعيسى بن مريم مصدقاً» وهما مصدران بمعنى الفاعل أو أطلقا عليه مبالغة

«وليحكم اهل الانجيل» قرأ حمزة بكسر اللام وفتح الميم ، فهو من العطف على المعنى ، فان قوله فيه هدى ونور ومصدقاً بمنزلة العلة ،أى آتيناه الانجيل لهذه الاغراض والفوائد . والباقون بسكون اللام والميم على الأمر، والواو وعلى ذلك استيناف من حكاية الحال الواقعة عند ما آتاه الانجيل ، لا أنه أمر صدر عند نزول الاية حتى على وجه التقرير ، وذلك لكون كل من التوراة والانجيل منسوخين بعد نزول القرآن وظهور دين الاسلام ، و المنسوخ لايجوز الحكم به بعد النسخ و وجود الناسخ، لان الغرض من النسخ ابطال حكميته، والباعث عليه انحصار مصلحة العمل به فيما قبل النسخ وحدوث مصلحة العمل بخصوص الناسخ بعد حصوله ووجوده كما هو واضح .

فلايتوهم من ذلك الامر بالحكم «بما أنزل الله فيه» فى الانجيل فى زمان نزول

الاية وبعد ظهور دين محمد صلى الله عليه وآله ايضاً « ومن لم يحكم » جزء من الكلام السابق ، والافراد باعتبار لفظ « من » والمراد منه المعنى الجنسى ، ولذلك ضميره ثم جمع بعد ذلك فى الجزاء «بما انزل الله » فى زمان ثبوت ذلك الحكم النازل وعدم نسخه وتركه وحكم بغيره «فأولئك هم الفاسقون»، والفسق هو الخروج من الحد وأعم من الكفر والظلم المذكورين آنفاً . والمراد من الكل شىء واحد لامعانى مختلفة وان اختلفت الفاظها ، بضرورة أن لو كان ذلك بحيث يوجب الكفر لم يتفاوت فى الموارد الثلاثة وكذا لو لم يوجبه كما لايخفى .

وايا ماكان فهذه الخطابات توجهت الى القوم حال ايمانهم وبعد كونهم مؤمنين ، فما فى بعض الروايات من كونها كلها فى الكفار لابد أن يراد به عدم تعرض شىء منها لاهل الاسلام بالخصوص وان كانت هذه كلها كالقضايا الطبيعية ممالايعقل فيها تفاوت واختصاص . ولعل ترك ذكر خصوصيات النازل من كونه الحكم التوراتى مثلا للايماء الى ذلك العموم و الى أن حكمها بعد نسخه لايكون لتركه بعد هذا الاثر كما لايخفى .

وبالجملة فحيثما أنزل الله تعالى حكماً واجب العمل أمر المكلفين بالاخذ به وخوفهم وحذرهم عن الاعراض عنه الى غيره من غير تخصيص بامة دون امة، ومقصورية ذلك بما قبل نسخه لايكاد يخفى .

وحيثماذكر التوراة والانجيل وبعض مالهما افصاحاً لكون غرض الذين حكموه فى الواقفين سوى العمل بالحكم والاتعين فى معتقدهم الاخذ بها، أراد الافصاح عن حال الثالث فقال ٤٨ «وانزلنا اليك» قبل يامحمد «الكتاب بالحق مصدقاً» غير مكذب ذلك الكتاب أوانت «لمابين يديه من الكتاب» النازل قبله ومظهراً صدق ذلك فى النزول من عند رب العالمين خلافاً للكافرين به ، واللام فيه للجنس ، والمراد به كتب الانبياء المنزلة عليهم .

وكائناً ماانزلنا اليك اوأنت (١) «مهيمناً عليه» أىعلى ذلك الكتاب الذىقبله قال الجوهرى : المهيمن الشاهد ، وهومن همن غيره من الخوف وأصله أمن فهو مائمن بهمزتين قلبت الهمزة الثانيةياءاً كراهة اجتماعهمافصارمأيمن، ثم صيرت الاولى هاء وقال أين آين بهمزتين لينت الثانية، ومنه المهيمن ، وأصله مؤيمن لينت الثانية وقلبت ياءاً وقلبت الاولى هاء. وقال امين الاسلام بعد ذكرانه من مؤيمن: وقد صرف فقيل هيمن الرجل اذاارتقب وحفظ وشهد يهيمن هيمنة . ومراده الاستعمال فى كل المعانى الثلاثة ، وقال الشاعر :

ان الكتاب مهيمن لنبينا   والحق يعرفه ذووالالباب

ومع ذلك قال معناه واميناً عليه شاهداً بأنه الحق عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد ، ومؤتمناً عن سعيد بن جبيروابى عبيدة وابن جريح ، وهوقريب من الاول قال ابن جريح :امانة القرآن أن ماأخبر به الكتاب ان كان موافقاً للقرآن يجب التصديق به والا فلا وقيل معناه وحافظاً ورقيباً عليه عن الخليل وابى عبيدة ـ انتهى موضع الحاجة من كلامه .

وقال فى سورة الحشر : والمهيمن أى الامين حتى لا يضيع لاحد عنده حق عن ابن عباس والضحاك والجبائى ، وقيل هو الشاهد عن مجاهد وقتادة ، فانه شهيد على ايمان من آمن به . وقيل هو المؤمن فى المعنى ، لان اصله المؤمن الا انه اشد مبالغة فى الصفة ، وقيل هو الرقيب على الامر هيمن يهيمن اذا كان رقيباً على الشيء ـ انتهى وفى القاموس : ومهيمن على كذا صار رقيباً عليه وحافظاً .

---

(١) وفى رواية مرفوعة فيها مواعظ الله تعالى لموسى بن عمران عليه السلام ومن بعده لصاحب الجمل الاحمر الطيب الطاهر المطهر مثله فى كتابك أنه مؤ من مهيمن على الكتب كلها ـ الحديث وهوطويل وفيه: ولانزلن عليه قرآناً فرقاناً شفاء لما فى الصدور من نفث الشيطان ـ الخ . وعلى هذا فمصدقاً ومهيمناً حالان عن الكاف فى اليك ، والمعنى أنزلنا اليك الكتاب وأنت مصدق لما بين يدى هذا الكتاب من الكتاب ومهيمن عليه، ويصح فيه المعانى المذكورة كلها من غير مانع فلاحظ . منه عفى عنه وعن والديه .

أقول: وفي الزيارات الواردة عن اهل بيت العصمة: السلام على امير المؤمنين عبدك وأخي رسولك الذي انتجبته بعلمك وجعلته هادياً لمن شئت من خلقك والدليل على من بعثته برسالاتك وديان الدين بعدلك وفصل قضائك بين خلقك والمهيمن على ذلك كله .

وأشباه ذلك كثير ، والمناسب لمواردها أن يكون بمعنى الامين والمؤتمن ولعله المناسب للاية ايضاً ، ولازم ذلك تصديقه في كل مايحكيه عن الكتاب الذي بين يديه ، والى ذلك يرجع ماسبق عن ابن جريج ، ولولا ذلك لزم كون القرآن خائناً كما لايخفى. ويقرب من ذلك «المؤمن» فامنه ظ من تكذيبه ونحو ذلك ، ولايغايره كثيراً «الشاهد» فهو العالم المطلع، الا ان لفظة على في كلمة «عليه» لابد ان لاتكون على ظاهرها وان كان لفظ الشهادة قد يتعدى بها الا ان الظاهر في مواردها ارادة حصول الاطلاع. ولعل ملاحظة النظائر قد تأبى عن ذلك - فلاحظ.

واما الرقيب والحافظ في قولهما «حافظاً ورقيباً عليه» فلا يراد منه حارسيته فان الحفظ والرقيب بهذا المعنى وجملة اخرى يتعدى بنفسه لابكلمة على، وجمعها بين اللفظين في تفسير « المهيمن » مع تكرير كلمة عليه مفسراً ايضاً الى ان مرادهما من اللفظين شيء واحد يصح فيه التعدية بكلمة على كما كان في الاصل كمالايخفى .

والمناسب حينئذ هو ارادة المطلع كماقال «لديه رقيب عتيد» و« كنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم» و « كنت أنت الرقيب على من ورائهم» و يقال الحفظة الكرام واطلاق اللفظين من أجل محض الاطلاع كالناظر الرقيب الواقف على مرقب ليعلم ما يقع على المراقب فلايكون الغرض من نصبه سوى اطلاعه على مايقع .

و يكون حاصل مفاد مهيمنية القرآن للكتاب الذي بين يديه حينئذ اطلاعه بماجرى له ووقع عليه من الناس ومعرفة ذلك حق المعرفة وعلمه بذلك على وجه الحقيقة دون الخرص والتخمين، والامر في القرآن كذلك باعتبار الغايات . تخلّفت

المبادى حيث كشف عن جملة من التحريفات الواردة عليه كالعالم المطلع عليه من اول أمره، وهذا ايضاً معنى الشاهد فى مثل «وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم» و«جعلتهم شهوداً مع جوارحى» الى غيرذلك، فالمراد منه أصل التطلع والاطلاع لتحمل الشهادة كمالايخفى .

وتوهم محفوظية الكتاب ومحروسية كافة نسخه بمجردنزول القرآن المهيمن عليه المفسر بالحافظ الرقيب عليه فى كلام البيضاوى أخذاً من كلامهما غباوة من قائله.وكيف يتوهم انيكون اصل وجود القرآن عند المسلمين ونزوله على نبيهم (ص) مانعاً قهرياً من أن يصل الى كتب أهل الكتاب يد تحريف منهم و تفسيرهم على تركه فلايقدروا عليه بوجه، كيف وقدقال تعالى «يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوعن كثير» أفليس هذا كلام الكتاب المهيمن .

فمن الواضح ارادة الشاهدية والرقيبية والحافظية فى مرحلة الاطلاع والعلم بذلك أيضاً باعتبار غاياتهما دون المبادى والافالقرآن النازل فى زمان محمد (ص) كيف يكون شاهداً وحافظاً ورقيباً على كتاب نزل على موسى ومن بعده مضافا الى مافى نفس ثبوت تلك المعانى لكتاب الله الكريم كما لايخفى .

و بعد ارادة خصوص ما عرفت لايتوهم منه دلالة على مدعى النصرانى ، فالغرض من هذا الوصف اظهار محض عالمية القرآن بما جرى على كتب أهل الكتاب ودفع توهم خفاء ذلك عليه حتى يجدى تلبيساتهم ونحو ذلك .

ثم ان العناوين الثلاثة فى المرحلة المزبورة لاتدعو الى تتميم الكتاب وارجاعه الى ماكان عليه فى الاول كمالايخفى .

وحيث ذكر تعالى انه أنزل اليه كتاباً هذا حاله بعد بيان حالهم بالنسبة الى كتابهم فرع على ماذكر قوله « فاحكم بينهم » فى الواقعة التى حكموك فيها «بما انزل الله» وهو موافق للتوراة أيضاً ولاتتبع أهواءهم مايهوونه فى واقعتهم من حكمهم المحرف مائلا بذلك «عماجائك من الحق» الموافق للتوراة ايضاً .

ثم التفت الى عامة الناس الذين آمنوا بشرع فقال «لكل جعلنا منكم شرعة» طريقة «ومنهاجاً» طريقاً واضحاً من نهج الامراذا وضح، والعبارة ناظرة الى مبدأ جعل الشرايع للامم المختلفة فجعل شريعةلامة موسى وأخرىلامة عيسى وأخرى لامة محمد(ص) وذلكلايقتضى امتدادها أبد الدهروفى زمان الشريعة الاخرىايضاً كماان منسوخية الاولى فيزمان الثانية لاتنافى كونها شرعة ومنهاجاً جعلهاالله تعالى للناس كمالايخفى .

«ولوشاء الله لجعلكم» ايهاالناس «أمة واحدة» أهل دين واحد ولااختلاف فى دينكم «ولكن» لم يفعل ذلك «ليبلوكم» ويختبركم «فيما آتاكم» من الشرايع فيالازمان المختلفة واذكان ذلك لغرض الامتحان «فاستقبوا الخيرات» ولاتتأخروا عنهاولاتوانوا فيها«الىالله مرجعكم جميعاً فينبئكم» حينئذ «بماكنتم فيه تختلفون» من الاديان ومافيها .

«وان احكم» قيلأن مصدرية وهو عطف علىالكتاب أوعلى الحق والمعنى انزلنا اليك الكتاب والحكم «بينهم بماانزلالله» أوالكتاب بالحق و الحكم كذلك وقضية العطف اتصالهما فى النزول وحينئذ يتكرر الامر بالحكم كذلك فى مقام واحدوان كان الاول شبه اعتراض فيطرفى العطف. وقديدفع ذلك بتعدد الواقعة التى تحاكموا اليه وهى زنا المحصنين والقتل ولوكانا فى وقت كفى الواحد بل مطلقا كما لايخفى .

ولعله لمحض الاهتمام بشأن الحكم بينهم كذلك و الكف عن الميل الى مايشتهون حيث ان فيه ابانة امرالله وفيهذا اعلاء كلمة الله تعالى .

وقال امينالاسلام «ره» ويجوزانيكون موضعه رفعاً وتقديره منالواجب أن احكم ـ الخ. ولعل اختياره ذلك بواسطة انالمأول بالمصدريؤل بالنكرة ولامانع فى المورد من جنسيته والخبريستفاد من هيئة اللفظ و المعنى كأنه والحكم كذلك واجب مع ان النكرة بكونها مخصصة بالظرف و المجرور كما لايخفى لايحتاج

الى تقديم الخبرفلاحظ . وعلى ذلك لايعلم اتصاله بماقبله فى النزول ولامانع من تكرار مثله .

وقال رحمهالله فىوجه التكرار بعد ذكر تعدد الواقعة ونسبته الى جماعة من المفسرين وابى جعفر عليه السلام : والثانى انالاول يطلق والثانى يدل علىأنهنزل ووجهه بعض الافاضل بأنه لما كان الاول علىوجه التفريع كأنه مفوض اليه بخلاف الثانى فلايسعه ترك التبليغ ، اوأن الاول لايدل على انه منزل بخلاف الثانى . وهو كما ترى .

«ولاتتبع أهوائهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل» حيث ذكرواما يوجب الميل اليهم وتقديم هواهم « فان تولوا » عن حكمك بما انزل الله « فاعلم انمايريدالله أنيصيبهمببعضذنوبهم»منخذلانهم الذى استحقوه ببعض ذنوبهم «وان كثيراً من الناس لفاسقون » خارجون عن حدود الدين «أفحكم الجاهلية يبغون » وهوما أحدثوه منقبل أنفسهم فىالمسألتين « ومناحسن حكماً لقوم يوقنون » بالله وحكمته حتى يتبع حكمه قبال حكمالله تعالى .

وايضاً ٦٥ «ولوأن أهل الكتاب» اليهودوالنصارى « آمنوا » بمحمد صلىالله عليه وآله فانه الذى فاتهم فى الوقت فيما يزعمون « واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم » بماعملوا ولميفعلوا ذلك فحرموا أجره «ولوأنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم» سوى الكتاب لعدم انحصار وحى الله تعالى الى نبيهما فى كتابيهما كمالايخفى ، والقول بكون المراد به القرآن كماترى اذليس نازلا الى نبيهم ولااختصاص له بهم بخلاف مثل مناجاة موسى عليه السلام

والجوابوان كان يومىالى عدم اختصاص ذلكالترك بماكان فىزمانمحمد صلىاللهعليه وآله ألاأن ذكرهاذيل سابقتها قديومى الى أن عمدة النظرفيها الى ترك الاقامة فىذلك الزمان ، بلوكذاذيلها «منهم أمة مقتصدة»كمالايخفى ، فكاناقامتهما مؤدية الىالايمان والتقوى ، ولعل ذلك فىالاية الاخرى كما لايخفى .

«لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم» كناية عن التوسعة عليهم ، أواشارة الى نزول بركات السماء وخروج بركات الارض «منهم أمة مقتصدة» أقاموها وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وأظهروا ذكره فى كتابيهما وغيرهما مما تلقوه عن الانبياء و أوصيائهم « وكثير منهم ساء مايعملون » وهم الباقون على دينهم .

وأيضاً ٦٨ « قل » يامحمد « ياأهل الكتاب » اليهود والنصارى « لستم »أنتم « على شيء » من دين الله ولم تتشبثوا بشيء منه أصلا بل خارجون عنه تماماً « حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم » فتؤمنوا بمافيها من ادلة النبوة لوضوح ان لم يكن يرى من لم يقر بنبوته على شيء ووضوح أن خصوص أمر نبوته صلى الله عليه وآله ما اتفق أهل الكتاب لعدم اقامتهما وكان مسلوباً عن جميعهم على وجه الحقيقة بخلاف سائر الامور لوضوح اختلافهم فى العمل بها وتركه كما لايخفى، ولولا أن فيها أدلتها لم يصح كون الاقامة غاية فى الاية كمالايخفى .

ثم ان وجوب اقامتهما يختص بهم ولايتعداهم بعد وضوح كون النظر الى اقامتهما فى أمر نبوته ، أماسائر الكفار فانهم لايرونهماحجة ، وأما المسلمون فلانهم بلغوا الغاية كما لايخفى .

«وليزيدن كثيراً منهم» وهم الباقون على دين آبائهم «ماأنزل اليك من ربك» فى ذلك «طغياناً وكفراً فلاتأس» ولاتحزن «على القوم الكافرين» فكانوا يتمكنون من اقامتها الموجب للايمان فلم يفعلوا ولو لم يوجب الاسلام فى تلك الازمان عرف محرفيته ، ويرشد الى ماذكرناه قوله تعالى «واذا سمعوا ماأنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين»

ومن غريب الاستدلال استدلاله لمدعاه بقوله فى التوبة ١١١ «ان الله اشترى من المؤمنين أموالهم وانفسهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون و عداً عليه حقاً فى التوراة والانجيل» الاية ، مع انكاره أمر الجهاد بانكار بليغ .

* * *

ثم انهضم الى الاستدلال بالآيات الشريفة استبعادات واستحسانات زعم القطع بمدعاه .

(منها) انهم لم حرفوا كتاب الله وأى غرض كان لهم فى ذلك، أرادوا أن يدخلوا جهنم داخرين ولايقدم عليه عاقل .

(ومنها) انهم كيف تمكنوا من ذلك ولم يمنعهم ايمانهم وأمانتهم من ذلك ، أو لم يكن فيهم من يمنعهم من ذلك وفى القرآن سورة الاعراف ١٥٩ «ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون» ولم يكن من أعاديهم من يفضحهم بذلك .

(ومنها) ان عدة نسخ سبقت الاسلام توافق النسخ الموجودة التى كتبت فى القرن الرابع المسيحى قبل هجرة محمد صلى الله عليه وآله بمائتين وخمسين سنة كنسخة الاسكندرية فى لندن ونسخة الواتيكان فى خزانة بابا الروما ونسخة سينائية عند امبراطور الروس ، مضافاً الى توافق الشروح والنقول الكثيرة فى الازمان المتمادية من الوعاظ وغيرهم .

(ومنها) ان الذين أسلموا من الفريقين كان عندهم صحيح تلك الكتب ، كيف لم يحفظوها لاثبات دين الاسلام والاحتجاج على من بقى على دينه من فريقهم وتعليم أولادهم وتكميلهم بمعرفة ذلك واثبات التحريف بتلك النسخ لسائر الناس .

(ومنها) ان المسلمين اذا غلبوهم نهبوا بلادهم ومعابدهم وكانت فيها نسخ كثيرة قديمة، كيف لم يحفظوها ولم يضبطوها لتلك الاغراض، فليس ذلك الا لموافقتها لما فى أيدى الناس والاكتفاء بضبطهم . وهذا محصل ماذكره .

والجواب بعد تقديم أمور :

(الاول) ان التحريف و التغيير و التبديل موردها الكتابان النازلان على الرسولين دون كتاب آخروان كان لهما ايضاً . ولعل انكار النزول يكفى فى هذه الدعوى فضلا عن اختلاف اليهود فى اعتبار اليونانية والسريانية والاختلاف فيما بينهما ، فضلاعن دعوى النصارى عليهم اسقاط البشارات بعيسى عليه السلام، فضلا

عن كلامهم فى أحكامها وقولهم فيها ماقالوا ، فضلا عن مخالفتهم العملية لجملة من تلك الاحكام، فضلا عن أن الصفات الثابتة من القرآن ولسان اهل الاسلام معلوم الانتفاء عن تداولهما كمالايخفى على أولى الابصار .

(الثانى) ان المسلمين الذين تشرفوا بالاسلام عند دعوة محمد صلى الله عليه وآله الاالقليل منهم كانوا اقبله اهل كفر ومتدينين بشىء من الاديان الفاسدة، فأخرجهم الله تعالى من الظلمات الى النور ، فجماعة المسلمين التأمت من اليهود والنصارى وعبدة الاوثان وسائر الفرق لأنهم كاليوم كانوا جماعة مستقلة بأزاء تلك الفرق الكافرة «فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانمايضل عليها » (سورة يونس ١٠٨) .

أعرض كل منهم عما كان عليه من الدين الفاسد واختار الاسلام عن حجج واضحة لهم توضح المحجة البيضاء ، فصبروا من أجلها على الضراء واللاواء وتحملوا عن قومهم الملام شوقاً الى دار السلام . وأى شديدة لاتوها وأى سراء تركوها فى صدر الاسلام. وكم من قومهم زادهم اسلام هؤلاء عتواً فأوردوهم المهالك فى أوعر المسالك ، فما اختلفوا الامن بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعتواً .

ففعلوا مااستحقوا به الخذلان وان لم يوفقوا للفوز بالجنان فبقوا حينئذ على دين آبائهم «اناوجدنا آبائنا على أمة واناعلى آثارهم مقتدون» (سورة الزخرف ٢٣:) مصرين فى تشييد مـا كانوا بكل جدهم وجهدهم «آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون» (سورة آل عمران : ٧٢) ولم يبق سوى سنخ هؤلاء الاتشرف بدين الاسلام ولوبعد حين . وتفاصيل ذلك يعرف من وقائع هؤلاء فى صدر الاسلام . ومن هنا استمرت اليهودية الكافرة العيسوية الكافرة وغيرهما ، وصار كل فرقة قبال الاسلام والاسلام قبالهم .

(الثالث) ان المعاصى يرتكبها العصاة بشهوات أنفسهم و دواعيهم النفسانية بغفلة عما يترتب عليها حال الفعل أوضعف ايمان به او تقديم العاجل على الآجل

أوغرة بقول «لن تمسنا النار الأياماً معدودة» (سورة البقرة - ٨٠) اوغير ذلك مما لايخفى هنا .

ووقوعها من المنخرطين في سلك العقلاء حسي لايحتاج الى شاهد كالكفر بعد الايمان خصوصاً من ضعفاء العقول ، الم يعبدوا العجل «وأشربوا في قلوبهم العجل» (سورة البقرة : ٩٣) وهارون يقول «ان ربكم الرحمن فاتبعوني و اطيعوا امري فقالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى» (سورة طه:٩١) ، افلم يقولوا «ياموسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة» (سورة الاعراف : ١٣٨) افلم يقولوا بأجمعهم «انا لن ندخلها ابداً ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا اناههنا قاعدون» (سورة المائدة: ٢٤) اولم يتهموا موسى في هارون ، اولم يقولوا «ارنا الله جهرة» ، (سورة النساء : ١٥٣) اولم يؤذوا موسى عليه السلام ؟ !

فعلوا هذا واشباهه وكانوا موحدين آمنوا بموسى وأقروا برسالته ورأوا منه مارأوا . فعلوا ذلك ونبيهم بين اظهرهم فكيف بما بعده أفلم يرتدوا كافرين أعواماً افلم يضيعوا توراة حتى وجده حلقياه الكاهن بعدسنين . كيف فعلوا ذلك واشباهه ولم ينفعهم نهي هارون ومن يليه .

اولم يتركوا مواساة عيسى عليه السلام بترك لذة نوم ليلة واحدة ولم يدل عليه من دل من حواريه اولم ينكره ثلاث مرات بعدما كان أخبره، أولم يكفر به بعدما كان حذره ، أولم يختر دراهم بخس على روح الله عيسى ، أولم يروا قوله الكثير ابن الانسان ، أولم يبطلوا عبادته واتخذوه رباً ، أكان يعبد نفسه أو كان عبداً .

(الرابع) ان الذين يسلمون من الفريقين كانوا باسلامهم ينقلبون متهمين عند الباقين ومبغوضين مغضوبين كسائر المسلمين «أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم عند ربكم أفلا تعقلون» (سورة البقرة : ٧٦) وودوا لو يردونهم كافرين ويرجعوا ضالين أو ينعدموا مقتولين كما يعرف من معاملاتهم معهم ، وكان الله قد قطع طمعهم عن جملة من الباقين على دينهم وقال «أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان

فريق منهم» الخ ، فتبصر فى أشباه ذلك جيداً .

(الخامس) انحجة الاسلام قائمة فى كل زمان ولم يكن يحتاج الى توراة و انجيل وان كان خبرهما آية قال «اولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل» (سورة الشعراء: ١٩٧) الا أن الحاجة انما هى فى صورة الانحصار ولم تتحقق بعد كما يعرف مما اسلفنا ، مع أن الطرق الاخرى لاثبات النبوة أوضح و اسهل و انفع للكل كما عرفت.

واذا عرفت ذلك فنقول : اما الجواب:

(عن الاول) فبأن دواعى التحريف تختلف بحسب الموارد ، ففى الرجم والقصاص ضعف القلوب عن اجرائه على كل مستحق وجعل تأديب يتمكنون من اجرائه على كل مرتكب من الاشراف و غيرهم ، وزعمهم أن ما يضعون اولى مما وضعهالله تعالى فضلوا وأضلوا، فهلاّ فعلوا ذلك عند ما امرهمالله تعالى « ان اقتلوا انفسكم» و«توبوا الى بارئكم» (سورةالبقرة: ٥٤) و كانوا الوفاً. وفى بشارات عيسى ومحمد صلىالله عليه و آله عداوتهما وعداوة من آمن بهما وألفهم بدينهم وحفظهمن الاضمحلال ورغبتهم فيما كانلهم من دين الآباء من الرئاسة وفوائد وما كانيحصل لهم من زخارف الدنيا، فاشتروا بآيات الله تعالى ثمناً قليلا وسعياً فى هدم دينهما و تقديم العاجل على الآجل وأمثال ذلك، مع دعواهم نحن ابناء الله تعالى و أحباؤه وتسهيل عذابالله تعالى يقول «لن تمسنا النار الاياماً معدودة» (سورة البقرة :٨٠)

وبالجملة فأمثال تلك الدواعى تتقوى فى النفس فيعصى وان« كانعاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها» (سورة الحشر:١٧).

فان قيل : الامر فى الاحاد وان كان كذلكالانه كيف يصدر تحريف واحد على وجه واحد من جم غفير.

قيل : ان الجم الغفيرلماتتحد دواعيهم ومنشأها كشخص واحدلافرق بينهما هلالتحريف الواحد منهم ابعد من اتفاق منهم على أن«هذاالهكم وآلهموسى»

وقول «ياموسى اجعل لنا الها» مع ان الاتحاد في التحريف انما يحصل لهم بعدما يوافق هو كل واحد كما لايخفى بتمادى الدهور واطلاعهم على صنع من أراحهم فيستفز ولم يبق فيهم سوى من له هذاالهوى، حيث أن غير هؤلاء «قداهمتهم انفسهم وظنوا أن لاملجأ من الله الااليه»(سورة التوبة : ١١٨) فآمنوا و أسلموا فسلموا، فلم يكن زاجر من تقوى الله ولم يبق مانع من خلق الله، فحصل المرام و اندفع الملام واتخذوا عبادالله خولاومااله دولا «هل ننبئكم بالاخسرين اعمالاالذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً» (سورة الكهف:١١٤).

و اما استبعاد ذلك من العقلاء، فقد وقع وقائع نمرود و فرعون مع النبيين في امر التوحيد كما يحكى ثم تمردا و وقع منهما ما وقع و تبعهما غير محصورين ولم يكونوا فى زعم النصرانى مجانين ووقع من أضرابهم مالايخفى .

(وأما عن الثانى) فبأن ودعهم الايمان وتركوه واستبدلوا الأمانة بالخيانةطلباً للدنيا كما ظهر من المقدمات حيث صاروا كرجل واحد حصل له الدواعى القوية على تلك المعصية ولم يبق لهم رادع مانع.

ولو كان أيضاً ماذا كان يفيد منعه و ردعه ، فهذا هارون الذى أقروا بنبوته ومشاركته لموسى عليه السلام و كونه خليفة فيهم نهاهم عن عبادة العجل فقالوا «لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى» وفعلوا به ما قال فى اعتذاره «ان القوم استضعفونى و كادوا يقتلوننى» (سورة الاعراف: ١٥٠).

نعم كانوا يقولون خيرناوابن خيرناأعلمنا وأفضلنا، واذا ظهر مافعلوايقولون فى ذلك المجلس شرنا وابن شرنا، كما وقع لابن سلام الى غيرذلك .

و لعمرى ان أمر الديانة والامانة والردع عن الباطل يعرف حق المعرفة من ملاحظةالسندوسات التى وقعت لتصحيح الكتب وتمييز صحيحها من باطلهاوالعلماء الذين حضروها، فقد ذكر المسعودى أيضاً فى مروج الذهب.

واما الاية الشريفة وأشباهها فقد أسلفنا فى محله بيان المراد منها .

وأما تفضيح الاعداء فانما يكف من يخاف عارها لامن يخوض لجج شنارها فهذا جسنن شهيد النصارى قد فضحهم فى بشارات عيسى، وقال سلوس فيهم ما قال بل فضحوا أنفسهم عند محمد صلى الله عليه وآله فقال: كنت امحو اسمك أربعين سنة الى غير ذلك مما لايحصى هنا.

ثم اعلم أن يونانية التوراة كانت تعد سليمة و العبرانية محرفة الى الف وخمسمائة من الميلاد ثم انعكس الامر فغدت السقيمة سليمة والسليمة سقيمة.

و عن اكستائن أعلم المسيحية فى القرن الرابع : ان جماعة اليهود حرفوا العبرانية فى زمان الاكابر الذين قبل زمان الطوفان و بعده الى زمان موسى لتسقط الترجمة اليونانية عن الاعتبار عناداً لدين المسيح، وقالوا ـ أى القدماء من المسيحية ان اليهود حرفوا التوراة فى سنة مائة وثلاثين من سنى المسيحية.

وعن هورن فى الكلام على صحة السامرية : لو لوحظت أمور أخر اقتضت ان اليهود عن عمد وقصد ارتكبوا التحريف ، وماقاله محققو كتب العهد العتيق و الجديد من أن السامريين حرفوها لاأصل له .

وعن آدم كلارك : ان المحقق كنيكات يدعى صحة السامرية ، والمحقق پارى ودرسيثور يدعيان صحة العبرانية، و كثير من الناس يعلمون أن ادلة كنيكات لاجواب لها ويجزمون بأن اليهود بعداوة السامريين حرفوا التوراة .

وعن هورن : تحريفات والحاقات كثيرة وقعت فى الترجمة اللاطينية من القرن الخامس الى القرن الخامس عشر . وفى موضع آخر : ليكن فى قلبك ان لم يحرف ترجمة مثل هذه الترجمة .

وعن كريزاستم : ان كثيراً من كتب الانبياء انمحت ، لان جماعة اليهود ضيعوا الكتب لاللغفلة بل من أجل عدم الديانة خرقوا بعضها وأحرقوا بعضها بالنار.

و عن هورن بعد اثبات شهرة اليونانية الى القرن الاول : ولما استدلت المسيحية بها على اليهود أطلقوا عليها لسانهم بأن لاتوافق المتن العبرى ، وفى

ابتداء القرن الثانى أسقطوا فقرات كثيرة من تلك الترجمة ثم هجروها .

وعن رسالة الهادية عن تلمود أشهرتفاسيرالتوراة : ان فى زمان تلمباالملك بعد بخت نصرطلب الملك التوراة من الاحبار وخافوا من اظهارها لانه كان ينكر جملة من أمرها فاجتمع سبعون منهم فغيروا ما ارادوا مما ينكره الملك .

وبالجملةفهذا السنخ من كلمات علمائهم منقولة معينة الموارد فى كتاب اظهار الحق وكتاب انيس الاعلام ، و قد أخرجنا نبذة منها فى صدر شرح الايات ، فما كان جوابهم عن تلك الاستبعادات فهو جواب المسلمين وورودها عليهم أسبق من الورود على اهل الاسلام .

(وعن الثالث) أولاما يحكى عن انسائى كلوپيد باريس فى المجلد الرابع فى بيان بيبل واكنر كنيكات قال: نسخة العهد العتيق الموجودة قدكتبت مابين الف واربعمائة واستدل من ذلك على أن جميع النسخ المكتوبة فى المائعة السابعة والثامنة انعدمت بأمرمحفل شورى اليهود لمخالفتها للنسخ المعتمدة عندهم ، و زمان هذا المحفل بعد ظهور خاتم الانبياء بمائتين اوأزيد .

وثانياً شرح حالات تلك النسخ وتواريخها ،فنقول :

عن هورن فى المجلد الثانى من تفسيره فى حق النسخة الاولى مكتوبة فى أربع مجلدات ثلاثة منهافى الكتب الصادقة والكتب الكاذبة من كتب العهد العتيق والرابع العهد الجديد ، ورسالة كليمنت للقرناتيين والزبور الكاذب المنسوب الى سليمان . وقال ايضاً يوجد قبل الزبور رسالةاتهانى سيش وبعدها فهرست مايقزمايقرأ فى الصلوات وفى كل ساعة من الليل والنهار و الزبور الاربعة عشر القسم الحادى عشر ،منها فى صفات مريم بعضها كاذب وبعضها مأخوذ من الانجيل ، ودلائل يوسى بيس مكتوبة على الزبورات وقوانينه على الاناجيل .

وقدبالغ بعضهم فى مدح تلك النسخة، وبعضهم فى قدحها ، ورئيس اعدائها وتدسنين ، وفى قدحها كلام ظن بعضهم انها كتبت فى أواخر المائة الرابعة، وجماعة

ومنهم أدن أنها كتبت فى القرن العاشر ، وقال وتستين فى القرن الخامس ، وقال داكتر سملر فى القرن السابع ،وقال مونت فاكن لايمكن أن يقال فى حقها أنها كتبت قبل القرن السادس ، وقال ميكايلس كتبت وقت ماصار لسان المصريين عربياً وهو بعد غلبة المسلمين على الاسكندرية بمائة أومائتين ولا يمكن أن يكون قبل القرن الثامن .

هذا بعض كلام هورن فى حق الاولى ، وقال فى حق الثانية : كتب فى مقدمة الترجمة اليونانية المطبوعة فى سنة ٥٢٠ كتبت هذه النسخة قبل سنة ٣٨٨ ، و قال مونت فاكن وپيلين الصينى فى القرن الخامس والسادس ، وقال ودبودين فى القرن السابع ، وقال وهك فى أول القرن الرابع ، وقال مارش فى أواخر القرن الخامس، ولايوجد اختلاف بين النسختين من كتب العهد العتيق و الجديد مثلما يوجد بين هذه النسخة والنسخة الاولى .

وقال فى حق الثالثة: ظن ونستين أنها من النسخ التى جمعت لتصحيح الترجمة السريانية ، ولكن لادليل عليه ، واستدل أن كتبت قبل سنة ٥٤٢ ، وميكايلس لايرى ذلك قوياً ، وقال مارش كتبت فى القرن السابع - انتهى موضع الحاجة، مماحكى عن هورن .

ومنه يظهر حال مادعى من تاريخ كتابتها وحال دعوى صحتها وحال مادعى من عدم مخالفتها للمتداولة فى هذه الازمان وقبلها ، وأما مادعاه من موافقة الشروح وامثالها فماذا ينفع اذا كان المدعى وقوع التحريف فى الصدر الاول و كيف يمنع اسقاطهم مايضر بدينهم وهم يد واحدة على ذلك ولا كانت كثيرة النسخ شائعة فى البلاد وانما كانت توجد عند بعض و كلهم اعداء مايسقطون رأساً ، فلاحظ أدلة تحريفهم من اظهار الحق .

(وعن الرابع) أن ليته أثبت مالكيتهم أومالكية بعضهم للنسخ الصحيحة الكاملة أولا ، ولزوم الحفظ ولو لغرض اثبات دين الاسلام بعد اثبات حاجته الى نحو تلك

الادلة ثانياً ، وكون وجودها سبباً لافحام فريقهم وقبولهم لتلك النسخ وقول الحاكى ثالثاً ، وكذا الحال بالنسبة الى اثبات التحريف ولزوم تعليم الاولاد وتكميلهم بمعرفة ذلك ورجحانه الشرعى وابطال النواهى الواردة عن سؤال اليهود ومثل ذلك رابعاً

ومهما لم تثبت هذه الامور كيف يجعل عدم حفظهم دليلا على الاكتفاء بحفظ الفريقين ، ومتى علم المسلمون فى صدر الاسلام توراتهم وانجيلهم حتى يتوهم الاكتفاء بحفظهم فلاحظ .

وعن الخامس ، أنه هل أثبت من دليل كثرة نسخ كتبهم حتى يدعى انتهاب المسلمين لها او يدعى كونها قديمة ، ونقول عليه : هب انه انتهبوا نسخاً كثيرة فماذا صنعوا بها؟ أفباعوها من اليهود والنصارى فى البلاد الاخر أو أخذوها معهم يقرأها اسراؤهم أو اخذوها لانفسهم يقرأونها بالليل والنهار وهم لايعرفون كتابتها ولا كلماتها وكل هذه نوع حفظ وضبط قد ادعى أن المسلمين الغالبين على بلادهم ومنتهبى بيوتهم ومعابدهم لم يفعلوهما ، فكيف صارت وكيف تلفت وهلكت فليخبرنا بذلك .

واذا لم يحفظوها أصلا حتى تلفت وهلكت كل تلك النسخ الكثيرة القديمة التى انتهبوها فيما يزعم كيف يدعى اكتفاؤهم بحفظ اليهود والنصارى وان وكلوا هذا الامر المهم اليهم ، وكيف يكون مهماً وهم لايهتمون به أصلا ، وكيف كانت كثيرة وقد اختفى حكم الرجم والقصاص من أهل البلاد على غير ابن صوريا ومثله .

ولو كان تكثير نسخها مستحسناً كيف أودعها موسى عليه السلام الصندوق و أمر أن تخرج وتقرأ على ملاء منهم فى كل سبع سنين مرة ، وكيف خالفوا ذلك فأكثروها وصارت تتلى بالليل والنهار فى معابدهم وبيوتاتهم ، وكيف تلفت كلها وصار لايعرفها غير عزير ، بل عرفها هو أيضاً بالهام جديد فيما يدعون .

ثم ان مدعى لزوم حفظها لتلك الاغراض زاعماً ترتبها على وجود النسخة كأنه لم يعرف الخلاف بين الاسامرة وغيرهم وما يرمى به كل الاخر فى التحريف فلاحظ كل ذلك بعين الاعتبار.

ثم أى فائدة لاهل الكتاب فى سلامة كتبهم عن التحريف ، واى ضرر فى ذلك

على المسلمين بعد دعوى متكلمهم كون سلامتها مقتضى آيات القرآن ومعتقد محمد صلى الله عليه و آله ايضاً ، و ان دعوى محرفيتها مما أبدعه علماء الاسلام ، اذ الغرض حينئذ اما اثبات دوام دينهم وانه لم ينسخ أوابطال دين الاسلام ، و شيء من هذين لايثبت بتلك الدعوى ، فان ثبوت الاسلام بأدلة تشبه أدلة دينهم لو راموا اثباته لمثل عبدة الاوثان من ظهور مدعى النبوة واظهاره المعجزة على طبق دعواه، وقد أسلفنا بيان ذلك فى صدر الكتاب ، ولايتوقف ثبوت ذلك على محرفية تلك الكتب ابداً ، وبثبوت ذلك يثبت منسوخية دينهم ومؤلية ما يظهر منه دوام حكم اوالوهية عيسى ، لمنافاته للمعلوم من دين الاسلام ، والخدشة فى النسخ وهمية كما بين فى محله .

ومن أدل الدليل على امكان الشيء وقوعه ، ومن ذلك نفس الاختلاف بين دين النصارى واليهود ، بل ونفس نبوة موسى مجدد شرع لم يكن قبله ، أويدعون انه كان تقرير ما نزل على آدم ولا ربط للنسخ بتبدل ارادة الله تعالى كما لايخفى.

ثم بعد ما ثبت الاسلام ثبت حقية تمام ما جاء به محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله ومن ذلك محرفية كتبهم بالايات كماعرفت وان ادعى السلامة من ادعى وشده بالعروة الوثقى.

وبالجملة فاللازم النظر فى دليل النبوة ثم مايترتب عليها يثبت من النبى(ص) بطرقها ، والشاك فيها براجع تلك الطرق ويبحث عنها دون امر آخر لايكون فيه كثير جدوى .

المقالة الثامنة

(في امكان النسخ ووقوعه وامكان وجود الحكم الخاص)

(ببعض المكلفين والكلام في الامامة)

(اما الاول) فقد أنكره من انكر، زاعماً استلزام ذلك التبدل في ارادة الله تعالى وكأنهم زعموا أن النسخ رفع الحكم المستمر في الواقع، فوصفوه بالاستمرار اولا ثم بالارتفاع برفعه ثانياً، نظير تبدل الرأى في العباد بظهور مخفى ومعرفة مجهول ونحو ذلك.

وهو جهل أو تجاهل، فان ذكر الرفع والنسخ انما هو بحسب ما كنا نتوهم من الدوام والاستمرار دون الواقع، وتبدل الارادة غلط.

بيان ذلك: ان الاحكام تكاليف من قبل الله تعالى يدعى تعلق ارادته تعالى بها ثم ينكر التبدل والاختلاف بحسب الازمان ونحو ذلك.

وانت خبير بأن لله تعالى ارادة في التكوينيات، بل الامر في تلك الارادة أصعب حيث يستلزم الوجود عندها، والاختلاف في الكائنات من ضروريات العقول التى لاتخفى على المعاند الجهول ايضاً، حيث أن المخلوقات في العالم بأنواعها التى لا تحصى وخصوصياتها و كيفياتها لايسع عاقلا احتمال وجودها بدون ارادته تعالى

وحيث اختص وجود الموجود بوقت لم يكن قبله ثم ينعدم بعد الوجود كما هو المحسوس اويقوم آخر مقامه ونحو ذلك، أفيكون في البين تبدل ارادة وظهور مخفى وحصول بداء ونحو ذلك مما يكون عيباً ونقصاً في الواجب مما يجب ان ينزه

عنه، أو ايجاده الموجودات تابع لمصالح يفعله كما يراه.

والاختلاف في العالم ومخلوقاته بجميع أنواعه خارج عن حوزة تبدل الارادة في كل وجه تابع للداعي الى الخلق والايجاد ، ويتحقق ما يكون مقتضى ذلك في غير منقصة في خالقه . فهكذا الحال في الاحكام مورد الارادة التكليفية .

وان أردت اتضاح الحال فلاحظ التكليف الشخصي، كأمر موسى (ع) بخصوصه بحمل أعباء النبوة على الوجه المخصوص الذي لم يكن وجد المكلف به قبله وتحقق في زمان مخصوص وفات بموته ، أيتوهم في هذا التكليف الخاص من جهات تبدل ارادة ومثل ذلك.

و اذا اختص مقتضى الداعي الى هذا التكليف لهذا الشخص الخاص بخصوصياتها الواقعية في غير حصول تبدل ارادة مثله ودبره الحكيم تعالى في عمره على الخصوصيات المختلفة لحكم تقصر عن ادراكها العقول . فأي مانع من اختلاف الاحكام باختلاف حكمها مع قصور العقول عن ادراكها ؟ ولعل من ذلك يظهر جواب تقرير المانع من الوجوه الاخر غير تبدل الارادة فلاحظ.

وبعبارة اخرى : ان وجود الموجودات بأنواعها و كذا جعل الاديان واحكامها اذا استند الى الداعي الى الايجاد والجعل يكون بقدر اقتضاء الباعث على الايجاد والجعل في تمام خصوصياتهما في الاستمرار والطول والقصر وامثال ذلك ، ومجرد الاختلاف في الموجود والمجعول بوجه من وجوه الاختلاف لا يكون كاشفاً عن حصول تبدل الارادة ،فعدم امكان تبدل ارادته تعالى كيف يدل على عدم امكان النسخ ورفع الثابت وتبديله بغيره ، بل منزهية الخالق عن النقائص بوجب العلم بأن الاختلاف الموجود في خلقه وما جعله ليس من سنخ تبدل الارادة وظهور خفي . وبه ينكشف فساد دليلهم، ولعل ذلك واضح.

واما الكلام في وقوع النسخ فبعد ما ثبت امكانه وعدم امتناعه عقلا من الواضح ثبوته بما يثبت به وجود سائر الممكنات . ويكفي في ذلك تبدل الشرائع من قبل الله

ولايسع احداً دعوى ان الانبياء كلهم بعثوا على شرع واحد لم يوجد فيه تبدل حكم واختلاف ، أفيزعم اليهود ان لم يكن نبى قبل موسى (ع) او كان ولم يكن موسى صاحب شرع جديد بل حاله بالنسبة الى سلف الانبياء نحو حال داود بالنسبة الى شرعه ، ولوادعى ذلك احد فليثبت لنا من دليل ان شعيباً ابازوجة موسى وموسى قبل نبوته وسائر الانبياء السالفين كانوا يلازمون حكم السبت وسائراحكام التوراة ، ويبينوا لنا كيف بدأوا الخلق وكيف بدؤا النسل وحال المزاوجات فى اولاد آدم ، وليلاحظوا حال سارة والحال في زوجة اسحاق وزوجة يعقوب الى غيرذلك .

وليلاحظ النصارى حال تعدد الازواج لابراهيم واسحاق ويعقوب ونسخهم السبت وتبديله بالاحد ومافى الختان مع مافى دليل السبت والختان ليتضح لهم وقوع النسخ فى احكام الله تعالى . ويكفينا نحن دليل نبوة محمد (ص) مع ما علم من احكامه بعد عدم وجود المانع العقلى من النسخ حسب ماعرفت .

واما امكان اختصاص حكم ببعض الافراد فمن الوضوح بمكان بعد فرض كونها عن باعث ومصلحة تدعو الى جعلها ، حيث لايمنع العقل من وجود مصلحة تدعوالى تكليف واحد فقط ، مع انه لولزم العموم لكان فى الكل والى الكل وفى كل الازمان ، وبطل خصائص هارون ايضاً ، مع ان صحة نبوة تستلزم صحة مايأتى من قبلها وما يثبت فيها كما لايخفى .

وما يدعيه اليهود و النصارى من الامور الفاسدة فطريق ثبوتها من النبيين اونبى آخر معلوم الفساد سنداً ودلالة اوفيهما ، ولبيان ذلك مجال آخر - فليلاحظ

المقالة التاسعة

فى الامامة

لايخفى ان مبعوثية أنبياء بنى اسرائيل من بعد موسى (ع) لتقريرشرعه كما يسلمه اليهود والنصارى ايضاً دليل واضح على حاجة الشرع فى الجملة الى مقرر حافظ ، ولولاها لم يبعث الله تعالى نبياً مقرراً و كان بعثه لغواً، وتعالى عن ذلك علوا كبيرا .

ووجه آخر: ان الناس يميلون بأهوائهم ويتبعونها وهى تخالف الشرائع الصحيحة كما يعرف من امتناع الناس عن قبول نبوة الأنبياء فى ازمانهم ، ومجرد ذلك كان ينجر الى اضمحلال الدين مرة أوشيئاً فشيئاً كما هو واضح . فمطلوبية وجود الشرع فيما بين الناس توجب اقامة الحافظ المقرر لئلا يزول الحق عن مقره ويغلب الباطل على اهله .

ووجه آخر : ان بعث الانبياء عليهم السلام انما كان لقطع حجة العباد يوم المعاد، واذا قرر دين من الله تعالى و آل الى الاضمحلال لم ينقطع حجة الموجودين بعده و لقالوا : لولا أرسلت الينا رسولا منذراً و أقمت لنا علماً هادياً من قبل أن نذل ونخزى . بل الحال كذلك قبل حصول الاضمحلال أيضاً بعد وجود الاختلاف فيما بينهم ودعوة كل الى طريقته وتصويبه لخصوص مااختاره ، فلا يعرف الناس الحق محضاً خالصاً ، بل وجود الاختلاف داع الى بعث من يفصح عن محض الحق ويسعه الزام مخالفيه ، والالم يكن وجود الشرع و بقاؤه مطلوباً و لو كان كذلك

لم يبعث نبى . ولعل كل ذلك لايخفى .

و وجه آخر : ان الجوارح لايستقيم عملها الا بقلب سليم يعرف صحيحها من سقيمها وشبهاتها ، ولايترك الله تعالى كل الخلق فى حيرتهم وشكهم لم يقم لهم اماماً يردون اليه حتى يوضح لهم ويزيل شكهم فيتم ويصح بذلك أعمالهم .

ووجه آخر : ان الله تعالى اذا كان انظر لعباده فى دينهم فلابد أن يقيم لهم الحجة ويوضح لهم المحجة بما يغنيهم عن التعب والنصب .

ووجه آخر : انه تعالى اذا كان بصدد اتمام الحجة على العباد لوترك نصب الامام أبطل حججه وبيناته ولم يحصل الغرض .

ثم ان هذا الامام القائم مقام النبى لما كان لابد أن يكون لوجوده فوائد وجود الرسول فى اهتداء العباد به ودلالتهم الى مارضيه الرحمن والتحذير عما يرتضيه الشيطان وأن لايأتيهم من أتباعه مفسدة ، لزم عالميته بمواقع الاحكام ولايعقل جهله فى مورد يحتاج الناس الى علمه ومعصوميته عن ارتكاب ما يسخط الله تعالى فى القول والعمل والا وقع فى الخطأ والخطل وهلك وأهلك .

وحيثما توقفت الامامة على معرفة جميع مايحتاج اليه آحاد الامة وأن لايكون له جهل وعلى العصمة الكاملة الشاملة لم يعرف القابل لهذا المنصب الجليل سوى المطلع على السرائر والضمائر والعواقب ، لقصور الأنظار عن معرفة غير ما اطلعت عليه وتطلعت ولاتحيط بسرائر العباد ولا بعواقب أمرهم ، وتوقفت امامة الامام على نص من الله تعالى عليه أو من الرسول الذى عرفه الله تعالى ذلك .

ويؤيد ذلك بل يدل عليه تبدل أحوال الناس وتخلف الظنون فى موارد الاختيار لهذا المنصب مما لايحصى هنا .

ثم الفاحص عن نص الله ورسوله صلى الله عليه وآله أن رجع الى الاخبار الواردة عن النبى فى طريق الشيعة الامامية يراها مشحونة بالنصوص الكثيرة على أئمتهم الاثنى عشر ، وان تركها مخالفوهم لمنافاتها لمذهبهم أو عدم تحمل قلوبهم

لنقلها بما يدل عليه ذلك من خطأهم وضلالهم ، أوتحقيراً لهؤلاء بأن يكونوا فازوا بتلك المرتبة العالية أو حسداً لهم «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله» (سورة النساء :٥٤) أو لغيرذلك من العلل،أوترك القائها اليهم بتقية ونحوها كخوف التكذيب ، أو حفظ نفوس الائمة و ايهام كونهم من آحاد الرعية لسلاطين العصر وستر ما يوهم كونهم معارضين لهؤلاء الخلفاء بكونهم الاصل الاصيل .

وان رجع الى اخبار اهل السنة يراهم رووا أخباراً اذا اجتمعت أفصحت عن الحق الفصيح بصوت عال رفيع ، نشيرهنا الى مفادها وحاصل المقصود منها اجمالا وهى مفصلة مشروحة فى كتابنا (كتاب النور فى الامام المستور) فنقول :

دلت جملة من أخبارهم على أن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ائمة استقامت الدين باستقامتهم، ودلت جمله أخرى على أن آحاد الامة كانت فى معرض الضلال فأمرهم بالتمسك بالكتاب والعترة،ودلت جملة أخرى على وقوع ذلك الامر المخوف لغيرمن اتبعهما ، ودلت جملة على أن الملك والامر بعده فى قريش ولايتعداهم والا لم يتم الحصر وهو حكم بتأميرهم والتأمر بأمرهم، فلاينافى تأمرغيرهم وليس خبراً عما يقع .

ودلت جملة على أن يليهم الى يوم القيامة أوما بقى الدين ، فيكون ذلك عدة امراء الحق من غير زيادة ولانقصان، ويكونون من قريش لامن غيرهم ، ويكونون مستقيمين على الدين دون غيرهم من الامراء المتأمرين ، وحيث امتدت ولايتهم بقاء الدين مدى الاعصار اتضح فى تلك الازمان من غير حاجة الى بيان انحصار مصداق هؤلاء الاثنى عشر فى ائمة الامامية حيث لايوجد قرشي يكون الواسطة بينه وبين الموجود فى زمان رسول الله صلى الله عليه وآله عشرة اباً فضلا عن الاقل غير ابن الحسن العسكرى عجل الله فرجه .

واثبات اتصال الحاجة الى الامام بموت النبى صلى الله عليه وآله وفى كل زمان ومولد الثانى عشر وغيبته موكول الى كتاب النور .

وحيث أثبت خاتم الانبياء الامامة وخلافته لهؤلاء الاثنى عشر وأخبرعن غيبة آخرهم غيبة تطول أمدها وأنه يظهر بعدتلك الغيبة ، وكان ذلك ربما يوجب طمع الضالالمضل ويكثر المدعون فقديلتبس الامر، أخبر ذلك المخبر الصادق بعلامات لظهوره قبله وحاله وبعده توضح الحق باختصاصه بها وتباين الباطل ولايوجدمعه شيء منها وبشرط يسبق تلكالعلامات ان تملاء الارض ظلماً وجوراً، والجورالميل عن الحق والقصد والظلم وأصله وضع الشيء فيغيرمحله .

وامتلاء الارض منهما انما يكون فيمالونظرناظرالىجميع الارض بنظرواحد وجعلها مرأىواحداً يكونالغالب عليهابحيث يضمحل غيرالغالب ويكون كالمعدوم هو وقوع الظلم والجور ، فيكون العباد كلهم ظالمين جائرين فى أعمالهم كافة أوغالبها، بحيث لايرى فىتلك النظرة فيهم مجتنب الجور والظلم فى كل الاحوال ولافيما تجنبهما الافى غايةالقلة يكون ذلك القليل منهم ومنها نظير الشعرة البيضاء فىالبقرة السوداء حيث تعدالبقرة معها سوداء لاغير .

ومعرفة حصول ذلك بعد سبراعمال العباد بجزئياتها بعد معرفة عنوانموافق الحق والعدل وما يقتضيانه من اعمالهم ، فتنحصرفيمن لايعزب عنه مثقال ذرة ومن أخبره بحصول ذلك .

و أما معرفة عدم حصول امتلاء الارض جوراً و ظلماً فلعلها ممكن لغالب المطلعين على غالب أعمال غالب أهل بلادهم . ثم لم يبين قدر وجود هذا الشرط ايضاً وانما المبينأنه يملاء الارض قسطاً وعدلا كما ملئت جوراًوظلماً كمالايخفى.

وأمر آخرهوأنه يخرج ودائعالله تعالىمنالاصلاب والارحام ولايعرفه الاالله تعالى .

ومن العلامات التى قبلظهوره خروج السفيانى وغلبته علىخمس كور من الشام وملكه ثمانية أشهر ، وثلاثة أصوات فى رجب يسمعها الناس كلهم : الاول «ألالعنةالله على الظالمين» ، الثانى «أزفت الازفة» ، الثالث «ألاانالله بعث فلان بن

فلان» حتى ينسبه الى على عليه السلام .

والصيحة فى ليلة الجمعة الثالثة والعشرين من شهر رمضان باسمه واسم ابيه وامه والامر باتباعه ، يسمعها اهل كل لسان بلغتهم ، يفزع منها الناس ولايبقى نائم الا استيقظ ولاقائم الاقعد ولاقاعد الاقام وخرجت المخدرات من الحجال . وصيحة الشيطان آخر تلك الليلة . وخروجه من مكة يوم عاشوراء - الى غير ذلك من العلامات المذكورة فى مواردها . وفيما ذكرناه كفاية .

ومن العلامات حال ظهوره وبعده ان يمشى الرعب امامه شهراً ، وغلبته على كل من نازعه ، وان يملاء الارض قسطاً وعدلا ، ولا يبقى أرض الانودى فيها بالاذان ، وانتشر دين الاسلام ، وقتل الدجال ، وان تخرج الارض بركتها وينزل السماء ماءها .

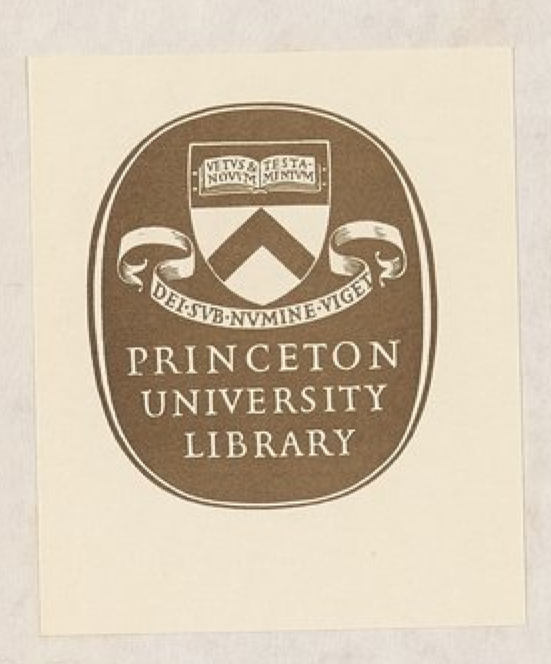
فنقتصر على هذه الوجيزة ، سائلين من الله البصيرة ، وكان الفراغ فى سنة ١٣٢٥ .

فهرس كتاب

(الدعوة الحسينية)

فهرس كتاب

(المقالات فی اثبات الاسلام)


VETUS & NOVUM TESTAMENTUM
DEI SUB NUMINE VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY



دعوة الحسينية

الى مواهب الله السنية

للعلامة آية الله الحاج الشيخ محمد باقر البهارى الهمدانى

رضوان الله تعالى عليه

المتوفى سنة ١٣٣٣ هـ ق

قام بطبعه

نجله : العبد العاصى محمدحسين عفى عنه